

مجلة المجمع العلمي العربي

العدد ١٣٣٩ : هـ الموافق ١٩٢١ م

تشرين في دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني - شباط

١٩٣١

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي	{ في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً
الدفع مقدماً	

فهرس الجزءين الاول والثاني

« اللذين صدرا من قبل »

صفحة

١ التقرير السادس (باعمال المجمع العلمي العربي) في { السيد محمد كرد علي رئيس المجمع
سنتي ١٩٢٩ — ١٩٣٠ } العلمي العربي

١٢ اعضاء المجمع العلمي في سنة ١٩٣٠

١٦ = = الراحون منهم

١٧ المتبرعون للمجمع العلمي

٢٢ محاضرات المجمع

٣٥ آراء المفكرين في المجمع العلمي

٣٧ الجاحظ السيد شفيق جبري

٤٤ اللغة العربية وخزائنها الادبية (محاضرة) السيد خليل مطران

٥٥ أدبنا القومي باحث

٦١ « مطبوعات حديثة » = الديان المغرب في اجبار { السيد محمد كرد علي
ملوك الاندلس والمغرب . الديمقراطيةون . البلجيكيون .

٦٥ مقاييس اللغة الشيخ « المغربي »

٧٢ اول عمدي بالجاحظ السيد شفيق جبري

٧٨ نواحي الجاحظ = =

٨٤ ادبنا القومي (٢) باحث

٩٧ واسطة السلوك في سياسة الملوك (كتاب) السيد محمد سعيد الزاهري

١٠٢ رسالة الكرم (٦) السيد سليم الجمدي

١٠٩ « آراء وافكار » = تأويل كلمات في تاريخ حلب : الشيخ كامل الغزي

دمشق، هل يقال فيها دمشق ؟ من نو در مخطوطات والشيخ « المغربي »

دار الكتب الظاهرية والشيخ حـ بني الكسم

١١٩ « مطبوعات حديثة » = معجم اسماء النبات . القبائل

الرحالة والنصف رحالة . مختصر في القضاء البدوي . الامير مصطفى الشهابي والسيد

تهافت التهاافت لابن رشد . تاريخ سوريا قبل م . ك والشيخ « المغربي »

الفتح الاسلامي . كتاب البدع والهي عنها .

التقرير السادس بأعمال المجمع العلمي العربي

— في سنتي ١٩٢٩ — ١٩٣٠ —

من السيد محمد كرد علي وزير المعارف ورئيس المجمع العلمي العربي الى صاحب الفخامة
الاستاذ الشيخ محمد تاج الدين الحسيني رئيس مجلس الوزراء في دولة سورية المعظم .

غرض المجمع

لم يتحول المجمع العلمي العربي عن الغاية التي أنشئ لتحقيقها منذ ١٩١٩ . وكانت
اللغة وكل ما يعيد اليها رونقها ، واحياء آثار السلف والمعاصرين ، أهم ما تمحض له ،
مستعينا على نشر هذه الفكرة بالقاء محاضرات في بيوه ، في موضوعات أدبية وتاريخية
وأثرية واقتصادية واجتماعية ، ولهذا الغرض أنشأ مجلته ، فكانت معيار ارتقاء الآداب
في هذه الديار .

ذكرت في تقريري الخامس الذي رفعته الى نفامتكم منذ سنتين ان العشر السنين
التي أنت على المجمع ، كانت دور تمرين ، واستنقراء واستجماع قوى . وهاتان السنتان
الماضيتان كانتا على هذا النحو ايضا ، اللهم الا ما كان من دخول تعديل في وضع المحاضرات ،
وفي نقد المطبوعات الحديثة . ولا يتيسر الآن الاضطلاع بغير ذلك لان المجمع في
منزعه العلمي ادعى الى ان يكون من المحافظين المدققين ، منه الى المجددين المتسرعين ،
هو مفتون بجمال القديم ، ولن نفوته روعة الحديث .

نعم يكره المجمع الجمود ، وكذلك يكره العبث بالقديم النافع ، فهو يسير باللغة كما سار المجمع العلمي البار يزي باللغة الفرنسية الا قليلا . يريد ان يحبي كنوزها القديمة ، ويحسن الانتفاع بتراث الاجداد ما أمكن ، فاذا أعوزته المادة اشلق وعصب . ولا يخرج بحال عن روح هذا اللسان . ولذلك كان منذ بدء عمله ينقد من الكتب والمقالات كل ما يرجم باللغة القهقري ، ويسلب منها بهاءها ورواءها . ولطالما استهدف لامتعاض بعض من نقد تأليفهم ومطبوعاتهم نقداً علمياً . والمجمع العلمي — وبخبرته على الآداب غيرته — يصعب عليه ان يصانع المحسن وغير المحسن ، وهو يعتقد ان مجلته ليست من المجلات التجارية التي قد لاتحضر المتأدبين النصيح ثقية ومتافاة . ولذلك نراه قد تجافى ايضاً عن بث دعاية واسعة النطاق لمجلته ، وترك مسألة انتشارها تجري في أعنتها ، لتعرف بطول الزمن ، لا بوسائل لاتناسب مع شرف العلم وكرامة العلماء .

لم يلائف المجمع الا الى غرضه الذي اخذ نفسه به ، وأغفل ما ورد عليه من اعتراضات واقتراحات ، لانه يرمي الى انفاذ خطة عينها ، وانفاذ قانون له مسنون ، اذا خرج عن مضمونه ضاعت الفائدة منه ، وادركه العثار . وحبذا اليوم الذي بقل في الشرق القائلون ، وبكثير العاملون ، ويدرك القوم ان لاهياة لأمة بغير التخصص ، وان من رزق السعادة في ان يؤلف وينفع الناس في الأدب مثلاً ، يستحيل عليه ان يؤلف في الرياضيات ، وان الحائك غير الحداد ، والزارع غير التاجر ، وان أم الاسباب فيما نال الشرق من انحطاط ، أن عمل الناس فيما لا يعلمون ، وقدروا كفاآتهم اكثر مما تساوي .

تعلمون يا مولاي ان العشر السنين والعشرين والثلاثين ، لاعدت شيئاً يذكر في باب اشتكال أسباب الحياة العلمية . وان أمة ضعفت ملكاتها العقلية ، بضعف العلوم والآداب فروثاً عديدة ، يشعذر عليها ان تستعيد مكانتها الاولى في بضع سنين ، مها بلغ من ذكاء أبنائها ، وتوفر لم من أسباب التفوق والانبعاث . وان عاصمة بلادكم انتعبط على كل حال بان قام فيها هؤلاء الجماعة من رجال المجمع بعنوان باللغة وما اليها ، على حين حاولت أقطار عربية كثيرة إنشاء مثله ، فلم توفق مع الأسف الى اطراد عملها ، فتراجعت وعملها في دور التكوين . وكنا نقول ولا تزال نقول ، ان مصر كانت أحق

بهذا الفضل ، بما تلقف بنوها من العلوم المختلفة ، وبما سبقتنا به من الاخذ بمذاهب الارثقاء ، حتي جاءت فيها طبقة من العلماء والادباء يقل مثيلها في الاقطار العربية الاخرى . وعلى كل فهذا جهد المقل ، ورجاؤنا في المستقبل عظيم ، وشعارنا اذا كان فيامضي السير ولو في الظلام ، فرمنا في الآتي ان نسير في نور العلم الساطع .

كان تأسيس مدرسة الادب العليا من أهم اماني الجمع ، فوضعت قواعدها الآن بفضل رعايتكم ، وقامت في السنة الماضية على الصورة التي ارتضيتها ، وبعبارة فخامة المسيو بونسو المفوض السامي للجمهورية الفرنسية في الشام ، الذي ما يرح منذ كان رأس الانداب في بلادنا العزيزة ، بأخذ بيد الجمع العلمي ، ويقدر عمله الضئيل قدره . ولقد ضمنت للدارسين بمدرسة الادب العليا - واربعة من اعضائه بدرسون الآن في صفوفها - أسباب ارتقاء لغة البلاد ، واللغة الفرنسية اداة تمدننا الحديث . واذا تم هذا فللجمع أمنية أخرى يعتد لها الطرق الموصلة منذ سنين ، وهو احياء عدة كتب قديمة في الآداب ، ووضع معجم متوسط يضم اليه ما وضعه جماعته او غيرهم من الألفاظ والمصطلحات العلمية ، وبذلك يتيسر له او لغيره من الحكومات العربية الكبرى ، ان يقوم بعد حين بوضع معجم عربية (دائرة معارف) ، مستعينا بمن أنبغت البلاد العربية من الكتّابين والباحثين ، ومسترشداً بمن ضمهم الى جملته من علماء المشرقيات المستعربين في الغرب والشرق .

وقد طبع الجمع الجزء الثامن من كتاب نشوار المحاضرة للنوحي ، نشره الاستاذ مرجولايوت أستاذ جامعة اكسفورد واحد اعضاء الجمع العلمي ، ونشر محاضرة الدكتور اسعد الحكيم احد اعضائه في مضار المسكرات النفسية والاجتماعية ووزع كثيراً من نسخها مجاناً لنعم فائدتها .

ما تم من أعمال الجمع

وبعد فقد قضى الجمع دور الطفولة ، ودخل اليوم في اول سن الشباب ، او انه انتهى من دور التأسيس ، وبدأ بدور البناء ، وما أصعبه من دور على من يقدر عظم

التبعات . وقد كان في نية اعضاء المجمع ان يقيموا ، بمناسبة اتمام مجملهم العقد الاول من حياته ، حفلة رسمية تكون لها صفة المؤتمر العام ، فيشهدها جميع اعضاءه في البلاد الاخرى ، ومنهم علماء المشرقيات في الغرب ، ليتباحثوا الأدب واللغة والتاريخ ، على مثال مؤتمر علماء المشرقيات ، ثم رأى تأجيل ذلك ريثما يتمكن من اتخاذ عامة أسباب الفائدة للمؤتمر بين ليثمر المؤتمر ثمرة نافعة من كل الوجوه ، بفضل ما يستمدّه المجمع من نخامتهم من قوة ، وازمّع ان يظل على دؤوبه في منازلة مائتعاوره ابيدي رجاله من الاعمال الادبية ، لعله بالنواقص المحسوسة في عمله ، فلا تكون دعوة العلماء من القاصية قليلة الزبدة ، في زمن تقاس فيه الامور بنتائجها .

ولقد أدخل المجمع اصلاحات جمة على داره ، ودار الكتب الظاهرية التي أنيط به لاول امره تعهدها ، فرمّ في البناء ، واخذ الاسباب لاستملاك بعض ما كان داخلاً فيها ، وملتصقاً بها من المباني ، لثني داره والدار المحاذية لها بغرضه ، من توسيع دائرته ، ولتكون الداران صالحتين لاستيعاب كل ما يدخل دار الآثار من المجاميع ، ودار الكتب من الأسفار ، والزيادة فيها مطردة على ما يتجلى ذلك من احصائهما الاخير . ومن احصاء الكتب التي دخلت المجمع هدية من الطابعين والمؤلفين والجامعات والجمعيات ، يُعلم مقدار الثقة التي أصبحت له في الاندية العلمية في العالم . وهذه الثقة تزيد كلما تضاعفت العناية بتعهده ، وأثمر ثمرات دائية القطوف . فقد أوصى مؤخراً المرحوم الشيخ عبد الله الكزبري من الأمر القديمة - في دمشق بخزانة كتبه للمجمع ، وعددها ٤٢٣ مجلداً فيها كثير من المخطوطات الجميلة النادرة ، وكانت البادي بمثل هذه المأثرة العلمية العلامة المرحوم رفيق بك العظم احد اعضاء المجمع ، فأوصى بخزائنه البالغة نحو الف مجلد للمجمع .

وقد بلغ ما أهدي في الحولين الاخيرين من الكتب ١٠٧٧ مجلداً ما بين مطبوع ومخطوط وما ابتاعه ١٣٤٦ كتاباً مطبوعاً و٦٢ مخطوطاً ، فبلغ عدد المخطوطات السابقة واللاحقة ٣٩٢٥ مخطوطاً والمطبوعات (١٥٨٠٧) اي ان المجموع غدا ١٩٧٣٢ مجلداً مخطوطاً ومطبوعاً . ومنها كتب فرع جلب ، ومنها مجموعة أهداها مؤخراً

جلالة ملك الحجاز ونجد وقدرها ٤٦ مطبوعاً ، واستنسخ المجمع بعض المخطوطات البادرة وابتاع منها ما عرض عليه مصوراً ايضاً وسيكون له بعد سنين مجموعة نفيسة من النوادر المصورة بالتصوير الشمسي . وبذل المجمع همه في إتمام نواقصه من المطبوعات العربية والفرنسية ولا يزال على دؤبه في هذا الشأن حتى تصبح مجموعاته كفيلاً بغرض كل باحث ومتأدب ، وهو الآن يضع فهرساً مطولاً على أسلوب حديث ، لعشر مجلدات صدرت من مجلته الشهرية ، يستعين بها الباحثون ، فتكون المواد التي خاض عباها اعضاء المجمع ومؤازروه في الشرق والغرب قرينة التناول على الباحثين . وتمت المعدات لنشر فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية .

وقد خص السيدات بردهة في هذه الدار منزلة عن غرفة الرجال ، يقيم قيمة عليها لتختلف اليها المتعلقات والدارسات . واذ رأى اقبال الرجال على غرف القراءة ، خصوصاً بعد وضع نظام البكالوريا وافتتاح مدرسة الأدب العليا ، جدت ان يهد السبيل امام الطلاب فيستكثر لهم من المصنفات التي تفيدهم في الفروع التي يجادلون التوسع فيها ، ورأى من جهة ثانية ان بعضهم مولعون بقراءة صحف الاخبار السياسية فقرر ان تحجب عنهم ، وتحفظ مجاميعها في مستودعه ، يرجع اليها عند الضرورة ، فكان من ذلك انكباب الطلاب على كتب العلم والمجلات العلمية والادبية . وجهز غرف دار الكتب باحسن المناضد والمفروشات ليكفل للمطالعين راحتهم . وقرر ان لا تعرض الكتب الحديثة على مناضده الا بعد سنة من نشرها حرصاً على مصلحة الوراقين وترويجاً لما بطبعوت ، وكان توسع في إعارة مطبوعاته الى خارج دار الكتب فرأى ان هذه التجربة قد عاقت الكتب عن استفادة بعض الدارسين ، فألغى قراره الاول وجعل الاعارة محصورة بالمطالعين في الخزانة الظاهرية وخزانة المجمع الخاصة فقط .

ولقد بلغ عدد قراء الكتب المخطوطة والمطبوعة في قاعة المطالعة ٢٨٠٠٠ قاري بمعدل ١٤٠٠ شهرياً ، وعدد القراء المستعيرين خارج دار الكتب مدة ستة اشهر من الكتب المطبوعة ١٨٣٠ ، بمعدل ٢٥٠ في كل شهر ، وبلغ عدد قراء المجلات العلمية في قاعة المطالعة ١٠٤٠٠ بمعدل ٨٠٠ في الشهر . وزار قسم المخطوطات في قبة الملك

الظاهر من السياح الغربيين والشرقيين (٣٥١٠) زوار ، وبلغ عدد استمارات الكتب داخل قاعة المطالعة (١١٥٠٠) استمارة ، وذلك من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٩ الى آخر شهر تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ وعدد استمارات المجلات (٥٢٠٠) استمارة . وبلغ ما أعطي من الرخص للقراء ٩٩٥ رخصة مدة سنة واحدة . وقد انصرفت مهمة المجمع الى تجليد مئات من كتبه ، وهو اليوم يرمي جميع ما يلي من جلود الكتب المخطوطة ليرجمها الى ما كانت عليه في الجملة .

اعضاء المجمع

بلغ اعضاء المجمع العلمي في آخر السنة الماضية مائة وثلاثة عشر عضواً ، ستة وسبعون منهم في الشرق ، ومنهم ثمانية عشر عضواً في دمشق ، وبلغ عدد اعضائنا في الغرب سبعة وثلاثين عضواً من أم مختلفة ، لم يراع المجمع في انتخابهم النسبة بين الائم الكبرى والصغرى : فقد تجد له في الدانيمرك مثلاً ثلاثة اعضاء ، وتجد له في بريطانيا العظمى ثلاثة فقط ، والمجمع يستفيد من اكثر اعضائه الا ان بلغوا من السن عتياً ، فانهم متقاعدون عن خدمته على غير ارادتهم ، ولكن المجمع قصد من ضم اشبال هؤلاء الأعلام ، معنى من معاني التنويه بهم على ما قدموه من الأعمال الصالحة في خدمة الآداب العربية .

ولقد كانت السنتان الماضيتان من أنجع سني المجمع العلمي ، فقد توفي سبعة من أعضائه ، ستة من المشاركة وواحد من المغاربة ، وهم العلماء الأعلام . احمد تيمور باشا ، والشيخ مسعود الكواكبي والشيخ عبد الله البستاني والسيد عبد الباسط فتح الله والسيد جبر ضومط والشيخ محمد بن ابي شنب ، والسيد ميشو بلير (رحمة الله عليهم) . خسر المجمع بهم اعضاء عطفوا عليه وأنادوه بارشادهم وعلمهم . وكانت مصيبتهم عظيمة جداً بالمرحوم احمد تيمور باشا الذي جعل قلمه وعلمه ومخزانه كتبه ومخزانه ماله ، منذ انشاء المجمع ، مباحاً له ، فأزره في مجلته بقلمه ، وأهداه مئات من الكتب المطبوعة والمصورة بالتصوير الشمسي ، ووهبه مجموعة نفيسة جداً من النقود القديمة ، لا تزال في دار الآثار على الدهر

ناطقة بفضلها وكرمه . ولما عاتبه رحمه الله احد المصريين على تنازله عن مجموعته من النقود لمدينة دمشق أجابه باطفه المنساهي : « انني أعطيت مدينة القاهرة خزانة كتي (نحو ثلاثة عشر الف مجلد نحو نصفها من المخطوطات النادرة) ومدينة دمشق وهي بلدة عربية اسلامية جديرة بان تساعد ايضاً » .

ولو أراد المجمع ايضاً ان يضم اليه جميع من خدموا لغتنا من علماء لمشرقيات المستعربين في الغرب فقط ، لاقتضى له ان يدخل في جماعته عشرات من الاعضاء ، وكذلك لو سمت همته الى ادخال كل عالم او اديب نبغ في مصر والشام والعراق فقط لتألف من مجموعهم عشرات ايضاً . وانتخب المجمع العلمي خلال الحولين المنصرمين ثلاثة اعضاء وهم الاساتذة خليل بك مطران ، والسيد خير الدين الزركلي في القاهرة ، والسيد معروف الارناؤوط في دمشق ولكل من هؤلاء الاساتذة مزاجاً نافعة ، وأعمال في البحث والتأليف تشهد لهم بعلو الكعب في خدمة الادب العربي . ومعلوم ان المجمع يقصد في انتخاب اعضائه صفة خاصة فيهم ، ومزية علمية او أدبية نفردوا بها ، دون النظر الى اعتبارات أخرى ، دينية كانت او سياسية . فالأعضاء أحرار في منازعهم وأفكارهم ، ولا يطلب منهم الا ان يراعوا غرض المجمع فقط ، يوم يكتبون له ويؤلفون ، ويحاضرون وينقدون ، وهو علمي صرف لا يهتم لغير الآداب ونشر الأفكار الصحيحة على ما أثبت ذلك بالبرهان الساطع منذ انشائه .

مالية المجمع

منذ استقل المجمع بموازنته ، وأصبح يتمتع بشخصيته المعنوية ، ويتصرف بشؤونه على ما يرى فيه النفع له ، اخذت اعماله تطرد اطراداً حسناً ، والرجاء معقود ان يكون مستقبله خيراً من ماضيه ، فلا يعوقه غداً ماعاقه بالامس من العوائق التي صدرت في بعض السنين عن تحقيق بعض رغباته . وكانت جل اعتماد المجمع في اعماله خلال الأعوام الغابرة على ما تمنحه له الحكومة من الاعتماد المالي والهبات المالية التي يقدمها له بعض الغير على الآداب من شاميين ومصريين وعراقيين وغيرهم ، وكانت ولا تزال قليلة بالنسبة لحالة الموضوعات التي يعانها ، واكثرها مما يتطلب مالا كما يتطلب علماً . علي ان مقدار

الهبة التي تجود بها نفس كريمة على العلم مهما خفت في الميزان ففيها من معالي المطف وحب
النقد اثر جميل .

كان مجموع المبلغ المخصص في سنة ١٩٣٠ للرواتب والمكافآت ١٤/١٢١٦٣٣ ليرة
سورية والمخصص للنفقات ١٠١٦٦٦ وكانت ائانة الحكومة ١٣٠٠٠ ليرة سورية وللجمع
في المصرف باسمه مبلغ ١١١٧٢٥ ليرة سورية من وفر السنة الماضية . اما الحيات المالية
التي أرسلها اليه بعض اهل الأدب والوجاهة في العامين المنصرمين فلا تتجاوز المئة
والخمسين ليرة سورية .

لا جرم انكم تحسون ان هذا الاعتماد قليل ، اذا نظر الى ما عند المجمع العلمي من
الأعمال في المستقبل القريب ، وان أقصى ما يمكن من الاقتصاد يعمل فيه ، وذلك لان
المجمع بأبي الآن ان يكلف الحكومة شططاً ، وهو يعرف ان أمامها مشاريع مع حيوية
أخرى ، تطلب اعتمادات عظيمة في السنين القادمة ، ولا سيما في باب بناء المدارس في
المدن والقرى واعمال الري وتعبيد الطرق وبناء دور الحكومة وغيرها . بيد ان هذين
البناءين اللذين اورثنا اباهما ملكان عظيمان ابوبكر بن ابوب والظاهر بهرس البندقداري
(رحمهما الله) ، وهما المدرستان العادلية والظاهرية اذا وفنا اليوم ببعض الغرض ،
فمحال ان تستوعبا غداً اعمال المجمع والدوائر التابعة له ، لان دار الآثار التي يؤويها
المجمع في داره تتسع اعمالها سنة عن سنة ، وكذلك دار الكتب الظاهرية . ومن
النتجتم ان تضطر الدولة بعد حين الى ان تنشئ داراً للمجمع العلمي ، نكرن في جوار
دار الكتب ، ليسهل امر رجاله ان يرجعوا الى مخطوطاتها عند الحاجة ، او ان تنشئ
داراً خاصة للآثار فيستأثر المجمع ببنائته وحده ، او بتبناع خات اسعد باشا العظم
لتجعل منه متحفاً .

وطالب الى المجمع في السنين الغابرين ان يتولى ادارة بعض خزائن الكتب التي
أنشئت حديثاً ، وذلك مثل المكتبة الخيرية في حماة والمكتبة السكرية ومكتبة الشاغور
في دمشق ، والخزانة النسخية في عيبة في لبنان . والغالب ان المجمع يصعب عليه الآن
ان يجعل هذه الخزائن تحت حمايته لان ذلك يستدعي نفقات لا تتسع لها موازناته ، ولو
اتسعت على ما يجب لبدأ بترميم المدرسة الأشرفية البرانية في سنج قاسيون ، وكانت

ادارة الادفاف نزلت له عنها ، ليحمل منها غرفة قراءة ونادي محاضرات ، فأخذه عن الماضي في عمله قلة المال الذي يجب تخصيصه لهذا المقصد الخيري . ولذلك اكنفى المجمع باهداء هذه الخزائن بمجموعات من الكتب ، سواء أكانت من مطبوعاته او غيرها . ومن جملة ما أهدى من ذلك ، مجموعة من الاسفار لخزانة الكتب التي أنشئت في السويداء حاضرة جبل الدروز بمعرفة السلطة العسكرية وهي سبعون مجلداً . اما انشاء خزانة كتب تسهل على الناس في كل بلد تحت رعاية المجمع فامر بقتضي له جهد عظيم قد يخرج المجمع عن مقصده الاول .

وبعد فليس في الدول المشمولة بالاننداب عمل لتخطى تأثيراته حدود هذه الدولة مثل هذا المجمع العلمي العربي ، ولذا كان حرياً بحكوماتها وغيرها من الاقطار المجاورة ان تعاونه بمادياتها ، كما يعاونه بعض افرادها . فخدمة اللغة العربية وآدابها ليست مقصورة على هذه الديار وحدها ، وببلادنا بقدر ما ساعدتها حالها ، قامت بالواجب عليها من هذا القبيل ، أفما كان من الواجب على البلاد المجاورة ان تقوم بقسم مما يجب عليها لخدمة ادب العرب ، والمجمع العلمي العربي سواء أقام في دمشق او صنعاء او القاهرة او القيروان ، فان جهوده تعود بالنفع على الناطقين بالضاد ، أفلبسوا مكلفين ضمناً ان يقوموا على الأقل ببعض شأنه ، ننشيطاً له على اتمام رغباته . واللغة من اول المرافق التي تعد من المصالح المشتركة .

دار الآثار

ولا يعني في هذا المقام الا ان أشير الى اعمال دار الآثار ، لانها وليدة المجمع العلمي وربيبته ، ولا يزال يعطف عليها ، وان باءت بينهما المظاهر الادارية (التقرير الخامس الصفحة الخامسة) وهذا احصاء ما ورد في العهد الاخير على دار الآثار من التحف والعاديات :

	سنة ١٩٣٠	سنة ١٩٢٩
	عدد	عدد
الآثار الحجرية	٤٠	٢٦
الخزفية	١٤١	٦٧
المعدنية	٤٩	١٦
الفاشانية	٤٨	١٢
الزجاجية	٨	٥
الخشبية	٨٩	٥
النقود	٦٢	٣٥٩
آثار متنوعة	٩٩	٦
	٥٣٦	٤٩٦

فاذا أضيف هذا العدد الى مجموع محتويات دار الآثار بلغ المجموع ٨٥٥٣ قطعة .
ولم تدخل في احصاء سنة ١٩٣٠ الآثار التي اكتشفت في المشرفة قرب حمص وصوران
وصالحية الفرات ، لانها لم تنزل سيفه مناديقها ولم تسجل ، اعدم وجود مكان تعرض فيه
ويبلغ عددها ٣٠٠ قطعة نقر بيا . وبلغ عدد زائري دار الآثار بدمشق ممن دفعوا
رسم الدخول :

سنة ١٩٣٠	سنة ١٩٢٩
عدد	عدد
٣٥٠٠	٣٧٠٠

اما البعثات الاثرية في سورية التي هي مادة داري الآثار سيف دمشق وحلب فهذه
أهمها :

- (١) البعثة الفرنسية التي تنقب لحساب جامعة بل الاميركية سيف صالحية الفرات
برئاسة المسيو بيليه
- (٢) البعثة الفرنسية ومديرها الكونت دومنيل في المشرفة (حمص) .

- (٣) البعثة الفرنسية ومديرها الكونت دومنيل في خان شيخوت
 (٤) = = في الرصافة
 (٥) = = في ارسلان طاش وتل الاحمر
 (٦) اعمال كشف تدمر تقوم بها مديرية الآثار القديمة في المفوضية
 (٧) حفريات قلعة حلب
 (٨) حفريات تسيل في حوران تقوم بها ادارة دار الآثار بدمشق
 (٩) حفريات قلعة المضيق تقوم بها بعثة بلجيكية
 هذا وقد طبعت ادارة دار الآثار دليلاً لما حوته حتى الآن من العاديات المنوعة
 وطبعت على نفقتها سجل رقم تدمر تأليف المسيو كانتينو . ونظراً لنمو دار الآثار السريع
 فقد ضاق البناء بمحتوياته ولذلك قد استملكت ادارته داراً مجاورة لبنائه الحالي .
 وقد خصت حكومة حلب دار سعادة الجنرال بيوت التي كانت أهده اياها بلدية
 الشهباء اقراراً بفضلها على تلك المدينة وعاد فنزل عنها اللواهب الاول — خصتها لتجعل
 دار الآثار ويحمل في الطابق العلوي منها فرع المجمع العلمي العربي هناك . وهكذا
 كانت الآثار كاللازم والمزوم مع المجمع العلمي . وسينقل فرعنا في حلب الى هذه
 الدار ، ورئيسه هناك كرئيس المجمع العلمي في دمشق ، رئيس مجلس الآثار ،
 وبعض اعضائه اعضاء به ، وفي النية تأسيس متحف في انطاكية عاصمة سورية قديماً ،
 يحمل فيه ما عثر ويثر عليه في ارجاء لواء الاسكندرونة ، كما خصت حلب بجميع
 ما يستخرج في ولايتها من العاديات والتحف .
 هذه أغراض المجمع وعمله ونسأل لكم يا صاحب النخامة حسن التوفيق لتسيروا
 بالبلاد في طريق سعادتها بنشر العلوم والآداب .

دمشق : في ٢ رمضان سنة ١٣٤٩ وفي ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩٣١

وزير المعارف
 ورئيس المجمع العلمي العربي
 محمد كرد علي

اعضاء المجمع العلمي

« في سنة ١٩٣٠ »

الرئيس : السيد محمد كرد علي

« الاعضاء »		« الاعضاء »	
السادة	محل الإقامة	السادة	محل الإقامة
١ الدكتور اسعد الحكيم	دمشق	١٩ الشيخ ابراهيم منذر	بيروت
٢ السيد انيس سلوم	«	٢٠ السيد امين الريحاني	«
٣ الشيخ محمد بهجة البيطار	«	٢١ السيد بولس الخولي	«
٤ السيد جميل العظم	«	٢٢ الشيخ عبد الرحمن سلام	«
٥ السيد خليل مردم بك	«	٢٣ السيد عمر فاخوري	«
٦ السيد رشيد بقدونس	«	٢٤ الدكتور فيليب حني	«
٧ السيد سليم الجندي	«	٢٥ الفيكونت فيليب دي طرازي	«
٨ السيد سليم عنجوري	«	٢٦ الشيخ مصطفى الغلاييني	«
٩ السيد شفيق جبري	«	٢٧ الدكتور نقولا فياض	«
١٠ السيد عارف النكدي	«	٢٨ السيد عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
١١ الشيخ عبد القادر المبارك	«	٢٩ الشيخ احمد رضا	النبطية
١٢ الشيخ عبد القادر المغربي	«	٣٠ الشيخ سليمان ظاهر	«
١٣ السيد عبد الله رعد	«	٣١ السيد جرجي بني	طرابلس الشام
١٤ السيد عز الدين علم الدين النونخي	«	٣٢ الشيخ سليمان احمد	اللاذقية
١٥ السيد فارس الخوري	«	٣٣ السيد ادوارد مرقص	«
١٦ الدكتور مرشد خاطر	«	٣٤ الشيخ محمد زين العابدين	انطاكية
١٧ السيد معروف الارناؤط	«	٣٥ الشيخ بدر الدين النعماني	حلب
١٨ الامير مصطفى الشهابي	«	٣٦ المنسيور جرجس منش	«

« الأعضاء »

السادة	محل الإقامة	السادة	محل الإقامة
٣٧ الشيخ راغب الطباخ	حلب	٥٨ الدكتور احمد عيسى	القاهرة
٣٨ الشيخ عبد الحميد الجابري	=	٥٩ احمد لطفي السيد بك	=
٣٩ السيد عبد الحميد الكيالي	=	٦٠ السيد اسعد خليل داغر	=
٤٠ السيد فسطاكي الجمعي	=	٦١ حافظ ابراهيم بك	=
٤١ الشيخ كامل الغزي	=	٦٢ السيد خير الدين الزركلي	=
٤٢ السيد ميخائيل الصقال	=	٦٣ خليل بك مطران	=
٤٣ السيد اسماعيل النشاشيبي	القدس	٦٤ الشيخ محمد رشيد رضا	=
٤٤ الشيخ خليل الخالدي	=	٦٥ السيد عباس محمود العقاد	=
٤٥ السيد عبد الله مخلص	حيفا	٦٦ الشيخ محمد الخضر حسين	=
٤٦ الشيخ سعيد الكرمي	طولكرم	٦٧ السيد مصطفى صادق الرافعي	طنطا
٤٧ الشيخ رضا الشيببي	النجف الاشرف	٦٨ السيد زكي مغامر	الامانة
٤٨ الدكتور أمين المعلوف	بغداد	٦٩ السيد حسن حسني عبدالوهاب تونس	
٤٩ الاب انتاس الكرملي	=	٧٠ السيد عبد الحلي الكتاني	فاس
٥٠ السيد جميل صدقي الزهاوي	=	٧١ الامير شكيب أرسلان	لوزان
٥١ السيد كاظم الدجيلي	=	٧٢ السيد عبد العزيز الميمني الراجكوتي	
٥٢ السيد معروف الرصافي	=	عليكرة (الهند)	
٥٣ الشيخ احمد الاسكندري	القاهرة	٧٣ السيد عبدالحق حيدر آباد	الكن
٥٤ السيد احمد امين	=	٧٤ السيد عبد الرحمن دلهي	=
٥٥ السيد احمد حسن الزيات	=	٧٥ الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	فارس
٥٦ احمد زكي باشا	=	٧٦ الدكتور سعيد ابو جرة	برازيل
٥٧ احمد شوقي بك	=		

« الاعضاء »

محل الإقامة		السادة
تونس	Marçais	٧٧ السيد مارسيه
الجزائر	Massé	٧٨ = ماسه
فاس	Guy	٧٩ = كي
باريز	Ferrand	٨٠ = فران
=	Dussaud	٨١ = دوسو
=	Massignon	٨٢ = ماسينيون
=	Bouvat	٨٣ = بوفا
ابطاليا	Guidi	٨٤ = جويدي
=	Nallino	٨٥ = نالينو
اسبانيا	Asin	٨٦ = الاب آسين
البرتغال	Lopès	٨٧ = السيد لويس
سويسرا	Montet	٨٨ = مونته
=	Hess	٨٩ = هيس
هولاندا	Snouck-Hurgronje	٩٠ = سنوك هورغرانيه
=	Houtsma	٩١ = هوتسما
=	Arendonk	٩٢ = اراندونك
انكلترا	Margoliouth	٩٣ = مرجليوث
=	Bevan	٩٤ = بفن
=	Krinkow	٩٥ = كرنكو
المانيا	Hommel	٩٦ = هومل
=	Sachau	٩٧ = ساخاو
=	Brockelmann	٩٨ = بروكلين
=	Horovitz	٩٩ = هوروفيتز

« الاعضاء »

السادة		محل الإقامة
١٠٠ السيد هرزفيلد	Herzfeld	ألمانيا
١٠١ هارتمان	Hartmann	"
١٠٢ ميتفوخ	Mittwoch	"
١٠٣ ستيرستن	Zetterstéen	السويد
١٠٤ اوستروب	OEustrup	الدانمارك
١٠٥ بول	Buhl	"
١٠٦ پدرسن	Pedersen	"
١٠٧ موجيك	Mzik	النمسا
١٠٨ ماهر	Mahler	المجر
١٠٩ كوفالسكي	Kowalski	بولونيا
١١٠ كراتشكوفسكي	Kratchkovsky	روسيا
١١١ موزل	Musil	تشيكوسلوفاكيا
١١٢ ماكدونالد	Macdonald.	اميركا
١١٣ كرسيكو	Karsikko	فنلندا

اعضاء المجمع الراحلون

١	الشيخ طاهر الجزائري (دمشق)	١٥	السيد مالنحو (دمشق)
٢	السيد نخلة زريق (القدس)	١٦	« الياس القديمي
٣	= اغناطيوس غولد صهير (بودابست)	١٧	« يراون (كبرديج)
٤	= مرتين هارتمان (برلين)	١٨	« كليمان هوار (باريز)
٥	= رينه باسه (الجزائر)	١٩	الاب جرجس شلحت (حلب)
٦	احمد كمال باشا (القاهرة)	٢٠	الحكيم محمد أجمل خان (الهند)
٧	السيد مصطفى لطفي المنفلوطي	٢١	الشيخ سليم البخاري (دمشق)
٨	الدكتور يعقوب صروف	٢٢	الشيخ محمد بن ابي شنب (الجزائر)
٩	السيد اوجنيو غر يغمي	٢٣	الشيخ عبد الله البستاني (بيروت)
١٠	« زفيق العظم	٢٤	السيد جبر صومط
١١	« محمود شكري الالومي (بغداد)	٢٥	الشيخ مسعود الكواكي (دمشق)
١٢	« حسن بيهم (بيروت)	٢٦	احمد تيمور باشا (القاهرة)
١٣	الاب لويس شيخو	٢٧	السيد ميشو بلير (طنجة)
١٤	الدكتور صالح قنباز (حماء)		

المتبرعون للمجمع العلمي

« بمال او آثار او كتب مخطوطة او مطبوعة »

« أ »		السيد ارنست هرزفلد	المانيا
السيد ابراهيم اطفيش	القاهرة	اسكندر الخولي البيتجالي القدس	القاهرة
ابو كامل المعلم	دمشق	اسعاف النشاشيبي	القاهرة
السيد ابراهيم زبدان	القاهرة	اسعد خليل داغر	رومية
احمد تيمور باشا	القاهرة	اكاديمية لينجاي الملكية	القاهرة
احمد شوقي بك	دمشق	السيد الياس انطون الياس	دمشق
احمد اغا الخانجي	دمشق	امين الدالاتي	القاهرة
السيد احمد الطويل	القاهرة	امين هندية	القاهرة
الدكتور احمد عيسى بك	القاهرة	امين زيدان	البحرين
السيد احمد امين الديك	دمشق	امير البحرين	البحرين
الشيخ احمد الاسكندري	دمشق	السيد يراوت	كبرديج
احمد فهمي العطار	القاهرة	البشة الفرنسية	دمشق
احمد زكي باشا	صيدا	السيد بدر الدين الشركسي	قنيطرة
الشيخ احمد عارف الزين	دمشق	بشارة الاصفر	دمشق
الامير احمد مختار الجزائري	النبطية	بفن	كبرديج
الشيخ احمد رضا	دمشق	الشيخ محمد بهجة الاثري	بغداد
احمد عزت باشا العابد	القاهرة	السيد بهاء الدين الجاني	دمشق
السيد ادب البهنسي	جونية	بلدية دمشق	دمشق
اديب مصري		بلدية حمص	
ادارة المسرة			

« ث »	« خ »
السيد توفيق شامية	الامير خالد الحسيني الجزائري دمشق
الشيخ توفيق المنبجي	السيد خالد الخاني =
« ج »	= خالد العظم =
جاك بك ثابت	= خالد معاذ القاهرة
جامعة - بام	= خالد يحيى طرابلس الشام
جامعة ليون	خزانة كتب الامة براين
جامعة بوردو	السيد خورشيد الشركسي دمشق
جامعة ستراسبورغ	= خليل مردم بك =
الجامعة المصرية	= خير الدين الزركلي القاهرة
السيد جرجي رزق الله	« د »
الامير جعفر الحسيني	دار الكتب المصرية
السيد جميل الكواكي	السيد داود صدقي الماردني دمشق
الجمعية الآسيوية	= درويش الدهان =
السيد جيناردي	= ديمتريوس قاضي =
« ح »	« ر »
السيد حافظ زكية	المسيو راجي =
الدكتور حبيب قشيشو	السيد رسلان البلعوط =
الدكتور حسن رعد	= رفيق العظم القاهرة
السيد حسن حسني عبد الوهاب	= رضا الجوخدار دمشق
= حسام الدين الكزيري	= رضا الشريجي =
= حمدي النصر	= رؤف الايوبي =
= حمدي الجلاد	« ز »
= حمدي الكيلاني	السيد زكي مغاض الاسنانة
الشيخ حمدي الحلبي	= زعل الدغيم خفين

السيد نخري آل جميل	بغداد	الشيخ محمد الخصري	القاهرة
« نخري البارودي	دمشق	السيد محمد جمال	بيروت
الشيخ فرج الله زكي الكردي	القاهرة	« محي الدين رضا	القاهرة
السيدان فريد ونديم الغزي	دمشق	« محي الدين الازهري	النبطية
السيد فريد العمري	«	الامير محمد نجل الشيخ عيسى آل	البحرين
« فؤاد الفراء	«	خليفة شقيق امير البحرين	
« فهمي ابيو	«	السيد محمد ابراهيم الباكر	البحرين
جلالة فيصل الاول ملك العراق	بغداد	« محمد امين الخانجي	القاهرة
« ق »		« محمد بن يحيى الصقلي	الدار البيضاء
القومندان بورجوا	حمص	« محمد عبد الواحد الطوبي	القاهرة
« ك »		« محي الدين الكردي	«
الامير كاظم الحسني الجزائري	دمشق	« محمد فائز السفرجلاني	دمشق
السادة كلان لبني الكتبيون	باريز	« محمد حاجي قولي	حلب
« ل »		« محمد علي الحلبي	دمشق
لجنة التأليف والترجمة والنشر	القاهرة	« محمد الحمصي	«
« م »		« محمد شفيق السيوفي	«
المار يشال ليوتي	باريز	« محمود شغلول	«
السيد مأمون المؤيد	دمشق	« محمد خير الجوخدار	«
مجلس النواب المصري	القاهرة	« محمد ابو قورة	«
مجلس النواب الفرنسي	باريز	الشيخ محمد رشيد رضا	القاهرة
المجمع العلمي البلجيكي الملكي	بروكسل	السيد محمد المراوي	«
محمد باشا العصيمي	دمشق	مدرسة اللغات الشرقية	باريز
السيد محب الدين الخطيب	القاهرة	السيدة مريام هاري	«
الشيخ محمد بهجة البيطار	دمشق	مرعي باشا الملاح	حلب
السيد محمد بن الحسن التجوي الثعالبي	فاس	الشيخ مسعود الكواكي	دمشق

« ه »	دمشق	الامير مصطفى الشهابي
المسيو هنري دي جوفنيل	القاهرة	السيد مصطفى البابي
باريز	بيروت	المطبعة الاميركية
« و »	القاهرة	مكتبة الخانجي
وزارة الاشغال	البرازيل	مكتبة سان بارلو
القاهرة	القاهرة	المكتبة السلفية
وزارة الاشغال	«	المكتبة التجارية الكبرى
وزارة مالية	حلب	السيد ممدوح هنانو
«	حماة	« منير البرازي
وزارة الزراعة	القاهرة	« منير الدمشقي
وزارة الاوقاف	دمشق	« منيف اليوسف
«	دمشق	السيدان مهدي وعبد مرئفي
وزارة المعارف والفنون	لبنان	السيد ميخائيل يخاش
وزارة المعارف	بورردو	« ميخائيل فغالي
« ي »	باريز	المسيو ميليا
السيد يحيى الصواف	سلبية	الامير ميرزا مصطفى
الكتور يعقوب صروف	« ن »	
القاهرة	القاهرة	السيد فحبيب ميري
«	دمشق	« نعم عرابي
«	دمشق	
السيد يوسف توما البستاني		
« يوسف ابراهيم		
جبله		
« يوسف السبع		
دمشق		
« يوسف امين شدياق		
لبنان		

محاضرات المجمع

ما عدا حفلات التكريم وحفلات المراثي التي أقامها المجمع لبعض أعضائه وغيرهم :

— « سنة ١٩٢١ » —

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
طرفة ابن العبد (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٧ نيسان سنة ١٩٢١
الحسبة في الاسلام (اجتماع)	السيد محمد كرد علي	١٣ حزيران ١٩٢١
احياء اللغة العربية (ادب)	« متري قندلفت »	٢٢ منه
الملازبا وكيفية الوقاية منها (صحة)	الدكتور مرشد خاطر	١ تموز ١٩٢١
الشعر وتأثيره في الاخلاق (اجتماع و ادب)	الشيخ عبد الرحمن سلام	١٤ منه
العلم (اجتماع)	السيد انيس سلوم	١٩ منه
القضاء في الاسلام (ادب و فقه)	« عارف النكدي »	٢٤ منه
الجبابة في الاسلام (اجتماع)	« محمد كرد علي »	٣١ منه
أحيحة ابن الجلاح (ادب و تاريخ)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٠ ايلول
الحقوق المدنية في الشرق (قانون)	« سعيد مراد الغزي »	١٣ تشرين الاول
العلم بالعمل (اجتماع)	السيد انيس سلوم	٢٤ منه
صناعة الانشاء العربي (ادب)	الشيخ سعيد الكرعي	١ كانون الاول

— « سنة ١٩٢٢ » —

الاخلاقي والاجتماع (اجتماع)	الشيخ عبد القادر المبارك	٦ تشرين الاول
كيف تحقق الآثار التاريخية (تاريخ)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	١٣ منه
طرفة أدب من آداب العرب (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	٢٠ منه
الكتب والمطالعة (اجتماع)	السيد انيس سلوم	٢٧ منه

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
الشعر او حرفة الادب (ادب)	الشيخ عبد الرحمن سلام	٨ تشرين الثاني
اصول الاتحاد (حقوق)	السيد فارس الخوري	١٧ منه
الاخلاق والحقوق الدولية (حقوق)	فوزي الغزي	٢٣ منه
المرأة في ادوارها التاريخية (تاريخ واجتماع)	الشيخ سعيد مراد الغزي	١ كانون الاول
»	»	»
»	»	»
»	»	»
»	»	»
خلاصة اعمال المجمع منذ نشأته	السيد محمد كرد علي	٧ منه
صفحة من تاريخنا الاجتماعي (اجتماع وتاريخ)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٥ منه
الصناعات الدمشقية القديمة (تاريخ)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٢٢ منه
مصانع الشام وهندستها	محمد كرد علي	٢٩ منه
فن الطب والصيدلة في فرنسا (طب)	الدكتور شارل	٣١ منه
— « سنة ١٩٢٣ » —		

الحركة الدائمة (طبيعات)	السيد عبد الله رعد	١٢ كانون الثاني
من لا يكرم نفسه لا يكرم (اخلاق)	انيس سلام	١٩ منه
محاضرة اخلاقية (اخلاق)	الشيخ محيي الدين الخاني للسيدات	٢٧ منه
هواء المدن (صحبة)	الدكتور مرشد خاطر	٥ شباط
تاريخ العلم في الشام (تاريخ)	السيد محمد كرد علي	٩ منه
القدوة بالصحابيات من خير الاعمال	الشيخ عبد القادر المغربي للسيدات	١٦ منه
الصالحات (اخلاق)	»	»
مخطوط تاريخي دمشقي (ادب)	»	»
الصناعات والواجبات (اقتصاد)	السيدة مسرة ادلي للسيدات	٠٠
التراسل بحمام الزاجل (تاريخ)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٢٣ منه
لكل امرئ من دهره ما تعودا (اخلاق)	السيد انيس سلام	٢ آذار
الصدق في القول والعمل	الشيخ عبد الله العلي للسيدات	٢ منه
تأثير الطرق في هواء المدن (صحبة)	الدكتور مرشد خاطر	٩ منه

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
محاسن ما شاهدت في طوافي حول الارض السيد حنا خباز		٢٤ آب
(رحلة واجتماع)		
اللغة العربية العامية ومتزاتها من الفصحى	الibas القديمي	٣١ منه
(ادب ولغة)		
الكرم وتأثيره في عالم الاجتماع (اخلاق)	سلم عنحوري	٧ ايلول
سائح بصف الشرق (تاريخ وجغرافية)	الشيخ عبدالقادر المغربي	١٤ منه
إعراس الخليفة المأمون ببوران بنت الحسن	السيد قسطاكي الحمصي	٢١ منه
(ادب)		
الراد يوم	(فن)	الدكتور فيليب بركات ٢٨ منه
الحرية الشخصية	(حقوق)	احسان الشريف ٥ تشرين الاول
اليابان وزلازلها (تاريخ وجغرافية)	السيد ادب النبي	١٢ منه
عمل الذهب بالطريقة الصناعية (فن)	عبدالوهاب القنواقي	٢٦ منه
صيارفة الشام منذ مائة عام (تاريخ)	الشيخ عبدالقادر المغربي للرجال	٩ تشرين الثاني
شهداء النساء في نشأة الاسلام		٧ كانون الاول

— « سنة ١٩٢٤ » —

آثار شرقي الاردن وموجز من تاريخه وجغرافيته	السيد ادب وهبة	٤ كانون الثاني
وفي ختام الحفلة قصيدة للسيد سليم دموس		
الزلازل في سورية (تاريخ)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	١١ منه
الاولاد وتربيتهم (اجتماع)	الشيخ عبدالقادر المغربي للسيدات	١١ منه
آثار شرقي الاردن (الجزء الثاني)	السيد ادب وهبة	١٨ منه
الحياة السعيدة (اخلاق)	انيس سلوم للسيدات	١٨ منه
عهد بني ابوب في الشام (تاريخ)	محمد كرد علي	٢٤ منه
درس في التعليم والتأديب (اخلاق وتربية)	الشيخ احمد النوبلاتي للسيدات	٢٥ منه
عثرات الافهام (ادب ولغة)	عبد القادر المغربي	١ شباط

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
البنيت في البيت والمدرسة والعالم	السيد عيسى اسكندر المعلوف	١ منه
(اخلاق واجتماع)	(السيدات)	
في الاخلاق والآداب (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي (للسيدات)	٧ منه
التعاون والتحاب (اجتماع)	= = =	١٤ منه
مزايا الشعر الاندلسي (ادب)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٢٢ منه
الحياة الاجتماعية (اخلاق)	انيس سلوم (للسيدات)	١٥ منه
نقمة محاضرة آثار شرفي الاردن = اديب وهبة		
دولة الممالك البحرية في الشام (تاريخ)	محمد كرد علي	١٥ منه
نقمة مزايا الشعر الاندلسي (ادب)	عيسى اسكندر المعلوف	٢٢ منه
واجبات المرأة في الحياة الاجتماعية	الشيخ احمد النوبلاتي (للسيدات)	«
(اجتماع واخلاق)		
كلمة في تربية الطفل الاولى (تربية)	السيدة مسرة ادلي	=
الزوجة في البيت والعالم (اخلاق واجتماع)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٢٩ منه
محاضرة اجتماعية (اجتماع)	حنا خباز	«
الصحة والتداوي (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	٧ آذار
عهد الشراكية والممالك ووقائع النار		
القدماء في الشام (تاريخ)	السيد محمد كرد علي (للرجال)	«
عهد تيمورلنك في الشام =	= = =	١٤ منه
الترتيب (اجتماع)	انيس سلوم (للسيدات)	«
تسامح الاسلام (اخلاق)	الشيخ احمد النوبلاتي	٢١ منه
كلمة اجتماعية (اجتماع)	كريمة السيد مصباح محرم	٢١ منه
فنون الشعر الاندلسي كالوشحات		
والأزجال (ادب)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	«

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
عهد الممالك الشراكسة الى ظهور العثمانيين (تاريخ)	السيد محمد كرد علي	٤ نيسان
الادارة الملكية في الحكومات العربية الاسلامية (حقوق وتاريخ)	شاكر الحنبلي	١١ منه
كتاب اخبار الحق والمغفلين (ادب واخلاق)	للشيخ المغربي	١٩ منه
وفي ختام الحلقة قصيدة	السيد جميل صدقي الزهاوي	«
عهد الدولة العثمانية في الشام من ٩٢٢ هـ الى ١٠٠٠ هـ (تاريخ)	محمد كرد علي	٢٤ منه
الشجاعة (اخلاق)	انيس سلوم	٢ أيار
ديون الدولة العامة (مالية)	فارس الخوري	١٦ منه
كيفية ارضاع الطفل و تربيته الاولى (تربية وصحة)	السيدة مسرة ادلبي (للسيدات)	٢٣ منه
تاريخ بلاد الشام في القرن الحادي عشر (تاريخ)	السيد محمد كرد علي	«
بشار بن برد	(ادب) الشيخ عبد القادر المغربي	٣٠ منه
قصيدة في عمل بني أمية	(اجتماع) السيد محمد سليمان الاحمد	«
	(بدوي الجبل)	
الام في البيت والمدرسة (تربية)	« عيسى اسكندر المعلوف	٣٠ منه
	(للسيدات)	
عائشة رضي الله عنها (تاريخ واخلاق)	الشيخ احمد النويلاتي (للسيدات)	٦ حزيران
ذم التقليد و البدع (اخلاق)	كريمة السيد شاكر الحنبلي	«
صفحة اجتماعية	(ادب) الشيخ عبد القادر المبارك	«
تأثير الشعر الاندلسي في الشعر الغربي (ادب)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	

« عنوان المحاضرة »	« امم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
نثمة ديون الدول العامة (مالية)	السيد فارس الخوري	١٣ حزيران
تأثير الشعر الاندلسي في الشعر الاوربي	« عيسى اسكندر المعلوف »	٣٠ منه
(ادب)		
حقوق المرأة في الاسلام (اجتماع وفقه)	الشيخ عبد القادر المغربي (للسيدات)	«
الاعتدال	(اخلاق) السيد انيس سلوم	٢٧ منه
الشام في القرن الثاني عشر (تاريخ)	« محمد كرد علي »	٣ تشرين الاول
افدم سكان سورية بشهادة الآثار	« عيسى اسكندر المعلوف »	١٧ منه
الغربة والتمحيص	(اخلاق) الشيخ عبد القادر المغربي (للسيدات)	٢٤ منه
خواطر سائح	(اجتماع) الدكتور محبوب ثابت	٢٧ منه
الاخلاق العامة في تطور الامم	« اسعد الحكيم »	١٤ تشرين الثاني
(اجتماع وتاريخ)		
الاخلاق عند العرب	« الشيخ بهجة البيطار (للسيدات) »	
تبدل الحياة البيتية في الشرق الاقصى	السيدة فروسين درويك الاميركية	٢١ منه
(اجتماع)	تعريب الالة ماري عجمي للسيدات	
الاصطيفاف في ربوع سورية	« السيد عبد الله رعد »	٢٨ منه
خذوا اخلاقهم (اي العرب) من امثالهم	الشيخ عبد القادر المغربي	١٢ كانون الاول
(اخلاق وادب ولغة)		
واجبات المرأة في الحياة الاجتماعية (اجتماع)	السيدة روز شمعة (للسيدات)	١٩ منه
خطاب حفلة المجمع السنوية وفي ختام	السيد محمد كرد علي	٢٦ منه
الحفلة خطاب للسيد انيس سلوم		
الحبشية والعربية	(ادب) « عبد الله رعد »	
موضوع اقتصادي اخلاقي	الشيخ خالد النقشبندي (للسيدات)	

— « سنة ١٩٢٥ » —

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
الجامعة السورية وكلية الآداب (اجتماع)	الشيخ بهجة البيطار	٩ كانون الثاني
ظاهر العمر واحمد باشا الجزار (تاريخ)	السيد محمد كرد علي	١٦ منه
حوادث أوائل القرن الثاني عشر	« «	٢٣ منه
وقائع الجزار	« «	٣٠ منه
عهد ابراهيم باشا المصري	« «	٦ شباط
الحالة الاجتماعية في الشا من خروج	« «	١٣ منه
المصريين الى سنة ١٣٠٠ (تاريخ)		
كيف تطيب الحياة الزوجية (اجتماع)	السيدة مسرة ادلي (السيدات)	٢٧ منه
المرأة وواجباتها الوطنية والزوجية	« سارة خطيب »	١٣ آذار
التجارة القديمة عند الامم (تاريخ)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٢٠ منه
الفنون الجميلة (تاريخ وادب)	« محمد كرد علي »	٣ نيسان
امثال العرب (ادب ولغة)	الشيخ عبد القادر المغربي	٦ منه
اسباب الفقر وعلاجه (اقتصاد واخلاق)	السيد أنيس سلام	٩ منه
ثمة اسباب الفقر وعلاجه	« «	١٧ منه
مناظرة عالمين في مجلس المأمون (تاريخ وعقائد)	الشيخ عبد القادر المغربي	٢٨ منه
درس اقتصادي (اقتصاد)	السيدة روز شحفة (السيدات)	٠٠
بلاغة الجاحظ (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	٨ أيار
اخلاق المرأة (اخلاق واجتماع)	السيدة مسرة ادلي (السيدات)	١٥ منه
الجيش البرية والبحرية (ادب وتاريخ)	السيد محمد كرد علي	٢٢ منه
موضوع اقتصادي (اقتصاد)	السيدة تنارة خطيب (السيدات)	٢٩ منه
صناعة الانتقاد عند العرب (ادب)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٥ حزيران
سياحة الى بغداد (رحلة)	« «	١٩ منه
شعراء الشام في القرن الثالث (ادب)	« خليل مردم بك »	٢٤ منه

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
آلات الطب والجراحة والكعالة	الدكتور احمد عيسى	
عند العرب (طب)		

— « سنة ١٩٢٦ » —

— فترة في المحاضرات بمناسبة الثورة الاخيرة —

سهل بن هارون في عهد الرشيد والمأمون	السيد محمد كرد علي	٣ كانون الاول
(ادب)		

تاريخ الزراعة في بلاد العالم العربي	الامير مصطفى الشهابي	١٧ منه
اليابان هل يعرفها العرب وماذا كانوا	الشيخ عبد القادر المغربي	٣١ منه
يسمونها (جغرافية وتاريخ)		

— « سنة ١٩٢٧ » —

جزائر اليابان أهي واق الواق	الشيخ عبد القادر المغربي	١٤ كانون الثاني
(تاريخ وجغرافية)		
كلمة عن افانول فرانس (ادب)	السيد شفيق جبري	٢١ منه
ابو حيان التوحيدي	محمد كرد علي	١٨ شباط
الزواج الشرعي (فقه واجتماع)	محمد علي ظبيان (للسيدات)	٢٥ منه
"	"	"
بحث في اسفار التوحيدي (ادب)	محمد كرد علي	
البلاغة سبيل الوزارة وعمرو بن	"	١١ آذار
مسعدة وعصره الزاهي (ادب)		
رحلة الى حلب والشام منذ مئتي عام الشيخ عبد القادر المغربي		١٨ منه
(تاريخ وادب ونقد)		
الكتب والمكانب في الشام	السيد محمد كرد علي	
فضل علماء المشرقيات على الحضارة العربية	"	٢٥ آذار
تركة السلف ونفربط الخلف (تاريخ)	"	٨ نيسان

« غنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
عمر بن عبدالعزيز (تاريخ واجتماع)	السيد عارف النكدي	٢٢ نيسان
نقمة محاضرة عمر بن عبدالعزيز	« عارف النكدي »	١٣ أيار
موضوع اخلاقي ادبي (ادب)	السيدة خيرية ريس (للسيدات)	٢١ منه
حمانا الله من الجهل (اجتماع)	الشيخ عبد القادر المغربي	٢٣ حزيران
درس في العجزة النبوية (تاريخ واخلاق)	« « «	٣ تموز
الطب العربي في الشام (تاريخ)	الدكتور اسعد الحكيم	٧ تشرين الاول
السوربون في البرازيل (تاريخ واقتصاد)	السيد موسى كريم	١٩ منه
الارواق وماضيها ومستقبلها	« محمد كرد علي »	٢٨ منه
(اجتماع وتاريخ)		
المرأة العرفانية (اخلاق)	« جميل بيهم »	١١ تشرين الثاني
محاضرة في اللغة (ادب)	الشيخ ابراهيم المنذر	١٨ منه
أديرة الشام وكنائسها (تاريخ وادب)	السيد محمد كرد علي	٢٦ منه
حياة اللغة العربية (ادب)	الدكتور مرشد خاطر	٢ كانون الاول
كيف يستفاد من التاريخ بمناسبة	السيد محمد كرد علي	٩ منه
أديار الشام (ادب وتاريخ)		
ابن خلدون في المدرسة العادلية	الشيخ عبد القادر المغربي	١٦ منه
الكبرى (تاريخ وادب واجتماع)		
نقمة ابن خلدون في المدرسة العادلية	« « «	٢٣ منه
الكبرى		

— سنة ١٩٢٨ —

بحيرة سانا او معضلة النيل (تاريخ)	السيد عبد الله رعد	١ كانون الثاني
نقرير باعمال المجمع العلمي العربي	« محمد كرد علي »	١٣ منه
خلال السنين الثلاث الماضية		

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
تعاليم العلامة الشيخ طاهر الجزائري (السيد محمد كرد علي) وحياته وعبقريته (ادب وتاريخ)		٢٠ كانون الثاني
حياة العلامة الشيخ طاهر الجزائري (« « « العلمية وآثاره ومؤلفاته (ادب وتاريخ)		٢٦ منه
أم ادوائنا الاقتصادية (اقتصاد)	الامير مصطفى الشهابي	٣ شباط
شاعر النيل حافظ ابراهيم وشعره (ادب)	السيد محمد كرد علي	١٠ منه
حياة الالفاظ (« « «	شفيق جبري	١٧ منه
دمشق في المراتين (تاريخ وادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	٢٤ منه
تجمة دمشق في المراتين (« « «		٢ آذار
بين دمشق وطهران (رحلة ووصف الشعوب)	السيد نخري البارودي	٩ منه
تجمة بين دمشق وطهران (« « «		١٦ منه
محاضرة طبية في الخصاص (طب وتاريخ)	الدكتور يوسف عرقنجي	٦ نيسان
مناظرة العلماء في مجالس الخلفاء والامراء (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٣ منه
امثال العرب مرآة اخلاقهم (لغة وادب)	« « «	٢٠ منه
علم الروحانيات الحديث (فلسفة وعلم الروح)	مأمون الارزنجاني	١١ أيار
مضار الخمر (ادب واجتماع)	الشيخ عبد القادر المغربي للسيدات	٢١ حزيران
بين الشرق والغرب (وصف الشعوب)	السيد محمد كرد علي	٢٦ تشرين الاول
الفرق بين التربيّتين الشرقية والغربية (« « «	(للسيدات)	٢ تشرين الثاني
وليمة ابن واسانة (تاريخ وادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	«
تجمة وليمة ابن واسانة (« « «		٩ منه
المرأة في أمثال العرب (« « «	(للسيدات)	٩ منه
أم ادوائنا الاقتصادية (اقتصاد)	الامير مصطفى الشهابي	١٥ منه

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
جوامعنا ومساجدنا (تاريخ)	السيد محمد كرد علي	٣٠ تشرين الثاني
مدارسنا القديمة والحديثة	=	٧ كانون الاول
عبد الحميد الكاتب (ادب)	=	١٤ منه
تحليل حياة عبد الحميد الكاتب من رسائله (ادب)	=	٢١ منه

— « سنة ١٩٢٩ » —

حديث أم زرع (ادب ولغة)	الشيخ عبد القادر المغربي	١١ كانون الثاني
عادات الحضرة والبدو (اجتماع)	السيد محمد كرد علي	٢٥ منه
شعوب سورية وآثارها القديمة (تاريخ)	الامير جعفر الحسني	٩ شباط
ماجد من الصناعات الوطنية (اقتصاد)	الامير مصطفى الشهابي	٢٢ منه
الاندلس عبرة وذكرى (تاريخ)	السيد عارف النكدي	٣ آذار
أئمة الاندلس . . .	=	٢٢ منه
الفتوة والفتيان (تاريخ واجتماع)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٩ نيسان
فتيان العصور الوسطى	=	٣ أيار
التبغ وحصره واستيفاء رسومه (اقتصاد)	الامير مصطفى الشهابي	٣١ منه
أم تسود وأم تبيد (تاريخ)	السيد نقولا حداد	١٠ حزيران
الاسلام والسودان الغربي والوسطى (تاريخ)	السيد عمر كحالة	٢٠ منه
الرازي وعيده الألفي (تاريخ وطب)	الدكتور حريز	٩ تشرين الاول
أسامة بن منقذ (تاريخ)	الشيخ طاهر النعساني	١٧ منه
منافع الخمر ومضارها (صحة واجتماع)	الدكتور اسعد الحكيم	٢٥ منه
الكتب والتأليف في الاسلام	الشيخ عبد القادر المغربي	٨ تشرين الثاني
(اجتماع وتاريخ)		

تربية الطفل (تربية)	السيدة عزيزة الحشيمي (للسيدات)	٢٢ منه
موضوع ادبي (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	٤ كانون الاول

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
ملوك الطوائف في الاندلس (تاريخ)	السيد عارف النكدي	٢٣ كانون الاول
— « سنة ١٩٣٠ » —		
الاخبار والاخباريون في الاسلام	الشيخ عبد القادر المغربي	١٤ كانون الثاني
(ادب وتاريخ)		
الشعر الخالد والمجد التالذ	(ادب) الشيخ عبد القادر المبارك	٧ شباط
رحلة الى دير الزور والجزيرة (اقتصاد)	الامير مصطفى الشهابي	٢١ آذار
مضار المسكرات النفسية والاجتماعية (صححة)	الدكتور اسعد الحكيم	
باب الجابية (تاريخ)	الشيخ عبد القادر المغربي	٤ نيسان
تمة باب الجابية	=	١٩ منه
الولايات المتحدة الاوربية (اجتماع)	السيد عارف النكدي	٢ ايار
القضاء عند عرب البادية	= عبد الله رعد	٢٣ منه
المقارنة بين المعري والخيام (ادب)	= احمد حامد الصراف	٦ حزيران
الشرع الدولي في الاسلام (تاريخ واجتماع)	السيد نجيب الارمنازي	١٣ منه
حقائق علمية عن المرأة (اجتماع)	= عمر كحالة	٢٠ منه
اللغة العربية وذخايرها الادبية	السيد خليل مطران	١٨ ايلول
قديمًا وحديثًا (ادب)		
فورونوف والمجتمع البشري (صححة)	الدكتور مرشد خاطر	٧ تشرين الاول
أهم موارد الثروة في بلاد الشام (اقتصاد)	الامير مصطفى الشهابي	٢١ تشرين الثاني
تحت القلعة (تاريخ)	الشيخ عبد القادر المغربي	٥ كانون الاول
تمة تحت القلعة	=	٢٦ منه

آراء المفكرين

— في المجمع العلمي —

—«*»—

قال الأستاذ بونور مستشار المعارف في المفوضية العليا من خطاب له ألقاه في الجامعة السورية : أنشئت في دمشق الى جانب مدارسها العالية مدرستان أجيء على ذكرهما باختصار ، فالأخيرة منهما هي مدرسة الأدب العليا التي ولدت فكرة انشائها في المجمع العلمي العربي هذا الحارس الأمين على تقاليد اللغة ، هذا الوصي العالم الساهر على إبقاء وسائل التعبير الخاصة بالشعب العربي . يقول رئيس المجمع العلمي اللوذعي قولاً يعيد النظر في تقريره الرابع عن أعمال المجمع في السنوات الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين والسابعة والعشرين بعد التسعمائة والالف وكان من أعظم أمانتي المجمع في السنين الخالية انشاء كلية للآداب . . . وذلك لعله باحتياج الآداب العربية الى ان تخرج فيها طبقة مختارة تحسن الكتابة والخطابة بلغتها وتسير في التأليف والترجمة وتعاطي الامور العلمية وإدارة الاعمال على النظام الغربي وقد فيض لطالب هذه الأمنية ان يحققها بنفسه . قال رئيس المجمع العلمي هذا العالم العامل والمؤرخ السوري الطائر الصيبي يعود الفضل في انشاء مدرسة الادب العليا وهذه المدرسة التي نشأت في أحضان المجمع العلمي وضمت الى الجامعة السورية ، شتلق طلابها آداب اللغة وتهذيب الانشاء ونقاوة التعبير متبعة خطة المجمع الذي أنشأها ، غير انها ستكون ايضاً أداة للثقافة العقلية العامة ورابطة تربط بها أعمالها بتطور الأخلاق والذوق والفكر البشري لانها لهذه الغاية أنشئت ايضاً ، وقد بدأت هذه المدرسة صغيرة وسترتقي سلم التقدم درجة درجة حتى تستحق اخيراً ان تسمى معهد الادب العالي . ولست أشك أبداً ان هذا المعهد الحديث

العهد ستكون بفضل أساتذتها الذئعي الصيت اللامعين خير خلف لمدارس البصرة والكوفة التي جعلت القواعد العربية درساً من أدق الدروس وأكملها .

جاء في مجلة المقنطف : للمجمع العلمي العربي فضل على النساطقين بالضاد لا تزیده الايام الا ذبوعاً ، وقد عودنا اعضاءه الأفاضل الجد والمثابرة على إحياء الآثار الادبية قديمها وحديثها وبعث الشخصيات العربية البكرة من مرقدھا بعد ان جر عليها الزمن ثوب النسيان .

وقالت جريدة العهد الجديد من مقالة : أهدي الينا الاستاذ العلامة محمدافندي كرد علي نسخة من التقرير الرابع باعمال المجمع العلمي العربي الذي يرأسه في حاضرة بلاد الشام ، ونحن قبل كل شيء من المعجبين بالفكرة الجليلة التي حملت الحكومة السورية العربية على التفكير بانشاء المجمع المذكور لما يمكن ان يؤديه من الخدم المشكورة لفائدة اللغة وآدابها وتاريخ بلاد الشام قبل كل شيء آخر . واذا كنا لا نطمح بان يكون المجمع المذكور صورة عن المجامع المعروفة في اوربا فلان العناصر القوية التي أساغت العلوم والفنون على أنواعها وضممتها لا تزال سورية فقيرة بها فقراً يبدو ظاهراً للعيان ويحول دون طمعنا بان يكون مجمعا قائماً بالغاية التي توجد لها المجامع عادة ، ولكن هذا كله لا يمنعنا عن التهليل لهذا العمل الذي يعد نواة صالحة اذا تعهدتها الأيدي بالعناية اللازمة وتوفرت لها العناصر التي تغذيها وتمدها بالوسائل أثرت ثمرها المرجو . ذلك هو رأينا في المجمع العلمي فنحن ننظر اليه من ناحيته المشرقة النيرة غير ناسين ما يقف في طريقه من عثرات وعراقيل نرجوا ان تزول ، واذا نحن قايسنا الأعمال الأولية التي قام بها المجمع والتي تدعو الى الشكر والاعجاب بالمجهود الطيب المبذول لنموه وازدياده ، الفينا انه سائر في الطريق الذي شرع له ، وانه لا بد بالغ العناية المتوخاة من تأسيسه ، واذا شكرنا القائمين بهذا العمل المشكور ، فالشكر عام يتوزعه الاعضاء كل حسب مجهوده واثره فيه .

الملاحظ (١)

— تمهيد —

—*—

هل عليّ من حرج وقد قطعنا السنة الاولى واسنق بلنا السنة الثانية بأحسن ما نستقبل به دراسة فنّ يروض العقل ويهذب العاطفة و بصنّ الذوق ويرفّق الشعور . هل عليّ من حرج ان فكرت في نتائج اول عمل نبت في أفياء مدرستنا هذه قبل ان أشرع في العمل الثاني وهو الكلام على الجاحظ .

لقد فرغت من كتابي (المنني) ودفعته الى الجمهور وربما لم يخطر ببال طبعه وانما طبعته عرضاً على غير عزم فلما أهديته الى طائفة من الاخوان وأهل الفضل في الشام ولبنان وفلسطين ومصر والعراق والسجّاز لم يقع في خلدي أن أتوقع الآثار التي تركها في آفاق الأدباء سواء أكانت هذه الآثار حسنة أم كانت غير حسنة ، اما الزبد فيذهب جفاءً واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض .

ولكنني لم أتملص من النظر في هذه الآثار ولست ارى حاجة الى إزعاجكم بالكلام الذي تكلمه الفضلاء على هذا الكتاب وانما أحب ان أشير الى هذا الكلام إشارة لانه يفصح عن روح العصر فقد أجمع الذين عرضوا على التمييز كتابي على انه قد أدخل على الأدب اساليب حديثة .

لا يسعني في مثل هذا المقام الا ان أشكر لهذا الفريق المستنير حسن ظنه وجميل اعتقاده ، فلئن دلت شهادته على مبلغ فضله فلقد دأّت على مبلغ كرم أخلاقه .

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الأدب في دمشق من تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ .

الحاجة الى الأساليب الحديثة في الأدب مشتدة في عصرنا هذا فكأنما الأسماع قد مجت ما نردّد من سنين طويلة وكأنما القلوب قد لفظت ما نمضغ .

على اننا لو نظرنا في أدب العرب لتبين لنا ان النفوس في كل عصر من عصور هذا الأدب كانت لتطلع الى الأساليب الجديدة سواء أكانت هذه الأساليب في اللغة نفسها ام في الشعر ام في النقد الادبي ام في الانشاء ام في غير ذلك من مذاهب الفن فاللغة ذاتها لم تكن الا سلسلة تنتقل حلقاتها في كل عصر من العصور من شكل الى شكل وكذلك الشعر والنقد واضرابهما ، وقد بطول بنا الكلام على هذه الأطور كلها وانما أضرب لكم أمثالا يسيرة على سبيل التوضيح .

فلنتنقل الى العصر الجاهلي ، كانوا يقولون : أسيلة الخد ، حتى قال امرؤ القيس :
أسيلة مجرى الدمع ، وكانوا يقولون : تامة القامة وطويلة القامة واشباه هذا وجيداء
وتامة العنق حتى قال : بعيدة مهوى القرط . وكانوا يقولون سيف الفرس السابق يلحق
الغزال ، يسبق الظلام وامثال هذا حتى قال : بميجرد قيد الاوابد هيكل .

من هذا يتبين لكم ولو على سبيل الايجاز ان العصر الجاهلي لم يخل من المجددين .
واذا انجدرنا الى صدر الاسلام نتحقق عندنا ان النفوس قد تشوّفت الى أسلوب
حديث في الشعر غير الأسلوب الذي كان يتبعه شعراء الجاهلية وهذا التشوف بد لنا عن
ظهور جديد فلما أنشد جرير قول عمر بن ابي ربيعة :

سائلا الربع بالبلي وقولا هجت شوقاً لي الغداة طويلا
ابن حي جلوك اذ انت محفوف بهم أهل اراك جميلا
قال ساروا فأمنوا فامتنقوا وبرغمي لو استطعت رحىلا
سئموننا وما سئمننا مقاماً واحبوا دماً وسهولا

قال : ان هذا الذي كنا ندور عليه فأخطأناه وأصابه هذا القرشي . فجير وامثاله
كانوا يريدون ان يسمعوا اشياء لم تعودها اسماعهم .

ولم يخل العصر العباسي من المجددين ومن الراغبين في التجديد ، ولما سئل الاصمعي
عن بشار ومروان بن ابي حفصة ايها أشعر ، قال : بشار ، فسئل عن السبب في ذلك
فقال : لان مروان سلك طريقاً كثير من يسلكه فلم يلحق بمن تقدمه وشركه فيه من كان

في عصره ، و بشار سلك طريقاً لم يسلك وأحسن فيه و تفرّد به وهو أكثر تصرفاً
وفنون شعر وأغزر وأوسع بديعاً ، وسروان لم يتجاوز مذهب الاوائل .
فرأى الاصمعي في بشار يشبه رأي جرير في عمر بن ابي ربيعة فالنفوس قد ازداد
تطلعها الى نواح جديدة في الشعر .

وكان ابو العباس النامي يقول : كان بقي من الشعر زاوية دخلها المنني .
هذه أمثال قليلة يتجلى لكم من ذكرها ميل النفوس في كل عصر من العصور الى
التجديد وليست غايي ان أنكم على طبيعة هذا التجديد وعلى عوامله وانما الغاية كما قلت
لكم ضرب الامثال حتى تعلموا ان عصورنا الادبية لم تخل من طوابع التجديد . فلست اعجب
من ان يكون روح عصرنا هذا مطبوعاً بأشباه هذه الطوابع .

وكما كان الشعر ينتقل في كل عصر من العصور من طور الى طور فكذلك اللغة
فانها لم تثبت على حال من احوالها لا في جاهليتها ولا في اسلاميتها ولا في عباسيتها .
فلتضرب مثلاً لذلك ، في الجاهلية اسماء أطلقت على مسميات ثم ماتت هذه الاسماء
وولدت بعدها اسماء غيرها عفت على ما قبلها ، من هذا القبيل ما قاله صاحب الجمهرة ^(١) :
اسماء الايام في الجاهلية : السبت شيار ، والاحد اول ، والاثنين أهون وأوهد ،
والثلاثاء جُبَار ، والاربعاء دُبَار ، والخميس مؤنس ، والجمعة عَصُوبَة .

واسماء الشهور في الجاهلية : المؤتمر وهو المحرم وصفر وهو ناجر وربيع الاول وهو
خَوَّان وربيع الآخر وهو وَبْصَان وجمادى الاولى الحَنِين وجمادى الآخرة رُبَي وربيع
الأصم وشعبان عاذِل ورمضان نَائِق وشوال وَعَل وذوالقعدة وَرَنَة وذوالحجة بُرَك .
هذا مثل الاسماء التي عاشت ثم ماتت فلتضرب مثلاً للاسماء التي كانت تدل على
معنى خاص في عصر من العصور ثم جاء عصر فنقلها عن معناها الاول الى معنى آخر من
هذا القبيل ما قاله ابن فارس في فقه اللغة ^(٢) :

كانت العرب في جاهليتها على ارث من ارث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم

(١) المزهري : الجزء الاول الصفحة ١٠٨ .

(٢) المزهري : الجزء الاول الصفحة ١٤١ .

وقرايبنهم ، فلما جاء الله تعالى بالاسلام حالت احوال ونسخت ديانات وابطلت امور ونقلت من اللغة الفاظ عن مواضع الى مواضع آخر بزيادات زبدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت فعنى الآخر الاول ، فكانت مما جاء في الاسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق وان العرب انما عرفت المؤمن من الأمان والايمان وهو التصديق ثم زادت الشريعة شرائط واوصافاً بها سمي المؤمن بالاطلاق مؤمناً ، وكذلك الاسلام والمسلم انما عرفت منه اسلام الشيء ، ثم جاء في الشرع من اوصافه ما جاء ، وكذلك كانت لا نعرف من الكافر الا اليعطاء والستر ، فاما المنافق فاسم جاء به الاسلام لقوم ابطنوا غير ما اظهروه وكان الاصل من نفاقاء اليربوع ، ولم يعرفوا في الفسق الا قولهم فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها ، وجاء الشرع بان الفسق الاخفاش في الخروج عن طاعة الله تعالى .

والشواهد على الالفاظ الاسلامية كثيرة فمن شاء التوسع في معرفتها فليرجع الى كتب اللغة .
فأنتم تدر كون من هذا اب اللغة سواء أفي الجاهلية ام في الاسلام كانت تنبسط من طور الى طور ، ولو خلاصتم الى العصر العباسي لأحطتم علماً بمقادير الالفاظ التي نبتت على جذع اللغة العربية ولم تكن من قبل على هذا الجذع .

اذا عرضنا اللغة في اي عصر من عصورها وجدنا انها يتنازعها حزبان من ابنائها : حزب يحاول ابقائها على حالتها وحزب يذهب بها مذهباً جديداً .

فالطائفة التي تجرّص على ابقاء اللغة في حالة ثابتة دون شيء من التبديل والتغيير نتيجته بتجميع شتى منها : تعلقها بمذاهب حضارتها وحرصها على ثقاليدها واعتمادها على تراثها اولادها ورغبتها الغريزية في ان يكون لها لغة مصطفاة ثم اذا تعمقنا في البحث عن الاسباب التي من اجلها يحافظ المحافظون على لغتهم وجدنا ان لكثب الدين تأثيراً عظيماً كالتوراة والقرآن واذا جاوزنا هذه الناحية الى ناحية ابعد تجلت لنا شدة استمسك المحافظين بلغتهم بسبب الكتب الأدبية التي اولعوا بها لجمالها وحسنها فهذه هي اعظم الاسباب التي تدفع المحافظين الى التمسك بمعافظتهم فهم يريدون صفاء اللغة وقد تجمع هذه الاسباب كلها كلمة واحدة وهي ثقافة الفكر .

والحزب الآخر اي الحزب الذي يذهب باللغات مذهباً جديداً فانه يتوصل الى ذلك بثلاث وسائل : اما بقلب اللفظ واما بقلب الصرف والنحو واما بقلب المفردات ، ايني

لا أشغلکم بالبحث عن تغيير اللفظ وتغيير الصرف والنحو وإنما اذكر لكم قلب المفردات فإن الامة تكتسب كل يوم اموراً وافكاراً حديثة وانماطاً في الحس والفهم جديدة فلا بد لها من أسماء جديدة لمسميات جديدة ، وهذه الاسماء تؤدي في الاغلب الى انقراض كلمات لان الافكار الحديثة والألفاظ الدالة عليها تعني على آثار الألفاظ القديمة ^(١) .

وعلى ذكر الأسماء الجديدة التي تحتاج اليها الامة لاطلاقها على المسميات الجديدة رأيت ان أعرب لكم مقالاً وقع عليه نظري في جريدة الطان من سنين وهذا هو المقال :

إذا طرحك النوى مطارحها فكتب لك ان تزور باريز استطعت ان تذوق حلالة الدنيا وتشعر بنضارة الحياة ، ومن محاسن باريز الفتيات العاملات اللواتي ينصرفن في الصباح الى العمل انصرف النخل الى اجنساء الذهب ثم يفرغن من عملهن فيلهون ولا هو العنادل على ملف الأغصان . أطلق الفرنسيون على هذه الفتيات اسم (Midinettes) فالاسم مشتق من كلمة (Midi) ومعناها الظهيرة لانهن يفلتن في الظهيرة كما تفلت الطيور من الأقفاص فيخرجن من المخازن والمعامل فيسرحن كما يسرح مرب المها ، فاذا سمعت أحاديثهن على الطريق فكأنك قد سمعت دوي النخل فتراهن ذاهبات من الاوبرا الى ساحة (الفاندوم) ومن (المادلين) الى (الشانزليزه) وترى الشوارع والمطاعم والمقاهي والملاهي مكتظة بهن فاذا رأيتهن رأيت الألوان على مختلفها وعرفت كيف تكون الانسانيات على الثغور وكيف تكون التخييلات في الخواطر ، شعر قصير وشباب ناعم وقامة رشيقة وخلقة فتانة ، فهن نضارة باريز وغضارتهن ولولاهن لما كان لباريز رونق وبهجة فكلمة (Midinette) العذبة ترد بطبيعتها على شق القلم وطرف اللسان ، ادبها كبار الكتاب في رواياتهم فتأصلت في اللغة الا انها عرضت يوم الخميس الماضي على فاءة باريز الفتانة اي على الاكاديمية الفرنسية وليدة (ريشوليو) وكان لها امل ان تحل في الاكاديمية لعذوبتها ونعومة صباها ولكن الاكاديمية لم تشهد لها سبيلاً في معجمها فقطبت في وجهها واطرحتها .

وقد أسف صاحب المقال الأسف كله على اطواخ هذه الكلمة مبيناً انه ليس من

(١) رأي الاستاذ (دارمستر) صاحب كتاب حياة الألفاظ .

شأن الاكاديمية قلب الألفاظ المصطلح عليها واحتقارها ، وانما مهمتها المحافظة على المصطلحات الكثيرة الدلالة . وقد أضاف الكاتب الى كلامه : ان من الواجب الافتداء بالرب وموليير في المساحة والاستثناس بالمصطلحات المستفيضة في طبقات الشعب ثم ختم مقاله بما يلي :

« اللغة التي لا يزيد غناها قليلاً في كل يوم تفقر وتُنضب وقد كان كتابنا في عصر التجديد لا يجهلون ذلك فكانوا يفتشون عن أسلوب فيه حياة وخفة وله طعم ولون ويقتبسون استعاراتهم عن مصطلحات الصيادين وعن كلام امراء البحر وتعابير اصحاب المطابع فكانوا يجدون انه من الضروري ان ينشأ على الجذع اللغوي القديم طعم على شرط ان يكون هذا الطعم سهلاً دالاً على شيء قد ولده الاصطلاح ، فلم لا ننحو نحوم ؟ هذه جميع الحافظين والمجددين فلننظر في اعمال الحزبين فاذا عمل حزب من الحزبين عمله على حدة وأعرض عن الحزب الآخر فماذا يحدث .

اذا انحصرت اللغة في ناحية واحدة سكنت حركتها ونضب معينها ولا ريب في ان الشعوب التي ليس لحضارتها تبديل تستطيع ان تحافظ على لغتها على وجه الدهر من دون ان يمس هذه اللغة شيء فاذا كان الفكر ثابتاً لا يتغير فاللفظ الذي يدل على هذا الفكر يثبت ولا يتغير ولكن اذا بلغ الحرص على التقاليد مبلغاً يمنع اللغة عن تتبع مذاهب الافكار والمعاني واستحكم التناقض بين افكار الامة وبين القوالب التي تدرغ فيها هذه الافكار نفدت مادة اللغة فسكأت وهلك ، واليك مثلاً شهيراً في اللغة اللاتينية المدرسية اي لغة الكتاب الرومانيين وطبقات الناس العالية فان هذه اللغة امتنعت عن تتبع اللغة العامية في نموها وتشددت في المحافظة على أسلوب مقدس ، وفي آخر الامبراطورية هلك وتركت المجال للغة العامية الحية القوية التي انفجرت من بينابيعها لغات شتى ولهجات مختلفة مستعدة للاستيلاء على الميراث الذي خلفته اللغة الفصحى .

واذا عمل الحزب الذي يذهب باللغة مذهباً جديداً عمله على حدة دون الاستعانة بمذهب الحافظين فان اللغة تقذف يومئذ مقاذف مختلفة فتتحول سريعاً فمرة تنعاقب عليها عدة بطون فتصل الى حالة كثيراً ما تختلف عن الحالة السالفة حتي تكاد تكون لغة جديدة وأحياناً تنتسب الى طائفة من اللغات وهذه اللغات تنتسب ايضاً الى ما لا حد

له فقد قيل ان في جملة اللغات المتوحشة بطناً من الناس يشهد لغات تولد ثم تموت لتولد على شكل آخر الا ان هذا التغيير المستمر قد جاوز الحد حتى أصبح مخالفاً لاغراض اللغة وغايتها وأضاع على اللغة قسماً من فائدتها ومنفعتيها طالما ان في بعض لغات المتوحشين لا يفهم الشيوخ معاني كلام الأحداث فان في هذا الامر شيئاً غير طبيعي يشبه في علم اللغات عجائب المخلوقات في علم التاريخ الطبيعي . ثم ما هو السبب في هذا التطور الذي لا نهاية له ، ان هو جهل المتوحشين الذين يتكلمون بهذه اللغات وضعف عقولهم لان اللغة تثابيد بالحضارة^(١) .

بسطت لكم على سبيل الايجاز امثالاً تستدلون بها على البسير من أطوار اللغة والشعر ومنها بضحكم ان الاسلام جاء بالفاظ لا عهد للجمالية بها وان الشعر كان يصبغ بصباغ خاص على حسب ما يقتضيه روح العصر فلم يخل عصر من عصورنا من آثار التجديد فان للطبيعة وللاجتماع عوامل لا مندوحة لها عن ان تعمل في الأدب ومادته واذا كانت للانتخاب الطبيعي وللتنافر على الحياة آثار في عالم المخلوقات الحية فان عالم الافكار وصورها لا يستطيع ان ينسلخ عن هذه الآثار فلما نرى انما اذا قلت لكم من ان يكون التجديد انما هو روح العصر فقد وصلت اليها آثار لغات الغرب ووقفنا على هذه الآثار وقابلنا بين اساليب البحث في ادبنا وبين اساليب البحث في ادب الغرب فأدر كنا نقصنا وعملنا على تميم هذا النقص طالما انا قدرنا على الكمال لبس في هذا غضاضة علينا فان أدبنا بفضل الاساليب الحديثة في البحث والنقيب مبنكشاف لنا الرخاء عن كثير من محاسنه فنذوق منها ما لم نذوق وانما الشأن في مجامع هذه الامور ان نحافظ على روح لغتنا وعلى عبقريتها وأريد بهذه المحافظة ان تكون العربية لغتنا في بحثنا ونقيبنا دون ان نفسدها العجمة ، أفكان الجاحظ من المولعين بالتجديد ، أتحافظ في صور افكاره على عبقرية اللغة وعلى روحها .

هذا ما نسعى في الوصول الى معرفته في سنتنا هذه .

دمشق : في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٠

(١) رأي الاستاذ (دارمستر) صاحب كتاب حياة الالفاظ .

اللغة العربية و خزانها الادبية (١)

« قديماً وحديثاً »

أيها السادة

قد شرفني الجهابذة الأجلاء عماد هذا المجمع العلمي الجليل بادناء مكاني من مكانهم .
واين انا من اولئك الذين تملأ الافق انوارهم وتعمر الشرق آثارهم . اين انا منهم لولا
نظرة عطف من معالي رئيسهم البجامة العلامة الذي بعث في زمنه أشعثات مناخر وطنه ،
فقلد العربية قلادة من المن لا تقوم بثمن ، ولولا حسن استجابة من زملائه الفضلاء لدعائه
الكريم في شأن صديقه القديم . فلمهم فضل اول بما اولوني من نحر الانتخاب ، أعقبه فضل
ثاني بما اتاحوا لي اليوم من حظ المثلول لدى صفوة من شيوخ تباهي بهم الحاضرة الاموية
سائر الحواضر ، ونخبة من فتيان اري فيهم تباشير صبح جديد لسعادة الدولة السورية
ورقيها الحسي والمعنوي الى الغاية التي تجدر ببلوغها أمة عظيمة كهذه الامة الكريمة .

قد سمعتم المعجب والمطرب من ذاك البيان الخلاب الرائع الذي خصني به صديقي
الاستاذ الكبير الشيخ عبدالقادر المغربي واخذتكم بلا شك في بسطه الجميل قوة فصاحته ،
فهل ترك لي ذريعة وانا انكلم بعده لأكون عندما اقر في نفوسكم من حسن الظن بي على
انه اذا فاني فيما ازجيه من البضاعة ان ابلغ ما اراد ابلاغني من عالي رأيكم فلي شفيح لا يخيب
في رحابكم ، اني اضيفكم واني لجاركم وانتم خير من اكرم الضيف واعز الجار .

أثبتت في أخريات هذه السنين حركة عمدة مشيروها الى احداث ريب في النفوس
من جهة صلاح اللغة العربية النصحى او كفايتها لمجاراة العصر في مقتضياته حتى الادبية

(١) محاضرة الاستاذ خليل بك مطران احد اعضاء المجمع العلمي العربي القاها في

بهاو الجامعة السورية في شهر ايلول سنة ١٩٣٠ بمناسبة انتخابه عضواً مؤازراً في المجمع .

منها . وبقيني انه اذا كان هناك قصور فهو منا وليس منها ، فلذلك بدالي أن كلمات القميا من على هذا المنبر في اثبات ما اعتقده اعتقاداً راسخاً من صلاح لغتنا او كفايتها للاعبانة بسلامة وقوة وجمال عن انواع الاغراض الحديثة وخصوصاً ما يتصل منها بالادب — تكون اخلق بان تسترعي لها اسماعكم . وقد توخيت لهذه الكلمات من طريق موافقتكم عليها — إن فازت بشرف هذه الموافقة — ان تصدر عن ندوتكم هذه درساً يجني منه شبابنا في مختلف الاقطار العربية فائدين جليتين : اولهما ان يعرفوا ما وسائل لغتهم الفصحى وادواتها المتوافرة ومناسجها مفاخرها . وثانيتهما ان يتبينوا ما تسومهم الرغبة في معرفتها وإجادتها من المطالعات على ما يحول بينهم وبين استيفائها في الحالة الراهنة من المشاق التي نرجو ان نقل تدريجياً على يد هذا المجمع الجليل وسائر المعاهد الرسمية وغير الرسمية التي تنمو نحوه في الامم الناطقة بالضاد .

لم تخلق اللغة العربية من اصل جامد فيقضى عليها بالجمود ولم ترسم لها من بدء امرها دائرة ضيقة فيحظر على المجتهدين ان يتعدوها وقد نبه على ذلك أئمة من المتقدمين فقالوا ان اللغة تقع متلاحقة متتابعة ، فهي إذن تنمو بنمو حضارة اهلها وتنسج وتنسج باتساع حاجاتهم وتشعبها . على ان نفي المشاركة في اصول اللغة اية كانت او في الفروع التي تستنبتها الدهور على تلك الاصول لا استطاع ، ونفي الأثر الذي تحدثه كل لغة في الاخرى يحكم الجوار او الفتح الحربي او الغلبة السلمية من فكرية واقتصادية لا استطاع ايضاً . ولكن كل ذلك لا ينبغي ان يغير طابع اللغة ولا ان يعدل ذاتيتها او يمس جوهرها اذا رد الى حدود المقومات التي تفرق بينها وبين سواها كما تختلف الوجوه وتمايز الشخوص .

تألفت لغتنا العربية في منشئها من لغات تقدمتها ومن مواضعها همة أعارتها اباءها لغات عاصرتها . حسبنا في الدلالة القاطعة عليها ما ورد من الفاظها في أفصح كتاب عربي فهي اي اللغة لم تكن وحياً ولا توقيفاً . كذلك المشاركة في المعاني واتجاهاتها واشتات المذاهب التي يذهبها الكتاب في طرائق ابرازها للناس تقع مواقعها من نفوسهم تبعاً لاتساع الحضارة وضروب التأني في العيش ونهيو الاذهان حيناً بعد حين لا يشار خطة في الانشاء على خطة أخرى لا سبيل للارتباب فيها وحكمها في لغتنا حكمها في كل لغة عتيقة او عبيدة .

غير أن هذه المشاركة معها تعددت مآتيها شيء وذاتية اللغة شيء آخر .
عناصر الجسم مما تشترك فيه الطبيعة كلها ولكنه بها يصبح جسماً حياً له قوامه الخاص .
وبها يعيش عيشة تختلف بمفاعيلها عن عيشة كل جسم سواه .
إذا نقرر هذا فلنشرح الطرف من مشرف عالٍ مرتين بمخلفات الاحقاب مروراً
سريعاً لنتبين هل من محل للارتباب في ان اللغة العربية الفصحى تكفي حديثاً كما كفت
قديماً لتجاري بأدبها الخاص ادب اية لغة سواها . ولعل أحسن ما يتأتى لنا به حصر هذا
البحث وتضييق دائرته على قدر ، هو ان بقم التفاهم بيننا على تعريف الاديب ، فمن
هو الأديب ؟

هو الذي يحسن التعبير بالاصطلاحات المتواضع عليها في كل لغة عما يوحيه اليه عقله
او يجيش به نوازعه واهواؤه او يقع عليها حسه ، مصوغاً في الفاظ فصيمة ، مفرغاً في قالب
أصيل خالص ، والسر كل السر في احسانه الابانة ان يملك لغته فيصرفها في الأداء
تصرف المتضلع منها المستبحر في فنونها ، البصير بفرداتها ، الخبير بنراكيبها ، المتشبع
بروحانياتها — ولكل لغة روحانياتها — الواسم بوسمها كل مادة يجري بها قلمه وكل سائخة
صادرة عنه او طارئة عليه ، المجدد تبعاً لزمانه ومكانه ما تلقاه عن أئمتها وثقاتها في
الصورة التي ينوعها كل زمان وكل مكان . المضيف اليها من ابتكاره او ابتداعه طرائف
لا تمثّل معها صحة طابعها ولا تمس بها جواهرها ولا مقوماتها .

فما قدمناه نظراً الى الاديب ولم نشرك معه الفيلسوف والرياضي والكيميائي فان
المقصود في بحثنا انما هو الاديب المحض لا ننفي عنه أن يضرب بسهام في اشئاث العلوم
ولا ان يلم بكل فرع وفن مما يستكمل به وسائل التفكير لينسني له التعبير عن مختلف
الاعراض الحادثة مع لزوم الحد الذي يرسمه الادب اللباب ويتأتى معه حسن النسيج
والطف اختيار الاساليب لجلاء المدلولات . فان كان الاديب ماعرفنا وكان المبدع
الذي يحول فيه لسانه وقلمه ما وصفنا فقد ثبت بالبداهة ان كل لغة مستكملة الوضع واضحة
الأعلام قائمة التقوم راسخة القواعد مانعة للشروء والبلبله صالحة لتكوين الأديب .
وتكوين الأديب له شرطان : احدهما حصوله على ملكة اللسان وثانيهما وجدانه
في لغته من ضروب النماذج ما يفتق ذهنه ويعين قريحته على الابتكار ويتجلى بهجاء الفكر

في تحولاته المستمرة ، ففي بقيتي ان لغتنا العربية الفصحى فكفي كل الكفاية لتكوين الاديب وفي قديمها وحديثها مان أكب على المطالعة وتوفر على المدارس ما يستطيع به ان يعبر عن ضرور المقاصد مادي منها وماجل ، فان أوجز : فما اجتمع الكثير من المعاني في القليل من الكلام كما اجتمع في مقاطر أقلام الناطقين بالضاد ، وان أسهب : فليتنظر كيف جرت المجاجات العذبة من يراع الجهابذة المسهبين جري السلسيل من البنايع بلارنق ولا تفكك ولا انقطاع واي مطلوب لحسن التشبيه وجمال الاستعارة أدنى الى التناول في لغة منه في لغتنا .

واي لغة قديمة او ولدة فيها بذاتها ما في لغتنا من الغناء بالاشتقاق وبابه فيها أوسع باب لوالجيه عن حصافة واستقامة سجية .

غير ان الأدب بالمعنى الأشرف والأمثل ليس الذي يحاكي غيره حكاية الصدى ويجري وراء سابقيه جري التطريس بالاقدام ، بل هو الذي يستعين بما بين يديه على الابداء والخلق . شأنه شأن المصور الذي يتوفر على استكشاف خبايا الفن في المقاييس والملاءمات وسائر ما توصل به المبرزون من متقدميه الى الاتقان العظيم ثم يجيل ريشته في اللوح ليرز أنواراً وظلالاً ووجوهاً ومناظر على النحو الذي استعجه بتقديره الخاص وآثره بحكم فكره الذاتي ، شأنه كذلك شأن الموسيقي بنقيده بقيود الاصول العامة لصناعته ولكنه يتخير بين آلاف الأجزاء المشتركة في الضروب ما يؤلف منه نغمة الخاص ، نغمة الذي لم يكن فيه ماسخاً صنع غيره أو آخذاً اخذه حذوك النعل بالنعل بل مفتناً مخترعاً .

أتبع لنا في لغتنا العربية مثل أعلى لانظيره فلنتخذة نهراً لمطالعنا هذه . العرب في الجاهلية قالوا الشعر فنامتد النفس في جيده الى أطول من المعلقات ، وقالوا النثر فما يوشك المتخلف منه ان يملأ صحائف كراس صغير على الشتات بين المعاني والاعراض فلما أراد الله ان يبدي للعالمين آية من آيات قدرته أنزل كتابه المبين كتاباً عربياً .

وم اتخذ مادته ؟ من أدوات تلك اللغة ، لم يخلق معجماً جديداً ولم يقض قضاء على السنن المتعارفة . بل أخرج من مأثور ما ألفوه واصطلحوا عليه ونفاهموا به تلك المثاني والمثالث التي حيرت الألباب وملأت النفوس بالعجب العجيب . أنزلها من كلامهم واين منها كلامهم . أنزلها حدود لسانهم ومعانيها وراء كل حد . وهذا هو سر الانشاء وسحر الابداء .

أخرج القرآن المجيد من اللغة العربية الجاهلية ، لغة اسنقل بها فلم تجار ما قبلها وهيئات ان نلشبه بها محاسن الشعر اوعيون النثر في الجاهلية ولم يجارها ما بعدها في البلاغة والفصاحة لمكانها من الاءعجاز .

ثم جاءت روائع الحديث معقبة من مكان داب على ما هبط به الوحي ، ونور الوحي تنحدر اليها كتحدّر شعاع الشمس من قم الجبال السماء الى رؤوس الهضاب المتطامنة بجانبها فانصلت به أسباب التاصيل والتفريع ، واتسعت وتشعبت ذرائع التحويل والتوسيع .

لغة جديدة تدفقت اليها جداول الفصاحة القديمة من نواحيها المتعددة فاذا الخوض الذي أفضت اليه بحر عذب بهي الري والغذاء للحدائق الفيحاء التي ازدهى بها الادب العربي وازدهر في ذلك العصر الكبير وفي سائر ما تلاه من العصور .

من هذه اللغة الجديدة يومئذ استعار الخلفاء الراشدون — وناهيك منهم بالامام علي — جمال بيانهم وجلال تبينهم . تكلموا بكلام هو من صميم مادة العربية لكنهم جاؤوا ببيان بدعية في صور شائقة غير مسبوقه .

فكانت هنيئة من الدهر سنوات معدودة تم فيها الانقلاب الاول والتحول الأعظم في لغة الضاد . فاذا رجعت الى الكتاب على رأس مخلفاتها تحرثه حق حراثته واذا ثقفت بعده خطب الخلفاء الراشدين وأسفارهم متديراً أساليبها جد التدبر فما تجد من شيء تربد الكتابة فيه الا وله مثال قل او كثر طال او قصر تسترشد به وتهتدي بهديه فيما انت منه بسبيل . وهناك حصل التصرف العجيب في الحاق معان جديدة بالألفاظ القديمة على ما اقتضاه التحول الديني والتصور الطاري في مجالات الحياة . ذلك البيان الذي اجتمعت فيه طرائف اللغة العربية ، وانفقت منه العنجهية والحوشية . ونفخت فيه المفردات والجمال بنفحات قدسية صالحة للمعاش والمعاد . قد أطلع فحراً جديداً على البيان العربي في الحقبة التي نلت ظهور الاسلام الى ما ناهز خمسة قرون .

وفي الضوء الساطع الذي أضاء ذلك الفجر به أم الشرق أخرجت القرائح أعاجيبها عقلاً ونقلاً ، فقهاً وسياسةً ، وابدت السجاياء في مختلف تلك الامم خسروب زيناتها بالهجات الفصي كما ابرزت الالباب كوامن قواها في استصلاح تلك اللعجات لكل شأن

من الشؤون العامة والخاصة نظماً وترسلاً . فكانت بجملتها وتفصيلها لغة عربية خالصة ولكنها لغة حقبتها .

انتهت أذهان العالم الشرقي العربي والعالم الغربي العربي ايما تنبه للتجوير والتحرير على السنة الجديدة فأوجد النابون منهم ما لم تسبق به الظنون مما يشتمل عليه الادب من الفنون ذهب كل مذهبه واتى عجماً فخرى السهل الممتنع على قلم عبد الله بن المقفع وصنوه عبد الحميد واندفعت خواطر الجاحظ في كل ما وصل اليه ذهنه من منظور ومحسوس ترسل أشعتها الى أغوار السرائر . ونقل الطبري الى تاريخه ذخائر معرفته باخبار الالام في أسلوب رشيق شائق واستفاض ابوالنرج الاصفهاني في أغانيه بما تقف لديه اكباراً وفوفك تجاء البحر الزاخر وجاء بديع الزمان في ترسله وتعمله بما لا يزال تسج وحده . وجمع الحريري من مكنونات اللغة في مقاماته ما لا تحصيه الخيلة . واتى الثعالي في يتيمة الدهر بما طبق اسمها على مسماها احسن تطبيق . وصاغ ابن خلكان سير الأعيان في قلائد من الجمان . ناهيك باحمد بن ابي طاهر في كتابه المنشور والمنظور . وبالغني في مغازي السلطان محمود بن سبكتكين . الى كثير غير اولئك من النوابغ الذين لا تنفس لتعديد اسمائهم الدقائق المعدودة .

واما في قرض الشعر فهل أذكر لكم بعد المعلقات المجهرات والمشوبات والمذهبات والمفضليات والأصمعيات وروائع بشار بن برد ومسلم بن الوليد والبي نواس ومروان بن ابي حفصة وابي الشيعس ودعبل . ثم هل أذكر المثنوي في ابتكاره والبحتري في رفته وابا تمام في جزالته والعري في حكمته وسمو فكره وسماحة فطرته والشريف الرضي في إفاضته المدهشة وابن الرومي ومهياراً في أساليبيهما المشتملة على ماشاء الابداع من دقائق الوصف مع امتداد النفس وراء ما كان مألوفاً من صناعة السابقين .

بقي ان تشير بكلمة الى ما جاء به اهل الاندلس والمغرب فقد حفظوا البليغ والمأثور من كلام عرب الشرق أحسن حفظ وفوق مواملكانهم على الاساليب الفصيحة المبينة ولكنهم أدخلوا في صياغتها ومحسناتها ماشاءته طبيعة بلادهم وما آثرته سجايا اهلها . فاذا قرأت منشورهم فكلمة وضاء زاهر رقيق متجاف موطن الوحشية متساوق اللفظ والمعنى في شوط الجلاء على ماتراه في تصفحك المقدمة لابن خلدون والعقد الفريد لابن عبد ربه ونفع الطيب

لمقري والإحاطة للسان الدين بن الخطيب وقلائد العقيان ومطمح الانفس للفتح بن خافان .
والشرق والمغرب لابن سعيد وأولاده . وإذا قرأت منظومهم فقل ما شئت في عبقرية
ابن هاني الملقب بمخني الغرب وطلاوة ابن خفاجة ورقة ابن حديد وسهولة ابن سهل .
والابتكارات واللطائف التي لا تنافسها عقود الدر ولا قطرات الندى ولا نسيات الرياض
في الموشحات ونغاريها وزهرياتها وخمرياتها وفراقاتها بين جد ودعابة .
اولئك المتقدمون شرقاً وغرباً ممن أوردت اسماءهم او لم اوردها قد أتحفونا بلغة ذات
اجهزة وافية ، وآلات متنوعة نهاية النوع ، ليستجدها فكر الأديب الأريب في التعبير
عن الكليات مهما كبرت ، والجزئيات مهما صغرت ، بانني ديباجة وأبدع وشي ، والطف
ما يصل به اثر القلب الموحى ، الى أبعاد طوايا القلب الذي يتلق ذلك الوحي مطالعة
أو سماعاً .

غير ان مناجم تلك الجواهر ومنابت هانيك اللآلي دينة في بطون أسفار حمة
ضخمة ، وهي فيها متباعدة المظنات مفقودة الأعلام مبهمه الصوى لا يبلغنا اليها الا
النتقيب عنها واعينات الروية وكذا الدهن في نعرف اما كنها واستخراج نفائسها . علة
للقصور لم يتلاف الى الآن القوائم على اللغة الا بعضها ، ولكن الأديب لا يكون أدبياً
الا وقد تجشم هذه الشقة وبذل ذلك الجهد وأصبح بالواضع التي يصيب منها سداداً لحاجته
ووفاءً بغرضه طلياً بصيراً . وأن يكون على هذا بالاديب التام فما تلك إلا مرحلة يجهاده
واجتهاده توصله الى تقويم لسانه وتحيضه وإبعاد عن مزلات الرطانة واللكنة والعجمة
وتعرفه كيف يحسن الاقتداء بالسلف لئلا يبدع في غير بدعة فتهدم بها تخوم لغته وتنفهم
عسى عروبه .

هي الاولى من مرحلتين وهي اشقهما مطلباً وابعدهما غاية . اما الثانية فهي الاطلاع
على ما حدث في البيان العربي بعد تلك الحقبة الكبرى اي من بدء زمن الانحطاط الطويل
الى مستهل البعثة العتيدة الى نهاية ما وصلت اليه في هذه الايام .

أمر ضرورياً عاجلاً بحقبة الانحطاط التي لم تخل من مجيدين في النظم ان لم يبلغوا
المتقدمين صفاء ديباجة ولا فتى ذهن فقد أسلسوا من مقادة الغريب في الالفاظ
والأساليب وأحدثوا طرائق خاصة لتسهيل ما صعب من خروب التصرف في مخلفات

الأزمة الأولى الى صورة حال جديدة . وفي مقدمة هؤلاء صفي الدين الحلي وابن النبيه وابن معنوق والابوردي وابن العفيف التلمساني والبيهاء زهير وابن الفارض وابن مطروح وابن نباتة . كذلك لم تخل تلك الحقبة من المجيدين في النثر كابن فضل الله العمري في مسالك الابصار والقلقشندي في صبح الاعشى والمقرئزي في الخطوط وشهاب الدين النويري في نهاية الأرب وابن الاثير الكاتب في الترمذ . اما جمهرة النثرين فكانوا من كتاب الدواوين وفي برمتهم هذه كان الاشتغال بالبديع آية احلال التحليلات اللفظية محل المعاني .

بعد هذه النظرة أفضي بكم الى عصرنا هذا لأتبين معكم بمثل لمح الطائر ما صار اليه اللسان العربي وما يستطيع المتأدب ان يستفيد منه ليستكمل عدة ادبه على النحو الذي يوافق حضارة الزمن ومتباينات مطالبه .

بدئت البعثة الأدبية في مصر منذ عهد محمد علي وكانت العجمة والركاكة العامة المنشبعة بخليط لا وصف له من الرطانات والكلمات المخرفة عن اصل مدلولاتها هي الاداة الغريبة التي يتفاهم بها القوم نطقاً وكتابة .

بدئت النهضة والازهر مصدرها غير انها كانت مما يمت الى عهد الانحطاط بسبب ولوع اصحابها بتقليد البديعيين ولكنها كانت هبة من سبات الجهل والخمول وحفرة الى غاية من العرفان والنباهة . وفي طليعة ارباب الاقلام يبرئذ بمصر الشيخ حسن العطار ، الشيخ حسن قويدر ، محمد سيد احمد باشا ، رفاعه بك ، رجال مدرسة الالسن . ثم أعقبتها على الاثر وقفة لم تتجاوز مدتها مدة عباس الاول وسعيد . فلما تولى اسماعيل استأنفت نشاطها واظهر من ظهر في مبادئها الشيخ محمد شهاب الدين شاعراً وناثراً على رأس سلسلة ينظم المستقراء فيها اسماء :

عبدالله فكري باشا ، علي مبارك باشا ، السيد علي الدرويش ، ابراهيم بك مرزوق ، محمد فني ، محمود صفوت الساعاتي ، ابي البعود سلامة ، النجاري ، الشيخ احمد عبدالرحيم ، الشيخ علي الليثي ، الشيخ علي ابي النصر ، عبد الخالق الزرقاني ، بين ناثرين وشعراء . بعض هؤلاء أدرك زمن توفيق وفي عهده قوبت النهضة بارزة بها اسماء :

شفيق منصور ، عبد الله نديم ، الشيخ حمزة فتح الله ، محمود واصف ، الشيخ احمد مفتاح ، احمد سمير ، حسن حسني الطويراني الخ .
من مخلفات هؤلاء جانب ضائع ولكن جانباً منها ولعله اغلاها قيمة نجا بفضل الله ، على ان الروح التي صدرت عنها تلك الحركة ما عمت ان أبدت في سماء البيان كو كبين من كواكب الاقدار الكبرى هما محمود سامي باشا البارودي شاعراً ، والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ناثراً . ثم اخذت سماء ذلك البيان تزدان بالنجم تلو النجم في نظام ساذكر من رجاله لكم الذين استأثرت بهم رحمة الله ، وادع ذكر الاحياء مد الله في آجالهم لانكم تعرفونهم . فمن الشعراء :

اسماعيل هجري ، محمد حنفي ناصيف . ومن الكتاب عدا الشيخ محمد عبده :
ابراهيم اللقاني ، ابراهيم المويلحي وابنه محمد المويلحي ، الشيخ عبد الكريم سلمان ، مصطفى نجيب ، الشيخ علي يوسف ، قاسم امين ، محمد فتحي زغلول ، الشيخ المهدي ، مصطفى كامل ، الشيخ المنفلوطي ، الشيخ الخضري ، امين الرافعي ، سعد زغلول هذا في مصر .

واما في الشام ولبنان ونهضتها متصلة منذ الساعة الاولى بنهضة مصر وكتب الفريدين متداولة بين البلادين فقد برز كتاب وشعراء . اذكر منهم الذين توفاهم الله ولهم بقايا ادبية يرجع اليها وهم :

محمد بن حسين الحلبي العطار ، كمال الدين الصمادي الجرائحي ، حسن جينيه ، بطريوك الروم الكاثوليك مكسيموس مظلوم ، جبرائيل بن يوسف الخيام ، كمال الدين الغزي ، محمد عابدين صاحب الحاشية الشهيرة في الفقه ، عبدالغني الميداني ، الامير عبد القادر الحسيني ، محمد نور الترماني و اخوه احمد ، رزق الله حسون ، امين الجنسدي ، فرنسيس المراس ، ادب اسحق ، محمود الحمزاوي مفتي دمشق ، الشهاب احمد المنيبي ، ابراهيم الحوراني ، ميخائيل مشاقفة ، الشيخ طاهر الجزائري ، الشيخ محمد ميسارك ، السيد محمد مرتضى ، الشيخ عبد الرزاق البيطار ، الشيخ جمال القاسمي ، السيد عبد الرحمن الكواكبي وشقيقه الشيخ مسعود ، الشيخ بشير الغزي ، رفيق العظم .

واما العراق فيجانب جماعة من السادة الالوسية فتحت سلسلتهم بابي النساء وتمت الى

عهد قريب بالسيد محمود شكري الالومي ، يذكر من الشعراء والكتاب الذين انتقلوا الى
أكرم جوار :

كاظم ورخا الازريان ، عبد الحميد الاطرقجي ، عمر رمضان ، صالح النجيمي ،
عبد القفار الأخرس ، عبد الباقي العمري ، احمد عزت باشا العمري ، السيد حيدر الحلي
حسين العشاري ، محمد الغلامي ، احمد الجسائي ، عبد الفتاح الشواف ، حسن الاصم ،
حسن البزار ، السيد ابراهيم الطباطبائي ، السيد حسن الداودي ، السيد احمد الفخري
واخوه احمد ، السيد محمد سعيد حبوبي الحسيني ، السيد جعفر الحلي .

واما في لبنان فقد يرتز من الشعراء والادباء الذين لقوا ربه : ناصيف اليازجي
ونجلاء ابراهيم و خليل ، بطرس كرامة ، ابراهيم الأحمد ، يوسف الاسير ، قاسم
ابو الحسن الكسبي ، عمر الانسي ، احمد البربر ، عمر اليافي ، احمد فارس الشدياق ،
مارون النقاش ، خليل الخوري ، البستانيون بطرس وسليم وسليمان وعبد الله ، نجيب
وامين الحداد ، الياس صالح ، امين وشبلي الشميل ، بشارة زلزل ، يعقوب صروف ،
اسكندر وداود عمون ، فرح انطون ، اسكندر شاهين ، نعيم لبكي ، جرجس همّام ،
نصيف المعلوف الخ .

عددت اعلام النهضة الحديثة في الاقطار العربية الثلاثة بلا تدقيق في الترتيب
الزمني لما فاني في رحاتي من وسائل المراجعة واستغفر الله الى ذكرى الذين انساني ضيق
الوقت والاسراع في اعداد هذه الكلمات اممهم ففانثني على غير عمد .

ما ذا أمدى الى الادب العربي اولئك الادباء والشعراء ؟ أضافوا الى ذخائر
القديمة ذخائر مما اوحى اليهم ايامهم . ألانوا اعواد اللغة من جفاف وآسوا اوابدها من
نفار . عدلوا شيئاً كثيراً من السبك العام للمواضيع في الاسلوب العام للكتابة . ادنوا
قطوفاً لم تكن دانية . زادوا على المفردات طائفة بمادعت اليه الحاجات الجديدة . وسهلوا
التخصيل وفتحوا ابواباً واسعة للتفكير .

صنعوا عظيماً ، ولكن ما بقي عمله اعظم .

وهنا كان ولا يزال محل اتهام اللغة بالنقصير في رأي الذين قابلوا بينها وبين سواها
فما يتعلق بالتعبير عن اغراض هذا الزمن وطريقة الاخذ به كأنهم يريدون الطفرة

والطفرة محال . اجل بقي علينا عمل أعظم مما عمل ليتسنى القرب بين ما هو كائن وما يجب ان يكون ولكن التبعة في التقصير هي علينا وليست على اللغة .
وفي وسع ادبائنا استكمال ما نقص في الامم ، وانتهاج النهج الذي يريدونه في تصوير الخيال ، والذهاب في المذاهب التي يؤثرونها لاداء معانيهم مع صحة اللغة وصيانة الاساليب الخالصة . وان تكون الاديب على اي حال اريد ، لميسور بالمادة التي بين يديه من قديم الكتب العربية وحديثها . على انه مطلب شاق ومرعى بعيد . لكن الصعوبات تسهل والعقبات تذلل لدى مديم النظر ومدمن المطالعة ومصرف الفكر في وسائل الخلق والتجديد .

لقد كان بودي لو اخربكم الامثال فانها ادنى مشاؤلاً واباغ في استيفاء التبيين. بيد ان الوقت لا يتسع في هذه المرة فليكن ما ذكرته مقدمة اجمالية موجزة ليستأنف هذا البحث من هو اقدر عليه مني ويسهب فيه بالقدر الذي يربحكم من ثمين الوقت ما اضاءه سابقوكم من المعاصرين في التآمل. المادة الكافية بين قديم الادب العربي وحديثه للوفاء بكل ما تقتضيه مطالب هذا الزمن من الانواع الشعرية والثريفة المتعددة .

واختم كلماتي بالثناء عليكم لحسن استماعكم وبالرغبة الى الله ان يفيض من فتياح الافطار العربية للغة الفصحى ادباء يحكمون المباني ويتكرون المعاني . ويخرجون في الاغراض البهانية الحديثة كتباً تنفسح لها صدور الاندية في العالم يجاب اقوم الكتب التي اخرجها ادباء الغرب .

أدبنا القومي

—«»—

نشرت جريدة المساء الغراء من أمهات صحف مصر تسع مقالات ممتعة لأديب كبير وباحث منقب نشرها مشكراً بتوقيع (باحث) قرأنا اقتباسها في هذه المجلة تكميلاً لفوائدها الغزيرة ، وعسى أن تصح عنيزة أحد الباحثين فيلنسخ على منوالها في وصف أدبنا القومي في الشام :

نقدم اليّ من لا يسعني الانحراف عن مرضانه بمعالجة هذا الموضوع . واقد طالما وسوست لي بذلك نفسي ، وفي الحق أن هذا الموضوع يبلغ في بابه من الجلالة والدقة غاياتها . وفي الواقع انني لم أفق الى الآن على من أسبغ القول فيه ونساوله بالدرس من جميع أقطاره . وكان خيراً لو قامت جماعة من اهل العلم والبيان ، وهم بحمد الله في بلادنا كثير ، فتوفروا على درس (أدبنا القومي) وتحليله تحليلاً دقيقاً يردون فيه كل عنصر الى اصله ومنجمه ، ويشيرون في الغاية بالرأي فيه ، والوجه في تهذيبه اذا كان في حاجة الى التهذيب . ويخطون له الخطة التي ينبغي ان يسلكها حتى يبلغ كماله المقسوم ، وبعبارة أوضح حتى يؤدي حاجتنا في هذا الباب ، ويوائمتنا بكل مطالبنا باعتبارنا أمة لها كياناتها الخاصة ولها سائر مشخصاتها الخاصة ، ولكن جمعية من العلماء وأعيان البيان لم تأنف لهذا الغرض الى الآن ولا أحسبها تأنف في يوم قريب ، فأصبح حقاً على الافراد ان ينبعثوا في هذا المطلب مهما أصابوا من عسر ومشقة ، ومهما تقاصرت عزائمهم عن حق الدرس والتحليل ، فلقد قال المتقدمون : (شيء خير من لا شيء) .

ثم لعلني اذا تقدم لمعالجة هذا الموضوع ان ابعث له غيري ، ادع لمعالجته من هم أوسع به علماً ، وادق له فهماً ، فاذا لم يتم بذلك الغرض كله فسيتّم منه صدر محمود فوق انه سينير الى باقيه وجه السبيل .

على ان اخشى ما اخشاه الجدل ، فانت خلقاً منا مع الأسف الكثير ، طبعوا على الجدل لا شيء الا الحب الجدل . ولو قد راجعت أكثر الموضوعات العلمية والادبية التي طرحت على اهل الذكر عندنا ، بل كلها لرأيتموها مدينة للجدل في انطوائها ، ان الانتهاء الى الرأي فيها . ولهذا فقد عوات على انه اذا نهض لي من يريد مجادلي فاني لا انصرف عن موالاة بحثي حتى أفرغ منه ان شاء الله فان كان ممن يستحق ان يجادلوا ، بان كان من القاصدين الصادقين في البحث وتحري الحق والنفع فاني أنتبذ معه في الحوار موضعاً آخر حتى لا يمرض مجرى هذا الكلام . وليس معنى هذا انني لا أعدل الى الحق فيما يتبين لي انه الحق ، فما أكتب لأطلب الباطل ، انما أبغي الا بصرفني عن غايي الشغل بما لا خير فيه من قيل وقال .

وما حاول ما استطعت ان اجعل رسائي على الاسلوب العلمي ، فأروض نفسي على الصبر ، وقلبي على الوداعة والاثناد في البحث والاستقراء ، واستظهار الحقائق مجردة من كل عاطفة ، فللمواطن موافق غير مباحث العلوم .

— تمهيد —

بما لا يعتبر به الشك ان لكل أمة ادباً خاصاً بها ، هو الذي يدعى في العرف الحديث (بالادب القومي) . وذلك بديه لان لكل أمة أصلها وكيفية تكوینها ، ان كانت مكونة من عناصر متعددة ، وجوهرها ، ومناظر بلادها ، وما اخذت به من عرف ، وما درجت عليه من اخلاق وعادات وثقاليدها الخ . هذا فضلاً عن حظ كل أمة من العلم ، ومبلغها من الثقافة ، ونوع الثقافة التي تنتظم جملة ابناءها .

وبما لا نزاع فيه كذلك ان لكل هذا اثرأ قوياً في حياة الامة وطريقة تفكيرها ، وتصورها للاشياء وتقديرها لها وحكمها عليها . كما ان لها اثرأ قوياً في احساسها بالحسن والقبح وعواطفها في الحب والبغض ، وغير هذا مما يعتلج في النفس من صروب المشاعر ، وتنتلق به الأخيالة من وجوه الاحلام . فحق بهذا كله ان يكون لكل أمة أسلوب خاص بها لا يشاركها فيه غيرها سواء في وصف الأعيان البارزة ، او في تأدية الافكار والآراء او في تصوير العواطف الباطنة والاحساس الكامنة وآداب المناظرة والادلاء بالهجة وفي ألوان المفاكهات والمنادرات والتعابث بالضحك من الكلام .

لكل أمة أدب. — بدیهه ان یکون لكل أمة أدب خاص بها لا یشاركها فیه سواها . ما دامت الغایة الجلی من الأدب تصویر مشاعر النفس ، وتنفیض ما یعتلج فیه من الوائف العواطف والایحساس . ولقد عللنا هذا فی التمهید الذی قدمناه بین یدی هذا الکلام بان لكل أمة اصلها او کیفیة نكو بنها ، وجوہا ، ومناظر بلادها الخ الفروق التی تقوم بین كل أمة و غیرها من الأمم . وقلنا : ان لهذا اثرأ قویاً فی حیاة الامة ، وأسلوب تفكيرها وتصورها للاشیاء وتقديرها لها وحكمها علیها . كما ان لها اثرأ قویاً فی إحساسها بالحسن والقبح ، وعواطفها فی الحب والبغض ، وغیر هذا مما یعتلج فی النفس من خروب الشاعر ، وتعلق به الاخیلة من وجوه الأحلام .

وبعد فان لساننا نحن المصر بین انما ینى الى العربیة . وان ادبنا فی الجملة انما ینسب الى ادب العرب . یشار کثراً فی هذا کثیر من الامم كأهل الشام والعراق وجزیرة العرب وبلاد المغرب ادناء واقصاء وبعض بلاد السودان وغیر هؤلاء . کلنا محبوب فی لسانه علی العربیة ، وتعلق فی ادبه بادب العرب . ومع هذا فان لكل أمة من هذه الامم ادباً خاصاً علیها طابعه وله كل مشخصاته ومقوماته التی تميزه عن سائر آداب الامم العربیة الأخر . وذلك تقدير الطبيعة نفسها لا أثر فیه لسمی انسان وانك لا تقنضی سكان اهل البادية ان یعيشوا عیش اهل الحاضرة وان یفکروا علی طریقتهم ، یتحاوروا فی اسبابهم علی أسلو بیهم . كذلك لا تقنضی الطبيعة المشاركة فی التفكير بین أمة تعتمد فی عیشها علی الحروب وشن الغارات وبنیامة لانیسکی فی عیشها الا علی الزراعة والصناعة والتجارة وهی لا تستطیع ان تعالج شأنها الا فی ظل الأمن والسلام . وكذلك لا تستطیع ان تسوي فی الاحساس بالاشیاء ومبلغ الشعور بالمعانی وتحرك العواطف بین قوم یسكنون القل و یعيشون فی المحل ، و بین آخرین حبیبهم الطبيعة بالخرب فتمت الزروع وحملت الضروع ، وزکت الریاض فجادت الثمار ، وضحکت الازهار ، وغنت علی الافنان كل ساجعة من الاطیار وهكذا . . .

بعد هذا لم یکن من حقنا علی الطبيعة ولا علی الواقع ان تقدر يوماً ان یکون لنا ولغیرنا وان اشرکنا فی اصل اللسان ادب واحد حتی لو كانت بلادهم ادنی البلاد منا ،

وكان لاهليها اوثق الصلات بنا كأهل سور با مثلاً .
وكيف يتهيأ هذا ونحن نسكن وادياً سهلاً مبسوطاً يشقه نهر عظيم هو كل مادة
ساكنيه من انسان وحيوان في الترويح وفي سقي الحرث . ثم نحن اننا تاريخنا واصلانا
المتصل بقدماء المصريين من جهة وبالعرب الفاتحين ومن سقطوا الى بلادنا في مختلف
العصور من جهة أخرى . ثم ان لنا آثارنا وعادياتنا الخاصة بنسأ . ثم ان لنا طبائعنا
الموروثة واخلاقنا الماثورة وعادياتنا المرسومة في كل اسباب الحياة . بينا الطبيعة قد رفعت
في سوريا الجبال السامقة نبتتي في صياصياها الينابيع ونشعطف فيها الجداول فتقلدها
أبهى الحلي وتكسوها أزهى الحلال . وهناك غير ذلك من مجالي الطبيعة ما لا تقع عليه عيوننا
في هذه البلاد ، ثم ان لهؤلاء القوم كذلك أصلهم وتاريخهم وعاداتهم واخلاقهم وعادياتهم
الموروثة عن سلفهم الخ .

فكيف يعد هذا نريد الطبيعة على ان تطبعنا برغم كل هذا الخلاف على غرار واحد
في كيفية التصور وأسلوب التفكير والوان التشبيه واستثارة العواطف بحكم ما يعتري النفس
و يطالعها من وجوه المعاني المختلفة ؟ اللهم اننا بهذا نسأل الطبيعة المستحيل .
ولا بد من عنك ان الاختلاف في هذه الاسباب يدعو من غير شك الى الاختلاف
في كيفية تأليف المعاني اولا ، ثم في طريقة نظم الكلام و لاطراد بالاساليب وتخير صيغه
وتجري الفاظه .

ثم اعلم ان كثيراً من مفردات اللغة العربية قد انحرفت في زمن العرب انفسهم عن
معانيها الاصلية واستقرت على معانٍ آخر بحكم التجوز وطول الاستعمال حتى اذا اطلقت
على معانيها الجديدة اعتبرت حقيقة ، واذا اطلقت على معانيها الاصلية اعتبرت مجازاً .
وهذا وحده يدل على شدة اثر العرف وطول الاستعمال في صرف الالفاظ عن معانيها
التي طبعت لها الى معانٍ أخرى بينها وبين تلك نسب قريب او بعيد .

اذا علمت هذا فاعلم ان الالفاظ كثيراً ما تشكف وتشكل في دلالتها على
المعاني متأثرة في هذا ببيئة كل قوم وبعرفهم وبسائر اسبابهم . ولقد يكون اللفظ في
نفسه جميلاً شريفاً قتراً يسمح في السمع وينجث بطول التكنية به عن معني كرهه مقبوح ،
كما يحلو اللفظ ويخف على السمع بطول اطلاقه لاي سبب على معني كرهه محبوب .

واذا كان لكل أمة رأيها في بابي التكنية والتجوز باللفظ وما إليها سهل عليك ان تقدر ما يكون بين لغاتها في الواقع من الخلاف الشديد برغم انها كلها تنحى الى اصل واحد وتستمد من ينبوع واحد .

لهذا ترى لكل أمة أسلوبها الخاص في تصوير المعاني وفي نظم الكلام وفي تخير الصيغ وفي انتقاء الالفاظ ، وانما تختلف اختلافاً شديداً او يسيراً في شعرها وفي منشور كلامها وفي محاضراتها وفي اغانيها ، وفي الوان مفاهيمها الخ ، حتى انك لتطلق بين بدوي السوري أروع النكات المصرية وأبعثها على الضحك قترأه قد حملت فيك عيناه وظل شدوها حائراً لا يحس وجه العجب الذي يجر فاك بالضحك من ذلك الكلام ! وان الامر ليجري على العكس كذلك .

وابلغ من هذا انك ترى الأدب يختلف باختلاف النواحي في الامة الواحدة ، وان كانت هذه الآداب المختلفة تدرج كلها في ادب الامة العام او ما يدعى (الادب القومي) ولما في هذا نذهب بك بعيداً فان لسكان القاهرة والاسكندرية مثلاً اغانيهم (من مذاهب رادوار وطقاطيق وموالي) واحاجيهم (فوازي) ونكاتهم . ولاهل الصعيد أغانيهم وواواتهم . والسكان الوجه البحري مواليهم ومطارحاتهم وكل ذلك يختلف بمناخه والفاظه وطريقة صياغته خضوعاً لحكم البيئة وطوعاً لمطبوع الاخلاق ومأثور العادات . وليؤذن لنا ان نسمي هذا الادب (بالادب المحلي) . وهذه الآداب المحلية على اختلافها بقدر كبير او يسير انما تدرج كلها تحت الأدب المصري العام . وقل مثل هذا في كل بلاد تنطق العربية او تنطق غيرها من اللغات .

وقبل ان نغادر هذا الموضوع يحسن بنا ، ونحن في معرض تحقيق علي ان نلفتك الى حقيقة واقعة . وهي ان من الفروق التي تعند بين آدابنا المحلية ان ادب اهل الصعيد على ما فيه احياناً من رقة تكاد تشبه الشعر ومن سمو معانٍ لعله لم تعلق بها أخيلة كثيرين من الشعراء ، فان هذا الادب تغلب عليه الفحولة والصلابة وسطوة الكلام حتى فيما يتصل منه بالمشق والنفس باحرّ الوله . اما ادب الوجه البحري فيغلب عليه على الجملة لين اللفظ وفتوره ورخاوة المعاني وتكسر النفس بما يلحقها من الوله على المشوق والضراعة بكل ما نفعل الصباية بطلب الوصال . اما ادب الخواصر الكبيرة فمزيج ملتقى من هذا وذاك ، على انه

يمتاز أحياناً عن الأدبين فضلاً عن براعة النكتة وتجويد الوان النندر بالشفصم في القول والابتذال في اسباب التعشق الى حد ايراد الداعر المهتوك من انكلام .

وفي هذا المقام يحسن بنا ان ننبه الى خطا شائع بين كثير من المتأدين . ذلك انهم يظنون ان الادب محصور في الشعر وفي (النثر الفني) وهو انكلام الذي يجتمع الكاتب لصياغته وتجويد صنمته والتحليق بمعانيه حتى تجري مجرى التخليل ، والتباس الوان المحسنات له في مثل (المقامات) ، رسائل المودات والشفاعات والتهنئة والتزينة والعتاب والاستزارة والاستهداء ونحو ذلك . فان الادب في الواقع أوسع من ذلك القدر وأعم بكثير لانه أداة للترجمة عما يختلج في النفس من المشاعر ، ويعتلج فيها من ألوان العواطف كما انه أداة لتصوير المعاني المختلفة تصوراً يحفز النفس ويبعث فيها العجب .

وعلى هذا فاننا اذا أدرجنا في أدبنا القومي الشعر والنثر الفني (ولما بعد في هذا كلام) فحق علينا ان ندرج فيه الزجل والاغاني من (مذاهب وأدوار وموالي بل وطقاطيق) والواوات وغيرها مما يجتمع المصري لظمه ونسبته لانشاده او التفتي به ، بل (النكتة) البلدية التي أحسب ان المصري قد تفرد بها من بين سكان العالم .

هذا كله ينبغي ان يعتمد به في حساب الادب القومي وتبيين حدوده والمكايمة في هذا مكايمة في الواقع ومكايمة في حقيقة الادب نفسه .

بعد هذا كله لم يبق لك بد من التسليم لا بالواقع وحده وهو ان لنا ادباً خاصاً لا يشركنا ولا يجوز ان يشركنا فيه سوانا مهما استوثقت بيننا وبينه الصلات . ومن ذهب الى غير هذا ودعا اليه فهو اما غافل او محارب لحكم الطبيعة والدعوة اليه على الحالين دعوة الى مسخ التصور وفساد الشعور وقتل العواطف والحيلولة بين ما يحول في النفس وما يجري به اللسان والقضاء على الادب كله قضاء خالداً على وجه الزمان .

« باحث »

مطبوعات حديثة

البيان المغرب

— في أخبار ملوك الاندلس والمغرب —

« لابي العباس ابن عذاري المراكشي — الجزء الثالث — اعطني بنشره »

« السيد (إ . لافي بروفنسال) طبع في مطبعة مارسيل ايسناس في مدينة »

« لوقين في بلجيكا سنة ١٩٣٠ من ٣٦٨ »

نشر العلامة دوزي الهولاندي الجزءين الاول والثاني من كتاب (البيان المغرب في أخبار المغرب) لابن عذاري المراكشي في مدينة ليدن سنة ١٨٤٨ — ١٨٤٩ وقدم للجزء الاول مقدمة جليظة بالفرنسية في ١٠٧ صفحات ذكر فيها الغرض من نشر كتاب ابن عذاري وتعرض لمواضع نافعة من تاريخ الاندلس ، وكان فيه الثبت المقدم في عصره . وقد اختلطت فيما نشر لابن عذاري قطع من نظم الجمان لابن القطايب في الجزء الاول ، وأخرى من تاريخ عريب في الجزء الثاني . اما الجزء الثالث الذي ظفر به الاستاذ بروفنسال في خزانة الاستاذ السيد محمد عبدالحلي الكتاني بمدينة فاس فهو في خبر لمثونة والموحدين والحفصيين والنصرية والمرينية الى عام ٦٦٧ ، والغالب ان مانشره هو قطعة سالحة من الجزء الثالث ، لان الحوادث لم تتسلسل الى اكثر من سنة ٤٦٠ هـ اي حوادث أعوام تفرق امر الجماعة ونوالي المتوثبين على الخلافة الأموية في الاندلس . وفي هذه الصحف المنشورة صحائف من المخازي والانحطاط ، او ضعف الوازعين الديني والديوي ، لم تسلم معها الاندلس قرنين آخرين الا بقيام دول فتية أنتمها من بر العدو اي من سواحل إفريقية فاستولت عليها ، وقاومت فيها ملوك اسبانيا والبرتغال أعواما طويلة الى ان تأذن الله بانقراضها الاخير .

وبالجملة فقد ذكر المؤلف (ص ١٥٥) ما كان من تداول الولاة الامراء والشوار من حين الفتح الى خلافة عبد الرحمن الداخل ، ثم تداول الامراء الامويين من بعده الى دولة ابن ابي عاصر وابنيه ، وذكر من ولي الخلافة بقرطبة في زمان الفتنه الى سنة ثنتين وعشرين واربعمائة ، وهو حين خلع اهل قرطبة بني أمية اجمعين ، ثم ذكر ما كان من اخبار المتغلبين على بلاد الاندلس عقب هذه الفتنه المبيرة . وكل ذلك سلاسل من المظالم والحروب الاملية المؤلمة .

وقد مني هذا الكتاب بنقص بعض الكلمات او السطور او الصفحات في اجزائه الثلاثة . ومع هذا كان في ما نشر منه فوائد يتلقتها الباحث في تاريخ الاندلس ، بل الباحث في تاريخ الادب ، لان معظم عبارات ابن عذاري ومن نقل عنهم من المؤرخين هي عبارة عن نموذجات رافية في الانشاء الاندلسي ، وبقدر ما بلغت المدنية عند الاندلسيين من الاستفاضة على نحو ما تراها في اكثر عمالك الغرب لعمري ، كانت المنازعات قائمة بين القائمين بالامر الى التي ليس بعدها . فقد نقل ابن عذاري في اخبار هذيل احد امرائهم انه كان « ارفع الملوك همه في اكتساب الآلات وهو اول من بالغ الثمن بالاندلس في شراء القينات اشترى جارية ابن عبد الله المتطبب ، بعد ان اجمعت الملوك عنها لغلاء سوما بثلاثة آلاف دينار فملكها ، وكانت واحدة الفيان في وقتها ، لانظير لها في معناها ، لم ير اخف روحاً منها ، ولا املح حركة في جميع امورها » . « قال ابن حبان في تاريخه : لم ير في زمانها اخف منها روحاً ، ولا اصرع حركة ، ولا ألين اعطافاً ، ولا اطيب صوتاً ، ولا احسن غناء ، ولا أجود كتابة ، ولا أجود خطأ ، ولا ابداع أدباً ، ولا احضر شاهداً ، مع السلامة من اللحن في كتبها وغنائها ، لمعرفتها بالنحو واللغة والعروض ، الى المعرفة بالطب وعلم الطبائع ومعرفة التشريح ، وغير ذلك مما يقصر عنه علماء الزمان . وكانت محسنة في صناعة الثقاف والمجادلة بالتران ، واللعب بالرماح والسيوف والخناجر المرفهة ، لم يسمع لها في ذلك بنظير ولا مثل ولا عدل . ثم ان الامير هذيل اشترى كثيراً من الجواري الحسنات المشهورات بالتجريد طلبهن في كل جهة ، فكانت ستارته احسن ستائر ملوك الاندلس ، وكان مع هذه الاوصاف كنفاً للقصاد ، ومنهلاً عذباً معيناً للوراد ، سهل المأخذ لم يزل على احسن حالاته ، الى ان أدركته منيته ، فمات

بالسبعة سنة ست وثلاثين واربعمئة فكانت دولته ثلاثاً وثلاثين سنة كلها آمنة هادئة
اهـ . « وأمة تخرج قبنة جمعت هذه الصفات من النبوغ ، نعد في أرقى درجات الحضارة ،
وأمة تتناغم على هذه الصورة في المنافسة في اقتناء القيات بنحل منها كيائها ولو بعد
جيل أو أجيال .

هذا والاستاذ الناصر الشكر على هذه التحفة لو خلت من غلطات كثيرة مطبعية
وغيرها . اما جودة الطبع والفهارس التي وضعها المحرر ، وهو أستاذ كلية الادب في
جامعة الجزائر ومدير معهد المباحث العالية المغربية برباط الفتح في المغرب الأقصى ،
فشيء عودناه علماء المشرقيات كلها ، متى أرادوا نشر كتاب من كتب العرب .
محمد كرد علي

الديمقراطيون البلجيكيون

« سنة ١٧٨٩ »

تأليف السيدة سوزان تاسيه ص ٤٧٩ طبع في بروكسل

Suzane Tassier : Les démocrates belges de 1789. Publié par
l'Académie royale de Belgique

هذا تاريخ الثورة التي قام بها سنة ١٧٨٩ ، القسم الاعظم من البلجيكيين ليتحرروا
من رق النمسا ، وكانت بلادهم صارت اليها بحكم الوراثة ، فاغتم الوطنيون البلجيكيون
الاعمال السياسية في اوربا واميركا ، وكانت الثورات تهر العالم منذ سنة ١٧٧٤ بدأت
بالولايات المتحدة الاميركية فحرزت من نير انكلترا ، ثم في فرنسا فأنقذت نفسها من
ظلم الملوك ثم في هولاندة . وكانت أفكار الثورة الافرنسية انتشرت في البلجيك بين
اكثر الطبقات ، واشتد جوزيف الثاني في حكمه الاستبدادي ، وساعد الثائرين ان
أغلقت الحكومة زهاء مئة وخمسين ديراً فانضم بعض رؤساء الدين الى الثائرين الذين
ديروا أمرهم وقاموا بزعامة احد الحاميين المشهورين واسمه (فونك) وبذل بعض الغيورين
مالاً ، واقتنت الامة السلاح ، صنعت في أرضها كما صنعت الخراطيش ، وبدأوا ثورتهم

بثلاثة آلاف شاب دربهم على حمل السلاح احد قدماء قواد البلجيك في ارض
 مجاورة للبلاد النائرة ، وثارت الامة كلها في يوم واحد وقبضوا على ضباط النمسا ،
 وفتحوا السبيل لجندها الى الحرب ، ورشوا بعضهم بالمال فكانت ثورة بلجيكا اشبه بثورة
 سيبة لم تتمكن معها النمسا من انجاد حاميتها في البلجيك لبعده المواصلات في ذاك العهد .
 ثم ساعدت فرنسا وانكسرت البلجيكيين على امانهم ، لان انكلترا لا تحب ان تكون
 سواحلها امام سواحل دولة قوية ، وكذلك فرنسا لا تحب ان تجاور دولة مشاكسة .
 استندت مؤلفة هذا الكتاب في تأليفها الى وثائق سياسية يصعب على كل باحث
 الوصول اليها ولذلك حاز عملها استمسان المجمع العلمي الملكي في بلجيكا الذي نشكر
 له هديته النفيسة .

م . ك



السيد محمد كرد علي (رئيس الجمعية العلمية العربية)



الامير شكيب أرسلان



الشيخ عبد القادر المغربي



الشيخ بدر الدين النساني



الشيخ إبراهيم مندر



السيد موزيل



السيد كرنكو



الشيخ رشيد رضا



الشيخ كامل النزي



السيد جميل صدقي الزهاوي



أحمد شوقي بك



السيد فران



السيد بقر



الاب بلاسيوس



السيد هومل



السيد زكي ماسود



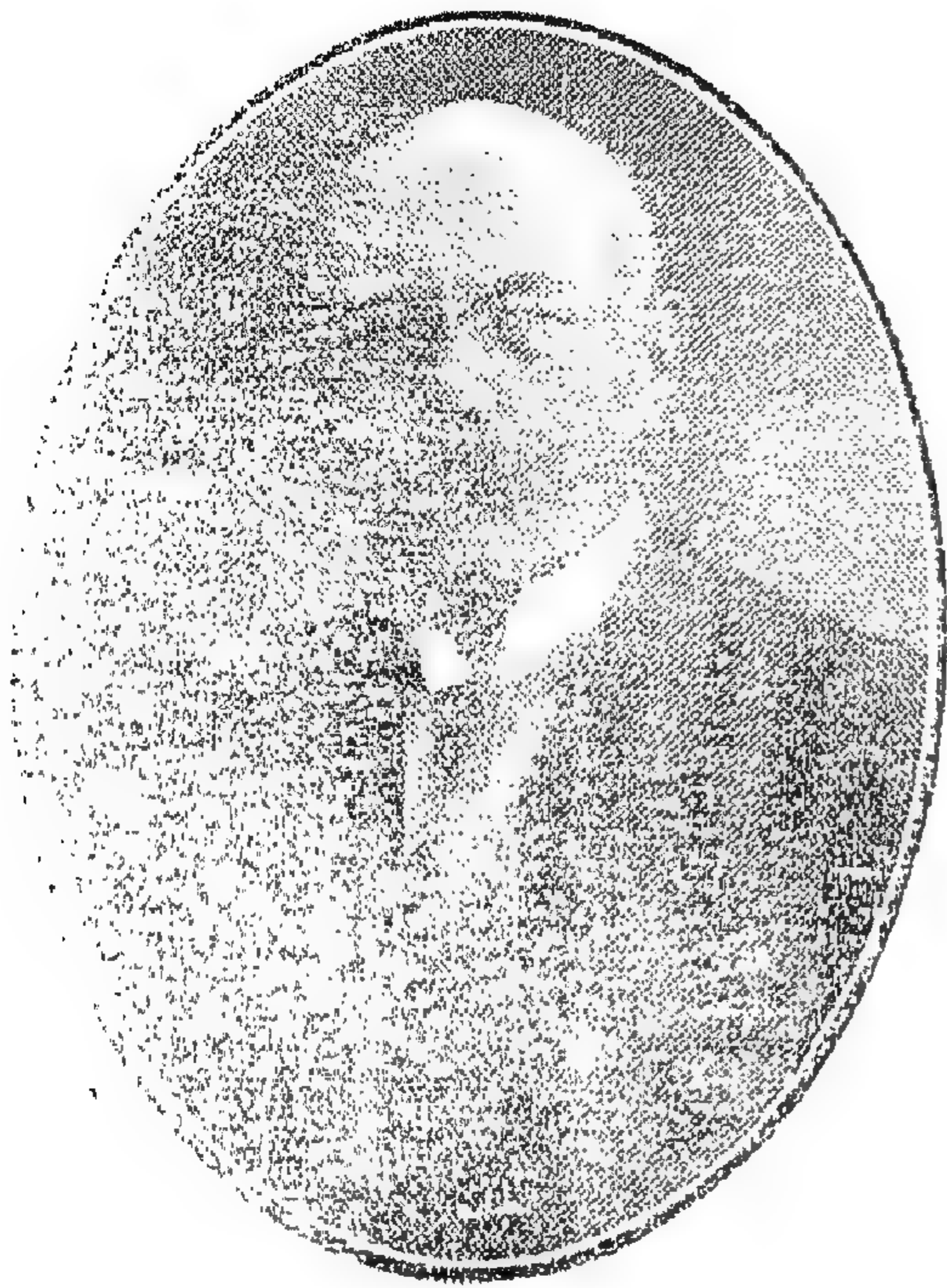
الشيخ احمد الاسكندري



السيد فخر الدين الحجازي



الاب الحسن ماري الكرمل



السيد سترسن



السيد فارس الحوري



السيد مرجليوث



السيد كاظم الدجيلي



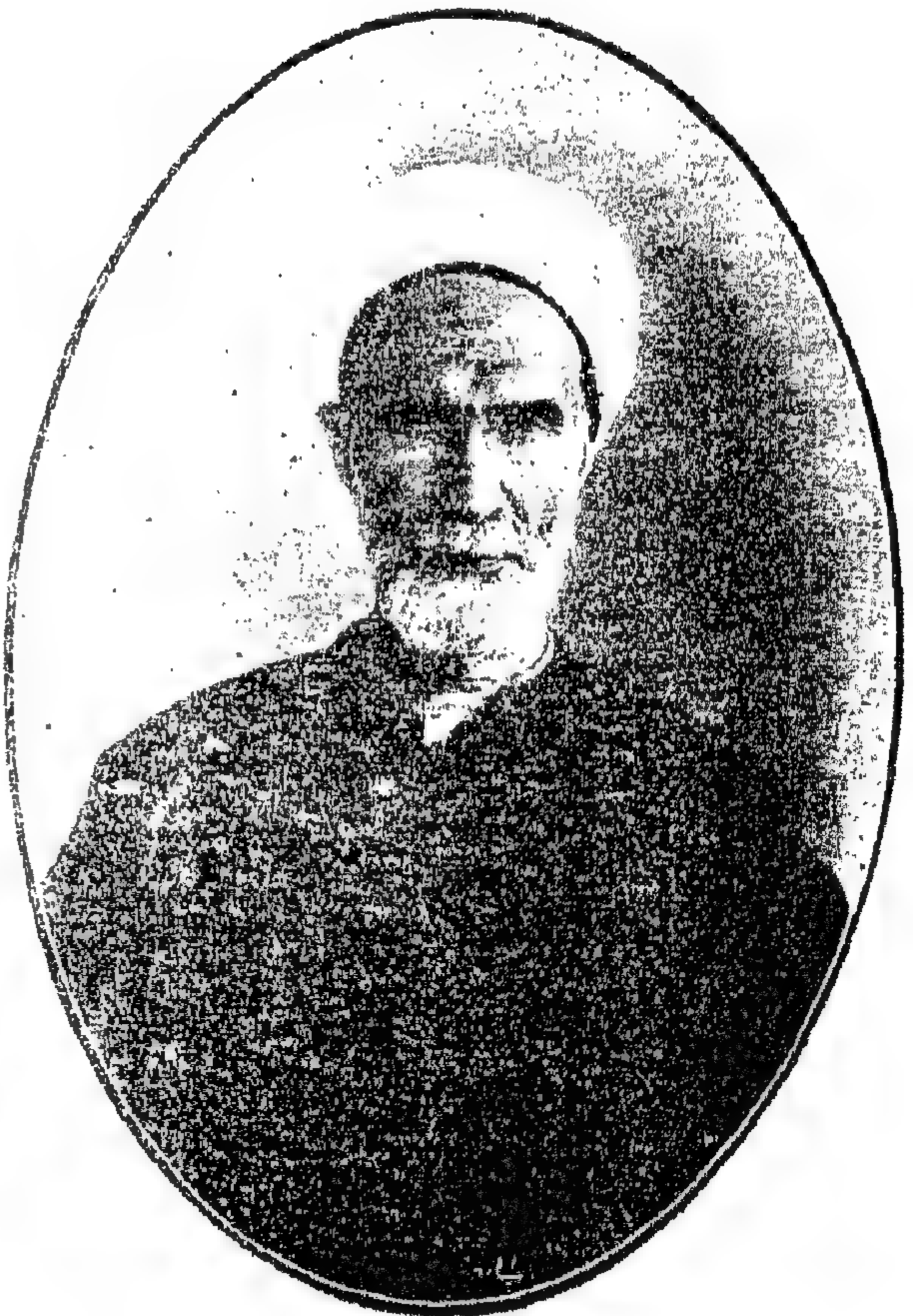
الشيخ عبد الحميد الجباري



الشيخ محمد زين العابدين



احمد لطفي بك السيد





الشيخ احمد رضا



الشيخ رضا الشبيبي



السيد انيس سعود



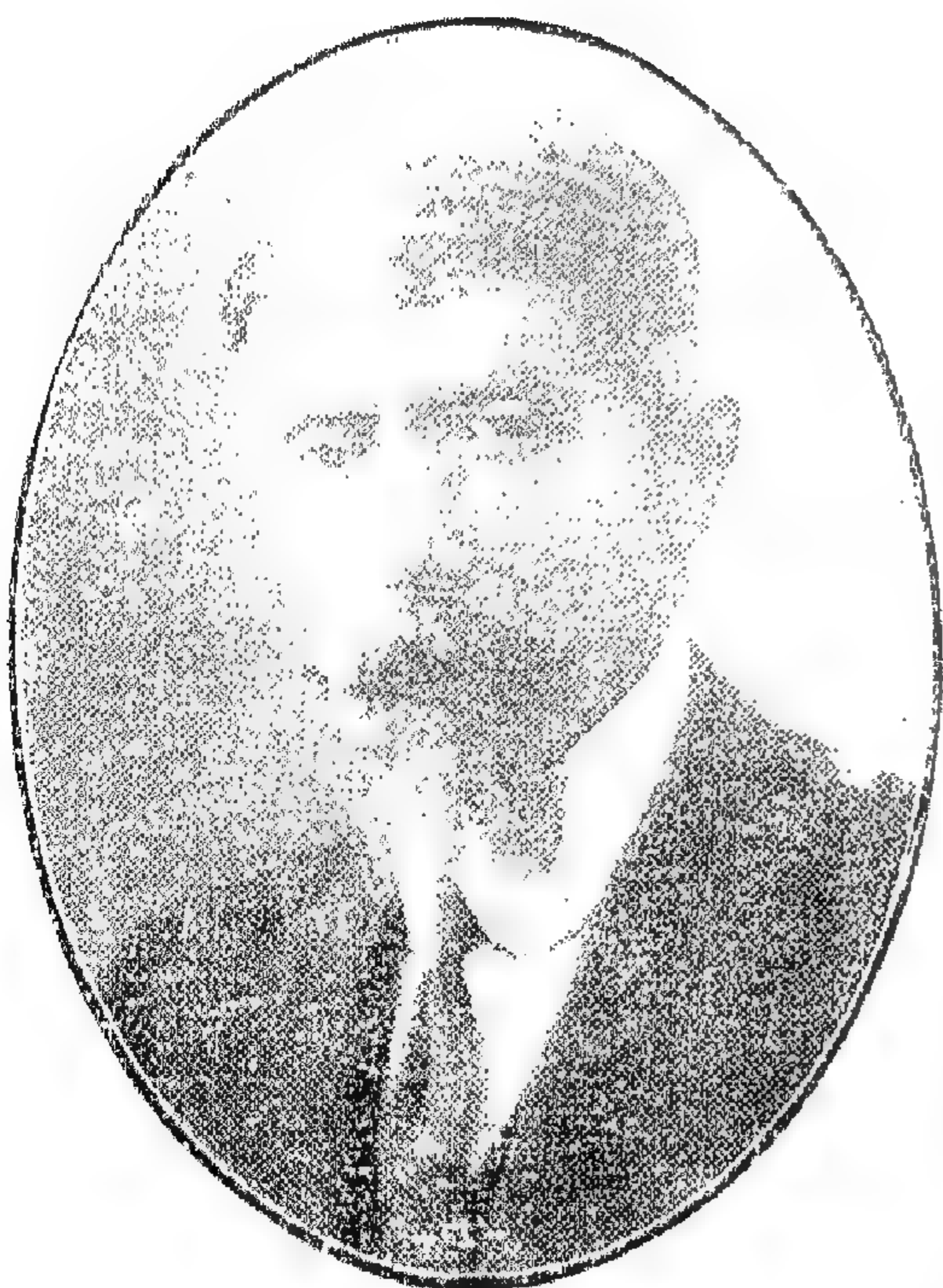
السيد تيسى امكندر المفلوف



شیخ محمد بن علی



آقای محمد علی





الامير مصطفى الشهابي

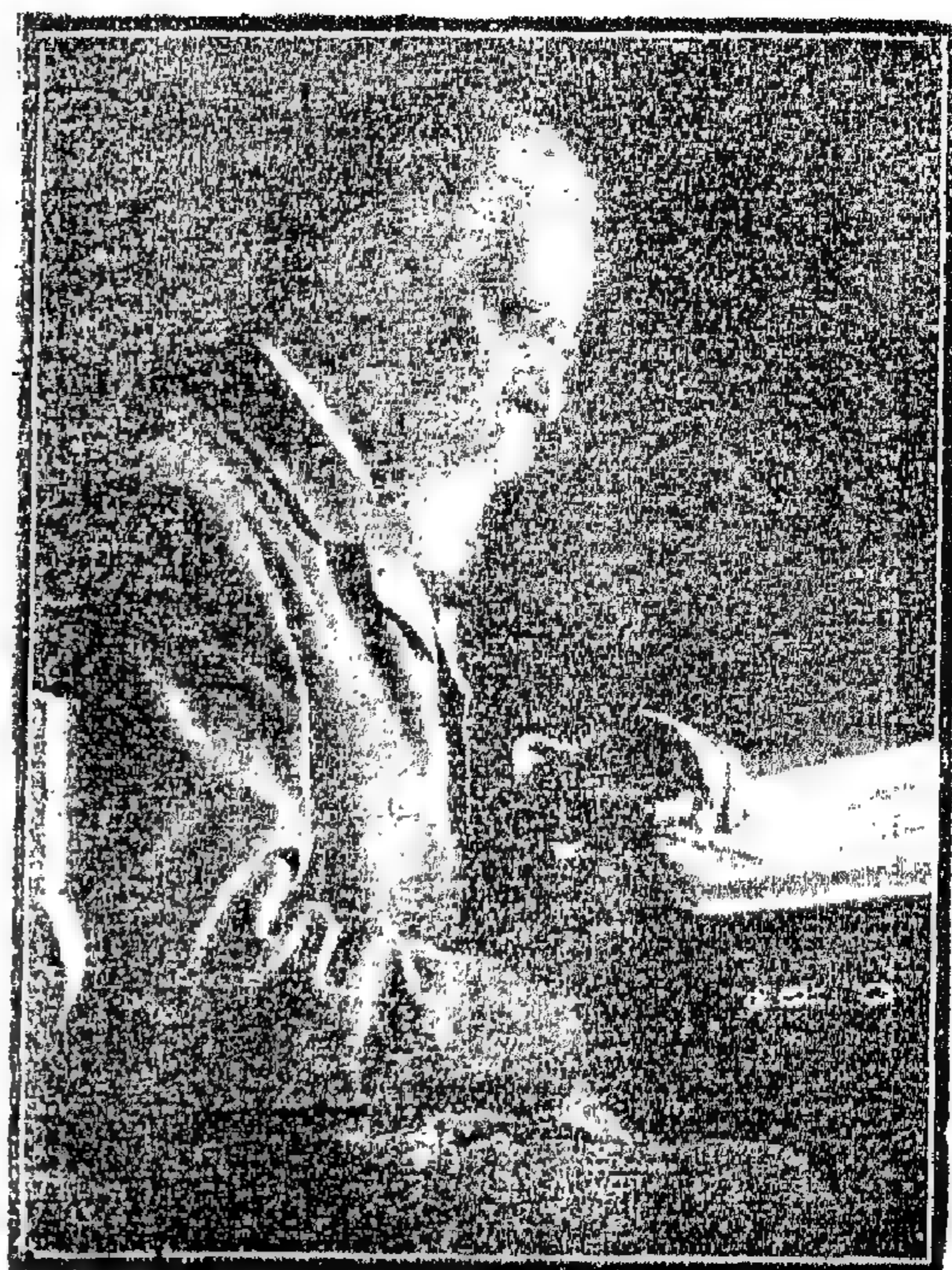


السيد عارف النكدي





السيد جرجي يني



السيد جرجي يني



السيد ارتوري



النبكوز - فليب دي طرازي



الدكتور سعيد أبو حمرة



السيد أبو حمرة



السيد أسعاف النشاشيبي



السيد معروف الرصافي



السيد كراشتوفسكي



السيد فيليب حتي



السيد هوتسما



السيد اسعد خليل داغر



الدكتور اسعد الحكيم



السيد خليل مردمجو



الدكتور امين المعلوف



السيد عبد العزيز الميمنى الراجكوتي



السيد امين اريشاني



السيد رشيد بقدوس



السيد عبد الله مخاض



السيد احمد امين



السيد شفيق جبري



السيد هارتمان



الدكتور مرشد خاطر



السيد عمر الفاخوري



السيد مصطفى صادق الرافعي



السيد احمد حسن الزيات



الدكتور احمد عيسى



السيد هوروفيتز



السيد حسن حسني عبد الوهاب



السيد بولس الخولي



السيد ماهر



السيد عبد الله وعد

مقاييس اللغة

« لابن فارس »

—*—

أول من فكر في وضع معجم لغوي على ترتيب سهل معه تناول كلمات اللغة هو الامام الخليل بن احمد في كتابه الذي سماه (العين) . لكن وُجد في نسخ هذا الكتاب تخطيط وخلل حمل الناس على الشك في نيته اليه . حتى قام ابن دريد فوضع كتابه (الجمهرة) فقالوا اليها . وعوتوا في الاستفادة عليها . ووُجد في علماء اللغة من ينافس ابن دريد في علمه . وينال منه ومن كتابه . فكانت هذه المنافسة بينهم مفرقة لم على وضع معجم آخر اتم وأكمل من (الجمهرة) و (العين) . فالفوا (المؤعب) و (الغني) و (الجامع) و (البارع) و (المحكم) و (المجمل) و (الصحيح) و (التنذيب) وغيرها . بحيث لم يفتقر القرن الرابع حتى أرسل بعض الملوك الى صاحب بن عباد يسأله القدوم عليه . فكتب معتذراً اليه : (أحتاج الى ستين جملاً أثقل عليها كتب اللغة التي عندي) غير ان السبوطي (حوالي الألف للهجرة) نذب هذه الكتب وتأسف على فقدانها وقال : (ان الكتب الموجودة الآن في اللغة من تصانيف المتقدمين والمتأخرين لا تجي جملة جملة واحد) فأين ذهب حمل اللغة والخمسين جملاً ؟ ذهبت بها حروب النار في مشرق بلاد الاسلام . وحروب الاسبانول في غربها . وحروب الصليبيين في وسطها . وما اذا الآن اقرأ كتاب (الاعتبار) لأسماعيل بن منقذ فأسمعه يوتج (بلدوين الثالث) ملك القدس على غدره باهل أسامة وأولاده الذين أعطاهم الأمان فيحطرونهم من مصر الى دمشق . فلما وصلوا الى عكا أمر الملك بكسر البطسة^(١) بالفؤوس وقتل النساء وسلب جميع ما في البطسة ولم يبق لركابها الخمسين نفساً سوى خمسمائة دينار وصلوا بها الى

(١) البطسة نواع من السفن.

دمشق . فحمل الملك نور الدين الشهيد يهون الامر على أسامة . وبيته بسلامة أولاده ونسائه . فصبر أسامة على خسارة ثلاثين ألف دينار صبر الكرام . ثم قال : (الاماذهب لي من الكتب فانها كانت اربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة فان ذهباها حرازة بي قلبي ما عشت) .

وكان علماء اللغة ينحون في تصانيفهم مناحي مختلفة ما بين مطول ومختصر . وعام في انواع اللغة . وخاص بنوع منها .

واكثر تصانيف اللغة تداولاً في الأيدي وأفرجها تداولاً من الأذهان كتب المعاجم التي تسرد مفردات اللغة مرتبة ثم تذكر إزاء كل كلمة معناها . اما التصانيف الأخرى التي توضع في فلسفة اللغة او في بيان أسرارها وغوامضها او في نوع خاص من أنواعها ومباحثها كالكتاب الذي ألفه الأحمدي في الأجناس . وكتاب الزواجر لأبي زيد وكتاب الغريب لأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرها — فان أمثال هذه الكتب تقتصر فائدتها بعلماء اللغة المتبحرين فيها . المتوفرين على نقضي شواردها . ومن ثم نقل نسخها في الأيدي . بوقطع من الأسواق . ولا يكاد يوجد منها الا نسخ معدودة في دور الكتب العامة او الخاصة ببيوتات العلم .

ومن طرائف الابحاث اللغوية البحث المتعلق بتاريخ اللغة . مذ كانت في عهد نشأتها حتى استوت على سوقها وتثبت فروعها . وينطوي في ذلك شرح خصائصها التي تمتاز بها على سائر اللغات والتنويه بالعلماء الذين توفروا على خدمتها بمختلف المصنفات . هذا الفن هو الذي أحسن المعاصرون ترتيبه ونبويه وسموه علم تاريخ آداب اللغة . والكتب التي ألفها علماؤها فيه قليلة جداً : أشهرها في القديم (فهرست ابن النديم) وأشهرها في الحديث (مذهب السيوطي) .

ومن طرف مباحث اللغة البحث المتعلق بانساب اللغة وتولد كلماتها من أصل واحد . فالأصل إفراد بمثابة الأم . والمشتقات المختلفة المعاني بمثابة السلالة فينألف من المجموع أسرة واحدة هي (الأسرة اللغوية) ومنها تتكون اللغة كما تتكون الأمة من أسرها .

هذا البحث من أدق مباحث اللغة . ولا يجيد فيه الا القليلون من علماءها بل لا يجيد فيه الا من تمكن من علمي الصرف والاشتقاق كما يلمح مما قالوه في ترجمة (ابن جني) امام هذا

الفن — فن السلالات اللغوية — قالوا (انه كان في التصريف إماماً لا يشق له غبار) .
 وابن جني في الواقع ونفس الامر هو ابن مجدة هذا الفن . ولم يجر معه فيه الا ابن
 فارس أحد أئمة اللغة المشهورين وكافا في عصر واحد — عصر النهضة العربية الزاهر —
 عصر المتنبي والصاحب بن عباد — فقد توفي ابن جني سنة ٣٩٣ هـ وابن فارس سنة ٣٩٥ هـ
 وألف ابن جني في هذا الفن كتابه (الخصائص) كما ألف ابن فارس كتابه (مقاييس اللغة)
 بيد أن ابن جني بحث في كتابه عن (الامرء اللغوية) من جهة تولد ألفاظها وتشعب تراكيبها
 بهرifa واشتقاقاً . إعراباً وبناءً .

أما ابن فارس في مقاييسه فقد جعل معاني الكلمات أساساً للبحث في تشعبها وتناسلها
 وتولد بعضها من بعض .

وهذان الامامان في المتقدمين كالمرحوم (احمد فارس الشدياق) في المتأخرين المعاصرين:
 فقد ألف احمد فارس كتاباً ممتعاً في تكون (الأمرء اللغوية) سماه (سر الليال في القلب
 والابدال) هذا فيه حذو (احمد بن فارس) في مقاييسه حذو القذة بالقذة . فكانا فارسي
 هذا الميدان اسماً وتلقبياً . كما كانا فارسيه تجويداً في الموضوع وتهذيباً .

والكتابان (الخصائص) و (سر الليال) طبعاً . وتداولتهما ايدي الفضلاء .
 أما ثالثهما (مقاييس اللغة) فلم نر له نسخاً مخطوطة دع عنك المطبوعة . وان كان المرحوم
 (جورجي زيدان) قال لنا في كتابه تاريخ الآداب العربية (انه اليوم يطبع في مصر)
 لكننا لم نر أثراً لهذه الطبعة فلعلهم هموا ولم يفعلوا .

ومؤلف (المقاييس) احمد بن زكريا بن فارس الرازي من أئمة اللغة وكبار مؤلفيها .
 وكان الصاحب بن عباد يكرمه ويثلث له ويقول : « شيخنا ابو الحسين ممن رزق حسن
 التصنيف . وقد آمن فيه من التصحيف » .

وترجم له ياقوت في معجمه (جزء ٢ ص ٦) وعدد له من المصنفات نحو خمسة وعشرين
 كتاباً أشهرها (المجمل) الذي قال في اوله « قد ذكرنا الواضح من كلام العرب والصحيح
 من دون الوحشي المستنكر » وقال في آخره مبيناً السبب في تسميته بالمجمل (قد توخيت
 فيه الاختصار . واقتصرت على ما صح عندي سماعاً . ومن كتاب صحيح النسب مشهور »

يعني انه لم يودع كتابه من كلمات اللغة الا كلمة سمعها من لغوي بثقة . او اقتبسها من كتاب بثقة .

اما كتابه (مقاييس اللغة) فقد كدنا نشك في ان يكون له لان بعض من كتب سيرته لم يذكر نسبة هذا الكتاب اليه : فابن خلكان مثلاً لم يذكره في جملة مصنفاته . والمرحوم (زبدان) لم يذكره ايضاً في جملة مؤلفيه في محتويات مكتبة (آل كاشف الغطاء) في النجف ولم ينسبه الى مؤلف ما وبعد سطر قال : « ان من محتويات تلك المكتبة كتاب المحمل لابن فارس » فهذا يدل على انه كان يجهل مؤلف كتاب المقاييس .

وبينا كنا في حيرة من امر هذا الكتاب اذا نسخة منه مصورة بالفوتوغراف تعرض على مجمعنا العلمي فتجددت لنا الرغبة في زيادة الاستيثاق من امر نسبة هذا الكتاب الى (ابن فارس) فلم نلبث ان ظفرنا بنسبته الصريحة اليه في كتاب (معجم الادباء) لياقوت فقد عدّه في جملة مؤلفاته وقال « انه كتاب جليل لم يصنف مثله » . وزادنا ايماناً بهذه النسبة ما ذكره السيوطي في كتابه (المزهر) « جزء ١ ص ٢٨٦ طبعة الرافعي سنة ١٣٢٥ هـ) مذ تكلم على النحت ونقل فصلاً من كتاب (فقه اللغة) لابن فارس قد ختمه بقوله « وقد ذكرنا ذلك بوجوه في كتاب مقاييس اللغة » فلم تبق شبهة في امر نسبة الكتاب اليه .

اما مخطوطات (المقاييس) فقد علمنا من الاستاذ (زبدان) ان منه نسخة في مكتبة (آل كاشف الغطاء) وعلمنا من احد الفضلاء ان في آستان ثلاث مخطوطات منه : واحدة في مكتبة الشام . وأخرى في مكتبة نصيرالدولة احد وزراء ايران السابقين . والثالثة في طهران في مكتبة مدرسة المروي . والمؤلفي هذا هو احد وزراء (فتح علي شاه) وهي التي اخذت عنها الصورة الفوتوغرافية وعرضت على مجمعنا فلم نتردد في شرائها . وتزين المكتبة بها .

وقد تقبينا عن نسخة خامسة لهذه النسخ الاربعة فلم نجد : نقبنا في فهارس مكاتب اوربا ومصر والامانة فلم نجد شيئاً . حتي ان فهرست مكتبة بولينا لم يذكر مقاييس اللغة مع مانه يذكر طائفة من مصنفات احمد بن فارس .

والنسخة المصورة عن نسخة مكتبة المروي تبلغ (٧٧٩) صفحة . وهي بقطع دوت المتوسط وخطها من الفسخي الحسن الصغير الحروف وفي الصفحة الواحدة (٢٧) سطراً . وقد ختمها ناسخها بقوله : « قد وقعت الفراغة من كتابة كتاب المقاييس اللغة (كذا) » وتحتها ختم جميل الشكل فيه ثلاثة أسطر مكتوبة بخط فارسي انيق هكذا « وقف . محمد حسين علي . مدرسة الفخر الطهران (كذا) » ولم يذكر كاتب النسخة اسمه في آخرها ولا اسم البلد التي كتبت فيها ولا تاريخ كتابتها . ويظهر من نسق الخط وأشكال حروفه ان النسخة كتبت بعد الألف للهجرة . وكنا ننصف فصولاً منها فيجد أحياناً تحريفاً وتصحيحاً لكنه قليل . يظهر ذلك من النموذجات التي عزمنا على اقتباسها من الكتاب ونشرها تباعاً في مجلة المجموع . ونبدأ بكتابة المؤلف وقد حلك فيها مسلك الايجاز كما هي عادة المؤلفين الأقدمين فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله . وبه نستعين . وصلى الله على محمد وآله أجمعين . قال احمد أقول وبالله التوفيق . ان اللغة العرب مقاييس صحيحة . واصولاً تفرع منها فروع . وقد ألف الناس في جوامع اللغة ما ألفوا ولم يعرفوا شيء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس . ولا أصل من تلك الأصول . والذي أومأنا اليه باب من العلم جليل . وله خطر عظيم . وقد صدرنا كل فصل باصله الذي يفرع منه مسائله حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل . ويكون الجيب عما يسأل عنه مجيباً عن الباب المبسوط بما وجز لفظ وأقر به . وبناء الامر في سائر ما ذكرناه على كتب مشهورة حالية تحوي أكثر اللغة : فأعلاها وأشرفها الخ . ثم ذكر المؤلف الكتب التي اعتمد عليها وهي خمسة : (١) كتاب العين للخليل بن احمد . (٢) كتاب غريب الحديث لأبي عبيد (٣) كتاب مصنف الغريب له ايضاً . (٤) كتاب المنطق لابن السكيت . (٥) كتاب الجمهرة لابن دريد . ثم قال : فلهذه الكتب الخمسة متعمداً فيما استنبطناه من مقاييس اللغة نوما بعد هذه الكتب فمحمول عليها نراجع اليها ، حتى اذا وقع الشيء النادر نصنأ الى «قائله» . ثم شرع في مباحث كتابه فافتتحه بباب الهجزة وما بعدها ، وقد رأينا ان نقارن بين مقالته احمد بن فارس في الهجزة والبناء ، ومقالته احمد فارسي في كتابه (مر اللبال) ليعتقن المقارن وخذة موضوع كتابيهما وتشابه طريقتيهما في بحثهما . وهذا ان هما :

مقاييس اللغة

— لاجمدين فارس —

باب الهمزة

« في الذي يقال له المضاعف »

اعلم ان الهمزة والباء في المضاعف
أصلين أحدهما (المرعى) والآخر (القصد)
والتهيو، فأما الأول فقول الله عز وجل :
(وفاكهة وأب) قال أبو زيد الأنصاري :
لم أسمع للأب ذكرًا إلا في القرآن . قال
الخليل وابن^(١) زيد الأب المرعى بوزن فعل
وانشد ابن دريد شعر :

(جذمنا فبس ونجد دارنا

ولنا الأب به والمكرع)

وانشد شبيب بن عذرة لابي داود شعر :

(يرعى يروض الحزن من أبته

قربانه في عانة تصحب)

اي تحفظ ، يقال صحبك الله اي حفظك

قال ابو اسحق الزجاج (الأب) جميع

الكلا الذي تعمله الماشية كذي (كذا)

روي عن ابن عباس (رضي الله عنه) . فهذا

اصل . واما الثاني : فقال الخليل وابن دريد الاب

مصدر أب فلان الى سيفه اذا رد يده اليه

(١) كذا في الاصل ولعل ضوايه ابن

دريد او ابو زيد .

سر الميال

— لاجمدين فارس —

أب

ذكر المصنف أولاً عبارة صاحب

القاموس في معاني مادة (أب) المختلفة ثم
أتبعها بقوله :

« قلت : كان يجب عليه ان يجمع معاني

الفعل كلها في موضع واحد . وعندي ان

اول هذه المعاني أب الشيء حركة وهو حكاية

صوت ونحوه وب وهف لحركة الريح وخب

لعدو الفرس وحف لصوت ركضه وقب

لصوت ناب الفعل وعب لصوت جزع الماء .

وأب للسراي تهياً من معنى الحركة ونحوه

عباً المتاع والأمر هياً . وجاء ايضاً أهـ

للأمر وتأهب اي امتعد . ومن هذا المعنى

فيل : أب هنم بحملة والى وطنه اشتاق

وجاء الوب التهيو للعملة في الحرب كالوبوبة

ونحو أب أبته أم أمته وحم حمه وأمه

وبمه . و(الأب) للكلا من معنى القصد .

ولك ان تقول انه من معنى الحركة المقرونة

بالاشتياق اذ هو عند العرب من اعظم ما يشوق

اليه ولهذا قال تعالى (ثم شققنا الارض شققاً

فأنبثنا فيها حباً) الى قوله تعالى (وفاكهة

وأبا) وقال ايضاً (وانزلنا من المعصرات ماء

ليست له ، الأَب في قول ابن دريد النزاع
الى الوطن والأَب في روايتهما التهيؤ للسير
وقال الخليل وحده : أَب هذا الشيء اذا
تهيباً واستقامت طريقته ابابةً وانشد للاعشى :
(صرمت ولم اصرمكموا وكصارم
أخ قد طوى كشعاً وأب ليذهبا)
وقال هشام بن عتبة في الابابة شعر :
(رأب ذو الحضر الباء اي ابابه
وفوضت نية أطناب تهيم)
وذكر ناس ان الأطباء لا ترد ولا يعرف
لها ورد . قالوا : ولذلك قالت العرب في
الأَباب : ان وجدت فلا عباب وان عديم
فلا أباب : معناه ان وجدت ما (ماء) لم تعب
فيه وان لم تجده لم تأب لطلبه والله أعلم بصحة
ذلك . والأَب القصد يقال : أبنت أبة
وامت أمه وحممت حمته وحردت حرده
وصمدت صمده قال الراجز يصف ذئبا شعرا :
(مر مدل كرشاء الغرب
فأبى أب غمني وأبني)
اي قصد قصدها وقصدي اه .

هذا وفي الجزء التالي من الحملة تنقل للقاري من المقاييس نموذجات أخرى توضع
غايته وتبين طريقته .

« المغربي »



اول عهدي بالملاحظ^(١)

- ٢ -

كان حقاً عليّ بعد ان فرغت من الكلام على ابي الطيب المتنبي وهو اول شاعر حفظت من شعره في حادثة السن ما يصقل الخيال ويشحذ العاطفة وينبه الشعور ان ابدأ بالكلام على عبدالله بن المقفع وهو اول كاتب استظهرت من كلامه ما يعين على تقويم البهتان وصحة التعبير وجودة السبك ، فما استقضت الا بضياته ولا استرشدت الا برشده ، انه الكاتب الذي صلت أساليبه لكل دهر ، واظن ان كثيراً من المتأدبين استعانوا بابن المقفع على صناعة التمرسل ، على اني لا أرى ان يقتصر المتأدب على كاتب واحد فلا يعرف الا من يجره ، وانما أرى ان ينتقل من كاتب الى كاتب دون شيء من التقيد. فاذا فعل هذا استطاع ان يأخذ عن كل كاتب ما بطيب و يقتبس عنه ما يجسرت حتى يصبح صاحب أسلوب منفرد به .

نعم كان حقاً عليّ ان ارجع الى الآثار التي ابقاها ابن المقفع في خاطري فأبعت هذه الآثار من مرافدها ولكني لا أدري ما الذي حملني على ايثار الكلام على الجاحظ ، اذاثرت هذا الكلام لان الجاحظ أبعد مذاهب وأوسع آفاقاً فان الباحث يجد سيفه نواحيه مجال القول ذا سعة ولكن هل يجد لساناً قائللاً واي لسان يحيط بوصف الجاحظ واي بحث ينفذ بصاحبه الى تصوير عبقريته بمجاميعها ، وكيف كان الامر فقد عولت على انامضي القول في الجاحظ في سنتنا هذه ، وقبل ان أحاضر بشيء من هذه الناحية رأيت ان استشير الذاكرة حتى اقول لكم : كيف انضلت بالجاحظ وكيف ذهبت في الولع به كل

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبزي عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

..مذهب.. وقد يفتح لكم رجوعي الى الماضي باباً من ابواب الجاحظ . تعرفون منه اليسير من
..مخصائص.. عبقريته فيستنهضكم هذا اليسير من اليوم لمطالعة فصوله واملاء خواطركم من
..طرائفها.. ولطائفها .

..من عشر سنين اشتريت كتاب (الكامل) للبليارد وعلى هامشه فصول مختارة من كتب
ابي عثمان قرأت اول هذه الفصول وهو مقتطف من كتابه في الحاسد والمحسود وقد
فتنت بهذا الفصل .الفتنة كلها حتى وصلت الى قوله :

« وما اقيمت حاسداً قط الا تبين مكنونه بتغير لونه وتختوص عينه واخفاء سلامه
والاقبال على غيرك والاعراض عنك والاضيق لحدثك والخلاف لرأبك » .
..فاحتوقفتني هذا الكلام فقلت في نفسي : ما اعلم صاحبه بطبيعة البشر ، ما الصفة
بداخلهم ومخارجهم ، ما اكشفه لا غطية قلوبهم بكاد لا يخفى عليه شيء مما تشتمل عليه
..جوانحهم.. انه لشديد التدقيق بقراءة على صفحات الوجوه . ما كتب في اعماق الصدور . نعم
لما وصلت الى صفات الحاسد وبجي : . تغير اللون . وتختوص العين واخفاء السلام . وما شابه
ذلك قلت في نفسي : لا يتخلو الجاحظ من ان يكون محسوداً في عصره حتى كان يقع نظره
على حاسده فيأمل في وجهه ، ومن منا لا يعرف الحاسد ، ومن منا لم يرتخص هذه
للعين وتغير هذا اللون في كل يوم ، لقد قلت في نفسي لا يتخلو الجاحظ من ان يكون
محسوداً . في عصره حتى كان الصيف المنصرم وقد عكفت على مطالعة كتبه لتهيأ لي
الكلام عليه فمن الكتب التي ظلمتها : كتاب المحاسن والاضداد والبيكم ماجاء في مقدمة
هذا الكتاب فلا بأس بان اتلو عليكم هذا الكلام حتى تأنسوا من اليوم بكلام الجاحظ
..وتألفوا طراز انشائه قال ابو عثمان :

اني ربما الفت الكتاب المحكم المنقن في الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطاب
والخراج والأحكام وسائر فنون الحكمة راسبه الى نفسي فيتواطأ على الطعن فيهم جماعة
من اهل العلم بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براعته وخصاحته واكثر ما يكون هذا
بينهم اذا كان الكتاب مؤلفاً لملك معه القدرة على التقديم والتأخير والخط والرفع والترهيب
والترغيب فانهم يحتاجون عند ذلك لمحتاج الابل المغتلة فان امكنتهم الحيلة في اسقاط
ذلك الكتاب عند السيد الذي ألفه فهو الذي قصده وارادوه ، وان كان السيد

المؤلف فيسه الكتاب نحريراً نقاباً ونقرساً بليغاً وحاذقاً فطناً وأعجزتهم الحيلة سرفوا معاني ذلك الكتاب والفوا من اعراضه وحواشيه كتاباً واهدوه الى ملك آخر ومشوا اليه به وهم قد ذموا وثلبوه لما رأوه منسوباً اليّ وموسوماً بي ٠٠٠ وربما الفت الكتاب الذي هو دونه في معانيه والفاظه فأترجمه باسم غيري واحيله على من تقدمني عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابي ومن اشبه هؤلاء من مؤلفي الكتب فيأتيني اولئك القوم باعينهم الطاعنون على الكتاب الذي كان احكم من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته عليّ ويكتبونه بخطوطهم و يصيرونه اماماً يقتدون به ويتدارسونه بينهم ويتأدبون به ويستعملون الفاظه ومعانيه في كتبهم وخطاباتهم ويروونه عني لغيرهم من طلاب ذلك الجنس فنثبت لهم به رياسة بأتم بهم قوم فيه لانه لم يترجم باسمي ولم ينسب الي تأليني ٠٠٠

لما فرأت هذه المقدمة سهل عليّ ان ادرك السر في ابداع الجاحظ في وصف الحاسد وفهمت حينئذ ما قاله احد كتاب الفرنجة الكبار : روض قلمك على كتابة اشياء شعرت بها ، فالجاحظ ابداع في وصف الحاسد ومعظم هذا الابداع ناشئ عن انه وصف شيئاً كان يشعر به ويعوذ بالله من شره ولم يجد الفرق في التأثير بين الكتاب مثلاً او بين الشعراء ، اني اعتقد ان هذا الفرق انما مصدره في الأغلب من الأحوال قوة الشعور وضعفه او صدقه وكذبه .

ولكن هل فضلت الكلام على الجاحظ في سنننا هذه لانه برّز في وصف الحاسد فلو كان الامر كذلك فما اضيق مذاهب الجاحظ ؟

فلنستثر الذاكرة مرة ثانية ، كنت في هذا الصيف أطلع كتاباً فرنسياً اسمه (الطريقة الادبية) تكلم صاحب هذا الكتاب على خطاب خطبه (رنان) في السوربون في ٢٩ آذار سنة ١٨٨٨ قال صاحب الكتاب وهو يعني (رنان) :

لقد بين الخطيب ان روح الاسلام الحقيقي انما هو مخالف للعالم واثن نشأ في العالم الاسلامي من القرن الثامن الى القرن الثالث عشر اصحاب فكر واهل عقول راجحة فهذا سببه ان الاسلام في تلك العصور لم ينسبط سلطانه بعد فان الخلفاء اللامعين الذين كانوا في عصر (الكارولنجيان) لم يتكامل اسلامهم وفلسفة اليونانيين العقلية هي التي اضاءت

على عهدهم وكذلك الامر في الاندلس على زمن ابن رشد فقد كان اليونانيون وحدهم ينبوع العلم فالنهضة لم تكن عربية ولا اسلامية وفي اليوم الذي اشتد فيه الاسلام اي من بعد سنة ١٢٧٥ بوجه التقرب ان انحطت عقول المسلمين انحطاطاً يؤسف ويحزن ثم ذكر صاحب هذا الكتاب كلاماً لزان وهذا هو :

« ان الذي يميز العالم الاسلامي انما هو اعتقاد المسلمين ان البحث لا طائل فيه ولا شأن له وانه قد يؤدي الى الكفر ، فعلم الطبيعة يؤدي الى الكفر لان هذا العلم ينازع الله سلطانه ، وعلم التاريخ يؤدي الى الكفر لانه اذا امتد الى العصور التي جاءت قبل الاسلام احيا اذليل قديمة ، فمعتقدات هذا شأنها تؤدي الى النتائج الآتية : اي يصبح خمول الذهن وقلة المبالاة من الفضائل فكلمة : والله اعلم انما هي فصل الخطاب في كل مناظرة اسلامية » .

قرأت هذا الكلام وقلت في نفسي أصبح ان الاسلام حال دون العلم حتى تغلغل في كتب الجاحظ وقرأت كتاب (الحيوان) من اوله الى آخره فاهتديت فيه الى أساليب في تحقيق صاحبه وتجربته في امور العلم يحار فيها الانسان فكان الجاحظ عالم من علماء الحيوان فلا يمر بامر من امور الحيوان سواء أكان هذا الامر صغيراً ام كان كبيراً الا اهتم به وبكفني في مثل هذا المقام ان اذكر لكم كلمته في التحقيق العلمي وهي تجمع لنا كل مذهبه : ليس يشفيني الا المعايينة ، راضن ان الكلام على هذا التحقيق سيطول فأرجئه الى حينه وهذه ناحية من نواحي الجاحظ الجليلة الشأن فان كلمة مثل هذه الكلمة : ليس يشفيني الا المعايينة انما هي كلمة خاطلة في علم الطبيعة وهل علوم الطبيعة الا نتائج المعايينة والتجريب والفرض والمقابلة والتصنيف .

ولم لا اذكر لكم من اليوم أسلوباً من أساليبه في التحقيق حتى نقارنوا بينه وبين علماء الحيوان في عصرنا هذا وحتى نقولوا في انه لكم أفيخلف ابو عثمان عن هؤلاء العلماء . قال وهو يصف الظليم .

باب آخر وهو عندي اعجب من الاول وهو ابتلاعه الجمر حتى ينفذ الى جوفه فيكون جوفه هو العامل في اطفائه ولا يكون الجمر هو العامل في احراقه ، واخبرني ابو اسحق ابراهيم بن سيار النظام وكنا لا نرتاب بجديته اذا حكى عن سماع اوعيان انه شهد محمد بن

عبد الله يلقى الحجر في النار فاذا عاد كالحجر قذف به قدامه فاذا هو يبتلع كما يبتلع الحجر وكنت قلت له ان الحجر يخفف مربع الانطفاء اذا لقي الرطوبات ومضى اطبق عليه شيء يحول بينه وبين النسيم نمد والحجر اشد اسسا كما لما يتداخله من الحرارة واثقل ثقلاً والزق لزوقاً وابطأ انطفاء فلواحميت التجارة فأحماها ثم قذف بها اليه فابتلع الاولى فارتبت به فلما ثني وثالث اشتد تعجبي له فقلت له لو احميت اواقى الحديد ما كان منها ربع رطل ونصف رطل ففعل فابتلع فقلت هذا اعجب من الاول والثاني وقد بقيت علينا واحدة وهو ان ننظر أيسمري الحديد كما يسمري التجارة ولم يتركنا بعض السفهاء واصحاب الخرق ان نعرف ذلك على الايام وكنت عنيت على ذبحه وتفتيش جوفه وقائضه فاعمل الحديد يكون قد بقي هناك لا ذائبا ولا خارجا فعمد بعض ندمائه الى سكين فأحمر ثم القاه اليه فابتلع فلم يجاوز اعلى حلقه حتى طام طرف السكين من موضع مذبحه ثم خر ميتا فمنعنا بخرقه من استقصاء ما اردنا فقتلناكم بما روينا ان الذي يشغل بال الجاحظ انما هو الاستقصاء وهل الاستقصاء خارج عن لوازم العلم فالذي يهتم العالم انما هو التفتيش عن الحقيقة .

فقد يكون الجاحظ حجة بحتج بها من يريد ان يثبت ان في العرب علماء وانما عصرهم غير عصرنا وادوات تحقيقهم هي غير ادواتنا ولو اطرده العلم في ديارهم لبلغ المبالغ . ولكن هل آثرت الكلام على الجاحظ لناحيته العلمية او لناحيته الفلسفية فأين نواحيه الأدبية الخالدة على تراخي الأحقاب وما كان هذا العلم وما كانت هذه الفلسفة لولا ادب ابي عثمان . مازلت اقلب النظر في كتب الجاحظ وانا لا ازداد ثقلاً الا ازددت له تهيباً وبه اعجاباً حتى وصلت الى شيء من نواحيه الادبية واعجبها وافنيتها انما هي هذه اللغة التي الفت اليه طاعتها فصرقها في كل شيء : فاذا كتب في العلم اجرى قلم العلماء واذا كتب في الفلسفة بنى على اصول الفلاسفة واذا كتب في الأدب كتب على اساليب الادباء وعلى مناحيهم وهذه القدرة على اللغة هي التي اوحى اليه مذهبه الأحمري الذي قال فيه : ولكل صناعة الفاظ قد حصلت لاهلها بعد امتحان سواها وقبح بالمتكلم ان يفنقر الى الفاظ المتكلمين في خطبة او رسالة او في مخاطبة العوام والجار او في مخاطبة أهله وعبيده وامته او في حديثه اذا حدث او خبره اذا خبر وكذلك من الخطأ ان يجلب الفاظ الاعراب والفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل ولكل مقام مقال ولكل صناعة تشكّل .

فان الرجل الذي يقرر مثل هذا المذهب الأدبي لا بد له من ان يطالب نفسه به
ذا كتب والجاحظ قرره وطالب به نفسه .

هذا هو اول عهدي بالجاحظ وهذا هو شيء من الآثار الأولى التي بقيت في البال
من قراءة كتبه ولو شئت ان استقصي هذه الآثار لامتد الكلام فما سعة لغته بشيء اذ
فسناها الى قدرته على تصوير جلائل الموضوعات وصفاؤها فستدر كون بعد قراءة كتبه
انه لا ينعظمه شيء من الموضوعات واظن ان القدرة على تصوير صفاها الامور كما هو الاكل
والشرب واللبس وسائر ما يتعلق بحياتنا الخاصة لا تقل عن القدرة على تصوير اكابر الامور
واذا قرأت غدا كتابه في الجلاء تبين لك هذه القدرة على تصوير الدقائق من حياتنا
الخاصة وما مرادي في هذه المحاضرة ان أشبع القول في الجاحظ وخصائصه فمثل هذا العمل
يستوعب سنينا كلها وانما غابني كما قلت لكم ان اصف لكم اول اتصال بكتبه واول املاء
الخاطر من آثاره ولقد فرغت من قراءة هذه الآثار وفي البال خاطر واحد لا انساه
وهو اني ما قرأت سطرا من اي كتاب من كتبه الا استوقفتني قراءته وحملني على التفكير
فاذا اردتم ان تحيطوا بشيء من عبقرية لغتنا فبادروا الى كتب الجاحظ التي تعلم العقل
اولا والأدب ثانياً^(١) وسأذكر في المحاضرة الآتية نواحيه التي سامضي القول فيها .

في ٦ كانون الاول سنة ١٩٣٠

(١) كلمة ابن العميد .

نواحي الجاحظ

- ٣ -

ذكرت لكم اول عهدى بالجاحظ ووعدتكم ان أفصل نواحيه التي هيأت الكلام عليها في سنتنا هذه ولم لا أشير من اليوم الى اول اثر من الآثار التي أبقتها في نفسي دراسة كئبه فقد جمعت ذهني وتفرغت لاعداد ما أحاضر به فما أعظم حيرة حرتيها وما اشد دمهشة دهشتها بعد النظر في فصول ابي عثمان انه يخرج من باب الى باب ومن شكل الى شكل ، قد حشدت له المعاني من اقطارها وسبقت اليه الأفكار بازمتها بعصرتها كيف يشاء لا يخاف في تصر بفها عشرة يعثرها او كبوة يكبوها فالكلام عليه بعيد الغور دقيق المذهب لا يأمن صاحبه منزلة القدم فانا أخاف ان حاولت ان أعرض عليكم جملة طرائفه ان لا اعرض شيئاً فيكون مثلي في ذلك كمثل ابن بطوطة فانه لما وصل من جبل لبنان الى مدينة بعلبك وصفها فقال^(١) : وهي حسنة قديمة من اطيب مدن الشام تحديق بها البساتين الشريفة والجنات المنيفة وتخترق ارضها الانهار الجارية وتضاهي دمشق في خيراتها المتناهية وبها من حب الملوك ملبس بسواها وبها يصنع الدبس المنسوب اليها وهو نوع من الرب يصنعونه من العنب ولهم تربة يضعونها فيه فيحمد وتكسر القلعة التي يكون بها فيبقى قطعة واحدة وتصنع منه الحلواء ويجعل فيها الفستق واللوز ويسمون حلواءه بالمانين ويسمونهم ايضاً بجلد الفرس وهي كثيرة الالبان وتجلب منها الى دمشق وبينهما سيرة يوم للحجج فأنتم تجدون ان ابن بطوطة مها عن وصف انغم شيء في بعلبك وهو قلعتها ولم يصف في رحلته الا دبس بعلبك واين دبس بعلبك من قلعتها التي تجلبت في بنائها عظمة الاناس ولو تفرغ ابن بطوطة لوصفها لوجد مجال القول منبسطاً فليس يخطو

(١) رحلة ابن بطوطة — ص ٤٩ — مطبعة التقدم بمصر .

المرء خطوة فيها إلا حارت عينه في ظواهر عظميتها ؟ فكأنما ابن بطوطة أدرك حيرته فوقف قلمه ولم يجز هذا القلم إلا في ذكر صفات الأمور .

وانا كلما حدثتني نفسي بالكلاء على عجائب الجاحظ خطر بالبال في الحال دبس بملك فيجار العقل في هذه العجائب ويوقف القلم في وصفها فلا يجري إلا في التسليم إلى نوادر الجاحظ وقد ألهتني هذه النوادر كالألمى رحالتنا دبس بملك فلما شرعت في إعداد ما أحضر به تمثلت لي نادرته هذه التي قرأتها في كتاب البخلاء قال أبو عثمان^(١) :

صحبني محفوظ النقاش من مسجد الجامع ليلاً فلما صرت قرب منزله وكان منزله أقرب إلى مسجد الجامع من منزلي سألتني أن أبيت عنده وقال : أين تذهب في هذا المطر والبرد ومنزلي منزلك وانت في ظلة وليس معك نار وعندني لبأ لم ير الناس مثله وتمر ناهيك به جودة لا تصلح إلا له فقلت معه فأبطأ ساعة ثم جاءني بجمام لبأ وطبق تمر فلما مدت يدي قال : يا با عثمان انه لبأ وغلظة وهو الليل ور كوده ثم ليلة مطر ورطوبة وانت رجل قد طعنت في السن ولم تزل تشكو من الفالج طرفاً وما زال الغليل يسرع إليك وانت في الأصل لست بصاحب عشاء فان أكلت اللبأ ولم تبائع كنت لا آكلآ ولا تاركآ وحرشت طباعك ثم قطعت الأكل اشهى ما كان إليك وان بالغت بتنا في ليلة سوء من الاهتمام بأمرك ولم تعد لك نبيذآ ولا عسلآ وانما قلت هذا الكلام اثلاً نقول غداً : كان ، وكان ، والله قد وقعت بين نايي اسد لاني لو لم اجثك به وقد ذكرته لك قلت بخل به وبدا له فيه وان جثت به ولم احذر منه ولم اذكرك كل ما عليك فيه قلت : لم يشفق علي ولم ينصح ، فقد برئت إليك من الأمرين جميعاً وانت شئت فأأكله وموتة وانت شئت فبعض الاحتمال ونوم على سلامة فما ضحكك فط كضحكي تلك الليلة ولقد أكلته جميعاً فما هضمه إلا الضحك والنشاط والسرور فيما اظن . —

لقد تمثلت لي هذه النادرة لأنها تدل على روح الجاحظ فانه مطبوع على النوادر ، شيخ قد طعن في السن يشكو من الفالج طرفاً ان أكل اللبأ وبالغ بات في اسوأ ليلة وربما كانت أكلة وموتة ومع هذا كله فقد أكل ولم يبال طمعاً في الضحك والنشاط

والسرور . تمثلت لي هذه النادرة فقلت في نفسي : أفصيني في الكلام على الجاحظ ما اصاب ابن بطوطة في الكلام على بعلي بك ، أفأغفل عن خصائص عبقريته فلا تأخذ العين الا طرفاً واحداً من اطراف هذه العبقرية . —

اي معنى لم يقم في صدر الجاحظ ، واي فكر لم يزدحم على ذهنه ، كتب في كل شيء ، في جلائل الامور وصغائرهما ، فلو نظرنا في طائفة من رسائله لتبين لنا اختلاف الماهي التي صورها والافكار التي وضحتها ، كتب في الأخلاق والفلسفة والدين والتأديب والاجتماع والعلم والطبيعات والأدب وفلسفة اللغة وما شابه ذلك وليست غايي ان استوفي الكلام على تصانيفه في محاضرتي هذه وانما غايي تنبيهكم من اليوم على ازدحام موضوعاته حتى تعمروا الميدان الذي جال فيه كل مجال فأول اثر من آثار دراسة كتبه حيرة يحارها المرء في خصب عبقريته فلا يعرف كيف يبدأ بالكلام على هذه العبقرية ولا كيف يفرغ من هذا الكلام ولا عجب في ذلك فان رجلاً يكتب له ان يعيش قرناً بوجه التقريب ، لم يقع في خلاله بهذه كتاب الاستوفى قراءته كائناً ما كان ، ان رجلاً يكتب دكا كين الوراقين ويبيت فيها للنظر لا يجب من خصب عقله .

ولكن فلنجهد في الخروج من حيرتنا هذه ولنبين من اليوم النواحي التي ينبغي لنا ان نعدّ الكلام عليها .

اول هذه النواحي ترجمة الجاحظ وجملته اخباره من مبداء حياته الى خاتمة ايامه : أين وطنه ، هل تغنى بهذا الوطن ، في اي سنة ولد ، ومن هم اهله ، وما هو نسبه ، أين حصل في صفوه ، ماهي حرفة الجاحظ في مقدمة امراء ، هل جمع مالاً ، هل تقلد شيئاً من عمل السلطان ، هل طمع في الخلافة ، هل عاش في نعمة ، هل كان يعنى بداره ، الى اين سافر وما هي آثار اسفاره ، من هم الذين لازمهم من اصحاب الشأن كيف كانت خاتمة حياته ، بما ذا أصيب في آخر عمره ، هل اثر طنه في شيء من كتبه ، هل ادت الى شيء من اختلال تأليفه ؟ .

فاذا وقفنا على هذا كله اخذنا باطراف الكلام على تحصيله ، اين قرأ ودرس في صباه ، من هم الاساندة الذين اخذ عنهم ، هل اقتصر على قراءة كتب في مذاهب واحدة ام انه قرأ كتباً في مذاهب شتى ، حتى طبعت عبقريته بطابع خاص على الكتب

التي كان يقرأها ، هل قرأ شيئاً من كتب اليونانيين هل كان يعرف الفارسية ، هل كان لاسانيدته تأثير في تنمية عقله . ما هو رأيه في بعض هؤلاء الاسانيد .

فاذا تمهياً لنا الكلام على تحصيله شرعنا في الكلام على عصره فنظرنا في الانقلاب الادبي في هذا العصر ، من هم الشعراء الذين ذهبوا في الشعر مذاهب لم يذهبها من تقدمهم ، ثم نظرنا في الانقلاب الفكري وفي حرية الفكر ثم اشرنا الى كثرة الكتب المترجمة ككتب الهند وكتب اليونانيين ثم نحننا الى الزندقة وكثرة الفرق الاسلامية وكثرة الأعاجم الذين خائطوا العرب والى اعتقادات الناس وبعض الخرافات كخرافات الباعة والعجائز والاعراب .

وبعد ان يتم لنا الكلام على هذه الامور كلها نتفرغ للكلام على مذهبه ، من هم المعتزلة ما هو الرأي في الثقة بدينه ، هل نجد لنا مطعناً على معتقده ، هل يميل الى العقل في امور الدين ، كيف يفسر الآيات والاحاديث ، هل يستعمل العقل في هذا التفسير ، ما هو أسلوبه في المناظرات الدينية ، هل يكره الغرب من التأويل ، هل يحفل كلام العرب على ظاهره ، هل يستعمل العلم في امور الدين ، هل يميل الى تأييد العلم بالدين ، ما هي نماذج من مناظراته ومن نقده للاحاديث وللآيات ، هل كان يشرك بين علم الكتاب والسنة وبين وجدان الحاسة واحساس الغريزة .

وكما اننا لا نغفل عن الكلام على دينه فكذلك لا نغفل عن الكلام على علمه ، هل كان الجاحظ عالماً ، من هو العالم ، ما الفرق بين العالم وغير العالم ، هل كان الجاحظ ينقب عن الحقيقة ما هي اساليبه في التحقيق العلمي ، هل يلجأ الى التجريب والعيان ، هل يستند في العلم الى العقل والى الحس ، هل كان يجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة ، ما هي نماذج من مجادلاته العلمية ومن نقده العلمي ، ما هي بعض مذاهب علمية ذكرها في كتبه وهي من اجل المذاهب العلمية في عصرنا هذا مثل قانون الارث وتأثير البيئة والتلون بالوان البيئة .

ولا مندوحة لنا بعد النظر في علمه عن النظر في تهكمه ، هل كان مطبوعاً على التهمك ، هل كان يميل الى التهمك من صفوه ، هل كان يخالط الذين يميلون الى الهزل ، هل كانت

نوادره في محامها ، هل تهكم على المفسرين ، ما هو الرأي في تهكمه ، افكان يتمدد الاضمارك في بعض الاحيان ، ما هو الرأي في هذا التعمد ، ما هي خصائص هذا التهكم .

وإذا فرغنا من الكلام على تهكمه رجع بنا البحث الى الكلام على مذاهبه الأدبية : ما هو رأيه في الأدب المجرد ، هل يستعمل الأدب المجرد في كتاباته . ما هو رأيه في اللحن والكلام غير المعرب واللفظ المعدول عن جهته في باب النوادر ، ما هو رأيه في اللفظ ورأيه في المعنى ، ما هو رأيه في تفضيل اللفظ على المعنى ، ما هو رأيه في تأثير الشعر .

وبعد ان نفرغ من هذه النواحي كلها نتخلص الى ناحية أسلوبه في النقد الأدبي : ما هي طبيعة النقد في عصره ، رأيه في نقد الأصمعي وإبي عبيدة والأخفش ، ما هو أسلوبه في النقد الأدبي ، هل كان تقدمه مجرداً . . . أحسن فلان . . . أساء فلان . . . هل كان يبين رأيه في بعض الاوقات . . . كيف كان رأيه في بشار وإبي نواس وامريء القيس ، ما هو رأيه في زيادة الرواة والتوليد على السن الشعراء وعلماء اللغة ، ما هو رأيه في أولية الشعر الجاهلي .

ثم نشرع بعد هذا كله في الكلام على عبقريته وعلى لغته وفنه .
اما عبقريته فانتا نبحث فيها عن افكاره العامة : ما هي المعاني التي برز فيها ، ما هي الافكار التي لم يتوسع فيها ، ما هي طبيعة عقله في هذه الافكار والمعاني ، الى اي شيء ينفذ هذا العقل ، هل يوفي المعنى حقه ، ما هو وصفه لدقائق الامور ، ما هو وصفه للجلائل الامور ، ما هي نماذج من وصفه .

واما لغته فانتا ننقب فيها عن خصائصها ، ما هي خصائص لغته الادبية ولغته العلمية ولغته الفلسفية ، هل يميل الى اللغة الشعرية سيف العلم ام انه يميل الى المصطلحات المجردة التي لا الوان لها ، هل يميل الى المجاز ام انه يميل الى الحقيقة ، هل يستعمل لكل معنى اللفظ الذي خلق له ، هل تبعه لغته العلمية في بعض الاحيان عن الموسيقى اللفظية ، هل يستعمل المترادفات الكثيرة لتقرير المعنى في ذهن القاري ، هل يستعمل اللفظة وضدها تمييزاً للاشياء ، هل في بعض لغته الفاظ غامضة لانها كانت تدل على معان ثم ذهب التسميات فبقيت الاسماء وحدها .

هذا ما نسمي في النقيب عنه في دراستنا كتب الجاحظ وقد نريد في مباحثنا
 أو ننقص منها على قدر ما يقتضيه المقام وإنما المهم أن ندرس آثار الجاحظ من النواحي التي
 تصوره لنا تصويراً متكاملًا وأسلوبنا في هذه الدراسة إنما هو الأسلوب الذي اتبعناه
 في دراسة شعر المتنبي فإنا لا نتقيد بأحد وإنما ننظر في كتب الجاحظ فندون ما يلهمنا
 إياه هذا النظر المطلق وعلى هذه الصورة نستطيع أن نطبع شعورنا بطابع خاص منسوخ
 من كل تقليد .

في ١٣ كانون الأول سنة ١٩٣٠



ادبنا القوي

- ٢ -

مادة الادب المصري ومظاهره : قبل ان نتناول هذا الموضوع يجمل بنا ان نلمح
إلمامة قصيرة بتاريخ لغة العرب في هذه البلاد . لم يكن المصريون الى الفتح الاسلامي
يتكلمون العربية ولم يكن لهم بها عهد ، بل كانوا يتكلمون القبطية ، وكثير منهم كانوا
يحذفون اللاتينية ، طوعاً خضوعهم العصور الطويلة لحكم الرومان ، فلما فتح العرب مصر
حملوا اليها لغتهم فيما حملوا . ولم يكدر استقرارهم الامر فيها حتى انحدر اليها ، وخاصة في
العهد العباسي ، صدر كبير من العلماء والادباء والكتاب ، وكما ضعف شأن الدولة
العباسية ازداد اقبال هؤلاء على مصر لوفرة خيراتها واقبال غلاتها من جهة ، ولان
امراءها حين طمعوا في الاستقلال بها كانوا يدعونهم ليقبضوا بعلومهم وآدابهم صدر
دولتهم الناشئة . بل لقد اتبع امراءها في فتاء الدولة العباسية كثير من جلة الشعراء
طلباً لرغدهم او لغير ذلك كما في نواس وابي تمام . كما طلبها بعد ذلك ابو الطيب المتنبي في
عهد كافور الاخشيد .

وما كاد الامر في مصر يستقيم لاحمد بن طولون حتى كان الأدب بلونيه (شعره
ونثره الفني) قد فحل ايما فحولة وازدهر ايما ازدهار . ولكن لا يفوتك ان ذلك انما كان
بين النازحين الى مصر من الأقطار العربية وعلى السنتهم . واذا كانت العربية قد شاعت
في ذلك الوقت على السنة المصرية ، فالعربية التي نكفي للترجمة عن حاجات الناس
في أسبابهم الدائرة ، لا للأدب الفحل ، والقول الجزل .

على ان العربية ظلت تغزو السنة المصرية بين انفسهم ، ونطبع ملكاتهم بطول الحكم
العربي (الدولة الطولونية والايخشيدية) والمستعرب (الدولة الفاطمية والايوبية) وما
تخلل هذه العهود حتى نجم من بين التميم في مصر بين من حذقوها ويرعوا فيها ، ووفوا
بما نظموا وما نثروا حقوق البيان . لولا انه في مؤخرات تلك العصور جعل الادب يتجه

الى صرف القول عن كرائم المعاصي الى الحرص على تجويد اللفظ ، وزخرفة الكلام وتزيينه بالتماس الوان المحسنات البديعية . وما زال الأدباء يتبارون في هذا ويجمعون له ويسرفون فيه حتى اهلكوا او كادوا يهلكون بآان العرب .

ولا احب ان يذهب عنك في هذا المقام ان هذه الألوان من الأدب انما كانت محصورة فيمن يتكفون الأدب ، اما جمهرة الناس فكانوا لا يعرفون غير العامية ، وان كانت عامية معظم مادتها مشتق من العربية .

ثم كانت حكم دولتي المماليك ، ولولا عنايتهم كانت بالعلم وقيام الجامع الازهر في مصر بدرس فيه كتاب الله وحدث رسوله صلى الله عليه وسلم لعني أثر البيان العربي من هذه البلاد ، على ان الادب في عهدهم قد ازداد ضعفه وفسولة مطالبه ، وعلى ان العامية نفاها قد تداخلها كثير من الصيغ الأعجمية .

ثم جاء الفتح العثماني فزاد اللغة بلاء على بلاءها ، فما برحت تضمر وتهزل وتفسح حتى اقتربت من الفناء لولا الازهر ايضاً وما يدرس فيه من كتاب الله وسنة رسوله ، وان كانت دراسة لم تصل بين النفس وما فيها من بلاغة رائعة ، ولولا دراسة جثت بالية من علوم البلاغة صرف أبلغ الجهد في تدريسها الى فلسفات لفظية ليس بينها وبين حقيقة البلاغة نسب قريب او بعيد ، ولولا ان خلفاً شبوا على ان هناك شيئاً يدعى الشعر ، وشيئاً آخر يدعى النثر جلت بهما اخطار من سبقوهم من اهل البيان ، فتكفروهما هم كذلك . وانك لتبى المثل واضحاً بين يدبك في مثل الشيخ عبدالرحمن الجبرتي صاحب التاريخ المعروف ، فلقد كان ، عالماً وابن عالم ، وكان رجلاً معدوداً عند اهل عصره في خاصة الادباء . وانه ليخفل للكتابة في أدق الموضوعات واحقها بالتأني في اختيار اللفظ ، وملاحمة النسيج ، والارتفاع بالقول . ولقد يبلغ بعض هذا الا انه قل ان يسلم من السقوط في العامية ، بل والاستمانة باللفظة الأعجمية (تركية وغير تركية) وقل ان يسلم كذلك من تزايل الصيغ وتفتكك العبارات .

ثم كانت الحملة الفرنسية فانصرف الناس عن معالجة الذماء الباقية من العلم والأدب الى التماس الحيل في مدافعة الظلمة ، والتخوف عن أذاهم ، ولقد علق شيء من لغتهم بجواشي لغة البلاد حتى ان الشيخ الجبرتي نفسه يذكر عن نابليون انه دعا مرة علماء مصر

وخاصة أعيانها على أثر انتفاض المصريين على عسكره فقال لهم فيما قال (على رواية الجبرتي)
أنتم لستم (بونو) اي قوماً خياراً ۱۱۱

ثم كان عصر محمد علي الكبير ، ولمحمد علي في الحياة مطالب جسام ليس يواتيه بها
الا جيش عظيم ، واجيش يحتاج بالضرورة الى اطباء يعلمون المرضى من جنده ويقعدون
جراحاتهم اذا هم أصيبوا في ميادين القتال فكان لا بد له من ان يقيم مدرسة للطب ولم
يكن في مصر الى ذلك العهد اطباء ، فكان لا بد له ايضاً من ان يدعو بالاساتذة الاطباء
من الغرب . ولكن كيف الحيلة في ذلك وهم لا يعرفون العربية اذ تلاميذهم في مصر لا يعرفون
على التجوز غير العربية ؟

لم يبق الا حل واحد ، هو الذي وفق اليه المغفور له محمد علي باشا ، وهو ان يقيم
بين الاساتيد وتلاميذهم ترجمة يؤدون الى التلامذة المصريين ما يلقى عليهم اساتذتهم
الغربيون .

وتنبأ لمحمد علي ان يعثر على هؤلاء المترجمين بين الجماعات النازحين الى مصر من
السور بين والمغاربة وغيرهم من اهل الملل الشرقية المختلفة ، ولم ير رحمه الله بعد ذلك
مناصراً من ان يبعث بعوثاً من التلاميذ الى اوربا ليحذقوا لغاتها ويعلموا علومها فكان من صنيعه
هذا ان عقد اول صلة بين مصر ولغات الغرب .

وأنشأ محمد علي بعد ذلك مدارس أخر لتدريس علوم الحياة المختلفة ، وهذا شعر
وشعر من استعان بهم على هذا الاثر ان لا بد من احداث حدث حتى توالى لغة المصريين
المنقطعين عن العلم الحديث بمطالب العلم الحديث ، فجد رفاة ولدت رفاة ، واعتصروا
قواميس اللغة ، واعتصروا معها أذهانهم حتى أخرجوا في العربية فنون المصطلحات في
الطب والهندسة والفلك والزراعة وفنون الحرب وغيرها . . . فعلوا هذا على قلة الحيلة
وضعف الوسيلة ، فذل عملهم معها اضطربوا فيه ومما تعسفوا ، ومما افتتانوا على اللغة —
على شدة جهد وعلى صدق عنزم وعلى تهالك في سبيل العلم .

ثم جاء عصر اسماعيل ، وشاعت العلوم الحديثة في البلاد فاستكرهت اللغة العربية
جماعة العلماء على مراجعتها واستظهار ما خلى الدهور الطويلة بحفواً من مفرداتها وصيغها
ليوافوا بها على قدر الطاقة مطالب تلك العلوم . وتم لهم من هذا قدر محمود . ولم تكن العناية

بالآداب باقل حظاً من العناية بالعلوم ، فجعل الشعر يجود ، والنثر يرصن وتوسع مطالبه الى ان طفر البارودي بالشعر حتى رده الى أزكى عهد العصر العباسي ، كما طفر الشيخ حسين المرصني والموليحي والشيخ محمد عبده وغيرهم بالنثر الفني حتى ردوا عليه كثيراً من جمال لفظه ، وتلاحم نسجه ، وسموا أغراضه وتلون مطالبه . وما يرحت هذه النهضة في اطرافها حتى اليوم . ولكن مما لا ينبغي ان يفوتك في هذا المقام ان ادراك الشعر والنثر الفني وتذوقهما ما زالا دائرين بين جماعة الادباء ، وهم بالاضافة الى السواد الأعظم أقل من القليل . اما سائر الناس فادراكهم وذوقهم في واد ، وهذا الضرب من الأدب في واد آخر .

واذا كان الأدب هو أبلغ مظاهر اللغة أدركت ان الادب العربي بدأ في مصر قوياً ، وظل كذلك دهوراً طويلاً ثم لحقه الضعف وما زال يتدلى فيه حتى أشرف على الزوال . ثم انعش وجعل يقوى حتى بلغ ما نراه في هذه الايام ، عى انه في حالتي قوته وضعفه ظل فهمه وتذوقه مقصورين على جمهرة الادباء . اما السواد فلبث غارقاً في العمية في جميع هذه الأطوار حتى ليكاد يكون بينه وبين فصيح العربية تما ، الانقطاع . ولعلك بحاجة بان العامة وأشباه العامة هم الكثرة الغامرة في كل أمة . ومع ذلك تراهم في الامم الأخرى يدركون بلاغات شعرائهم وفحول كتابهم وكثيراً ما تستريح اليها أذواقهم . فلماذا لم يجر الأمر على هذا في مصر وفي أكثر البلاد العربية الاخرى ؟

ذلك ان الفرق بين صحيح العربية ومرسل العمية في مصر وفي غير مصر أوسع منه في أكثر لغات العالم ان لم يكن في لغات العالم كلها ، حتى اذا علوت بلغتك بين العامة لم يفهموا منك كثيراً ولا قليلاً وكادوا يحسبون لولا ما يشيع في كلامك من حروف الجر ونحوها ، ان لسانك انما يجري برطانة اعجمية !

ولقد بلغ من سلطان العمية في هذه البلاد ان خاصة الخاصة من العلماء واهل البيان انما يتخاطبون بها في مجالسهم ، حتى اذا انبعث احدهم خطبة او لمحاضرة في العلم او الأدب تكلف العربية تكلفاً ، وقل الا تزلقه العمية بسطوتها حتى في هذا المقام ، ما يعصمه منها

شدة حرصه على تحوي العربية واحفاله لها ، اللهم الا ان يكون قد سوى من قبل كلامه وحفظه ثم راح يتلو عن ظهر قلبه .

الى هنا حق لنا ان نزع ان ابلغ مظاهر الأدب العربي (الشعر والنثر الفني) لم يتصل بمصر اتصالاً صحيحاً ، وانما اتصل به في كل عصر طائفة ممن يتكفون الأدب ، وهم بالقياس الى السواد كما أسلفنا اقل من القليل .

واذا تنهياً لجماعة الشعراء والكتاب الفهمين ان يتخذوا من الأدب العربي الصريح أداة للترجمة عما يجول في نفوسهم ، ويختلج في حسهم (ولنا بعد في هذا كلام) وتنهياً لهم كذلك من يدرك آثارهم ويتذوق بلاغاتهم من جماعة المتأدبين ، فان للسواد ايضاً شعوراً يعتلج ، وعواطف تفرق ، ترى هل يكتبها في نفسه ويحققها بين أضالعه حتى يأذن الله فيصيب حظاً من فصيح العربية ليتنفس بها ويحليها على سواه ؟ اللهم ان هذا من غير الميسور ! . فلم يبق إذن غير العامية او شبه العامية مما يتصل اعلاه بادنى الأدب العربي الخالص ، يتوصل بها الى صوغ احساسه وتفضن ما يجيش في نفسه من الوات العواطف .

ومن هنا عمد المصريون الى الزجاء والى الموالى (وهي قديمة ترجع نشأتها الى عصر الرشيد) والى سائر أسباب الغناء ، المذاهب والأدوار والطقاطيقى (والى (الواوات) الصعيدية ، والى المقطوعات المنظومة على أقيسة لا صلة لها بأوزان الشعر العربي . والى ما تسبح به البدائه من ألوان التندر والمفاكمات . والى الاحاجي (الفوازير) ثم الى النكتة البلدية (ايش معنى) وهي مصرية خالصة ولها من الخشاش المصري . واخيراً الى ما بدعى الآن (بالمونولوجات) وبدأت لتسرب الى أذواق المصريين .

والحديث في منشأ كل نوع من هذه الانواع ونظوره على الزمن يحتاج الى بحث طويل عريض ، ولعلنا معالجوه قريباً ان شاء الله .

ولعلك آخذي بانني لم أدرج بين هذه الفروع من الأدب المصري الموشحات الاندلسية وهي شائعة في أغابنا ، حتى ان من آداب الغناء المصري ونقاليده المأثورة الا يبدأ (التخت) الا بموشحة . ذلك ان طائفة المغنين اشتهروا في الغالب من الجمال ، فيندرا ان يطبقوا هذه الموشحات البديعة على حقيقتها . فترهم ينشدون مثلاً : « كني يا سحب تيجان

الربى بالخلي « هكذا : « كليل يا صبحي جانا الرضى بالخلي » ! . هذا الى ان أصوتهم
تخلط فيها حتى مانتبين منها غير النبرات الموسيقية ، اما الفاظها فليست بتدرك منها شيئاً .
لهذا لم نصل بانتهاء المعربين ولم ننتقل الى أذواقهم . ولهذا لم ادرجها في جملة آدابهم .
وهنا أحب ان الفلك الى حقيقة واقعة وهي ان العامة وأشبه العامة لم يتأثروا
وحدهم بنظم آدابهم المختلفة ، بل ان كثيراً من الخاصة وخاصة الخاصة من الادباء والشعراء
قد ساهموا في هذا ، وأخرجوا البليغ الرائع من ألوان هذا الكلام . وبحسبك ان تعرف
ان العالم الكبير الشيخ القرصي ، وان مولانا الشيخ عبدالرحمن قراعة ، وان المرحوم الشيخ
النجار كانوا من كبار الزجالين ، ولقد كانت لهم في هذا الباب مطارحات ومناقشات
كانت شغل البلد وحديثه دسراً غير قصير ، وبحسبك ان تعرف ان شيخ الشعراء اسماعيل
صبري باشا ، ولا مير الشعراء شوقي بك ، ولشاعر النيل حافظ بك (ادواراً) بديعة
لا يزال يشغني بها المغنون الى الآن . وان مما لا ولم « قدك امير الاغصان من غير مكابر ،
وورد خدك سلطان على الازاهر ، دا الحب كله أشجان يا قلب حاذر الخ » وان لثالثهم
دور : « عشنا وشفنا سنين ، ومن عاش يشوف العجب ، شربنا الضنا والاني ، جعلنا
لروحنا سبب الخ » واما ثانيهم فاسمع منه في هذا المطرب والمعجب على لسان عبد الوهاب
وغير عبد الوهاب .

والذي لا اكون مغالياً اذا باديتك بانهم في هذا كانوا اصدق ترجمة عما يختلج في
صدورهم منهم في اكثر اشعارهم ، فضلاً عن انهم اذاقوا الخاصة والعامة معاً صدرأ
حلوأ من منظوم الكلام .

وليست لي وانا في مقام علي كتمان الرأي فيه ضرب من الخيانة والاجرام ، ان
اكون حق صريح ، فأزعم ان هؤلاء واولئك كانوا فيما نظموا في هذه الابواب ، اصدق
تعبيراً عما يجول في صدورهم ، واقدر على تجلية كل ما تنتزى به عواطفهم ، لان العامية وشبه
العامية هي لغة البلد التي عاش فيها ثلاثة عشر قرناً فكان من البديهة الا تخالف عن
موثاة المصري بكل ما يتحوى أداءه في رجوه المطالب والاعراض .

ثم مالنا وهذا ! اليس عندنا الآن من اهل البيان من لا يتعلم بغيرهم ، وانهم
يتقنون فصيح اللغة ويفرون كل يوم معاجمها ويزجمون مأثور البليغ من الصيغ العربية

ليؤدوا بها قولهم ؟ وانك لتتراءم مع هذا يعتمدون الكلمة العامية اعتماداً ليخرجوا بها للناس معنى دقيقاً يحبون ان يحلوه كاملاً على جمهرة القارئین اذا لم يكن بعوزهم في الواقع من صحيح العربية ما يؤديه !

وبعد فأحسب انه لم يبق عندك شك في ان أدبنا القومي وان كان في اصل مادته يرجع الى العربية ، كان وما يرح فائماً على العامية وشبه العامية ، فاذا انت اقتضيتني بيان الفروق بين آثار كل منهما فانظري الى يوم الاربعاء المقبل ان شاء الله .

الادب العربي في العصر الحديث : عشت مما سلف عليك ان العربية الصحيحة الجزلة القصيدة لبثت أدهاراً غير قصيرة في شبه قطيعة مع المصربين ، ولبث الادب العربي الخالص في هذه الفترة كذلك مع متأديهم ، الى ان كانت نهضة اللغة والادب في عصر احتاجيل فنجم من نجم من فحول الشعراء ، ومنقدي الكتاب في طفرة او ما يشبه الطفرة . وليس معنى هذا ان معاصري البارودي اذذاك بلغوا مبلغه او تعلقوا بفباره ، ولا ان المتوسلين من معاصري من ذكرنا من جلة الكتاب قد شاكروهم او جروا في البهتان على سبيلهم ، بل لقد ظلت الكثرة الغامرة من هؤلاء وهؤلاء في أسفافها وفسولة معانيها وتزاييل الفاظها . ولم يكن الذوق العربي الصحيح قد نضج في نفوس اكثر من يتكفرون الادب ، فكان لهؤلاء كثير من المعجبين بادبيهم الحافظين لاشعارهم المتروين لموسل بلانهم . ولبثت هذه الحال دهرأ حتى تداولت الناس معاجم اللغة ، وشاعت بينهم بفضل الطابع ، دواوين السابقين من الشعراء أمثال ابينواس والي تمام والبحتري وأضرابهم ، كما أفلوا على مراجعة كتب المتقدمين من فحول امراء البيان أمثال ابن المقفع والجاحظ وابي الفرج وغيرهم ، فجعلت الملكات العربية تربو ، والاذواق تنضج ، كما جعلت النفوس تهفو لناضج القول وجزل البيان .

الا انه قد وقع ما لم يكن بد من وقوعه ، ذلك ان متأدينا قد افترقوا في أساليب البيان بحكم ظروفنا افتراقاً شديماً لان منهم من رأى اعلى الامثلة في الادب العربي فيما

روي عن العرب في جاهليتهم ، ومن كانوا يشاءون جاهليتهم فأكب على مثل المملقات والمذمبات والمملحات الخ وارايجز مثل رؤبة والعجاج ، وراح يحفظها ويستظهر غريبها و يشاء كلها في كل شيء اذا نظم فيتمد الانبان بالغريب ، ويركب متون العيس يقطع بها القفار ويهتف بالدمن و يشبب بالديار و بناجي النوى والاحجار الخ . وطائفة من المتأدبين قد توفروا على قراءة شعر الشعراء من مطلع الاسلام الى غاية الدولة العباسية والدويلات التي انصدعت عنها ونثر من نجموا في هذا العصر . ولا تنس ادب الاندلس وراحوا يشاء كلونهم في كل منازع كلامهم ، ومجالي تشبيهاتهم اذا هم نظموا او نثروا . وهناك فئة ثالثة من المتأدبين ظلوا عاكفين على ادبهم الذي ورثوا عن العصر التركي . وفئة رابعة اخذوا حظاً من لغة العرب وحظاً من لغات الافرنج ، وهؤلاء لهم أسلوبهم الخاص بهم وفنون تشبيهاتهم . ونشأت كذلك فئة خامسة تأدبت بادب العرب واستظهرت أخل ما قالوا في جاهليتهم واسلامهم ، وتأدبت في الوقت نفسه بادب كبار شعراء الغرب وجلة كتابه ، فاذا اجتمع هؤلاء للبيان تمثلت لهم صور المماني الغربية وجلال الصيغ العربية ، فلا يكن لهم بد من ان يستكروا هذه على اداء تلك ، وبهذا خرج ايضاً للادب العربي في مصر نوع جديد .

ومن هنا تعرف لما اذا اضطرب الادب العربي في مصر في هذا العهد ، وكيف تبليت لهجته وأساليبه ، حتي لو اطل عليه رجل ممن حذفوا هذه اللغة ولم يكن له بمصر عهد لم يصدق ان هذه اللهجات المتباينة تجري كلها في وقت واحد وفي بلد واحد ! على انه مما لا ينبغي ان يفوتنا في هذا المقام ان انتشار المجلات العلمية والادبية وعناية الصحف على اختلاف ألوانها بتجويد اللغة وتحري الصحيح ، وتجريد بعض صفحاتها للآداب والفنون — لقد كان من اثر هذا أن جعلت اللهجات تتقارب رويداً رويداً ، بتريديد نظر كل طائفة في أسلوب غيرها ، والنقاطها الجيد المطبوع من صيغها ووجوه تعبيراتها ، وجرياً على السنة الطبيعية سنة بقاء الاصلح .

نعم ، لقد جعلت اللهجات تتقارب ، والاسباب لتشابه ، لولا فروق دقيقة يحسها النقدة من اهل البيان . الا انه مازال هناك فرقان واضحان : احدهما الفرق بين اصحاب القديم وأنصار التجديد » وتحقيق هذا الموضوع لا يتسع له حديث اليوم فانرجئه الى يوم

آخر « . والثاني مالا يزال بعض مؤلفي الروايات ومعربيها يسفون فيه من الاتيان بصيغ مبتذلة وتعابير مفككة يطلبون بها اداء صور وأخيلة افرنجية ، من نحو : يا وصيفة الخدع ، والموت البنفسجي ، وان الشيطان ليرتبك في نسج عنكبوته الخ .

ولعل السبب في ذلك هو التهاافت على الصور والمعاني الاجنبية ، وعدم التمكن من فصيح العربية بالقدر الذي يهيئ للؤلف او المترجم اداء جملة المعنى في صيغة يتقبلها الذوق المطبوع على لغة العرب .

ولعلك معارضي بان شاعراً حتى في ازكى عصور اللغة ، لا يشاكل أسلوبه أسلوب شاعر آخر بعصره ، وقل مثل هذا في أئمة الكتاب ، حتى ان الناقد البصير يستطيع ان يميز بين شعر الجيتمام والبحتري ، وبين شعر بشار وحنين بن ابي بردة مثلاً وبين جميل وكثير مثلاً وكل اثنين من هؤلاء عاشا في عصر واحد ؟ وأجيبك ان نعم ! الا انه معها تنوعت أساليب البلغاء في العصر الواحد فان لكل عصر في بلاغته طابعاً واحداً يجمعها كلها في كنفه ويضمها تحت جناحه ، حتى ان ذلك الناقد الخبير اذا طرحت عليه اثرأ من الآثار في الشعر او النثر فلا يهتد الى شخص صاحبه ، فانه مهتد غالباً الى العصر الذي عاش فيه .

الى هنا خرجت لنا نتيجتان : الاولى ان الادب العربي في مصر (على انحصار تذوقه في طائفة المتأدبين) لم يتخذ الى الآن سمناً واحداً ولم يطبع بعد بطابع معين ، بل انه مازال أمشاجاً من الاساليب والتعجبات تسلخ من هنا وتثلقط من هناك وذلك طبيعي بحكم ساحلنا عليك من الاسباب . على ان الزمن وحده كفيل بان يقارب بين هذه الأنواع من الاسنة المختلفة حتى يدرجها كلها في جنس واحد . ويطبعها بطابع واحد . حتى ما يبقى بينها غير تلك الفروق الدقيقة التي لا بد منها طوعاً لاخلاف البيئات واختلاف الشخصيات .

والنتيجة الثانية هي ان فصيح العربية لبث الادهار الطوال بحجزة عن سواد المصر بين لم تنصل به مداركهم ، ولا هو اتصل الى هذه الغاية باذواقهم . واذا نحن زعمنا ان شاعراً او ان كاتباً تهيأ له ان يترجم بفصيح العربية عما يجيش في نفسه من مشاعر مصرية ويحسن تجلية كل ما يترقرق في نفسه من وجوه الاحساس المختلفة فان احداً لا يستطيع

أن يزعم أن العربية الخالصة استطاعت وخاصة في هذا العصر عصر العلم الحديث وما هجم به علينا من الوان المخترعات أن تؤدي شيئاً من الاسباب الدائرة بين الناس . بل لقد ناءت العامية المشتقة من اصل عربي باداء اكثر ما يقع لاعيننا وتسمعه آذاننا في هذا العهد من صنوف المراثيات والمحسوسات في وجوه الاغراض المختلفة وذلك شيء لا يكاد يأخذه حنة او يحصره عنة ، وهو كل يوم بل كل ساعة في ازدياد وقوة اطراد ، فاضطر الناس خاصتهم وعامتهم الى ان يتخذوا الالفاظ الفرنجية مع تحريف كبير او صغير للتعبير عن هذه الاشياء الجديدة التي لا بد لهم في وسائل عيشهم من التعبير عنها ودخلت هذه الالفاظ في العامية وطبعت بطابع اللسان المصري (ولا بد مما ليس منه بد) .

والعجب العاجب انه مع كل هذا ومع ادراك جميع العلماء والادباء لمبلغ هذا الخطر على اللغة وكثرة نقاولهم فيه وشدة احتفالهم له ودعوتهم الى التشهير لمعالجته لم يجد له جهد صادق ولم يبل احد فيه بلاء يستحق اي التفات . ولقد كان كل ما رزقنا في هذا الباب من الاساءة المصلحين جماعة ممن لم حظ كبير او صغير من الاطلاع على اللغة .

وهؤلاء قد انصدعوا الى شعبتين : الشعبة الاولى قد الفت كل همها وجهدها الى مراجعة كتاب (درة الفواص . في اوهام الخواص) للحريري . وكتاب (لغة الجرائد) لليازجي ونحو ذلك . واخذت نفسها بالارتداد للشعراء والكتاب البارعين فنقدتهم وتزدرىهم وتتهمهم بشدة الجهل باللغة وتأخذ احدهم بانه قال : (اثر على الشيء والصحيح اثر فيه) !! وآخر يأخذ ثانياً بانه قال : صحيفة اذ هو يريد صفحة (والصفحة الوجه الواحد والصحيفة الورقة بوجهيها) !! وثالث يعير ثالثاً انه أنث الكأس ما يحوي شيئاً اذ هو لا يؤنث الا اذا كان مملوءاً . . . ونحو هذا من فنون التعقب حتى أخافوا الكتاب والشعراء واسترهبوهم وحبسوا أفلامهم عن الانطلاق في افطار الاغراض المختلفة خشية ان ينسقطهم هؤلاء النقدة (ان صح هذا التعبير) وملكوم عن الترجمة عن كثير من المعاني الطريفة لكيلا يتهموا بانهم جاوزوا ما نص عليه الحريري واليازجي ، وتلك لعمر الله من احدى الكبر .

لقد كانت هذا النوع من النقد ضربة موجعة للغة العربية نفسها . ثم تعالوا ايها العلماء الغريون الذين لا يشق خم غبار ولا يصطنى خم بنار (على حد المثل) ان يلقى أئمة العربية ان حروف الجر تتناوب واي مهلكة مع هذا اللغة في ان ينوب (في) عن (على)

في مادة التأثير ؟ بل انني لا أزعج ان (أثر عليه) أبلغ كثيراً من (اثر فيه) لان حرف (على) ادل على السطوة والتمكن من حرف (في) ولقد يقول الناس : (وجه الشيء الى كذا) اذ يقول امام العربية الجاحظ (وجهه على كذا) . كما يقول الناس : نشرت المرأة عن زوجها) اذ يقول ابو الفرج (نشرت المرأة على زوجها) ! . . . أتريدون بعد هذا ان تصدقكم انتم ونكذب الجاحظ واما الفرج ؟ انكم اذن حق مغرورين .

ثم أليس في باب التجوز او الاستعارة او ما شئتم مما تعلقتم به من فثور البيان ما يتسع لاساعة المثليين الآخرين ان كنتم في اصل (نقدكم) من الصادقين ؟

وهنا اذكر عن صديقي شاعر النيل نكتة لطيفة تنصل بهذا المقام ، فلقد وقع في بعض قراءاته على ان اللغة العربية ذهب نصفها فلم تحتفظ المعاجم الا بنصفها الآخر فهو كلما اخذه أخذ بخطأ لغوي او نحوي او صرفي اجاب من فوره : ما أدراك ان هذا سائح في نصف اللغة الضائع ؟ !!

اما الشعبة الثانية فجاءة كما يقول المثل العامي : (حطوا في بطنهم بطيخة صيني) ! فاستراحوا والحمد لله تعالى على ان لغة العرب قد وسعت كل ما كان وما يكون وما سيكون وما سوف يكون . فان اللغة التي وضعت للجمل والسيف واللاسد وللخمر وللغزال ولنحوها مئات الاسماء لا يمكن ان تعيا بان يكون فيها كل ما يبدل على كل ما ترمينا به اوربا واميركا كل يوم من نعمان طريفة ومخترعات حديثة ! !

باسمجان الله ! ألغة كانت هذه ام منجمة تستفصح الغيب وتستكشف ما عسى ان يرمي به القدر من وجوه المعاني حتى بعد الف وثلاثمائة عام وترصد لكل ما ولده الذهن البشري واستخرجه بنحوض التأليف والتوليد او راض الطبيعة على اخراجه بالكد وطول التجربة ، فاذا الالفاظ والصيغ العربية محصورة على الرف لا يصيب من يشاء التعبير بها عن كل هذا الا ان يمد اليها يده فيطرحها ، وما هو الا ان تشك الفاظها تلك المعاني وتستوي بها لمدارك الناس في غير عسر ولا عناء .

واعجب من شأن هؤلاء جماعة زعموا انهم متجددون في طلب مجمر اللغة ونلقط كل ما يؤدي كل حديث في العلم والفن والزراعة والصناعة وعلوم الطبيعة الخ الخ . ! أليست لغة العرب قد وسعت بظهر الغيب كل ما كان وما يكون ؟ فيدعو (الشبث) اكرمك

الله (الكوث) وعلبة الحلى (الجوثة) تم يروح بمن عليك بأنه اخرج لك من لغة العرب كل ما يروى بجابات العصر الحديث ! وثرأه بعد هذا يمشي على الطوار مدلاً متناهيًا بهزراً - وبثني عطفه من فئنة واعجاب ظاناً انه لاشغل للجالسين على حواشي الطريق الا الحديث في اختراعه والاعجاب بفقمه في اللغة واحاطته بمكنون أسرارها .

ولقد يجرؤ الشيخ من هؤلاء على ان يزعم لك ان في العربية ما يترجم عن كل قطعة وكل جزء من اجزاء (المرحوم) المنطاد ر ١٠١ ولماذا لا يكون في لغتنا كل هذا ؟ البست الطائرة من اختراع العرب ؟ وان اول من صنعها كان العباس بن فرناس ؟

ياناس ! والله ماقتلنا ولا قتل العلم ولا قتل اللغة معنا الا هذا الغرور . نعم ! شهد الله ان لغة العرب من أثري اللغات واغناها وابدعها وابلغها ، على انها لقد ادت واجبها وعبرت عن كل مطالب الحياة يوم كانت الامم العربية مستأثرة بالحضارة او مشاركة على الاقل فيها ، فكيف تريدونها وقد انقبضت عن الحضارة او انقبضت عنها الحضارة القرون الطوال — كيف تريدونها بعد هذا على ان تفتح عينيها على آلاف المستكشفات والمخترعات فتؤدي معانيها في سرور خاء ؟ انكم اذن لقوم ظالمون .

ولقد زعمت فيما زعمت ان صحيح العربية مازال بحجزة عن سواد الناس . وذلك انه في اي عصر من العصور لم يبدل اي جهد في تبسيط هذه اللغة العتية المتعاصبة في مفرداتها وصيغها وقواعد نحوها وصرفها . حتى تستوي لمدارك السواد كما لم يبدل اي جهد في ترقية مدارك هذا السواد حتى يفهم هذه اللغة او يلهم بلاغتها لحما .

ولقد كان من أبلغ أسباب هذا التعويق ان تواترت في اثناء هذه النهضة الحديثة طائفتان : احدهما شيعة القديم ، والثانية انصار التجديد . تلك تقول بعدم تخطي لغة العرب المأثورة حتى في كل ما ينجم من الجديد . وعندنا من أبواب التجوز والاشتقاق واتخاذ الجفوف من مفردات العربية ما يغتينا وبكفل اداء جميع حاجتنا . اذ هذه تدعو الى التعريب وهي سنة اتخذها من سبقنا من أئمة العلماء في الدولتين الأموية والعباسية حين هاجمت آداب الفرس وعلوم الرومان والاعريق الامم العربية . ثم ظل هذا الخلاف وظل الى الآن ولا زالت اللغة من تحته تلتوى و يتفصد من الجهد عرفها بما انقطع من

نفسها في أداء حاجات الناس ، اذ الغرب يزعمها كل يوم بفنون لاحصر لها من المخترعات
والاستكشافات ما نصيب نحن الجاهل وعامة الخلق ، بل ولا سادتنا اللغويون — لها دلالة
من لغة العرب ، لا غنى طريقة اشباع القديم ولا غنى طريقة أنصار التجديد^(١) !
« باحث »



(١) ملاحظة — أستدرك على صديق لي من صفوة الادباء انني لم اذكر (كثيراً)
الشاعر فيمن وفدوا على مصر طلباً لرند امرائها وانني لا كبر هذا الاستدراك وأفرر انه قد
غاب عني ان كثيراً الشعراء الأموي الصميم كان فيمن وفدوا على مصر ولهذا الاستدراك
خطره ودلالته على اب خاصة الحكام في مصر قد احتفلوا باللغة العربية من عهد المولة
الاموية . والي لا شكره وأقدر ملاحظته وان كنت لم اذكر من ذكرت من الادباء
لذين وفدوا على مصر على سبيل الحصر بل على سبيل التمثيل .
اما ملاحظته الثانية فاني زعمت ان المصر بين لم يكن لهم عهد بالعربية قبل الفتح
الاسلامي . والواقع انه كان في مصر من قبل هذا من يحذقون العربية وانا اعرف هذا
. ولا اجمل على الاقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كتب الى المقوقس بالعربية
وانه لابد ان يكون هناك في مصر من ترجم كتاب النبي اليه ، ولكن ليس يذهب عن صديقي
الاديب ان الحديث انما كان مرسل سيفي اول عهد الامة المصرية بالعربية لا عهد افراد
او مشات منها بها وفيها لأن آلاف وآلاف يحذقون الفرنسية والانجليزية ولكن لا يستطيع
ان يزعم الانسان ان الامة المصرية تشكم الفرنسية والانكليزية .

واسطة السلوك

« في سياسة الملوك »

هو اسم كتاب نفيس ، لا يزال بدوياً مخطوطاً لم يُنشر بعد . توجد منه نسخة في مكتبة (الاسكريال) باسبانيا ، ترجمت الى اللغة الاسبانية بقلم الاستاذ كاهبارمدر يانو وطبعها (الترجمة الاسبانية) في سنة ١٨٩٩ م . بمدينة سرقسطة الا انه طبع منها نسخاً قليلة ، مرعان ما نفدت واصبحت نادرة لا تكاد توجد .

وكان المظنون ان النسخة الموجودة في (الاسكريال) هي النسخة الوحيدة من هذا الكتاب . غير اني عثرت اخيراً على نسخة مخطوطة أخرى من هذا الكتاب ، في مكتبة صديقي الفاضل الشيخ الحاج عبد القادر فارجه في تلمسان (الجزائر) وهي نسخة تقع في مائتين وخمس واربعين صفحة (٢٤٥) طول الواحدة منها ٢٨ سنتيمتراً - في عرض ٢٠ سنتيمتراً وفي كل صفحة ١٨ سطراً ولا تنقص كلمات كل سطر عن ١٢ كلمة ولا تزيد عن ١٥ كلمة وقد كتبت هذه النسخة بخط مغربي واضح ، وفيها كثير من الخطأ والتجريف ، بسبب ان الناسخ كان يسرع في نسخها ويمعن في هذه السرعة ، فاضطره ذلك ان يعمل بعض الحروف المعجمة وان يعم بعض الحروف المهملة او ان يكتب الدال راء او واوآ او نحو ذلك ، الا ان ذلك كله لا يحول دون قراءتها بسهولة وبلا عناء كبير . ومع ان الكتاب قديم ألف فيها بين سنة ٧٠ وبين ٨٠ من القرن الثامن الهجري فان هذه النسخة التي أصفها قد فرغ من نسخها في يوم السبت ٣ جمادى الاولى سنة ١٢٦١ (الف ومائتين وواحد وستين) . وقد كتب الناسخ اسمه في أسفل الصفحة الأخيرة بشكل مبهم لا يكاد يبين ، فلم أقرأ منه غير كلمتين لا أدري اولاهما من أخراهما وهما : حسن بن عمار او هي عمار تحريف عمر كما ينطقها العامة في تلمسان اليوم . واني الآن أبحث عن النسخة الاصلية التي أخذت منها هذه النسخة واعلي أجدها قريباً .

اسم الكتاب واسم المؤلف — اما الكتاب فاسمه في هذه النسخة (واسطة السلوك

في سياسة الملوك (وقد ذكره يحيى بن خلدون صاحب (نجعة الرواد في ذكر بني عبدالواد) باسم (نظم السلوك في سياسة الملوك) . واما اسم المؤلف ، فهو السلطان موسى ابوحمزة الثاني أشهر بني زيان ملوك تلمسان في التاريخ . غير ان هذه النسخة التي أصفها لم يذكر في اولها اسم المؤلف وانما ذكرت بعض أخبار بني زيان وذكرت معها تواريخها يستطيع الباحث ان يعلم منها اسم المؤلف وانه هو موسى بن حمزة وما فيه من شك . على ان قاري هذا الكتاب لا يلبث ان يقرأ فيه هذه القصيدة التي يقول فيها ناظمها وهو مؤلف الكتاب :

(وانا موسى ابو حمزة أصلح للملك ولا يصلح لي)

(فانا للطفل كوالده واسوق الشيخ نلى مهل)

وهي قصيدة رائعة ملئت حكمة وحُكماً .

موضوع الكتاب — هو سياسة الملوك وتدبير الممالك ، ولعل هذا الكتاب هو من خير ما ألف الناس في هذا الموضوع . وضعه موسى ابوحمزة هذا لابنه وهو يعظه ويوصيه ويقص عليه تجاربه واختباراته في السياسة والاجتماع . وقد اودع له في هذا الكتاب كل ما يحتاج اليه الملوك (او الخلفاء) الذين يدرون بمالكهم بانفسهم ، ويدبرون فيها كل جليل وحقير . وفي الحق ان هذا كتاب يدل على ان مؤلفه مطلع واسع الاطلاع ، وعالم غزير العلم ومجرب حكيم وسياسي داهية ، كثير الحيل والاخاديع . وهو كتاب يحتاج الى مثله (بالاخص) اولئك الذين يحكمون أممهم وشعوبهم حكماً افرادياً ديموقراطياً . لا بل يحتاج اليه كل حاكم ، طاغية كان ام عادلاً . لا بل يحتاج اليه كل عالم من علماء التاريخ والاجتماع فهو صورة واضحة لتفسيه موسى ابي حمزة الثاني الزباني ، وما في هذه النفس الملوكة الكبرى من وداعة وتواضع وما فيها من عظمة وجبروت . وهو ايضا صورة واضحة للمجتمع الاسلامي في الجزائر او في المغرب كله لذلك العهد ، ولما سفي هذا المجتمع يومئذ من رغبات ومطامح وما فيه من شهوات ومطامع .

وتشعر ، وانت تقرأ هذا الكتاب بان مؤلفه يقنطعه من نفسه افئطاعاً . وتراه يضع بين يديك آراء ناضجة قوية في السياسة والاجتماع وهي وليدة التجربة والاختبار . ولا تكاد تجد في الكتاب كله رأياً واحداً بني على الفرض والتقدير دون الخبرة والعيان . ومن هنا جاءت قيمة هذا الكتاب ، ومن هنا كان كتاباً علمياً ، وان موضوعه في سياسة الملوك .

وليس عجيباً ان يكون هذا الكتاب مبنياً على الواقع الذي لا ريب فيه ، فقد وضعه صاحبه لابنه وولي عهده واجتهده ان يكون له هذا الكتاب دستوراً قويمًا ، بقيه شر ما يكون في تدبير الملك وسياسة الامة من اغلاط وعثرات . ولكن اباتاشفين الثاني هذا كان ولداً عاقاً لاخير فيه ، وما كان اهلاً للملك . فقد جازى اياه (اباحمو) جزاء سنار استبطاً حياة ابيه فتعجل الامر وثار عليه فقتله ، وقتل معه كثيراً من رجال الدولة وعلماء الدين . ثم لم يتمتع بالملك بعد ابيه غير اربع سنوات قضاها بين الفتن والاضطرابات .

أسلوب الكتاب — وأسلوب الكتاب في جملة هو أسلوب القرن الثامن الذي كان يعيش فيه المؤلف . وهو أسلوب كان شائعاً بين الادباء عموماً وأدباء المغرب خصوصاً ، منذ القرن السابع الى ما قبل هذه النهضة الادبية الحاضرة ، ولا يزال كثير من أدباء مراکش (المغرب الأقصى) يكتبون به الى هذا اليوم .

واسحاب هذا الاسلوب في الغالب لا يستعملون الكلمة في موضعها ولا يؤدون المعنى باللفظ الذي وضع له (لاحقيقة ولا مجازاً) ويكثرون من الاسجاع الباردة التي بتكلفونها ولو افضى بهم تكلفها الى إضاعة المعنى . وقد لا يزيدون السجعة (الفاصلة) بنهايتها لشيء الا ثثرة وفضولاً . وابو حمو هذا ، كذلك في هذا الكتاب لا يجيد القول ولا يضع الكلم في مواضعه الا اذا ترك السجع وارسل نفسه على سجيته و جاء كلامه عفواً ، وحينئذ يكون كلامه « سهلاً ممنوعاً » منسجماً صادقاً لا عيب فيه .

على ان ابا حمو هذا قد وفق في أسلوب هذا الكتاب الى حد بعيد من التوفيق ، فهو لا يكثف ببيان الرأي من آرائه التي ولدتها تجاربه واختباراته ، حتى يزيد على ذلك قصة صغيرة او يضرب لك مثلاً من الأمثال يقتنعك كل الاقتناع من حيث تشعرا ومن حيث لا تشعربصحة الرأي الذي يراه ويذهب اليه .

تبويب الكتاب — وقد جعل المؤلف كتابه هذا ديباجة واربعة ابواب . فاما الديباجة فقد ذكر فيها السبب الذي حمله على تأليف الكتاب ، فقال فيها : « . . . أما بعد ، فانه لما كانت الاولاد ، قطع الأكباد ، وعماد الظهور ، وشفاء الصدور ، وثمار القلوب ، وجلاء الكروب ، ودرة كل زين ، وقرّة كل عين ، ووصلة الانساب ، وسلسلة النسل والاعتناء (كذا بالاصل) وورثة الآباء . . . وسر الحياة ، وحياة العظام

الرفات . يرغب فيهم الانبياء ، وبعثت بهم الاولياء ، قال الله عز وجل مخبراً عن نبيه زكريا اذ دعاه : « . . . فهب لي من لدنك ولياً يرثني ، ويرث من آل يعقوب ، واجعله ربّ راضياً . . . » — وجب (وهذا جواب لما) ان تكون لهم الآباء كالسما والظليلة ، والشمس المنيرة ، والسحب المنيلة . يخفونهم بكل أدب وفضيلة ، ويخفونهم كل فائدة جليسة . وخير الآباء للابناء من لم ندعه المودة (يريد العطف الابوي) للتربط في الحقوق (يعني ما يجب على الاب من تربية الابن وتهذيبه) ، وخير الابناء للآباء من لم يدعه التقصير الى العقوق . قال صلى الله عليه وسلم : الاولاد من رياحين الجنة . وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه وكان محباً في ولده سالم : يلوموني في سالم وألومهم وجلدة بين العين والانف سالم وقال معلّي الطائي :

وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض

ان هبت الريح على بعضهم تمنع العين من النفض

فرأينا اولى ما يخف به ولي عهدنا ووارث مجدنا ، والخليفة ان شاء الله من بعدنا ، وصايا حكيمة ، وسياسة علمية مما تختص به الملوك ، ولننظم به امورهم انتظام السلوك . ولذلك سمينا هذا الكتاب بواسطة السلوك ، في سياسة الملوك ، ليكون اسمه موافق مسماه ، ولفظه بطابق معناه . هذه هي الدباجة نقلتها لك الا بعض فواصل منها . ومنها تعلم الغرض الذي حمل المؤلف على وضع هذا الكتاب . واما أربعة الابواب فقد قال عنها المؤلف هكذا : « . . . وبوابناه تبويباً على اربعة ابواب :

الباب الاول في الوصايا والآداب والحكم المرشدة الى الصواب .

الباب الثاني في قواعد الملك وأركانه ، وما يحتاج اليه الملك في قوام سلطانه .

الباب الثالث في الاوصاف التي هي (نظام) الملك وكاله ، وبهيجته وجماله .

الباب الرابع في الفراسة ، وهي خاتمة السياسة . ثم شرع بفصل كل باب الى

فصول ، وينوعه الى انواع .

ولكن هذا التنويع والتفصيل والتبويب ، كل ذلك لا قيمة له في الكتاب ، فالكتاب

كله باب واحد متصل الاطراف شديد الاتصال . او الابواب كلها في قواعد الملك واركانه وفيما ليس للملك منه بد .

وفي الفصل التالي نعود ان شاء الله الى ذكر النقط المهمة من كل باب ومن كل فصل من ابواب الكتاب وفصوله . حتى يعلم القاري ان الكتاب كله باب واحد في تدبير الملك لا اعتبار فيه لهذا التقسيم الذي قسمه المؤلف .

وقد عزمت انا وصديقي الاستاذ عبدالقادر محداد على نشر هذا الكتاب متى حصلنا على نسخة بالفوتوغراف من نسخة (الاسكر بال) وقد عملنا اكثر مما يجب عمله في هذا السبيل والله الموفق المستعان .

تلسان (الجزائر) : محمد سعيد الزاهري

رسالة الكرم

- ٦ -

« العنقود »

العنقود بالضم والعنقاد بالكسر لغة فيه . ما كثرت عليه حبات العنب قال الشاعر :

اذلني سوداء كالعنقاد كألحة كانت على مصاد

والجمع عناقيد . وقد صرح الجماهير بان نونه زائدة .

الخصلة بالفتح والضم العنقود .

العذق بالكسر العنقود من العنب والقنو من النخلة وجمعه أعذاق وعذوق . وقيل

العذق العنقود اذا اكل ما عليه . والعذق بالفتح النخلة وكل غصن له شعب . واعذقت

النخلة كثرت اعذاقها وفي المخصص واذا اكل ما على العنقود فالباقي عذق وتربك كما يقال

في عذق النخلة اذا انفض ما عليه . وفي التاج التربك كامير العنقود اذا اكل ما عليه ونحود

في اللسان .

القطف بالكسر العنقود ساعة يقطف واسم الثمار المقطوفة جمعه قطفوف وفي المخصص

القطف العنب اذا كان غصاً حتى يقطف . وفي الاصحى القطف العنب اذا ما كانت

غصاً حتى يقطف اي يدرك . هكذا ضبط بالفتح بالشكل وقد ضبط بالكسر كما رأيت .

والقطف بالفتح قطعك العنب وكل شيء تقطعه عن شيء فقد قطفته . وقطف العنب من

بابي ضرب وقتل قطفاً . وقطفه تقطيفاً جناه .

والقطاف ككتاب ومحاب اوان القطف ووقته . وقال الاصحى حصاد العنب

وقطافه مكسوران .

وأقطف العنب حان ان يقطف . وأقطف القوم حان قطاف كرومهم وأقطف الكرم

دنا قطافه .

والمقطف كمنبر اضل العنقود . والمجمل الذي يقطف به .

والمقطف كسعد مايجني فيه الثمر جمعه مقاطف .
والقطافة بالضم ككناسة ما يسقط من العنب اذا قطف . وقطافة الشجر ماقطف
منه .

ويقال ماش كرمه يموشه موشاً اذا طلب باقي قطوفه . وفي التاج اذا تتبع باقي قطوفه
فأخذها .

العسقب والعسقية بالكسر كلاهما عنقيد صغير يكون منفرداً يلتصق باصل
العنقود الضخم والجمع عساقب . وفي القاموس العسقية بالكسر عنقيد منفرد ملتزق باصل
العنقود والجمع عسقب وعساقب قال في التاج عسقب جنس جمعي كثير وتمره لاجمع
حقبي وعساقب جمع حقبي .

العسكة كالعسقة وزناً ومعنى والكاف لغة في القاف . قال في القاموس ويكون
فيه عشر حبات قال في التاج وهذا قيد غريب .

المكتب كعظم العنقود أكل بعض ما فيه وترك بعضه .
العمشوش بالضم العنقود يؤكل^(١) ما عليه ويترك بعضه والجمع العماشيش . والعمشوق
كالعمشوش وزناً ومعنى .

وقال الاصمعي العمشوش العنقود اذا أخذ ما عليه وفي المخصص اذا أكل ما فيه .
وقال ابن شميل اذا أكل ما عليه فهو ثفروق وعمشوش (كلاهما بالضم) وجمع
الثرقوق ثفاريق .

قال الاصمعي الثفاريق العناقيد الخالية . وقيل الثفروق العنقود يخرط ما عليه فيبقى
عليه الحبة والحبثان والثلاث يخطئها الخلب فتبقى للمساكين . وفي المخصص الثفاريق
العناقيد الخالية من الحب . وقال ابو علي هي الثفاريق ما لم يكن فيها عنب فاذا كان فيها عنب
فهي العناقيد .

وسياتي ان الثفاريق اقناع الحب .

الرئيس كأمر العنقود المكثز يقال ارتبس العنقود اكثز . وفي اللسان وعنقود

(١) هكذا في اللسان وفي التاج يؤكل بعض ما عليه .

مرتبس معناه انضمام^(١) حبه وتداخل بعضه في بعض .
الكشر بالثمر يك العنقود اذا أكل ما عليه وألقي .
ويقال عنقود مُنَبَّيْن كعظم اكل بعض ما عليه من العنب .
الخصاصة بالضم ما يبق في الكرم بعد قطافه العنقيد الصغير ههنا وآخر ههنا والجمع
الخصاص بالضم وهو النبد القليل . وفي اللسان عن ابي حنيفة الخصاصة والجمع الخصاص
كلاهما بالفتح . وقال الاصمعي واذا لم يرد الفصن وخرج حبه ضعيفاً منفرداً فهو الخصاصة
والخصرم ونجوه في المخصص الا انه لم يذكر الخصرم ولم أر من ذكرها غير الاصمعي .
وقال الاصمعي يسمون العنقود القنا (هكذا بالقاء المكسورة) . وفي المخصص ويقال
للعنقود قنؤ كما يقال للكباشه ابوحاتم وهو القنا بالقاف المكسورة . وفي اللسان القنؤ
العنق بما فيه من الرطب . وفيه ايضاً والقنؤ والكباشه والقنا بالفتح لغة فيه .
الشرجنة بالكسر الشعبة من العنقود تدرك كلها . وقد أشجن الكرم صار ذا شجنة
وتشجن الشجر النف . وفي الاصمعي ويسمون شعبة العنقود الشجنة .
والشجنة عروق الشجر المشبكة . والشجنة الشعبة من الشئ .
الشمر اخ والشمرؤخ العشكال^(٢) الذي عليه البسر واصله في العنق وقد يكون
في العنب . وفي التهذيب الشمر اخ عسقة من عنق عنقود . وفي كتاب الاصمعي والشعبة
من العنقود الشمر اخ منه ولا يسمى شمر اخاً ولكنه تفسير منه . وفي المخصص والشعبة من
العنقود شمر اخ وعسقة وعسقب وهو كذلك من العنق .
والتذليل تسوية عناقيد الكرم وتذليلها . ذلل الكرم دليت عناقيده وفي المخصص
واذا سويت عناقيد الكرم فدليت فذلك التذليل . وفي مفردات الراغب وذلت قطوفها
تذليلاً اي سهلت .

(١) اي انضمامه ويؤيده عبارة التاج . ارتبس العنقود اذا اكثر وذلك اذا تضام
حبه وتداخل في بعض .

(٢) قال في اللسان والعشكول والعشكال الشمر اخ وهو ما عليه البسر من عيدات
الكباشه وهو في النخل بمنزلة العنقود من الكرم . والاثكال والاثكول لغة في العشكال
والعشكول .

« عجم العنب »

العجم بالتمزيك والعجاس كغراب النوى نوى التمر والنبق وغيرهما الواحدة عجمة مثل قصب وقصبة . والعامية لقوله عجم بالتسكين وكل ما كان في جوف ما كول كالزبيب وما أشبهه عجم . وقال ابو حنيفة العجمة حبة العنب حتى ثبتت .
 الفرصد والفرصيد والفرصاد بكسر اولها . عجم العنب وعجم الزبيب .
 النواة عجمة التمر والزبيب وغيرهما والجمع نَوَى ونُوى ونُوى وأنواء جمع نَوَى . والنوى بذكر ويؤنث ويكتب بالياء .
 وفي كتاب الأصمعي حب العنب النواء (هكذا بالمد ولم أجدها لغيره ولعلها من تحريف النساخ) .

الحبة بالضم عجم العنب وقد تخفف كسبة وقال الاصمعي الحبة الحب الذي في جوف الحبة من العنب . وقال حب كل شيء ثقيل الباء الا حبة العنب والسفرجل والقرع .

« قشر العنب »

الجنة ن قشر العنب الذي فيه الماء .
 الدواة بالذال المهملة قشر الحنظلة والعنبه والبطيخة . وهي لغة في الدواة بالذال المعجمة . والجمع ذوى .
 لحاء العنبه قشرها وفي الحديث (فاستلم يحد احدكم الا لحاء عنبه او عود شجرة فليمضه) أراد قشر العنبه استعاره من قشر العود .
 الذَّطْل القشر الذي على الطعم من العنب .

« اقناع العنب »

القمم والقمم ما التزق باسفل العنب والتمر ونحوهما والجمع اقناع .
 الذُّفُ روق بالضم والذَّاء المثناة فمع حب العنب وقع التمر والبسر والجمع ثفاريق وقيل الثفروق ما يلزق به القمع من التمرة وقيل علاقة ما بين النواة والقمع . وقد تقدم في (العنقود) ان الثفروق المشوش .

والذُّفُ روق بالذال والذُّفُ روق بالذاء المثناة لغة في الثفروق .

وفي اللسان العندقة ثغرة السرة وقيل العندقة موضع في أسفل البطن عند

السرة كأنها ثغرة النخر في الحلقة و يقال ذلك في العنقود من العنب وفي حمل الاراك والبطم ونحوه .

« تلون العنب ونضجه »

يقال ألمص الكرم . لان عنبه واللامص حافظ الكرم زاد الاصمعي . الطائف فيه يأخذ هبرة من ادناه وهبرة من اوسطه وهبرة من آخره .
وأوشم الكرم اذا بدأ يلون او اذا تم نضجه واوشم العنب لان وطاب . وفي المخصص اذا ابتداء يلون قيل اوشم ثم حلقم وسيأتي في نضج وقال الخطيب الاسكافي فاذا اسود بعض حبوبه قيل اوشم فاذا اسود نصفها قيل شطر^(١) فاذا اسودت الحبة الا بعضها مما يلي القمع قيل حلقمت .
أومس العنب اذا لانت للنضج قيل ومنه قيل للفاجرة مومس ومومسة لانها تلين لمريدها .

اوراق العنب يوراق اذا لون فهو موراق . وفي اللسان اوراق يوراق ايريقا اذا لون .
تشكل العنب اينع بعضه وشكل وتشكل اسود واخذ في النضج كذا في اللسان والمخصص وفي القاموس شكل العنب اينع بعضه واسود واخذ في النضج كتشكل وشكل . الاصمعي يقال للاسود تشكل بسواد اذا ما اسود بعضه .
وفي اللسان وتمر مجزّع ومجزّع وبلع الارطاب نصفه وقيل بلع الارطاب من أسفله الى نصفه وقيل الى ثلثيه . وقيل بلع بعضه من غير ان يحد وكذلك الرطب والعنب وقد جزع البسر والرطب وغيرهما تجزيعاً فهو مجزّع وقال المعري المجزّع بالكسر وقال شمر بالنصب وقال الازهري ومما عي من المجر بين رطب مجزّع بكسر الزاي كما رواه المعري عن ابي عبيد .

التمزيج بالجيم في العنب والسنبل ان يلون من خضرة الى صفرة وقد مزج العنب اصفر بعد خضرة . ومزج الكرم أثر .

(١) لم اجدها بهذا المعنى في اللسان ولا في التاج واعلمها مأخوذة من شطر الشيء نصفه او من شطر بناقته اذا صر خلفها وترك خلفين فليراجع .

ويقال مزج العنب والسنبل تمزجاً اذا لون ومزج الكرم اذا ثمر . قال في القاموس
او الصواب بالجيم اي مزج قال في التاج وقد أورده الزمخشري وغيره هنا اي في باب
الحاء .

الوَكَب سواد التمر اذا نضج واكثر ما يستعمل في العنب . في المختصن الوَكَب
سواد العنب اذا نضج وقد وَكَب . وفي التهذيب الوكب سواد اللون من عنب او غير
ذلك اذا نضج . ووَكَب العنب توكباً اخذه نلوين السواد واسمه في تلك الحال مُوَكَب
على صيغة اسم الفاعل .

وقال الازهرى . والمعروف في لون العنب والرطب اذا ظهر فيه ادنى سواد التوكيت
يقال بسر مُوَكَب .

ويقال تموّء العنب اذا جرى فيه الينع وحسن لونه او امتلاً ماءً ونهياً للنضج
وكذلك النخل .

ينع العنب وأينع أدرك ونضج ويقال ينع الثمر بينع من بابي منع وضرب ينعا بفتح
الياء وينعا وينوعاً بضمها فيهما اذا أدرك ونضج فهو يانع من ينع وأينع بفتح الياء فهو
مونع ويانع مثله . قال في اللسان وأينع بالالف اكثر استعمالاً . وفي القاموس ينع الثمر
حان قطافه كأينع . وثمر ينوع كأينع وأينع ويانع واليانع الأحمر من كل شيء . وثمر
يانع اذا لوت .

المجج بفتحتمين ادراك العنب ونضجه . وفي الحديث (لا تبع العنب حتى يظهر مججه)
اي بلوغه . ويقال مجج العنب يمجج اذا طاب وصار حلواً . وفي الحديث (لا يصلح
السلف في العنب والزيتون وأشياء ذلك حتى يمجج) .

ويقال رق جلد العنب . لطف . وأرق العنب رق جلده وكثر ماؤه وخص به
ابو حنيفة العنب الأبيض كذا في اللسان . وفي القاموس أرق العنب تم نضجه خاص
بالأبيض . وقال الأصمعي^(١) اذا رأيت في الحب الماء قلت قد أرق فاذا أدرك قلت
أينع . وقال : يقال للعنب الأسود قد أوشم والعنب الأبيض قد أرق وذلك حين يلين

(١) نقله في المختصن عن أبي حنيفة .

بعض الهبر ولم تلتن كلها . وقال في موضع آخر : يقال ارقق للابيض اذا رقق حبه واخذ فيه النضج . وفي المخصص ابو حنيفة ارقق ابيض العنب وهو الملاحي والملاحي والتشديد قليل وتشكل اسوده ووككت وهو الغريب .

في المخصص ألقى العنب أدرك . وفي اللسان ألقى الشيء يلقى ألقيا وإلقى وألقى وهو ألقى حان وأدرك . وخصه بعضهم بالنبات . وفي التاج بلغ هذا الشيء اناء بالفتح وبكسر أي غايته أو نضجه وأدراكه .

نضج العنب والتمر والتمر والاحم من باب سمع بنضج نضجا ونضجا أدرك . والاسم النضج . قال في المخصص اذا ابتداء بلون قبل أو شم ثم حلقم^(١) ثم أبنع وبنع بينع ينعا وبنوعا وصالح صلوحا ونضج نضجا ثم احصد وهو الحصاد ثم افطف وهو القطف .
و يقال أفضخ العنقود أي حان ان يفنضخ ويعتصر ما فيه .

عضو المجمع العلمي
سليم الجندي



(١) في اللسان رطب محلقم ومحلقن وهي الحماقمة والحماقانة وهي التي بدأ فيها النضج من قبل قمعها وفيه عن أبي عبيد يقال للبسر اذا بدأ فيه الارطاب من قبل ذنبه مذآب فاذا بلغ الارطاب نصفه فهو مجزع فاذا بلغ ثلثيه فهو حاقان ومحلقن وفي التاج وقد حلقم وحلقن وزعم يعقوب انه بدل .

آراء وافكار

—*—

« تأويل كلمات في تاريخ حلب »

في الكتب التاريخية الحصيفة بحلب — اسماء أعلام تحمل مؤلفوها وتأويلها فأفرغوها في قوالب عربية مع انها أعجمية محضة موضوعة على مسمياتها من قبل الامم الأعجمية التي كانت تقطن حلب وما يضاف اليها من الاصقاع قبل الفتح الاسلامي وهي كلمات كثيرة قد نشعر الاطحة بها ويصعب تحليلها على من لم يكن متضلعا باللغة السريانية وغيرها من اللغات المنقرعة عن اللغة الآرامية .

وقد اقتضت منها على خمس كلمات أوردتها كالنموذج لهذا الموضوع فأقول :

— الكلمة الاولى « حلب » —

هذه الكلمة علم على مدينتنا المعروفة ، وقد كثرت الأقاويل في تأويلها فمن قائل انها اسم اول بان لهذه المدينة وهو (حلب بن مهر بن خاب) قلت هذا الاسم مما لم أره الا في بعض تواريخ حلب ، وقيل ان هذه الكلمة (حلب) جعلت علماً على هذه المدينة اخذاً من قول العرب (ابراهيم حلب الشهباء) حينما كان مقبلاً في تلها قبل ان تبني عليه القلعة فكان كل يوم يحلب بقرة له شهباء ويوزع لبنها على العرب الخيامين في جواره ، قلت ربما كان لهذا القول نصيب من الصحة اذا سلمنا بان العرب كانوا يترددون على هذه الاصقاع للامتيار وتسريح السوائم في مراعيها الحصيبة او انهم كانوا مقيمين فيها تحت مضاربهم جيراناً لاخوانهم الأراميين ، فقد صرح هيرودس واسترابون وغيرهما من قدماء المؤرخين وبعض علماء هذا العصر — ان قبائل عديدة من بلاد العرب او من خليج العجم ارتحلوا الى سورية منذ قديم الايام . قلت فمن الجائز حينئذ ان يكون هذا الصقع عرف بهذا الاسم اخذاً من فعل الخليل وان كان له اسماء آخر عند غير العرب من

الامم التي كانت تقطن هذا الصقع الا ان صحة هذا التأويل تبقى موقوفة ريثما تثبت بحجج الخليل الى هذه الانحاء فلندعه موقوفاً في زوايا الالهال حتى نظفر باثر يثبت بحجج الخليل اليها . وقال بعضهم ان كلمة (حلب) محرفة عن هـأبـه وهو اسمها عند العمالة وهو قول عجـزنا عن اثباته . وزعم آخرون انها محرفة عن خـأبـه قال وهو اسمها عند اليونانيين وهو قول عارٍ عن الصحة فقد ثبت ان اليونانيين كانوا يسمونها (بـرُؤا) وهو اسم احدى مدنها في تراقيا ، سموها بهذا الاسم جريباً على سمنهم في تسمية ما يحنلون منه البلاد الاجنبية باسم احدى مدنها الاصلية . ورأى حضرة المطران فرحات في قاموسه ان كلمة حلب معربة عن (ألب) منقولة عن اسم مجددها (البيوس) الشهير من وزراء بوليانوس العاصي ، قلت يعارض هذا الرأي ان (البيوس) وجد بعد المسيح عليه السلام وحلب كانت تسمى بهذا الاسم قبله في عهد بني اسرائيل فان الامتاز منك الفرنسي الجغرافي الشهير — سماها بهذا الاسم في خارطة بني امرا ئيل عن اطلسه العام التاريخي . وأطلق كزائقون اليوناني تليـذ سقراط الحكيم كلمة حلب على الاصقاع الممتدة من اذنة الى الفرات .

رأيت في هذه الكلمة — والذي أراه في هذه الكلمة انها مريانية محرفة عن (حلبا) بالألف ومعناها البيضاء حذفت الفها بالاستعمال جريباً على قاعدة المتكلمين بالسريانية من انهم يحذفون أمثال هذه الالف بالتكلم ، وان اتباع حلب بكلمة الشهباء التي معناها البيضاء المصدوعة بالسواد — مما وضعه العرب كالمرادف لكلمة حلب تفسيراً لها ، وان السريانيون كانوا يسمونها بهذا الاسم لما كان يشاهد للمقبل عليها من بياض ضواحيها التي تكثر فيها سباح الملح خصوصاً ضواحيها الجنوبية الشرقية التي تبهر الناظر بلحمان مباحها ولا سيما إبان القيظ ولما كان يشاهد للقادم على حلب من بياض مبانيها التي كان معظمها يبنى بالحوار الابيض المأخوذ من مغاراتها الواسعة المنتشرة فيها وفي أطرافها كفارة حارة المعادي وحارة الكلاسة وغيرهما من المغائر التي يطول الشرح بعدتها فسكأت مناظر حلب لهذا السبب كناظر مدينة عينتاب والرثا وغيرهما من البلدان التي ما برحت عماتها تبنى بالحوار حتى الآن .

كانت مباني حلب تبنى كلها من هذه المادة سوى مباني الحصون وبعض مباني المعابد ومنازل الحكماء والامراء وذوي الثراء وسبب ذلك كثرة ما تتطلبه المباني الحجرية من

المال الكثير والعناء الشديد في قطع الحجارة وقلعها من مناجمها فان اهل هذه الحرفة قبل ان يستعملوا البارود في نسف الصخور والجنادل على طريقة (اللغم) المعروفة كانوا يحطحون صغارها بالمعاول والصواكير ويحزون كبارها بالحز و يسفنونها بورق الحديد فيصرفون في ذلك أموالاً طائلة ويتكبدون من الضيق والعناء ما لا مزيد عليه .

— الكلمة الثانية « قويق » —

هذه الكلمة علم على نهر حلب وفيه يقول الشاعر الصنوبري :

قويق على الصفراء ركب جسمه فمأ لهب القبط الأليم يوافقه
اذا جد جد الصيف غادر جسمه ضيلاً ولكن الشتاء يرافقه

قال ابن الشحنة نقلاً عن ابن شداد — يريد الصنوبري بهذا ان اصحاب الامزجة الصفراوية لنحل أجسامهم في الصيف ويوافقهم الشتاء وان قويق يقل مأؤه في الصيف حتى يصير حول المدينة كالساقية ، قال ابن الشحنة وقد فهمت من هذا امراً وراء ما ذكره ابن شداد وهو ان قويق تصغير قاق وهو يخالف طبعه الحر فيكون في الصيف غاية في الضعف وفي الشتاء غاية في النشاط اه . هذا ما استنبطه ابن الشحنة من بيتي الصنوبري ، ومراده بالفاق الطائر المعروف بالغراب الأبقم المكني بابن دأية .

وقال ياقوت في كتابه معجم البلدان لما تكلم على هذا النهر قويق كأنه تصغير قاق وهو صوت الضفدع ولذا قال شاعرهم وأورد البيتين الأخيرين من هذه القطعة وهي :

قويق اذا شم ريح الشتاء اظهر تيهها وكبراً عجيبا
ومائل دجلة ثم الفرا ت بهاء ولطفاً وحسناً وظيبا
وان اقبل الصيف ابصرته ذليلاً حقيراً حزينا كئيبا
اذا ما الضفادع نادينه قويق قويق ابى ان يجيبا
وتمشي الجرادة فيه فلا تكاد قوائمها ان تغيبا

فهذان تأويلان لكلمة قويق ، وهناك تأويل ثالث ربما كان أسخف منهما ، وهو ما ذكره صاحب سالنامه ولاية حلب المطبوعة سنة ١٣٠٠ فقد زعم ان هذا النهر أضيف الى اسم الذي جرت من منبعه الى حلب وهو قويق اغا احد زعماء التركات في دارة العمق المدفون في تربة سوق الخيل بحلب ، أقول هذا النهر من جملة الانهار الطبيعية الجارية

بطبعها التي لم يجزها احد من منابعها وان المدفون في التربة المذكورة أرغون نائب حلب لا غير وان قوبق الذي زعمه صاحب التقويم السنوي عنقاء مغرب لا ذكر له في كتاب ولا سمعنا به من احد .

رأيت بهذه الكلمة — أرى ان كلمة قوبق محرفة عن (قوق) كلمة يطلقها الاثراك على شجر (الحور) وهو شجر ابيض اللحاء بطول باستقامة نحو عشرين متراً او اكثر ومنه نوع تعمل من صمغه الكهرباء .

بيان ذلك ان هذا النهر كان ولم يزل يغرس على أطرافه في أوائله من بلاد عينتاب — شجر الحور فيتمو وينجب وبيع منه الكثير في البلاد القريبة من عينتاب فعرف به هذا النهر وأضيف اليه وقيل باللسان التركي (قوق نهري) ثم نقل الى اللغة العربية ف قيل (نهر قوق) ثم حرفت الكلمة الثانية فصار نهر قوبق وترجمتها بالعربية (نهر الحور) .

ومما يؤيد ان كلمة قوبق تحريف (قوق) التركية انه يوجد في مدينة عينتاب التي هي اول مصدر للينابيع التي يتكون منها هذا النهر — مستنقع عظيم معد منذ القدم لغرس شجر الحور . معروف حتى الآن باسم (قوقلق) اي مغرسة الحور او (محورة) كان هذا النهر يسمى قديماً (شالوس) ، وقال (دارفيو) : احد قناصل الدولة الفرنسية بحلب في حدود القرن الحادي عشر هـ في كتابه الذي سماه (تذكره اسفاري) — كان هذا النهر يسمى (ميغا) او (سيكويم) وانه كان يسمى قبلاً (بيلور) هـ . وسماه (كرانفون) اليوناني (خالس) . قال وهو نهر صغير فيه أنواع من السمك والسر يون يخسبونها آلهة ولا يسبحون بصيدها لاحد .

والذي يغلب على ظني ان اول مرة أضيف هذا النهر الى كلمة قوق كانت في ايام الدولة الطولونية التي هي اول دولة تركية حكمت في حلب بعد الفتح الاسلامي فان هذا الاسم للنهر لم نره في شيء من النظم والنثر أقدم من كلام الشاعر البحري الذي استغرقت حياته جميع ايام الدولة الطولونية ، فلعل أسماءه القديمة التي ذكرناها نسبت او هجرها الناس استثقالا لها فاعتاضوا عنها باسمه الجديد .

— الكلمة الثالثة « بانقوسا » —

هذه الكلمة علم على ناحية في ظاهر مدينة حلب فسيحة الاكثاف مزارية الاطراف

كانت قبل القرن السابع للهجرة ذات اشجار ملثفة وادواح محتبكة ، منها يستمد اهل حلب ما يعوزهم من الأخشاب المتنوعة ، وكانت من جهة أخرى تعدّ من جملة منزهات حلب كما تشير الى ذلك اشعار البحتري والصنوبري وغيرهما من الشعراء ، وكما يظهر من عبارات المؤرخين حين تكلمهم عن الحروب الناشئة بين سيف الدولة وبين كافور الاخشيدي الذي كان يقطع الاشجار التي اشتهرت حلب بكثرتها قال البحتري :

اقام كل ملث القطر رجاس على ديار بعوا الشام ادواس
فيها لعلوة مصطاف ومرتبغ من بانقوسا وبابلي وبطيّاس
وقال الصنوبري :

وللظهر من حلب منزل ثياب العيون على حجه
اعد نحو جوشنه نظارة الى سمتيه والى برجه
الى بانقوسا وتلك التي حكّت راكباً لاح من فجّه
لترتاح نفسك من دوحه ويمرح طرفك في مرجه
وقال من قصيدة أخرى :

حبذا الباءات باءت وقويق وورباها
بانقوساها بها باهي المباهي حين باها
وقال محمد الدين بن اسماعيل الآمدي :

سقى الله وادي بانقوسا من الحيا سماء يروي تربها ويصيب
تأويل العامة لهذه الكلمة — يزعم العامة من اهل حلب ان هذه الكلمة مركبة من كلمتين احداها (بان) والاخرى (قوسها) اي ظهر قوسها ويحكون في ذلك حكاية طويلة خلاصتها ان حرباً قامت على ساق بين اهل حلب وبين الروم وكثرت القتلى من الحلبيين حتى خاض المتحاربون الدم وان الروم بينما كادوا يحرزون الغلبة على الحلبيين ويفنونهم عن آخرهم اذ ظهرت في آخر بات جيش اهل حلب فتاة وكانت معروفة عندهم بالفروسية والشجاعة واخذت تلوح للحلبيين بقوسها كأنها تشجعهم فاستبشروا بظهورها وقويت عزائمهم ونادوا فيأبينهم (بان قوسها ، بات قوسها) وكروا على الروم فهزموا ومزقوا جموعهم شر ممزق ومن ذلك التاريخ جعلت هذه الكلمة علماً على تلك الناحية .

تأويل اقل قيمة من افصوصة خرافية ، اما كانت من الواجب فيها ذكر تاريخ تلك الواقعة العظيمة وبيان اسم فتاتها الباسلة والاشادة بذكرها كما اشاد الفرنسيون بذكر فتاتهم جاندارك فان مثل هذه الفتاة جديرة بان تخلد ذكرها في صفحات التاريخ .

وهناك تأويل آخر لكلمة بانقوسا اشد بطلاناً من التأويل الاول لان القائل به يزعم ان بانقوسا نبي من انبياء الله العظام ، وذلك انه يوجد في جامع بانقوسا الشهير بحلب — ضريح يزوره الناس ويتبركون به لانه نقش على سنامه الحجرى هذه العبارة :

« يا حضرة نبي الله بانقوس على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام قد اخبر بهذا العلامة الشيخ مرتضى الدين الزبيدي شارح الاحياء والقاموس . قال شيخنا العلامة الشيخ احمد التكمجي نزيل مصر ان الشيخ مرتضى اما في علم التاريخ » اه .

اقول الشيخ مرتضى هذا هو العلامة محمد الشهير بمرتضى الدين الزبيدي المتوفى في القاهرة سنة ١٠٩٦ وقد تصفحت شرحه على الاحياء من اوله الى آخره فلم أظفر فيه بذكر نبي الله بانقوسا ، كما انني لا أعرف نبياً بهذا الاسم ولا ادري اين قال الشيخ مرتضى ان بانقوسا اسم نبي ، وانما قال في شرحه على القاموس فيما استدركه على مادة بناقبس بنقوسا جبل في ظاهر حلب ، واستشهد على قوله بابسات البحري التي اسلمت ذكرها ، فلو كان مرتضى الدين هو القائل بأن بانقوسا نبي من انبياء الله لكان ذكره اياها في هذا المحل اولى من ذكرها في غيره . لانه كان يجعلها استدراكاً على صاحب القاموس كما جرت عادته في ذلك . .

رأيت في هذه الكلمة - ارى في هذه الكلمة (بانقوسا) انها محرفة عن كلمة سربانية هي (بيت نقوشا) اي بيت النافوس حذفت من الكلمة الاولى الياء وأبدلت التاء بالالف كما هو قاعدة النقل من السربانية الى العربية كباصفرة وبابنس اي بيت صفرة وبيت بنس وقلبت الشين سيناً كما قلبت في قنشرين فصارت (بانقوسا) وربما استدلل بهذا على ان جبل هذه الناحية في ابام سكنى الكلدانيين في حلب كان . وضع الناقوس . وما يؤيد ان المراد من هذه الكلمة ما ذكرته انه يوجد من القديم في حارة من حارات حلب اسمها الشرعوسوس — حوض يعرف باسم فسطل (بنقوس) فهل كان الداعي لتسمية هذا الحوض بهذا الاسم ظهور فتاة باسلة ام هل مدفون سم في جواره نبي الله بانقوس حتى

سمي بهذا الاسم ، كلا بل هو لم ينفذ الى بنقوس الا لأن في جواره معبداً قديماً نصرانياً
علق عليه الناقوس .

الكلمة الرابعة « المعرة » — هذه الكلمة علم على مدينة معرة النعمان ، قال ياقوت
في كتابه معجم البلدان لما تكلم على هذه البلدة « المعرة تأتي بمعان مختلفة وهي الشدة
وكوكب في السماء دون الحجرة وتلون الوجه من الغضب والمعرة في الآية معناها جنابة
بجنابة العر وهو الجرب » اهـ .

قلت لا يخفى ان هذه البلدة لا يوجد لها صفة تؤهلها لان يطبق عليها احد هذه المعاني
ولذا ارى ان كلمة معرة سريانية الاصل محرفة عن (مَعَرَتَا) فتصرف بها العرب كما
تصرفوا بغيرها من الكلمات الاعجمية وان معنى هذه الكلمة المغسرة سميت بذلك لوجود
عدة مغارات فيها كانت معدة لاحتراز ماء المطر ، وهكذا يقال في معارة (معرة) مصرين
البلدة المعروفة ومعنى مصرين في السريانية (الامطار) يدل على صحة ما اراه وجود عدد
عظيم من المغائر في هذه البلدة ايضاً .

خاتمة — كل رأي ابدته في هذه المقالة ينبغي حمله على الأثر كان فليست مصر عليه
اذا قام البرهان على خلافه اذ لا ضالة لي أنشدتها سوى بيان الحقيقة ، والله يهدي الى
سواء السبيل .

كامل الغزي

عضو المجمع العلمي

دمشق

هل يقال فيها دمشقة ؟

« بين سيف الدولة وابن خالويه »

—*—

عقد ابن عساكر في تاريخه الكبير فصلاً ضمنه البحث (في اشتقاق تسمية دمشق وأماكن من نواحيها) وقد أحببنا ان ننقل منه النبذة التالية التي انتج بها الفصل قال :
ودفع اليّ ابو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي ببغداد كتاب اشتقاق اسماء البلدان لابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا اللغوي وعليه خطه فوجدت فيه :

واما دمشق فيقال انها من دَمْشَق وناقدة دَمْشَق اي مربعة قال :

وصاحبي ذاتُ هباب دَمْشَقُ كأنها بعد الكلال زورق^(١)

و يقال : دمشق الضرب دمشقة اذا ضرب ضرباً مربعاً خفيفاً .

أخبرنا ابو غالب احمد بن الحسن بن احمد البنا أنبأنا ابو علي محمد بن الحسين بن الفراء .
أنبأ ابو القاسم اسماعيل بن سعيد بن سويد المعدل قال : قال ابو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري أنبأنا :

« دمشق » فعل من قول العرب ناقدة دَمْشَق للخطو : اذا كانت خفيفة الخطو .

وذكر ابو عبد الله الحسين بن خالويه النحوي فيما قرأته بخط ابي محمد عبد الله بن

الخطايي الشاعر :

(١) أراد الشاعر بصاحبه ناقته والهاباب مصدر هب السائر من انسان ودابة نشط وأسرع . فهو يصف ناقته بالدمشقة والعجلة في السير يقال دَمْشَق الامر اذا اتاه بالعجلة .
و يفهم من التاج ان دمشق سميت من هذا لان الآسرين ببنائها كانوا يقولون (دمشقوها) اي ابنوها بالعجلة .

كتب اليّ سيف الدولة — لا شكّت^(١) عشره . ولا شأت يده — يسأل عن « دمشق » : هل يقال فيها « دِمَشْقَة » ام لا ؟
فقلت :

« (دمشق) اسم هذه المدينة . ليست عربية فيما ذكر ابن دريد . بل هي معربة . »
« ولا يقال الا بغير هاء . فأما (الدمشقة) السرعة : دمشق يدمشق دمشقة ودهشاقاً »
« اذا أمرع . وكل مريع دمشق . أطال الله بقاء سيدنا^(٢) »
فأعاد الرقعة وقد وقع عليها :

« مرء بنا في كتاب : قال عبد الرحمن بن سهل الحجيجي . وهو بعسكر يزيد
ابن ابي سفيان عند حصارهم دمشق : »

(أبلغ ابا سفيان عنا باننا على خير حال . كان جيش بكونها)
(وانا على بابي دِمَشْقَة نرتي وقد حان من بابي دمشقة حينها)

وفي الرقعة ايضاً :

« ان الناقة السريعة يقال لها (دمشق) والمرأة السريعة اليد في العمل » .
فكتبتُ تحته :

«^(٣) ولا سيما اذا قصد بدمشق الى مدينة . فزاد هاء . تأ كيداً »
« للتأنيث . كما ان عقر بآ مؤنثاً بغير علامة التأنيث . والعُمر بان ذكرها فقالوا : عقرية »
« تأ كيداً . فكذلك دمشق ودمشقة . وذكريونس وغيره : أنثاء وعجوزة وفرسة^(٤) . »
« كل ذلك تأ كيداً . وقرأ ابن مسعود (نسم وتسعون نعمة^(٥) أنثى) » .

(١) اي لا مرضت انا مله العشر . (٢) في موضع هذه النقطة من الاصل جملة
محرفة هذه ضرورتها (بد السند وزيارم خنور بكونه فيها) .

(٣) في موضع هذه النقطة من الاصل جملة محرفة ايضاً هذه صورتها (هذا حايين
الشاعر يحتمل له) . (٤) يعني ان كلمات (أنثى وعجوز وفرس) مؤنثات بغير تاء لكنهم
يلحقون بها التاء أحياناً لتأكيد التأنيث . (٥) يعني بزيادة كلمة « أنثى » على القراءة
المشهورة مع ان كلمة « نعمة » يفهم منها الأنوثة من دون كلمة « أنثى » لكنها ألحقت بها في
هذه القراءة لتأكيد التأنيث .

فبعث يستحضرني . فلما شلت بين يديه . قلت :
 « أيها الأمير : رب علم كنت سببه . وقد استنفذته « دمشق » . الا انه في
 « النخو كما ذكرت . والعرب تزيد المذكر بساناً . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :
 « (ابن لبون ذكر) وتزيد المؤنث تاء كيداً مثل (نعمة أنثى) » .
 وذكر كلاماً غيره :

سمعت ابا بكر محمد بن عبد الباقى بن محمد الفرضي ببغداد . وكان اسيراً . وبقي
 ببلاد الروم مدة . ثم ان رجلاً من حكماء الروم قال له : نما سميت « دمشق » بالرومية .
 وانت اصل اسمها « ذومسكس » اي مسك مضاعف لطبيها . لأن « ذو » للتصغير
 و « مسكس » هو المسك . ثم عربت فقبل (« دمشق » والله تعالى اعلم) اه .
 « المغربي »

من نوادر مخطوطات
« دار الكتب الظاهرية »

- ٤ -

(الملتزم في تاريخ الامم) : تأليف أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٢ هـ وهو تاريخ مفصل منذ بدء الخليقة الى زمن البعثة النبوية ، ثم منها الى خلافة المستضيء العباسي على ترتيب السنين . وفيه نبد من الفوائد الجديثة وتراجم الملوك والأعيان . والموجود منه المجلد الخامس : من وقعة اليرموك الى خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وحوادث سنة ست وثلاثين هجرية . وقد كتب سنة ٦٥٩ هـ بقلم نسخ . (رقم ٦٣ : التاريخ)

(أخبار الأذكىاء) : تأليف يوسف بن حسن بن عبد الهادي من علماء صالحة دمشق في القرن التاسع . نسخة بخط مؤلفها سنة ٨٩٤ هـ . (رقم ٦٣ : التاريخ)

(الكواكب السائرة بأعيان نعمة النماشرة) : تأليف نجم الدين محمد بن بدر الدين الغزي المتوفى سنة ١٠٦١ هـ وهو منجم فيه تراجم رجال عصره من علماء وأدباء وله ذيل للمؤلف نفسه سماه (لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر) نسخة كتبت بقلم عادي سنة ١١٦١ هـ . (رقم ٤١ : التاريخ)

(الإغراب في أحكام الكلاب) : تأليف يوسف بن حسن بن عبد الهادي . قال مؤلفه بعد البسملة والحمدلة « وبعد فهذه نبذة يسيرة في أحكام الكلاب سميتها (الإغراب في أحكام الكلاب) » . نسخة بخط المؤلف تعسر قراءتها . كتبها سنة ٨٩٤ هـ . (رقم ١٥ : الآداب)

(أسماء الضعفاء من رجال الحديث) : لأبي الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي

ابن محمد الجوزي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ وهو كتاب في من نسب الى الكذب ووضع الحديث ، ومن غلب على حديثه الوهم ، ومن يتهم في بعض حديثه ، مرتب على حروف المعجم ، الموجود منه نسخة تبتدي من حرف الألف الى الغين ، وكتب في هذه النسخة انها بخط محيي الدين النووي في ١٨٤ صفحة متوسطة - (رقم ٣٦٣ الحديث)

(اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفاظ الأعارف) : تأليف أبي موسى محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى الأصبهاني المولود بأصبهان سنة ٥٠١ هـ المتوفى سنة ٥٨١ هـ اولها (الحمد لله حمد الشاكرين الخ) أورد فيه أنواعاً لطافاً من علم الحديث لا يبتدي الى مثلها الا التحرير من الحفاظ : مثل رواية الفاروق عن الصديق : ورواية الصديق عنه . نسخة في ثمانية أجزاء عدد صفحاتها ١٦٠ كتبت بقلم عادي سنة ٥٧٠ هـ (رقم ٣٥٦ الحديث)

(شرح عقيلة أنواب القصائد في أماني المقاصد) : تأليف أبي العباس أحمد بن محمد جُبارة المرادي المتوفى سنة ٥٢٨ هـ وهو مجلد في ٣٥٨ صفحة بقطع الوسط بخط محمد عبد المولى الحنبلي البصري ، كتبها سنة ٦٩٨ هـ في مدينة بعلبك ، وقد قوبلت على نسخة المؤلف . (رقم ١٧ : قراءات)
حسني الكسم

مطبوعات حديثة

— « » —

معجم اسماء النبات

« تأليف الدكتور احمد عيسى بك عضو المجمع العلمي العربي بدمشق »
« واللجنة العليا لدار الكتب الملكية في القاهرة والمعهد العلمي المصري ، طبع »
« بالمطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ١٩٣٠ م في نحو ٣٠٠ صفحة من القطع »
« الكبير »

اذا كانت قيمة الكتب بالجهود التي تبذل في تصنيفها فهذا المعجم يعد كتاب السنة بل كتاب اكثر من سنة . فان ذكر بضعة آلاف من اسماء النبات بالعربية مع مقابلتها باللاتينية ومقابل عدد منها بالفرنسية والانكليزية امر يحتاج الى علم واسع بالنباتات والى بذل جهود عظيمة لتحرير الصحيح من الألفاظ العربية التي وردت في كتب الأجانب النباتية ككتاب بومست وشوينفورت وفورسكال وغيرهم . ولقد تصفحت المعجم وفتشت عن كثير من الألفاظ فيه فألفيته أجود ماوضع في هذا الصدد حتى الآن وأتمه ، والفيت المؤلف الفاضل راجع جميع ما يمكن الوصول اليه من المآخذ العربية والأعجمية ودون ما فيها بدقة تامة على شكل سهل معه مراجعة الألفاظ في اي لغة كانت من اللغات الاربع وهي اللاتينية والعربية والفرنسية والانكليزية . اما الطبع فهو ممنوع جداً والله در القائمين باعمال المطبعة الاميرية المصرية على ما يتحفظوننا به بين حين وآخر .

وقد رأيت من المفيد ان ألفت نظر العلامة صاحب المعجم الى ما يلي وهو :
اولاً . — لم أجد في المعجم كثيراً من الأزهار والرياحين وأشجار المتزيين وهي عدد عظيم مثل (Passiflora Coerulea) وهو نبات معرش معروف يسمونه في دمشق نبات الساعة لانهم يشبهون زهرته بالساعة و (Dahlia) وقد عربوه في دمشق بلفظة

أضاليا وأزهاره في الخريف مشهورة وشجر (Cazuarina) وهو خيطي الورق سريع النبات عرب بحرف كزورينا الى عشرات غيرها . وقد يكون عذرا المؤلف في اهمال هذه النباتات كون معظمها تعد نباتات اجنبية نقلت حديثا الى بلادنا وليس لها اسماء عربية ولكنني أرى ان هذه الملحوظة لا تحول دون اثباتها في المعجم كما أثبتت أمثالها (شجر الاوكالبتوس وغيره) . ثم ان لهذه النباتات شهرة تجعل ذكرها امراً ضرورياً في معجم كهذا وان كان لا يتناول غير اسماء النبات .

ثانياً . — لا يزال في المخصص وغيره عدد لا يستهان به من اسماء النبات لم أجدها في معجم الدكتور المحترم مثل الغذاء والحياة والسمك والسلاج والعباقية والأشجار الخ فعماء يتمكن من معرفة اسمائها العلمية وان كان ذلك امراً صعباً .

ثالثاً . — شاهدت في بعض انحاء لبنان كعين زحلحة وما بين برمانا وظهر الشوير وعلى ضفاف (البردوني) في زحلة شجرة تسمى باللاتينية (Alnus) وبالفرنسية (Aulne) ويسمونها اللبنانيون النغت والنغظ والمغت وهي الفاظ لم أجدها في الامهات . وقد ذكر بوسنت هذه الشجرة في كتابه اما صاحب معجم اسماء النبات فلم يذكرها .

رابعاً . — قال ابن السور بين يسمون النبات (Gundelia Tournefortii) الكُوب والكُوب مع اننا لم نسمع بغير الكُوب بتشديد الكاف . وقال اننا في الشام نسجي النبات (Prunier) الانجاس مع اننا نسميه الخوخ ونسميه المصريون البرقوق . ولم نسمع بلفظة انجاس ، اما لفظه انجاس بالصاد فلا نطلقها على غير الكثرى (Poirier) كما أورده . واما ما يسميه المصريون الخوخ اي (Pêcher) فاننا نسميه الدراق والدراق .

وذكر ابن ماسميد في الشام اسمي دنيا ويني دنيا هو الشجر المسمى (Mespilus germanica) وبالفرنسية (Néflier) على حين ان الشجر الذي نطلق عليه الألفاظ المذكورة وخاصة لفظ ايكي دنيا هو الشجر المسمى (Eriobotria japonica) دون غيره وبالفرنسية (Neflier du Japon, Bibassier) .

خامساً . — جمع حفصة المؤلف عمداً جميع الألفاظ التي رأى ان العرب يطلقونها على النبات الواحد مع ان من هذه الألفاظ ما اشتهر بكونه يدل على نبات آخر . وهذه

الطريقة لا تخلو من سينثات مثاله انه أورد مقابل النبات المسبى (*Vicia Ervilia*)
 ١٣ لفظة منها الكرمنة والبيقية والقرصنة ، فالكرمنة هي اللفظة الوحيدة التي يُعرف
 النبات المذكور بها في الشام وفي معظم البلاد العربية (وهو من القطاني المشهورة) اما
 لفظة البيقية فالشاميون كافة لا يطلقونها الا على النبات الزراعي المعروف المسبى
 (*Vicia Sativa*) .

(ومن الغريب ان المؤلف لم يذكر لفظة بيقية وبيقية مقابل هذا الاسم اللاتيني) .
 واما لفظة قرصنة فنحن لانطلقها اليوم الا على النبات المسبى (*Eryngium Creticum*)
 وهو من البقول البرية . فيتضح من ذلك ان طالب العلم اذا قرأ في كتاب زراعي فرنسي
 عن نبات (*Ers ervilier*) مثلاً وفتش عما يقابله بالعربية في المعجم يضيع بين اللفظات
 الثلاث المذكورة لان كلا منها لا تستعمل (في الشام على الاقل) الا لنبات واحد من
 النباتات الثلاثة .

ولا شك ان الدكتور هو أجدر من يدرك اضرار تعدد المعاني في اللفظ الواحد
 ولا سيما في موضوع علمي كهذا اذ لا يجوز ان تتناول اللفظة غير نبات بعينه لكن المؤلف الفاضل
 تهمد كما يفهم من مقدمة المعجم ذكر جميع مدلولات اللفظة الواحدة لتكون الالفاظ مرجعاً
 لعلماء المستقبل الذين سيمهد اليهم تخصيص المعنى الواحد بكلمة واحدة .

وبعد فان معجم العلامة احمد عيسى بك « الذي يظهر انه يشتغل بتواضع وبلاضواء
 كما يقول الاوربيون لا كالذين يملأون الدنيا ضجيجاً لأثفه تصديف » هو عمل خالد .
 ومتى قدر لهذه الامة ان يجتمع علماؤها في مجمع علمي مشترك (وهذا لا يكون الا في مصر
 على ما أرى) لوضع معجم في العلوم أعجمي عربي نقره الدول العربية ، فان خير أساس
 يمكنهم ان يبنوا عليه من حيث اسماء النبات هو هذا المعجم .

مصطفى الشهابي

القبائل الرحالة والنصف رحالة

« في دول الانداب الافرنسي في الشرق »

طبع في بيروت سنة ١٩٣٠ م في مطبعة جان دارك ص ٢٦١ بالفرنسية

Les tribus nomades & semi - nomades des états du Levant
placés sous mandat français. Beyrouth juillet 1930

هذا كتاب نشرته دائرة الاستخبارات في المفوضية العليا في سورية ولبنان . وفيه مختصر ممتع في تاريخ القبائل الرحالة في سورية ، ووصف القبيلة وما يتنوع منها والمشايخ والعادات والأخلاق والمنازل والأمواء ، وما له اتصال بالبدوي وما يعمل لتحضيره ، ووصف مطول لما يجب ان يعرف من حال القبائل في الشمال والجنوب ، ومن ينزل من هذا الصنف من الناس في سورية وجمهورية لبنان وبلاد اللاذقية وجبل الدروز ، وجدول في أنساب المشهورين من الرحالة والنصف رحالة .

وقد جاء فيه ان قبيلتي عنزة وشمر هما الآن في اول سلم التحضر ، اي رحالة من الطراز الاول ، اما الموالي والحديدبون والنعيم فهم في المرحلة الثانية من التحضر ، وعرب السلوط والفضل ، وان نزلوا تحت الخيام ، فهم عرب متحضرون مقيمون ، وان حب الغزو متأصل في نفوس هاته القبائل العربية منذ اكثر من الف سنة قبل المسيح لذلك اطلق المصريون القدماء على القبائل التي غزت شرقي السويس اسم اللصوص (سوزو) او النهابين ومنه اشتق اليونان اسم (مكسوس) الذي اطلقوه على الملوك الرعاة الذين خلصوا الى مصر وغزوها قبل ثلاثة آلاف سنة .

وجاء في هذا الكتاب انه بذل من العناية لتحضير هؤلاء البدو واسكانهم في عشر سنين ، مانكلل بالنجاح على صورة لم يجر التوفيق الى ايجاد مثله في قرون ، وان جزيرة العرب تقذف كل مئتي سنة الى البلاد العامرة في الشام والعراق ، بموجات من القبائل تزحزح سكانها المقيمين فيها لتنازعهم ارضهم ومراعيتهم ومياهم الخ . وحبذا لو تعلقتمهمة احد الادباء لنقل هذا المبحث الجليل الى اللغة العربية ، فانقبائل البدوية في الشام نحو خمس السكان ، ومن العدل ان ينظر في حال هذا الجزء العظيم ، وبدون تحضيره لا نقوم للعمران عندنا قائمة .

مختصر في القضاء البدوي

« تأليف السيد تريبه طبع على الآلة الكاتبة ص ٧٩ »

Commandaut Zerrier : Essai de législation bédouine

وهذا من منشورات المفوضية العليا أيضاً ، كتبه الاستاذ تريبه من ضباط الجيش الفرنسي بعد ان قضى سنين طويلة مع البدو في بوادي الشام وحواضرها ، واطلم على أحوالهم اطلاقاً كافياً ، فكتب هذا المختصر في الشرع الذي يشرعه العربان لانفسهم ، وما اصطلموا عليه في هذا الباب ، وفيه آثار العطف عليهم ، والعناية بشأنهم . وقد ختم هذه المجلة القضائية البدوية بقوله : « يجب علينا ان نعامل البدو باحكام تتفق مع مداركهم بدون ضعف ولاشدة . وهذه احسن طريقة للتألفهم ، فقررهم منا ، وهم كذلك منذ الآن الا قليلاً » . وهذا ايضاً مما يجب نقله الى لغتنا ليكون منه ومما كتبه بعض السوربين والفرنج في الموضوع مادة جاهزة نفع كلما أريد البحث في شؤون بوادينا ، للتلطف في ادخال الحضارة عليهم على نحو ما تجري عليه الحكومة المتدبئة في تأليف شاردهم وإلانة شررتهم .

م . ك

تهافت التهافت لابن رشد

« نشره الاب مويريس بويج (Bouyges) اليسوعي وطبعه في المطبعة »

« الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٣٠ ص ٦٧٩ »

هذا هو الكتاب الثاني من سلسلة المكتبة الفلسفية (الكولاستيكية) التي اخذ الاستاذ بويج على نفسه نشرها والتعليق عليها ، على أسلوب علمي حديث (مجلة المجمع العلمي العربي ص ١٢٤ م ٨) وتهافت التهافت لفيلسوف الاسلام ابن رشد مشهور معروف ، طبع طبعات غير مثقنة ، وطبعه الناشر طبعة علمية جميلة ، وعلق عليه تعليقات دلت على تمكنه من اسرار موضوعه ، وكنا نود لو كانت تعليقاته باللغة العربية فقط ، لانت الكتاب اذا أريد من نشره نفع المستعربين من علماء المشرقيات ، فهم يحسنون العربية ، واذا كان القصد منه قراء الفرنجة على الاطلاق ، فهو لا يسوا من العربية على شيء ، ويحتاجون

قبل كل امر الى نقل النص الاصيل الى لسان عربي . وعلى كل فالشكر لناشر هذا السفر الممتع ، وعسى ان يقتدي الطابعون بل الناشرون والمؤلفون من هذا المثل وغيره من كتبنا المنشورة ، فقد قلنا الاثقان عندنا في نشر ما تنشره ففرطنا ، وكاد اثقان الغربيين في هذا الباب بعدة افراطاً .

م . ك

تاريخ سوريا

« قبل الفتح الاسلامي »

تأليف السيد امين خليفة (ب . ع) طبع في مطبعة الدائرة الاستعمارية في

الجامعة الاميركية في بيروت سنة ١٩٣٠ ص ٢٧٦

هذا مختصر منسق في الدول التي تعاقبت الحكم على الشام قبل الاسلام ، وقد قال مؤلفه انه استند في وضع كتابه على مؤلفات شتى انكليزية وفرنسية وعربية لاشهر المؤرخين كبراستيد وهوار ولامنس وحقي وباتن ومسبرو ورولنسن وبفرت ومومسن وبوشير وغيرهم . ومنهم من لا بعد في المؤرخين الا تجاوزاً وبكثير من التعسف . وقبل ان نشر المؤلف كتابه كان القاء على تلاميذه فرأى ان يضم الآن شتاه وينشره سفيراً للناس ، وكنا اود لو خلت عبارة المؤلف من الفاظ وتعبيرات ليست من الفصاحة العربية في شيء . وهذا مما عمت به البلوى ، ولا يزال كثير ممن يمسكون القلم ليؤلفوا من السور بين يستعملونها فننبو عن مصطلح البلغاء ، مع كثرة التنبيه الى ركائنها وغنائمها في المجلات والكتب التي ألفت في نقد مصطلحات كتاب العصر . مثال ذلك انه عن لاجد الفصول (ص ١٦٨) بقوله : « من مالك الى مالك الى قباض الأرواح » . وقال : (ص ٢٧١) « وذهب فضلهم على الأدب الروماني بين حانا ومانا » . هذا الى غير ذلك من الاخطاء اللفظية التي يجب اطراحها بتاتاً في قاعات التدريس ومناسير الخطابة وتأليف الكتب ومناسير الصحافة .

م . ك

كتاب البدع والنهي عنها

« تأليف الامام محمد بن وضاح نشره محمد دهمان في زهاء مئة صفحة وطبع »

« في مطبعة الاعتدال بدمشق عام ١٣٤٩ هـ »

أكثر الشارع (ص) من الوصية بحفظ الدين من البدع وحض اتباعه على النهي عنها وتمييز غيها من سميتها ، ولكن دخول أناس من غير العرب في الاسلام كان من أكبر الاسباب في فشو البدع فيه : اذ كانت هذه العناصر تحمل الى الاسلام تقاليد وآراء وأعمالاً لا تلائم روحه الطاهرة ولا تعالجه البريئة .

وقد تصدى لانكار هذه البدع والنهي عنها العلماء الأعلام أمثال ابن الجوزي في تلييس ابليس وابن حجر في الصواعق وابن الحاج النافسي في (المدخل) والبيضاوي والطبري والشاطبي وغيرهم . وأشد هذه البدع تغلغلاً في الدين البدع التي يشتبه امرها ويكون لها شبه اتصاف بشرائع الاسلام وآدابها كاجتماع الطائفة الصوفية على الذكر والسماع والرقص وضرب السلاح وغير ذلك مما يقف المصلح أزاءه وقفة عواجز: فان نهيه عنه يشبه النهي عن ذكر الله وتمييز هذا من ذلك من أشق الأمور على العلماء الآمرين الناهين . وأشهر هؤلاء العلماء بل ربما كان أسبقهم الى وضع تصنيف في النهي عن البدع هو الامام محمد بن رضاح القرطبي الاندلسي في كتابه الذي سماه (البدع والنهي عنها) وقد ظفر بنسخة من هذا الكتاب الشاب الصالح الشيخ محمد أحمد دهمان الدمشقي لكنه وجد فيها تصحيحاً وتحريفاً كثيراً فلبث بضع سنين ينظر ان يظفر بنسخة ثانية من الكتاب يعارض بنسخته بها فلم يتيسر له ذلك ، وفي آخر الامر عكف عليها بنفسه بصححها و يقوم اعوجاجها ويخرج أحاديثها و يعلق عليها تعاليق 'نلقي عليها نوراً يكشف غموضها و يزيل الابهام عنها . فكانت لنا من هذا الكتاب نسخة مثقنة الوضع والطبع ، جزاء الله عن العلم والدين خير الجزاء .

« المغربي »

مقبرة الرجال

— او —

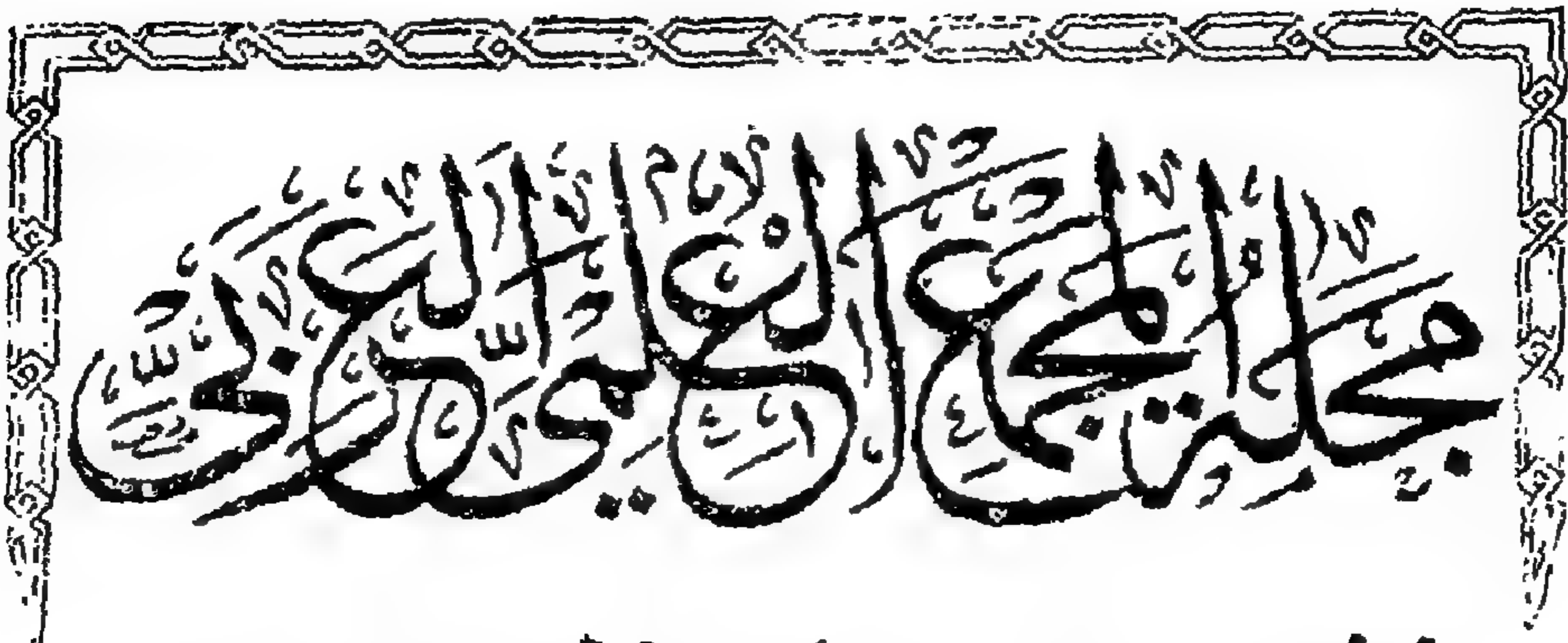
« مساوي الدعارة في نظر العقل والعلم »

هو عنوان لمحااضرة قيمة عظيمة المنفعة في مساوي الدعارة القاها بمصر احد كبار رجال الكهوت وقد دعمها فيما خلا النظريات الفلسفية والاجتماعية بطائفة من البراهين العلمية وأقوال كبار اساتذة الطب . ثم ألح عليه الكثيرون من اصدقائه بان يفرغها في قالب الطبع ليعم النفع من نشرها فأجاب رغبتهم ولكنه طبعها تحت اسم مستعار (الدكتور فرج انطون) وهذا الاسم المتجمل يقرب من اسمه الحقيقي حتى لا يغيب عن عارفه ومريد به ولا نفوت منفعته الاباعد فانه انما ابتغى به النفع العام لا الشهرة الذاتية ، ولا يجد فيه محبو الانتقاد الباطل مادة لتسميم السنتهم وثقت هذا السم في المجتمعات . فالمؤلف من اساتذة الدين ويزعم الجهال وصغبرو العقول عندنا ان رجال الدين لا يجب ان يتركوا الا المواضيع الدينية وان امثال موضوع هذه المحاضرة سافلة في عرفهم يجب ان يترفع عن البحث فيها اي رجل دين فضلاً عن كبير من اساتذة الدين .

وقد ملأت هذه المحاضرة النافعة كتباً بقطع الثمن ذا ثلاث وستين صفحة كلها حكم ونصائح للشبان الذين يلزمون الخلاعة والفساد كُتبت بلغة عربية فصلى ، وأهديت الى خير من يهمه هذا الموضوع والى الشبيبة الراقية .

عبد الله رعد

عضو المجمع العلمي



العدد ١٣٣٩ سنة ١٩٢١ هـ الموافقة لسنة ١٩٢٠ م

تشرى دمشق مرة في الشهر

آذار - نيسان

١٩٣١

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي
الدفع مقدماً
في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل	٥٠٠	من السنة الاولى الى الرابعة كل ستة منبأ
«	٣٠٠	« الخامسة الى العاشرة «
في الخارج	٦٠٠	« الاولى الى الرابعة «
«	٣٥٠	« الخامسة الى العاشرة «

حياة العلامة أحمد تيمور باشا^(١)

« ذكريات شخصية »

مبدأ التعارف ونشأته وأخلاقه

لما هبطتُ مصر أول مرة في سنة ١٩٠١ أرادني أحد أصدقائي وأخلصه الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار على ان أزور احمد تيمور بك وقال ان في بيته اليوم اجتماعاً يضم شيخنا الامام الشيخ محمد عبده وجماعته فبادرت شاكرآ له دلالته ، فدخلنا داراً قوراء على الطراز القديم من البناء ، وكان في الجلسة طائفة من العلماء والادباء ، ومنهم فيما أذكر حسن باشا عاصم وقاسم بك امين وفتحي باشا زغلول والشيخ عبد العزيز شاريش والشيخ محمد المهدي والشيخ حسن منصور والشيخ احمد الاسكندري . ولا أذكر ان كان في الجمع يومئذ سعد باشا زغلول وحفني بك ناصف واسماعيل باشا صبري ومحمود سامي باشا البارودي وعلي بك بهجت واسماعيل بك رأفت وعبد العزيز بك محمد والسيد محمد الببلاوي وحافظ بك ابراهيم والشيخ احمد ابراهيم والشيخ عيسد الوهاب النجار فان الجمع ما كان يقل عن عشرين رجلاً . وهؤلاء كانوا من حلقة الاستاذ الامام ومن أصدقاء احمد تيمور بك .

تجلت لي يومئذ ظاهرة من ظواهر عظيمة مصر بعظماء رجالها ، ورأيت عطفاً على غريب صعلوك شاب اكبرت معه بما شهدت نناهي المصريين في التأدب والرفقة ، خصوصاً اذا كانوا من هذا الطراز الممتاز . ولقيت ذاك اليوم من أدب صاحب الدار ما بهرتني فانهقدت بيننا اواخي الاخاء . وهذا المجلس كان المرحلة الاولى التي فتحت أمامي الدخول في المجتمع المصري ، وتشرفت بعشرة هذه الطبقة المختارة . رحم الله من سبقونا الى الدار

(١) محاضرة الاستاذ السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي القاها في غرفة

المجمع في هذا الشهر .

الآخرة ومد في أعمار الاحياء منهم . غدوت منذ ذاك اليوم أحرص على الاجتماع باحمد تيمور ورعيته والاخذ عنهم ، وأنشأت أكثر سوادهم لاني استطبت عشرتهم .

وكان تيمور في ذاك الحين يقرأ على الشيخ محمد محمود الذكري الشنقيطي امام اللغة في عصره . وقال لي هذا مرة انه لم ير في مصر من يفهم كلام العرب مثل الشيخ محمد عبده واحمد بك تيمور ، وذكر شخصاً آخر أنسبته . وكانت تيمور تخرج في صباح في دار ابيه باستاذة الشيخ رضوان الخلالاتي ولازم أستاذة الشيخ حسن الطويل فيلسوف الازهر وشيخ شيوخها مدة طويلة ، فأخذ عنه العلوم الدينية والعقلية والادبية . واتصل بعد ذلك بعلماء عصره كالشيخ العدوي والشيخ الهوري والشيخ الحسيني ثم مؤخراً بالشيخ طاهر الجزائري . ولكثرة ما استهوى قلبه حب الشيخ محمد عبده ابتاع مجواره في عين شمس داراً يحديقة جميلة ونقل اليها من العاصمة خزانة كتبه ولازمه ملازمة المنفيد المفتبط .

وما زالت الصداقة تزيد بيني وبين احمد تيمور حتى كانت السنة التي أنشأت فيها مجلة المقتبس في القاهرة غرة المحرم سنة ١٣٢٤ . وكنت ازداد إعجاباً بما أرى من اخلاقه وحرصه على الاستفادة من مجلس الامام محمد عبده واللفوي الشنقيطي وأضرابها ، ممن يغشون مجلسه او يغشي بحالهم وأحسن منه عزوفاً حتى عن بعض المشهورين ، وتجرباً من مخاللة من لا يعرف ماضيه وحاضره . فكان وهو في تلك الحقبة من حياته بعيداً عن القوم قريباً منهم ، يهتم لسعادة أصحابه ويرمضه اذا نزلت بهم نازلة ، ويتبسط مع خاصته تبسطاً ما خرج فيه يوماً عن حدود الأدب والفكاهة ، وما تعدى حوار البعث عن ما في الكتب مطبوعاً ومخطوطاً والنظر فيما يعلى شأن الاسلام والعرب . واخذ قبيل ذاك العهد يكتب آراءه وابحاثه في جريدتي المؤيد والاهرام ومجلات المتكطف والضياء واللال والمقتبس ثم السلفية والآثار والزهاء وغيرها . والغالب انه كان يكتب في المناسبات او متى أريد على معالجة موضوع غامض يحتاج الى درس ، او يعرض ما عنده من المواد المهمة التي يستعان بها على ظهور الحقيقة .

وكان لاول عهدي به لا يبين رأيه في بعض معاصريه ، وان كان منهم لا تروقه حركاته وأفكاره ، هذا وهو على يقين من ان بعض الازهرين كانوا منذ اخذت تعظم شهرته ، يحسدونه ويصفرون من شأته . ومنهم من كان يعد في الجلاء لان احمد تيمور

على غناه وشرف بيته لا يهنا له عيش الا اذا أنفق ماله على العلم وعلى المعوزين من المساكين . وما عدا ذلك من أبواب النفقات ليس له فصل في موازنة بيته ، بل كان عيشه في الحقيقة عيش اهل الطبقة الوسطى ، مع ان ما أوتيته من اليسار كان يتأتى له به ان ينفقه في ضروب من البذخ والرفاهية ، يسمو به الى محاكاة الطبقات التي تماثله بغناه في القطر المصري .

قلت انه كان ينفق على المساكين وربما كاد اقتصاده بعد امساك في نظر بعض من لا يعرفون المال قيمة (مجلة المجمع العلمي م ٤ ص ٢٤١) ولا يحكون على ارباب المروآت الا بما يبدو من مظاهرهم وظواهرهم . فكان ما يرمى به حسداً ولو ما يترامى الى سمعه فيبتسم ولا يفوه بكلمة . غبرت ايام وأعوام ثبت بعد ما من طريق احد المفضل عليهم انه كان يدرث المشاهرات على بيوت كثيرة في مصر ، قعد الدهر باربابها فأعجزهم عن الكسب . فكان يرسل اليهم على رأس كل شهر مع احد مستخدمي دائرته بما يقوم بنفقتهم سرّاً ويأبى عليه شرفه ودينه ومكارمه اذاعة ما تجود به نفسه ، فيتكتم يحسناته جد التكم ، وقد أخذ العهود على من يحسن اليهم ان لا يذيعوا له سرّاً . ولما اشتهر امر صدقاته شق عليه ذلك فتظاهر بان أطيانته أصبحت لا تعطيه الربيع الذي كان يأتيه منها وانه في ضائقة من المال اضطرته الى تخفيف نفقاته . وبعد مدة أصبح هؤلاء الذين عاشوا زمناً بنعمته يتناولون من المصرف حوالات مالية تأتي باسمائهم وهم لا يعرفون مصدرها بل ان المصرف ذاته لا يعرف حقيقة مرسلها . فتأمل بربك هذه النفس الكريمة المسئلة وهذه الأخلاق التي لا تشهد مثلها في مئة غني من اغنياء زماننا .

حقيقة ان وجه القراية في تربية مترجمنا هو انه اخذ من العلم أقصى ما يمكن اخذه لمن كان في أصالة بيته ، فأثقف من اللغات العربية والفرنسية ، وهذه درسها في مدرسة (مارسيل) مدرسة أبناء الاعيان خمس سنين ، وتلقف الفارسية والتركية على أساندة خصوصيين ، ونشأ بتيماً في حجر أخته المرحومة عائشة عصمت التيمورية الشاعرة الادبية المشهورة فجاء منه مع هذا الفتي رجل علم ورحمة وقصد وتدين وعزوف عن المظاهر والاشتغال فيما ينفع . ولو أراد لاول امره على ما لا يبه وجده من المنزلة عند الأسرة المالكة ان يدخل في المناصب الحكومية لخطبته الوزارات ، ولما تخطته الرئاسات والزعامات .

ولكن كان نبوغه يقتصّر في دائرة خاصة ولا تُنبعث مواهبه العلمية الانبعاث الذي قدر لها باشتغاله في جو هاديء لا تكدر صفوه مشاغب الاحزاب ولا متاعب السياسة واهواؤها فاقصد من وقته في هذه الناحية . وشغله طول عمره في ملاذ روحية من مطالعة ويحث ونأليف فل انت ناسح لكثير ممن شفقوا بالعلم ، وحاولوا استثماره لفائده ولذته لا المقصد آخر .

قلت كانت لابيه وجده المنزلة العليا عند الأسرة العلوية . جاء جده احمد مع جد شاعر العصر احمد شوقي بك الى مصر ، وكانا من ابناء الاكراد ، وجد مترجمنا من مدينة الموصل ، ارسلها والي عكا الى محمد علي الكبير واوصاه بعما خيراً قائلاً ان النجاة بادية عليهما وانها سيديوان البلاء الحسن في خدمة الدولة المصرية ، فعين جد مترجمنا في وظائف انتهت به ان عد في آخر امراء من قواد محمد علي ، كان ابنه من بعده رئيس الديوان الخديوي . وخلف اطيافاً كان ما اصاب المترجم منها مع ما ابتاعه بأخرة من بقية الورثة نحو ثلاثة آلاف فدان ، وكان يتعهد ما احسن تعهد ولا تعوقه عن طلب العلم بل تساعد على اتمام رغائبه منه . وكم من ابناء الاعيان امثاله من اورشليم آباؤهم الوف الافدنة فلم يحسنوا استفادتها ، وانفقوها بسوء تربيته في شهواتهم واسرافهم او ضاربوا فاستدانوا فافلتقروا . اما هو فخالف جمهرة جيله فكان بالتربية الاسلامية العالية التي لقنها في صباه غنياً بماله ، غنياً بعلمه ، غنياً بتدبيره وعقله . تجردت نفسه الكريمة عن المطامع ، ومع هذا اقبلت عليه الدنيا من طريقها المشروع المعقول .

غرامه بالكتب واحتفاله بجمعها

عرفنا بما تقدم ان بيت تيمور كان بيت علم وفضائل ومجد نليد طريف . فلما نشأ عالمه هذه النشأة الطيبة ، رأى في داره خزانة كتب صغيرة لم تشبع نهيمته العلمية فقام في نفسه منذ سنة ١٨٨٩ ان يقتني من المخطوطات والمطبوعات ما يتلاءم موضوعه مع ما غلب عليه من العلوم ، وما يزال ينفق على اقتناء مجموعات عن سعة وهو بطالها ويعلق عليها ويخدمها بالفهارس والحواشي حتى تألف منها قبيل وفاته خزانة كتب تقدر بنحو ثلاثة عشر الف مجلد ، عدا الصور التاريخية والآلات الفلكية ومحاسن واقلام كانت لبعض

المشاهير ونحو نصف خزانته مخطوط او مصور بالتصوير الجديد . وقد وضع لمخطوطاته قائمة جليلة كانت مرجعاً لكل طالب وطابع وتاخر من العرب والمستعربين من علماء المشرقيات ، وقلما كان يرضن بها على احد ، يعيدها حتى الى البلاد البعيدة ، فاشتهرت في الشرق والغرب ، وُعدت بحق ام خزانة خاصة في بلاد المشرق لغناها بمخطوطاتها النادرة ، ومنها عشرات من الكتب كتبت بخط مؤلفيها او قرأ فيها اعلام من رجال السلف او قرئت عليهم : علقوا عليها واجازوها .

أتيجلي ان اصف هذه الخزانه التيمورية في سنة ١٣٣٠ هـ وكانت اذذاك نحو ثمانية آلاف مجلد . وكان صاحبها دعاني مع أستاذي العلامة المرحوم الشيخ طاهر الجزائري الى زيارتها في عزبته في قويسنا من عمل مديرية المنوفية في الدلتا وهي احدى مزارعه كان يؤثرها على غيرها لان اباه وامه كانا يحببان المقام في قصرها وينزلان فيها اياماً معدودة من كل سنة . ذلك ان احمد تيمور اسودت العاصمة في وجهه بعد وفاة شيخه وصديقه الشيخ محمد عبده وزهد بعده بالدار التي كان اقتناها في جواره فرأى ان ينقل خزانته من عين شمس وحملها الى قويسنا ورتبها في خزائنها احسن ترتيب فكان يفرغ اليها كل حين ليطالع ويؤلف . ولقد قضينا في ضيافته ثلاثة ايام كان خلالها يقرأ علينا اسماء الكتب المخطوطة وأستاذنا الجزائري يتولى الترجيح في اختيار الاندر فالاندر ، فوصفت الخزانه اذ ذاك في احدى وعشرين صفحة في المجلد السابع من مجلة المقتبس . ولقد قلت له يومئذ ان وجود الخزانه في داره بقويسنا لا يؤمن عليها من الحريق ، لانت الدار متلاصقة مع بيوت الفلاحين ، والفلاحون يضعون الخوص والعيدان على سطوح بيوتهم ، فاذا سرت النار الى بيت من البيوت لا تلبث العزبة وما اليها ان تحرق سبعة ساعة . وفي ذلك من الخسارة على العلم ما فيه . فاجابني ان في نيته ان يعمرها داراً في مصر ينقلها اليها ، وغبرت مدة واشترى ارضاً في الزمالك احد الاحياء الجديدة في القاهرة وعمرها ونقل الخزانه اليها بعد سنة ١٣٤٠ وكتب (في ٢ يونيو ١٩٢٣) يقول : « ان الخزانه رتبت والحمد لله ولم يبق الا عمل فهرس جديد لها على الطراز الحديث في الجزازات ولا بد لها من ثلاثة فهارس فني ومعجمي وآخر لاسماء المؤلفين فأرجوان يوفقني الله لمن يقوم بعمله لان اشتغالي به سيعطلني عما بيدي . » ثم وقف عليها بعض اطيان تقوم بنفقاتها ، وجدة واي جد في ابتياع

ما ينقص مجموعته في كل علم من المطبوعات والمخطوطات ، وربما لا يقل ما انفق عليها عن مئة الف جنيه ، ثم نزل عنها الامة المصرية الكريمة بل للعلم العربي الاسلامي فأعظم بها من مآثرة ..

سعة علمه التي جعلته مرجعاً

توطدت صلات الحب والتشاكل في وحدة المقصد في سني ١٩٠٦ او ٧ و٨ بعد نشري مجلة المقتبس فكان يؤازرنى فيها ، ويعيرني كثيراً من مخطوطات خزائنه اكتب في وصفها في المجلة ، فلما رحلت عن مصر الى دمشق في آخر سنة ١٩٠٨ بعد انشاء الدستور العثماني استعاضنا عن المسامرة والمذاكرة ، بالمراسلة والمخابرة ، ولم تكد انقطع رسائله او رسائلي مدة قصيرة الا لمعذرة كمدة الحرب العالمية الكبرى ، وقد انقطعت المواصلات بين مصر والشام اربع سنين . وجدت في اصابة خاصة برسائله اليّ مئة واربعين رسالة عدا ما أرسله باسمي الى المجمع العلمي العربي مباشرة منذ أواخر سنة ١٩١٩ . ومجموعة رسائله خلاصة علم ودرس وبحت عن المفقود او الموجود من المخطوطات ومنها مشاكل في اللغة والأدب والتاريخ .

ولقد كنت منذ توطدت بيننا أواصر الصداقة التي زادها تمكيننا وجود أستاذي الشيخ طاهر الجزائري في القاهرة مدة ثلاث عشرة سنة وكان هو على اتصال وثيق به بعده أعزّ عز يز عليه بعد شيخه الامام محمد عبده — اذا عرض لي او لبعض أعضاء المجمع اشكال لغوي او تاريخي او أحبيت ان أعرف كتاباً في موضوع يهمني البحث عنه لا أجد من يشفي غلتي خصوصاً بعد فقد أستاذنا الجزائري غير المرحوم احمد تيمور . ومجموعة كتبه اليّ تؤولف مجلداً مفيداً جداً في هذه الابحاث . ولا سيما ما كان منها ذاعلاقة بأسفار القدماء من الأعلام فهو في هذا الموضوع المفرد العلم والصدر المقدم والبحاث الواسع المادة ، البعيد النظر ، الصحيح الاستنتاج والاستقراء . ساعدته على ذلك جودة ذاكرته وثقيبه في دفاتره كل ما يعثر عليه في الكتب التي يقننها ويصنف لها الفهارس التي تقرب منال الاخذ منها على أحدث طراز في هذا الباب .

رأيت كثيرين من غلاة الكتب من الشرقيين والغربيين وقلّ ان عرفت مثله من

إذا تكلم في الكتب كان كلامه عن ذوق وتحقيق - وذلك لأنه يطالع كثيراً ويقيد كل ما يظفر به ولا ينسى ويحسن الاختيار ويجود النقد - وقد كتبت له عامة أسباب النجاح في هذا الباب لأنه عالم بعمق بعمقه بالتمية كل يوم ويجمع الكتب ويحرص على قنائه نوادرها خصوصاً ، ويغلي لها الثمن معتقداً أنها هي الكنز الثمين - وكانت إذا صارت الاسفار الى ملكه لا يلقها كما يلقها أكثر هواة الاسفار و يبرد شوقهم اليها بمجرد ثقل صفحاتها والالام بضامينها او بمجرد انتقالها الى خزائهم فقط فتراهم يرجثون النظر فيها اذا ملكوها لتشاغلهم بامر آخر او لانهم ممن يهون حجمها وشكلها و يزهدون بما في بطونها - اما هو فيشرع حالاً بدرس ما يقننيه ويتناولها باليمين فرحاً بمقدمها ، مقدساً لعمل مؤلفها مقتبطاً باقتنائها يحملها بالتجلة ويودعها قطره بالاعظام ، ولا يزال بها حتى يحفيها درساً بالفاظها ومعانيها - ولطالما هنأني على ما كنت أظفر به من نوادر المطبوعات والمخطوطات كأنني ولد لي مولود او أظفرني حسن الطالع بعزيز مفقود - وفي العادة ان يفض غلاة الكتب بكتبهم اما هو فقد تعود بسط الكف فيها لان غايته منها نشر العلم وإحياء آثار السلف - كتب اليّ مرة (٢٩ جمادى الثانية ١٣٤٣) يقول : « نقلت لك ترجمة الصدر الآمدي من مخطوطين نادريين عندي ولا يبعد ان يكون السخاوي ترجمه ايضاً في الضوء - لست على يقين من ذلك لان نسختي استعارها احد الاصحاب من ثلاث سنوات ولم تزل عنده ولا يريد ردها وكما احتجت الى الكشف عن ترجمة اذهب الي عنده واكشف عنها - » فتأمل هذا الشغف بنشر العلم وهذا اللطف حتى مع المتساهلين في رد الكتب الي أربابها ، وقد تكون مما لا يقع عليه ثمن -

مثال من تهذيبه

لا صحح عزمي على نشر كتابي « خطط الشام » كان يبعث اليّ في البريد بالنوادر من المخطوطات التي اطلبها او لا اطلبها ، عساني اظفر فيها بجمل تدخل في موضوعاتي ، وكنت أعيدها الى مصر في البريد المضمون ، ولا تترتاح النفس الا اذا اخذت علماً منه بوصولها ، فابدي بذلك اليّ بدأ لا ننسى على وجه الزمان ، ومنها ما كان ينسخه بالتصوير الابيض على الاسود ويرسلها هدية الى المجمع العلمي العربي وكثير مما في خزانه المجمع من هذه

النوادر المصورة هو من هدايا احمد تيمور ، ولطالما اهدى اصحابه ومن يعملون لمصلحة عامة اشياء من هذا القبيل ولم تؤسس في الشرق العربي خزانة كتب . الا كانت هداياه اليها اول الهدايا . لا يضمن في هذه السبيل بعشرات الجنيهات اذا ايقن من ورائها خدمة للمسلمين والعرب .

ولما تم تأليف الخطط وقد خدمه بعلمه ومادياته وشعر بانني اريد ان اقدمه اليه عرفانا لجميله تأفف وتوصل وحاول ان يقتني بالمدول عن قصدي وبما كتبه الي في هذا الشأن (٩ جمادى الاولى ١٣٤٣) :

« سرني اهتمامك بانجاز الخطط وهو ما كنت احثك عليه دائما فأسأله تعالى ان يتولاك بعنايته وتوفيقه حتى تتم هذا العمل العظيم النافع وقد احسنت كل الاحسان في تخصيص فصل منه لتاريخ الشام السياسي كما فعل من كتب قبلك في الخطط واذا وفقت الى طبعه على مثال طبع المجلة فيكون على احسن مثال . اما صورتي فليس عندي احديث منها لاني لم اصور نفسي بعدها وتصدير كتابك بها فضل كبير تطوق به عنقي وثقه من ذكرى ولكن هل لك ان تسمع كلمة مني واقسم لك انني لا اقولها تواضعا وتجاذبا وهي ان تعدل عن ذلك لاني لا اري لي من الفضل ما استحق به ان اصور في فاتحة كتاب كهذا وما هو بمنع مني ولكنه رجاء أرجو ان تقبله . » وعاد في كتاب فكرر هذا المعنى راجيا اعفائه من هذه المقدمة قال (٢١ جمادى الاولى ١٣٤٣) : وصلني كتابك فأخجلني مافيه وقد كنت استعفيتك من وضع صورتي في الخطط فأكرر الآن هذا الاستعفاء شاكرًا حسن ظنك وجميل رأيك و يعلم الله اني لا أقول ذلك تواضعا فهل لسيدي ان يحسن الي باعفائي من ذلك وله مني الشكر الجزيل والثناء المكرر . » وكتب ايضا بهذه المناسبة بتاريخ ٢١ شعبان ١٣٤٣ : « وصلني الملزومة الاولى من الخطط وقرأت مقدمتها واذا ساغ لي شكر سيدي الحبيب على ما تفضل من الثنوبه بي افلا تسوغ معاتبته على هذا الغلو والاغراق . حقا يا سيدي انك بالغت مبالغة أخجلني فيها وأفحمتني فلا أدري ما أقول والله سبحانه يميزك خير الجزاء على حسن ظنك بي الى هذا الحد . » وهكذا كان أدب نفسه يوم أراد صديقه ان يقابل بعض جميله ويقول في نعته ما يعتقده ويعتقده كل من سبر غور اخلاقه وسعة علمه . وهو يستقل ما يعمل ، شأن ارباب العلم

العالية و يستكثر ما يمل له ، فقد أهدى دمشق مجموعة بدبعة من النقود القديمة قال لي صديقي اميرالشمراء احمد شوقي بك انه لم يجمعها هو وحده بل جمع فيها ابوه وجده من قبله ، ومع ذلك كان في اهدائها متواضعا . فقد كتب في ٢ رجب سنة ١٣٤٢ « عندي مجموعة نقود قديمة من دنانير ودرهم وفلوس جلها من النقود العربية وعددها (٤١٨) قطعة ومعها مجموعة أختام قديمة عددها (٣٤) قطعة وقد رأيت اهداءها لدار الآثار العربية بدمشق وكتبت لكم جريدة ببيانها وصاؤها جميعها لحضرة السيد الكسم ليحملها اليكم في عودته فأرجو التكرم بقبولها وغض النظر عن ثقاتها واكم الفضل » . وعاد فأكمل هذه المجموعة بمجموعة أخرى من الدنانير الذهبية القديمة وعدة كل ذلك نافيا .

بعده عن الظهور وإثاره العزلة

لما نولى جلالة الملك فؤاد ملك مصر منحه رتبة الباشوية فتعلم لانها صدرت عن عاطفة عالية فخوه ولم يسه الا قبولها . ولما هنأته بها أجابني : « اما الرتب فسيدي يعلم رأبي فيها من قديم ولكننا لما كانت عنوانات العطف شكرت مولاي السلطان بقلبي ولساني على عطفه » . ولما عين عضواً في مجلس الشيوخ ضاق صدره ايضاً فكشف الي (١٠ آذار سنة ١٩٢٤) يقول : اما عضوية الشيوخ فقد تورطت فيها إطاعة لرغبة جلالة الملك وتحاولت التخلي فلم أفلح اذ لا يخفى على سيدي دقة هذا المركز في وسط العاصفة الشائرة ولا سيما ان امرالبت في مصر القطار سيكون في هذه الثوبة من انعقاد المجلس وهو ما كنت أتوخي الابتعاد عنه ما امكن . لاسباب كثيرة تعرفها » . وكتب ايضاً : (١٦ ربيع الثاني ١٣٤٣) « صحت عزمي على الاستقالة من مجلس الشيوخ وكنت على وشك تقديمها لولا غفبات قامت بوجهي اهمها استرضاء جلالة الملك فأرجو الله تعالى ان يعي لي باب الخلاص .

وحقا انه كان يحب الابتعاد عن السياسة كل البعد ، ولكن مضايح بلده تستلزم اعتدائه في الأحيان ، فكانت الموضوع الذي يلهي كونه عضواً في مجلس الازمة ، وعضواً في مجلس دارالكتب المصرية ، او في كل مجمع علمي . مؤسس في مصر او غير مصر ، اما كونه عضواً في الشيوخ فهذا مالا يترقى عنه نفسه ولا يسمع بالاضطلال به تربته ،

وهو الذي عاش هادئاً مسالماً بمصرح بما يعرف ولا يتعدى طوره . كتب يقول : (في ٢ يونيو سنة ١٩٢٣) « يعلم سيدي الاخ اني لا أعرف من السياسة الا مادة ساس يسوس التي أراها في المعاجم ناذا ذكرت الحكومة بخير او بشر فانما أذكرها من الوجهة العلمية فقط . فمن دلائل عناية الحكومة الحاضرة بالعلم الانعام برونبة باشا على صديقكم احمد كل باشا الاثري الشهير ونقير طبع معجمه المصري العربي الفرنسي على نفقتها وستشرع في ذلك قريباً واحداث مدرسة للسان المصري بتولى هذا العلامة التدريس فيها اما المعجم فني عشرين جزءاً ولا يستطيع طبع مثله في الشرق الا الحكومات » .

وكتب في ١ نوفمبر سنة ١٩٢٥ : « ويظهر ان الوحدة من الوسائل الناجعة في صحيته ونفري فيها لما اشتبه من المطالعة في راحة وهدوء بال وبعد عن القيل والقال ومجالس المدن التي أصبحت أجد نفسي غريباً عنها ، والله در من قال :

هذا جزاء امريء أقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الأجل

وكتب في ٢٢ رجب سنة ١٣٣٨ : « وقد كانت سيدنا وأستاذنا الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله ورخصي عه منزعجي الوحيد عندما اكون بالقاهرة فشاء القدر ان يجمعنا به ولا يتي لنا من تلك الابام الا الذكرى المؤلمة والاسف المتواصل . حالنا يا سيدي الاخ عجيب غريب في هذا التطور الجديد . فقد أصبحت العامة والخاصة الجهال والعلماء في مستوى واحد من الآراء ونعمت والله الحالة لولا انه عمل صالح صرفوع الى أسفل ونتيجة منطقية تابعة للاخس من المقدمتين . فقل لي بعيشك اي انس في الاجتماع وابة لذة في الخلطة وقد أصبح من التهم على المرء قبول كل ما يقال على تفيذه وناقضه كل يوم والا فالويل له ثم الويل . ولهذا تراني في اكثر اوقاتي جانحاً بوحدي بقوي بسنا مكثفياً بمنادمة كتيبي وقد أنجزت في هذه الفترة بعض ما كانت ثنوق اليه نفسي من المواضيع ولعلي أوفق الى طبع بعضها من الخمض ثمن الورق » . وكتب ايضاً (في ٢٩ شوال سنة ١٣٤٤) : « احوالنا الخاصة والعامة غير مرضية فقد بعنا القطن بثمان مئتين لا يفي بنفقاته وخسر المزارعون هذه السنة خسارة كبيرة ، اما الاحوال العامة فسيدي عالم بها من الجرائد الفضالة المضلة والمصير مجهول ولكن الله لطيف بعباده » .

ومن مجموع هذه التنف من رسائله نتجلى روح احمد تيمور ، وبعد نظره في مسائل وطنه وان زعم انه لا يعرف مداخلها ومخارجها .

حرصه على المصلحة العلمية

١١ صدر الامر بتوقيف اعمال المجمع العلمي العربي في أواخر العهد الفيصلي سنة ذلك جداً وكتب مرة (٢٨ ربيع الاول سنة ١٣٤٣) : « رأيت في بعض الجرائد السورية نبأ ساءني عن المجمع والعزم على الغائه فعسى ان يكون نبأ كاذباً . فلا يهدم بذلك اعظم صرح من صروح النهضة اللغوية في الشرق » . وكتب قبل هذا التاريخ (٥ شوال سنة ١٣٤٠) : « وقد كان مروري لا يقدر من النبأ الذي بشرتموني به بثبات المجمع وبقائه وهو البقية الصالحة والامل الوحيد لانصار العربية » . وكتب (٤ يناير سنة ١٩٢٣) : « اننا في حاجة كبرى لألفاظ عربية تغنينا عن الدخيل ولهذا نرحب بكل لفظة فصيحة ترادف أخرى دخيلة ، بل النظر في وضع هذه الألفاظ من اهم ما تشغل به الجامعات اللغوية ان لم يكن اهمها كلها ، وقد عني مجمعنا اللغوي بذلك واتى بفوائد لا تنكر » . وقال في نفس هذه الرسالة : « المجمع املنا الوحيد في انبعاث اللغة فلم هذا نقابل كل خبر سيء عنه بارتباع عظيم فنشكر همه الامتاز الكبير فارس بك الخوري ونرجو ان يكون في اتباعه للاتحاد السوري مانوئله من الثبات » . وكتب (٣ رجب ١٣٤٤) : « ساءني جداً فتور المجمع عنكم وتوقف المجلة عن الصدور وهي التي كنا نعدها من مفاخرنا » .

اما بشأن الجامعات التي ألقت لغرض خدمة العربية بمصر ، فقد كتب (٢٦ جمادى الاولى ١٣٣٧) : « واما الاخبار العامة فتأليف المجمع لغوي برئاسة شيخ الجامع الازهر وانضمام من هب ودب اليه والامل فيه قليل والسير بطيء وقد قضى علينا سنتان لم نضع فيها شيئاً ونفسي تحدثني بالاستقالة منه وقد فاتحت الاستاذ الطاهر في ذلك فصول رأيتي ولكنه أصراني بالتريث » . وكتب ايضاً : « اما مجمعنا بمصر فلا أدري ما قدر له ولا أخفي عليك اني أميل فيه الى التشاؤم ولا مينا بعد ان سمعت اقتراحات لبعضهم بضم أشخاص اشتهروا بانصارهم للعجمة وفتح الصدر لكل دخيل وسنرى ما سيكون وربما كان

حكيم غير مصيب وارجو ان يكون كذلك » . وكتب (٢٢ رجب ١٣٣٨) : « الحركة العلمية بمصر نائمة ومجمعا اللغوي في حكم الممدوم » . وكتب في ٦ يوليو سنة ١٩٢٣ : وفيه دليل على شدة غرامه باحياء آثار السلف قال : « اخبر سيدي بخبر اعرف انه يسره ولكني اود ان يظل مكتوما . حتى نبدأ فيه بالعمل فانه لم يزل الى الآن في حيز القول ذلك ان الفاضلين النشيطين الشيخ عبدالمعطي السقاء المدرس بالآزهر واحدا من اولي بالكتب والسيد محب الدين الخطيب فكرا في تأليف شركة لاهياء آثار السلف بطبع على غلط جمعية المعارف القديمة وخطبائي في ان اتولى امرها فرضيت بان اتولى السعي فيها واقترحت ان تسند رئاستها لصاحب المعالي حشمت باشا وزير الخارجية الآن اعترافا بفضل الرجل لانه صاحب اليد البيضاء على مشروع احياء الآداب العربية لدار الكتب والواضع له وكل كتاب يطبع فيها الآن فهو من ثمرات غرسه فوافقا ، ثم قيدنا اسماء من رأيناهم يصلحون لان يكونوا مؤسسين واعضاء لمجلس الادارة ممن يثق الناس بهم واشتهروا بعلم او جاهد او ثروة واخذنا نطوف عليهم نعرض عليهم المشروع وندين لهم فوائده فهاقوبلنا من اكثرهم الا بالفتور والوجوم ولم نر من شئ للمشروع وحث عليه غير اسماعيل رأفت بك وعلي بهجت بك ولكن ذلك لم يمنحنا من الدأب ومواصلة السعي حتى يتم المرغوب ومتى وفقنا لتأليف الاعضاء نعرض امر الرئاسة وقتئذ على حشمت باشا والله سبحانه الموفق » .

واشار في رسائله له غير مرة الى بأسه من قيام الاعمال النافعة بايدي الافراد والى ابن القوم في وادي آخر . وبقدر ما كنت تراه يحرص على احياء آثار السلف لعله يانها التركة الثمينة الناطقة بمدنييتنا النافعة في حاضرنا ومستقبلنا ، كان يرغب عن احياء الكتب التي يعتقد الضرر بنشرها ، فقد كتب (في ١٤ ابريل ١٩٢٣) : من اخبار الكتب ان السيد كاظم الدجيلي كتب يسألني عن كتاب المثالب لابن الكلبي وانه عثر على قطعة منه بالعراق يود تكميلها ، ولا يخفى انه في مثالب الرب . فكتبت اليه اني لا اعرف عنه شيئا ، وقلت له انه وان يكن بعد من النوادر فليت كل تادر مفقود كان من نوعه فليذهب غير مأسوف عليه » .

كلام علي تأليفه

قلت ان اشد تيمور كانت عزوفاً عن الناس وكان ايضاً زاهداً في الشهرة فشهرته كانت تتبعه بالضرورة وما كان في الواقع عبداً لها يتبعها فتستجيب له او لا تستجيب ، ولو قصد الى الشهرة لكانت منه على طرف النمام ، ولكن بُعِثَ على الاقل بطبع مؤلفاته في حياته ويقل من العناية بجنتها مكتفياً بما تهبأ له . واكثر ما ألفه وطبعه في حياته كانت تدعوه اليه الدواعي مثل رسالته في الرتب والالقب فقد كتب الي في « ٢٥ جمادى الاولى ١٣٤٣ » ، واني اشكر سيدي الاخ علي تفكيره في إعادة طبع بعض آثاره الثافهة التي لا تحق هذه العناية ، فرسالة الرتب والالقب لم أضعها في الاصل لينطبع بل جعلتها مادة أقدمها للحكومة للناقشة فيها في الوقت الذي عرفت فيه على تغيير الالقب فلما رأيتها أبت على أغلب الالقب الاعجمية ضربت عنها صفحاً ، ثم رأها عندي السيد محب الدين الخطيب فنقلها ثم تكرمت بطبعها ، واما طبقات المهندسين فلا أظن في نشرها بمجلة المجمع فائدة بعدما نشرت بالهندسة فلندع صفحات المجلة لما هو أفيد منها وعسى ان اجد فرصة لأعيد النظر فيها وأضم اليها زيادات اطبعها على حدة » .

وكتب في (٢٢ ذي القعدة ١٣٤٣) : « رحلت هذا الشهر لبعض البلاد المصرية ترويحاً للنفس فقادني الطواف الى المنصورة زررت بها اثرأثاراً بخيماً نفيساً هو بقايا دار ابن لقمان التي اعتقل بها لوزير التاسع في إغاراته على مصر وقد كتبت بحثاً عن هذه الدار رجعت فيه الى المصادر العربية والافرنجية وسلمته امس قبل سفري الى اخينا محب الدين لينشره في الزهراء . » وقد كان لهذا الاثر ياسيدي اثر في نفسي تذكرت به ماضيننا وسألت الله ان يلطف بنا في حاضرنا وبهي لنا منه مخرجاً فهو اللطيف بعباده » .

وكتب في (٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٠) بشأن كتابه التراجم ما نصه : « كتاب التراجم لم أشتغل به الا يسيراً ومرادي ان يكون خاصاً باعيان الشرق في القرن الثالث عشر الهجري اي ان يكون كالذي لملك الدرر ثم ألقاه بنديل في تراجم اعيان اوائل القرن الرابع عشر وكل ما أنجزته منه لا يخرج عن تمهيدات وسأخلص فيه من الجيزتي ومن خطط علي باشا وأضم بعد ذلك ما استطعت جميعه . الا ان معجم العامية المصرية والكلام

على اصولها وما يقابلها من الصحيح يستغرق اوقاتي كما تستغرق اوقاتكم الخطط ومن الله تعالى نسأل الاعانة والتوفيق » . وقد اتم التراجم فيما احسب وكذلك معجم العامية المصرية وهو من المدهشات في التحقيق اللغوي يدل على علم واسع جداً وقد نشر منه نموذجات في مجلة المجمع العلمي العربي في بضع مقالات وربما كان هذا السفر كتابه الخالد لانه صرف فيه اوقانا طويلاً وجوّد كل الاجادة . ومنها كتابه نواذر المسائل « وكان كلما مرت به مسألة نادرة او حادثة غريبة او توضيح لمشكلة خلال مطالعته الكثيرة يقيد ذلك في كراسات مع بيان اسماء هذه الكتب المشتملة على هذه النواذر ورقم الصفحة التي احتوتها واجتمع له منها شيء كثير رأى في آخر ايامه ان يرتبه ويضم الشكل الى شكله ويطبع ذلك و يقدمه الى العلماء والباحثين طرفة لم يقدم اليهم مثلاً » .

وقال الاستاذ السيد محب الدين الخطيب ان هذا الكتاب هو الأهم لمؤلفات تيمور باشا كلها بل هو خلاصة مطالعته واطلاعاته وصماه معجم الفوائد . والمترجم له من الآثار التي ألفها عدة رسائل وكتب ومنها البرقيات وهي كلمات تؤدي كل منها معنى جملة كاملة . ومنها رسالة في التصوير عند العرب نشرت في مجلة الهلال ولكن زاد فيها زبادات عظيمة . ومنها الامثال العامية وهي نحو خمسة آلاف مثل عامي . ومنها لعب العرب . ومنها نقد القسم التاربخي لدائرة معارف فريد وجدي وطبقات المهندسين جرى فيه على نسق طبقات الحكماء للفقهي وطبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة . ومنها ذيل طبقات الاطباء . كان يجمع مواده ويكتب مذكرات عن مصادره ولا نظنه تمكن من إتمامه (مجلة الزهراء م ٥ ج ٧ - ٨ ص ٥٦٥) .

ومن رسائله التي لم تطبع : الآثار النبوية ، ومفتاح الخزانة خزانة البغدادي وهي ثلاثة عشر فهرساً ، ومما طبعه رسالة في اليزيدية وأخرى في حدوث المذاهب الاربعة وثلاثة في تاريخ العلم العثماني ورابعة في قبر السيوطي وخامسة في تصحيح لسان العرب وسادسة في تصحيح فانوس المحيط وسابعة في ابي العلاء المعري وعقيدته وثامنة في الحلقة المفقودة من تاريخ مصر . ومن أهم ما عاينه عن نشر كثير من تأليفه ميله الى التحقيق واشباع الموضوعات حقها او تحاميه احياناً من الدخول فيه . آزق لا تسمح له تربيته بالتورط فيها . فقد كتب بشأن رسالة التصوير مانعه : « اما التصوير فكنت كتبت مقالة عنه عند العرب في الهلال

(٢٧ - ٥١٣ - ٦٠١) وربما كان فيها ما يفيدكم ولكن هذه المقالة أصبحت لاشي جنب ما جمعته بعد ذلك في رسالة خاصة أتميتها وأعددتها للطبع تمنعني من طبعها الآن ان ذكر العرب حق نبهم عليه الصلاة والسلام بخير أصبح معدوداً عند عامتنا ومن على شاكلتهم عنواناً لبغض الكمالين فأخبرت الطبع خوفاً من الإهانة . وقد اطلع على هذه الرسالة صديقنا الاستاذ جر يميني فأعجبته وشدّد عليّ في سرعة اظهارها فذكرت له عذري في تركها الآن . اما مقالاته التي نشرها في الصحف والمجلات في موضوعات علمية وأدبية ونار يخبية ولغوية فانها لو جمعت لجاء منها مجلدان لطيفان نافعان . فعمى ان تصح مهمة نجليه الفاضلين اسماعيل بك ومحمود بك على ان ينشروا ما خلف الفقيه العظيم من نفاثاته ونخبهاته خدمة للعلم وتخليداً لذكوره في العالمين .

تعصبه للاسلام والعربية

كان احمد تيمور متعصباً للعرب والعربية والاسلام ، يهتم لذلك اهتمامه لأقدس شيء لديه ، وكان اذا شتم من بعيد رائحة من شخص يريد السوء بمقدساته هذه او يكتب فيها كتابات بعيدة عن مواطن الحقيقة يستعديه ويتعمد عنه ، ويتأفف في باطنه منه ، ولما شاعت دعوة انصار القديم والحديث في مصر ، آلى على نفسه ان لا يطالع من الصحف الا جريدة الاخبار للمرحوم امين الرافعي لان صاحبها متدين يدافع عن الاسلام والمسلمين ، فلا يقرأ فيها ما تنقبض له نفسه مع انه من أوسع الناس صدراً . وكتب في هذا الشأن يوم (١ جمادى الاولى ١٣٤٦) : « ومن نكد الايام اني لم أزل ممنوعاً من المطالعة والاشتغال بامر الاطباء حتى ضاقت الدنيا في وجعي وساءت اخلاقي لاني لم اعود الجلوس في الملاهي ولا أدري كيف أقضي اوقاتي مع هذا الخبير . وقد منعوني ايضاً من مطالعة الجرائد التي لا تروق لي خطتها ولا تنفق مع مشربي فعمرت أفقصر على مطالعة جريدة الاخبار لانها نوافقي ولا سيما في المدافعة عن الاسلام والانتصار له ومقاومة الاتحاد الممجر عنه في لسان هذا العصر بالجمود والرجعية والاحول ولا قوة الا بالله » .

ولما تعرض بعض اصدقائه للنيل من المأمون (واسطة عقد الخلفاء ونخرا لامة العربية) اخذ يعالجه بالوسائط المنوعة كما يعالج الطبيب المريض حتى اعتدل وعاد للانتصار للعرب

ومدائبتهم» فكشفت نبذة في الاهرام نصحه في آخرها ان يعيد سيرته الاولى التي لم ينل شهرته الا بها . وله مع صديقه هذا مناقشات في الصحف والمجالس لانه يبرر عمل الكمالين في نزع الخلافة مما لا يتسع له هذا المقام . وكان غضب تيمور من صديقه هذا مما لا يستكثر من غيور على الاحتفاظ بمقدسات أمته . ولما ألف الاستاذ علي بك عبد الرازق كتابه في الاسلام واصول الحكم خالفه تيمور في اجتهاده ونألم لما كتب الما شديداً . وكتب لي يصف هذه الفئمة ويستحسن أقوال من ناقشوا المؤلف في موضوعه . ولما رأي انني تصديت لنقد كتب بعض انصار التجدد في مجلة المجمع العلمي طرب واغبط ، ونألم لما قرأ نقراً بظاً لي لبتقن نبغائهم ، ولكن اذ به حال دون التصریح بذلك .

كتب مرة (٢ شعبان ١٢٤٣) : واني من رأكم في اقتدار الشيخ . . . وجودة أسلوبه وعدم الموافقة على بعض آرائه المنطرفة وخصوصاً عن العرب وآدابهم فانه كثير الغرض منهم في كل شيء ومن دواعي الأسف ان هذه الآراء السخيفة لنشر اليوم بسرعة بين الناشئة حتى صار من المضحكات عندهم التحدث ببلاغة القرآن او بفضل العرب انا لله وانا اليه راجعون . وسيدني حفظه الله أعرف مني وأسد رأياً في أسلوب الرجل وغاية ما يظهر لي مع إعجابي به كثرة التكرار في بعض المواضع والظاهر انه يعتمد لانه يستحسنه و يظن انه طريقة جديدة تروق للقراء » بل ان احمد تيمور كان يتألم لاقول من هذا اذا كان فيه العيب بمشخصات الامة ، فقد جاء في رسالة في (٢٠ آذار ١٩٢٤) : لما كانت لجنة عمل الدستور مبنية في العام الماضي وشاع عنها تسمي المجلس بالبرلمان قدم لها بعض الفضلاء ومنهم الاستاذ الشيخ احمد الاسكندري عضو مجمعنا اقتراحاً بتسميتهم بدار الندوة فعارض بعض اعضائها في ذلك وكان المشايخ المعصومون منهم أشد معارضة وعلى هذا سمي اكبر مظهر من مظاهر استقلالنا باسم أعجمي ثم وجود الاسم العربي عند العرب من زمن الجاهلية والله الأمر من قبل ومن بعد .

عطفه على من يعطى على العربية

ولقد كانت على نفسه لامة ودينه وقوميته وعربيته متساملاً مع من يخالفونه في مقلده ولظالماً لخرج أمثاله من مجلسه وبما رأوا من عنائته بهم ، خصوصاً اذا كانوا

من المشغلين بالعلم والادب ، ما اطلق السهم بشكره ، وعقد قلوبهم على حبه ، واورشهم حسن الظن بهدى دينه وتاريخ أمته ، وايقنوا ان الرجل قد يتعصب لمشخصاته ولكنه يريد الخير كله لمن يوافقونه من بعض الوجوه على ما تشبعت به نفسه ويحكموا على ما يرون بالمعقول والمنطق . ولقد اقترح على المجمع العلمي ان يضم اليه الاستاذ اسعد داغر لانه خدم اللغة العربية . وشقى عليه ما نال الاستاذ الاب انستاس ماري الكرمل يوم غضب عليه رؤساؤه في ديره ببغداد وقضوا عليه ان يذهب للاعتكاف في دير لهم في جبل الكرمل متخلياً عن كتبه وتآليفه ، وسعى للافراج عنه ليرجع الى بلاده وحتى لا تحرم اللغة نقشات قلمه ولا سيما من معجمه الفرنسي العربي الذي اقام على تأليفه زهاء ثلاثين سنة . واددعه من الفصيح كلمات كثيرة نحن في اشد حاجة اليها ، ساء لما حل بصديقه (لما كان لهذا العلامة من الآثار النافذة في اللغة) . ولقد خدم الاستاذ عيسى اسكندر المملوك انواع اخدم العلمية لانه ايقن انه يخدم اللغة العربية بابحاثه . وكل من يخدم اللغة والعلم هو حبيب . ولقد اعجب مرة بمقالة للاستاذ انيس سلوم في التعريب نشرت في مجلة المجمع فكتب في (٢٥ صفر ١٣٤١) « فاني ماكدت آتي عليها حتى علمت ان للعربية انصاراً وان قل عديدهم وان لطف الله لم يزل حافاً بهذه اللغة بعد ان كنت في بأس عظيم من انهاضها لا ارى فيها الا استجابة ندعوة جبرول في قوله لاه :

جزاك الله شراً من عجز

كما رآها من قبلي ابو العلاء في الدنيا . . . »

كتب اليه مرة اوصيه باحد اصدقائي من رجال فرنسا الاستاذ المستشرق السيد اميل بهات وكان يريد ان يزور الازهر ويتعرف الى القاهرة من طريق المسلمين لا السياسيين فأدعته بما اطلعه عليه ومن عرفه اليهم من رجال العلم وما غدق عليه من ضروب الاكرام حتى جاوز كلام صديقي بعد انقلابه الى بلاده في شكر احمد تيمور جداً عجباً وبهذه العناية بالموصى عليه وبامثاله من ابناء الشرق وابناء الغرب ابان فضل مصر وفضل ابنائها على العلم ، وبلوغهم درجة عالية من الحضارة والثقافة ، وبالتالي اورث بعمله حسن الظن بالمسلمين عامة والشرق خاصة . وهذه هي الوطنية الحقة ولو كثر هذا العدد من دعائنا على هذا النحو ، لتعريف الغرب بفضل الشرق ، لما اساء بعض الغربيين

الظن بنا وبمجتمعنا ولما صغروا من شأنا مديننا في الغالب تصغيراً قائماً على الهوى والجهل معاً .

آخرة المترجم

قلّ أن تمت لسعيد سعادته ، وبينما كانت السعادة ترفرف ظلّالها على دار احمد تيمور ، وقد تزوّج من امرأة فاضلة وهي كريمة المرحوم احمد رسيد باشا احد وزراء مصر فولدت له ثلاثة أولاد اسماعيل ومحمد ومحمود فتعلقت ارادة المولى ان يفقد زوجته وهو في التاسعة والعشرين من عمره (ولد سنة ١٢٨٨ هـ وتوفيت زوجته سنة ١٣١٧) فلم يرض ان يتزوّج ثانية وقال لي وانا أخذه نكح الزواج : المسألة معقدة من وجهين الاول انه يتعذر وجود زوجة تشبه أم الاولاد بعقلها وأدبها وصيانتها ، والثانية انني أخاف على اولادي من خالة تنغص عليهم عيشهم . وكانت كما أراد فعاش أرمل متبتلاً ومثال الوفاة والصون والعفاف .

وكان المترجم متديناً تدبنا حقيقة ولم يعرف عنه انه ترك صلاة ولا صوماً ، وحج مرة كما زار اوربا مرة وزار الشام مرة والاستانة مرة ، وكان القرآن يتلى ابدأ في داره وفي عزبته وفي ذهيبته وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والحكماء تردد في ناديه ولم يعهد ان غشيه أرباب المساخر والملاهي او مال يوماً الى مصاحبتهم ، بل كانت اوقات فراغه كلها مصروفة في الجدل يتخللها بمض المزاح المقبول مع خاصة أصحابه وكان اذا اتفق ان القي احد المختلفين اليه كلمة هجر يتصام عنها ويلوي وجهه وربما احمر خجلاً كأنه هو الذي قالها . ولو كان حظ خاصة المصر بين من الجدل حظ هذا الرجل العظيم لبلغت مصر في مدينتها شوطاً أوسع من الشوط الذي بلغته .

ولقد عني بتربية بنيه التربية الحسنة وعلمهم العلوم العالية لكن أصاب من عشر سنين بفقد ثاني أولاده محمد ، وكان من أرقى شباب مصر علماً وادباً وجمالاً وكالاً وجواب تمزيقي له قوله في (١٣ رجب ١٣٣٩) : « فشكراً لسيدي الاخ الاعز على مائه فضل به من مؤاساتي في مصيبي العظيمة التي هدت ركني ونفست عليّ ما بقي من ايامي » وكان كما قال لا يكاد يشجعه بعدها فهو الصحة حتى ينعكس وأصبح اكثر الأحيان من المتشائمين لا المتفائلين

ويزيد ذلك كلما تراجعت صحته وأيقن بقرب منيته . كتب (١٩ يوليو ١٩٢٤) : « وقد أشار عليّ طبيبي حينما استدعيته أمس بالسفر الى اوربا وعين لي بلدة بالمانيا يقصدها المرضى بالقلب فلم أقبل لاني لا أستصوب السفر الى مثل هذه الديار وانا مصاب بمرض خطير بل أفضل البقاء بين ولديّ وأحب ان لا أتبعها في موتي كما لم اتبعها في حياتي » .

نعم كان العقيد السادس من حياة عظيم العلماء ونايغة المصر بين حياة نفص وغصص ، ومع هذا كان لا يرضن بوقته على افادة قاصديه ، ويكلف صحته اكثر من طاقتها لنفع الناس وكان خاصة اصحابه يمنعون عن مراسلته او زيارته ، لئلا يكلفوه في قضاء الواجب نحوهم ما قد يضر بصحته ، حتى ناداه ربه الى جواره في صبيحة يوم السبت ٢٧ ذي القعدة ١٣٤٨ (٢٦ ابريل ١٩٣٠) فكان لمنعه في مصر والبلاد العربية وفي مجامع علماء المشرقيات في الغرب رنة أسمى وحسرة وذكره الناس بالرحمة وعزى بعضهم بعضاً على نقد رجل الاسلام والعرب . وشمل الحزن عامة الطبقات المفكرة رحمه الله عداد حسناته للعربية والعروبة وانا لله وانا اليه راجعون .

ايها السادة : هذا ما عرفته من حياة صديقي الذي عدت فجميعتي به من اعظم الفاجعات ، وعلم الله انني ما القيت عليكم من صفاته الا ما ثبت عندي ثبوت الشمس والقمر . ولم أحاول ان اكتب فيه سطرأ الا بعد ان انقضت بعض سورة الحزن عليه ، وعسى ان يسعني عفوك فتسبلوا ذيل المذرة على ذكر اسمي ، خلافاً لعادتي ، مقروناً الى اسمه الكريم في هذه المحاضرة ، بيد اني لم أر لي مخلصاً من ذلك ، لان المسألة مسألة ذكريات شخصية لا بد فيها من ذكر الفريقين ، والله يرحمنا ويتولانا بجمعوته .

محمد كرد علي

وطن الجاحظ^(١)

—(«)—

لئن أنبتت (خد العذراء) أبا الطيب المنيني جبار الشعر على ترادف الايام فأني بقعة
من بقاع الارض أنبتت ابا عثمان الجاحظ جبار النثر في قديم الدهر وحديثه .
يقول كاتب من بلغاء الكتاب الفرنسيين في الشاعر (دي فيني) : لا يقرأ احد شعره
ولكن الناس كلهم يعرفون اسمه ، فما ألصق هذا القول بالجاحظ نفسه ، كلنا نعرف اسمه
ولكن هل نقرأ كلنا كتبه ، هل نعرف حياته على الوجه الذي نريده في عصرنا هذا .
ولئن فأننا ما نريد من هذه المعرفة فلنعمل في استقصاء في ما لم نفت .
كنت أقرأ وأنا أهي هذا الكلام كتاباً يبحث عن (فرجيل Virgile ^(٢)) شاعر
ايطالية ولد هذا الشاعر سنة ٧٠ قبل السيد المسيح فلم يغفل الكلام على القرية التي ولد
فيها ، لم يغفل الكلام على محافلها وعلى طيرها وعلى سواقيها وعلى ينابيعها وعلى مراعيها
وعلى تماشيبها وقد اوصي الشاعر الرعيان برعي ماشيتهم في منابت عشبها .
وللام الغربية مذاهب بعيدة في الحنين الى الاوطان ، وقد انتخب البرت سيم طوائف
من الكلم استنبطها من آثار كتاب الغرب وشعرائه واثبتها في مقال عنوانه : المولد وقع

(١) سلسلة محاضرات الاساذ السيد شفيق جبيري احد اعضاء المجمع العلمي العربي

التي شرع في المحاضرة بها في كلية الادب في دمشق من تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ .

(٢) فرجيل بقلم اندره بليـور (André Bellessot) الصفحة ٢ .

عليه نظري في « المجلة العالمية La revue mondiale » وقد استخرجت من هذا المقال شيئاً من الكلام اذكره على سبيل الايجاز :

لما نفي اوفيد الشاعر اللاتيني الى شواطئ البحر الاسود خرج من دياره وهو يلنث الى رومة وبوادي وطنه سولمون ويقول : لا ادري اي رونق لهذا الوطن حتى ملك علينا حواسنا فلا نجد سبيلاً الى نسيانه على وجه الدهر .

وكذلك فيرجيل شاعر اللاتينيين ، فانه لم ينس مولده البائس مدينة مانطو كل حياته ، ولا ذهل هوراس عن بقعة ارضه الباسمة .

قال فنلون في قصيدة له : معها ضربت في مناكب الارض ، فان البقعة التي رزقت فيها الحياة نلذ الاقامة بها وتضحك لي جواؤها اكثر من كل بقعة .

وذكر روسو ايامه التي قضاها في قرية بواسي على مقربة من جنيف فقال : وما فئت منذ طوبت شرخ الشباب وخطني الشيب اشعر بان ذكرى بواسي تنوفد في خاطري على حين انسى صور غيرها من الذكر وتستقر في حافظتي استقراراً يشتد على تراخي الحقب ، فكنت كمن احس بدنو اجله فطلب السبيل الى الحياة بتذكر اوائلها واصغر حوادث تلك الايام يحلو في عيني لانه من تلك الايام .

وانك لتجد العواطف نفسها في كلام لبرناردن دي سان پير قال : اني افضل باديني على سائر البوادي ، ولا اؤثرها لجمالها ولكنني ربيت ونشأت في آفاقها . . ما اسعد الذي يعود الى الديار التي جعل كل شيء فيها محبوباً .

ولما عاد الجنرال دي برسول من وقعة روسية وهو مثخن بالجراح رأى مولده فصرخ : انا من اوفيلار ! قريتي قبل كل شيء . .

قال لامارتين وقد ذكر وادي ماكونه وهو يحبه حباً جما : هذا مسكني منذ الصبا ! سلام على ربيعته وصيفه وخريفه وشتائه ، واهاً لي ! تستحني تصاريف الدهر في كل خطوة خطوها فلم اعد الى هذه الديار الا لانتزه فيها ساعات فلائل فاقيس الشجرات التي غرستها لادفن في ظلالها واصلي في جوار قبر بن يسيراً من الزمن . .

وكتابات اسكندر دومانم عن نزاعه الى تربته وتشتمل على وصف جميل لكل ما يحس به في عودته الى فيلار كوتره قال في جملة كلام له : دع هذا المولد الذي انشأ في اعماق

قلبي ذكراً ثابتة يجتذبني اليه فكما دنوت من الموت يشتد هذا الاجتذاب فكان الطبيعة قد جعلت الانسان يفرح بالبحث عن لحده في ظلال مهده .

وقال في مقام آخر : صرفت ثلاثين سنة من عمري في العمل والنزاع حتى سلمني الدهر رونق ايامي وشرح شمساي ومع هذا فاني انبسط الى هذه القرية الصغيرة التي لا يعرفها احد في العالم وقبل وصولي اليها انزل من العربية فاحصي الشجر واجلس الى بعضه فاغمض عيني واندكر اموراً مضى عليها عشرون سنة وفي جملة هذا الشجر شجرات نزلت مني بمنزلة الاصدقاء القدماء وفي جملتها شجرات غرسها غيري فأمرتها بها ولا ابالي كما امرت رجال لا اعرفهم ولا يهتمني معرفتهم .

وقال كراسروسكي البولوني مخاطباً مولده :

ابتها الارض الجميلة التي تحتفظين بذكرانا بعد انقضاء الاجل !

ابتها الارض العذبة التي حنوت علينا في قديم الدهر !

اننا نودع خطاءنا ونحن نأمل لقاءهم في السماء ، ولكننا اذا ودعناك لا نرى ابداً بعدك ضياعك المحبوبة ، وديارك وجدائك ، وربيعك وصيفك ، وخريفك وشتاءك وسائر ما رسخت صورته في اذهاننا في عنقوان الشباب .

كيف تكون عنادك ، وازهارك وغدواتك وروحانك ؟

انرحب بنا السماء حتى تنسى من اجلها كل شيء قديم ؟

وهل هذا الكلام كثير في آثار الافرنجة اجتزيه بالقدر اليسير منه تفادياً من

التطويل .

قرأت هذا كله فقلت في نفسي : ما الذي نعرفه من وطن الجاحظ ما الذي نعرفه من الجاحظ نفسه وهو اذهب أدبائنا شهرة وأبعدهم صيتاً ، هل يتيسر لنا ان نبعث هيأته من مرقده حتى نحيط بأسرار عبقريته بجذائرها .

مالنا وهذا البأس فان الفرح بمجاذبة رجل مثل الجاحظ بعد ان اتى عليه احد عشر قرناً وهو هادي في ترابه مطمئن في قراره يكاد ينسينا الالم الذي نألمه في فوات ما فات من جميع امره .

في سنة اربع عشرة كتب عتبة بن غزوان كتاباً الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب وقال : لا بد للمسلمين من منزل اذا اشتأشوا فيه واذا رجعوا من غزروهم لجؤا اليه فكتب اليه عمر ان ارتد لم منزلاً قريباً من المراعي والماء واكتب اليّ بصفته فكتب الي عمر : اني قد وجدت ارضاً كثيرة القفّة في طرف البر الى الزيف ودونها منافع فيها ماء وفيها قصباء . ولما وصلت الرسالة الى عمر قال : هذه ارض بصرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب فكتب اليه ان انزلها فنزلها وبني مسجدها من قصب وبني دار امارتها دون المسجد في الرحبة التي يقال لها : رحبة بني هاشم ، وكانت تسمى الدهناء وفيها السجن والديوان وحمام الامراء فكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك القصب ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو فيعيدوا بناءها كما كان .

ففي هذه الارض التي معّرت على زمن عمر بن الخطاب ولد الجاحظ وقد سموها : البصرة ، واذا قالوا : البصريّات عنوا بقولهم الكوفة والبصرة ، ومن فرط اهتمامنا بالجاحظ لزمنا ان نعرف كل شيء يخص به حتى معنى الارض التي شرب من مائها واكل من طعامها ونشق من نسيها واستظل بظلها فانبلج من أفقها نوره ودرج من أفيائها شعوره فكانت لنا معاشر العرب من هذه العبقرية الواجدة منخورة تنخر بها على تراخي الاحقاب .

ولقد اهتم الافرنجة بمعاني بقاعهم الاهتمام كله ولم يكن اهتمامهم بمثل هذه الامور على سبيل اللهو او على سبيل العبث وانما رموا في هذه المذاهب مراعي أبعد فان لفهم اشباه هذه المعاني عملاً جليلاً في حمل القلوب على الارتباط باوطانها ، وآخر ما قرأته في هذا الباب مقال عنوانه : سواقي فرنسة ^(١) ، فليت ان سيف ادبنا أمثال هذه المقالات التي ننشئ في النفوس محبة الاوطان فبعد ان وصف الكاتب الساقية على وجه عام وأتى على ذكر ما تضمنته من اغاريد وابتسامات وتكلم على رفيف الضحى وعلى عبوس الليل في احفتها ، بعد ان تبسط في هذا الوصف على اساليب شعرية رجع به القول الى الكلام على الساقية

(١) كتاب التزه الأدبية لصاحبه (Remy de gourmont) .

فنفخ فيها روحاً واخذ يفسر الاسماء التي أطلقوها على سواقي فرنسة وقد جاءتها هذه الاسماء من الامم التي تزلت بفرنسة في القديم من السنين ثم ختم مقالته بهذا الكلام :

هذا آخر عهدي بمفاتن سواقينا فلبتني لم أقطع الكلام عليها فاني أجد الماء في قطع هذا الكلام لان الساقية ام الطبيعة .

* * *

فلنبحث عن معاني البصرة لعل معرفة هذه المعاني تزيد في مقدار اتصالنا بالوطن الذي أخرج للناس أمثال الجاحظ .

البصرة ومعناها في كلام العرب على ما قال ابن الانباري الارض الغليظة .

وقال قطرب : البصرة الارض الغليظة التي فيها حجارة نقلع ونقطع حوافر الدواب .

وقال غير قطرب : البصرة حجارة رخوة فيها بياض .

وقال ابن الاعرابي : البصرة حجارة صلاب قال : وانما سميت البصرة لغلظها وشدتها كما نقول : ثوب ذو بصر وسقاء ذو بصر اذا كان شديداً جيداً .

وذكر الشرقي بن القطامي : ان المسلمين حين وافوا مكان البصرة للنزول بها نظروا اليها من بعيد وابصروا الحصا عليها فقالوا : ان هذه ارض بصرة يعنون : حصبة ، فسميت بذلك .

وذكر احمد بن محمد الحمداني حكاية عن محمد بن شرحبيل بن حسنة انه قال : انما سميت البصرة لان فيها حجارة سوداء صلبة وهي البصرة .

وقال حمزة بن الحسن الاصمعياني سمعت مويذ بن اسود هشت يقول : البصرة تعريب بس راء لانها كانت ذات طرق كثيرة انشعبت منها الى اماكن مختلفة .

وفي اللغة اسباب لتسميتها غير هذه فالجمع عليه ان في البصرة معنى الشدة والصلابة فكأنما اوحى الى ابي عثمان صلابة القول وشدة امره .

فما الذي تركه الجاحظ لنا من آثار هذه الشدة ورسوم هذه الصلابة ما الذي تركه لنا من آثار وطنه وهو الذي يقول في الحنين الى الوطن : « وانت لو حوت ساكني الآجام الى القبايع وساكني السهل الى الجبال وساكني الجبال الى البحار وساكني الوبر الى المدر لا ذاب فلو بهم الهمة ولا بقي عليهم فرط النزاع . وقد قبل : عمر الله البلدان يحب الاوطان

وقال عبيد الله بن الزبير رحمه الله تعالى : ليس الناس بشيء من اقسامهم افنع منهم باوطانهم . وقال معاذ بن جبل في قوله من الذين رجعوا الى بلادهم بعد ان ازلهم من الشام منزلاً خصباً وفرض لهم في شؤون العطاء : يصلون اوطانهم بقطعة انفسهم ، وقال الله عز وجل : ولو انا كتبنا عليهم ان يقتلوا انفسهم او اخرجوا من دياركم ما علموه الا قليلاً منهم . فقرن الضن بالاطان الى الضن بفتح النفوس .

فان الذي يقول مثل هذا القول ويشعر مثل هذا الشعور انما هو عالم بمنزلة الوطن من القلوب فلننظر في مقدار حنين الجاحظ الى وطنه ما هي الآثار التي خاها لنا من هذا الحنين ، ما هي طبيعة هذه الآثار .

نظر الجاحظ الى عيوب تربته ولم ينظر الى فضائلها فقال :
« من عيوب البصرة اختلاف هوائها في يوم واحد لانهم يلبسون القمص مرة والمبطنات مرة لاختلاف جواهر الساعات ولذلك سميت الرعاء فقال الفرزدق :
لولا ابو مالك المرجو نائله ما كانت البصرة الرعاء ليوطنا »

فلم ينظر الجاحظ الى تربته نظرة شاعر مولع بالوان هذه التربة كلف بمشاهد طبيعتها وانما نظر اليها نظرة العالم الذي يريد ان يبحث عن اصل كل شيء حتى يعرف المورد والمصدر والمدخل والمخرج وهذا من خصائص عبقرية ومن طبيعة عقله . ولقد تجلت هذه الخصائص وهذه الطبيعة في كلامه على عجوبات البصرة قال :
بالبصرة ثلاث عجوبات ليس في غيرها من البلدان منها ان عدد المد والجزر في جميع الدهر شيء واحد فيقبل عند حاجتهم اليه ويرتد عند استغنائهم عنه ثم لا يطغي عنها الا بقدر هضمها واستمرارها وجمامها واستراحتها لا يقتلها عطشاً ولا غرقاً ولا يغيبها ظمأ ولا عطشاً يجي على حساب معلوم وتدير منظوم وحدود ثابتة وعادة قائمة يزيد بها القمر في امتلائه كما يزيد بها في نقصانه فلا يخفى على اهل الغلات يتخلفون ومتى يذهبون ويرجعون بعد ان يعرفوا موضع القمر وكم مضى من الشهر فهي آية وعجوبة ومنير واحدثة لا يخافون الحمل ولا يخشون الخطمة . والعجوبة الثانية ادعاء اهل انطاكية واهل حمص وجميع بلاد الفراعنة الطلعات وهي بدون ما لاهل البصرة وذلك ان لو

التمست في جميع ببادرها وربطها المعودة وغيرها على نخلها في جميع معاصر دبسها ان
تصيب ذبابة واحدة لما وجدتھا الا في الفرط ولوان معصرة دون الغيظ او ثمرة منبوذة دون
المسناة لما استنبتھا من كثرة الدبان .

والاعجوبة الثالثة ان الغربان القواطع في الخربف يجي منها ما يسود جميع نخل
البصرة واشجارها حتى لا يرى غصن واحد الا وقد تأطر بكثرة ما عليه منها ولا كربة
غليظة الا وقد كادت ان تندق لكثرة ما ركبھا منها ثم لم يوجد في جميع الدهر
غراب واحد ساقط الا على نخلة مصرومة ولم يبق منها عذق واحد وناقير الغربان
معاول وتمر الاعذاق في ذلك الابان غير متماسك فلو خلاها الله تعالى ولم يمسكها بلطفه
لا كئني كل عذق منها بنقرة واحدة حتى لم يبق عليها الا اليسير ثم هي في ذلك ننظر
ان نهرم فاذا اتى الصرام على آخرها عذقاً رأيتها سوداء ثم تخللت اصول الكرب فلا
ندع حشفة الا استخرجتها فسبحان من قدر لم ذلك واراھ هذه الاعجوبة .

من هذا كله يتبين لنا ان الجاحظ في الحنين الى الوطن انما ينظر الى بقعة ارضه
نظرة العالم المدقق على ان قلبه لم يخل من نزاع الى وطنه وانما ذهب في هذا النزاع مذهباً
بعيداً فجاز من وطنه الاصغر الى وطنه الاكبر فمن بعض كلامه :

« وانا اقول في هذا قولاً وارجو ان يكون مرضياً ولم اقل : أرجو ، لاني اعلم
فيه خلاً ولكني اخذت بآداب وجوه اهل دعوتي وملتي ولغتي وجزيرتي وجبرتي وهم
العرب » .

اني ارى في هذه الكلمات عروبية واضحة ووطنية صادقة فما عذب قوله : ملتي ولغتي
وجزيرتي وجبرتي ! وما عذب هذه الياآت كلها ! فانها تدل على ولع صاحبها بقومه
وكلفه بوطنه ولحجه بلغته اني ارى فيها صورة الرجل الذي جعل من جزيرة العرب ومن
اقتهم ملكاً خاصاً به يرتبط بهما قلبه ولسانه .

ومع هذا كله لم يصور لنا الجاحظ وطنه فاذا اردنا ان نعرف شيئاً من صورة البصرة
في القديم لزمنا ان نستعين بغير الجاحظ .

فمن الذين وصفوا البصرة خالد بن صفوان ، وصفها لعبد الملك بن مروان فقال :
بغدو قانصنا فيجي هذا بالشبوط والشم ويجي هذا بالظبي والظليم ونحن اكثر الناس

عاجاً وساجاً وخزاً ودباجاً وبردوناً هملاجاً وخريدة مغناجاً بهوننا الذهب ونهرنا العجب
 اوله الرطب واوسطه العنب وآخره القصب فاما الرطب عندنا فمن النخل في مباركه
 كالزيتون عندكم في منابته هذا على افئنه كذاك على اغصانه هذا في زمانه كذاك في ابائه
 من الراسخات في الوحل المظلمات في المحل الملقحات بالفحل يخرجن اسفاطاً عظاماً واساطاً
 ضخماً وفي رواية يخرجن اسفاطاً واساطاً كأنما ملئت رباطاً ثم يتلفن عن قضبان
 الفضة منظومة باللؤلؤ الابيض ثم تبدل قضبان الذهب منظومة بالزبرجد الاخضر ثم
 تصير يافوتاً احمر واصفر ثم تصير عسلأ في شنة من سماء ليست بقربة ولا إناء حولها
 المذاب ودونها الحراب لا يقر بها الذباب مرفوعة عن التراب ثم تصير ذهباً في كيسه
 الرجال يستمان به على العيال .

واما نهرنا العجب فان الماء يقبل عنقاً فيفيض مندققاً فيغسل غيثها ويدي مبيها
 يأتينا في اوان عطشنا و يذهب في زمان ربنا فناخذ منه حاجتنا ونحن نيام على فرشنا
 فيقبل الماء وله عباب وازدياد ولا يحجبنا عنه حجاب ولا تغلق دونه الابواب ولا يتنافس
 فيه من قلة ولا يحبس عنا من علة .

واما بهوننا الذهب فان لنا عليهم خرجاً في السنين والشهور نأخذه في اوقاته ويسلمه الله
 تعالى من آفائه ونفقه في مرضاته .

ليت هذا الوصف قد جرى به قلم الجاحظ نفسه واظن اننا لا حاجة بنا من بعده الى
 معرفة شيء من صورة البصرة وانما يلزمنا ان نعرف ان - في البصرة نشأ النصب الاوفى
 من عبقرية العرب فكان لهذه البقعة من شعر العرب ولغتهم وادبهم ونجوم الحظ الاوفر
 فلا نذكر البصرة الا تمثل لنسا بشار بن برد والسيد الحميري وسلم الخامر وحسين بن
 الضحاك وصالح بن القدوس والرقاشي والرياشي وغيرهم من الشعراء على اختلاف طبقاتهم
 واي تربة افضل من تربة سقي ماؤها وغذي هواؤها وادفأت شمسها رجالاً تبسط سلطانهم
 في عالم الطبيعة وفي عالم العاطفة فكان للطبيعة وللعاطفة من شعرهم مرآة مصقولة الجوانب
 مرة تعكس لنا اشكال الالوان على تباين كدتها وصفاتها ومرة تمثل لنا صور العاطفة
 على اختلاف دقائقها .

ولا نذكر البصرة الا تخيل لنا الاصمعي وابو زيد الانصاري وخلف الاحمر والخليل

ابن احمد والنضر بن شميل وقطرب وغيرهم من المحافظين على لغة العرب المرامين دون
حياضها واذا قلنا : لغة العرب تصورت لنا هذه المادة التي اعانتم على الافصاح عن
نتائج عاطفتهم وشعورهم وعن ثمرات خواطرم وعن مذاهب حضارتهم وعمرائهم وعن
اساليب سياستهم وسيرتهم فكان في هذه الالفاظ المجموعة في كتاب واحد صورة ناطقة
تعرب لنا عن ظواهر العرب وبواطنهم .

وفي البصرة نشأ سيديويه والمازني والى البصرة ينتمي المبرد وابن دريد فمن هذا كله
يظهر لكم ان معظم عبقرية العرب في الكوفتين فاذا نبتت على ضفاف بردى عظمة العرب
وما اشتملت عليه هذه العظمة من منازع قومية فعلى ضفاف الرافدين دجلة والفرات طلعت
فكر العرب وشعورهم وللجاحظ نصيب غير يسير من هذا الفكر ومن هذا الشعور .

دمشق : في ٢٠ كانون الاول ١٩٣٠

ادبنا القومي

- ٣ -

بين القديم والجديد

ابتدأ الشعور الصادق بازمة اللغة العربية في مصر من يوم دلفت اليها علوم الغرب الحديثة على يدي محمد علي الكبير . ولقد حدثك في مقال سابق انه استعان على الترجمة بين اساتذة الطب الغربيين وبين طلابهم من المصريين او المتصرين بجماعة من النازحين الى مصر من المغاربة ومن بلاد الشرق القريب ، فكانوا يؤدون الى هؤلاء بالعربية او بما يشبه العربية ما يلقيه اولئك باللغات الغربية . فكان هذا اول مجهود بذل في هذا الباب . واذا لم يكن قد انتج كثيراً ، او لم يخرج على وجه الدقة فالعذر لهؤلاء السابقين قائم ، وسعيهم مشكور على كل حال .

وظلت الحال على هذا الى ان عاد من الغرب رفاعة وقرناؤه ، واتسعت رقعة العلم الحديث في مصر بما اقيم من المدارس في فنون الحياة المختلفة ، وقويت الحاجة الى التماس صيغ العربية ومفرداتها تؤدي بها علوم العصر الحديث . فلم يتعاضدهم الامر ولم يخذلوا من عزائمهم ، بل لقد جردوا همماً تنزل الجبال ولا تنزل ، فأقبلوا على معاجم اللغة وجعلوا ينقضون منها كل لفظة تؤدي معنى مما بين ايديهم ، كما أقبلوا على الكتب العربية في العلوم والفنون المختلفة مؤلفة ، ومترجمة عن اليونانية وغيرها ، فاستخرجوا منها شتى المصطلحات الفنية وأطلقوها على ما وقع لهم من المصطلحات في اللغات الاجنبية . فاذا قام لهم بعد هذا جديد من المعاني في لغات الغرب فلم يجدوا له من قديم صيغ العربية ما يترجم عنه عاذوا بالتعريب . فعمدوا الى الكلمة الاجنبية فأطلقوها بعد ان يهذبوها بما يسيغها في لسان

العربية . وبعد ان كان الامر في صدر النهضة مقصوراً على الترجمة فقد شمر العلماء المصريون للتأليف فأخرجوا من الكتب والرسائل مؤلفة ومعرفة ما لا يحصى كثرة في الطب والهندسة والحساب والفلك والطب البيطري والزراعة والتعدين وغيرها مما زخرت به العربية على الرغم مما كان يشوبه من المعرب والدخيل والركيك . والا فكيف كانت الحملة في أداء علوم الحياة للمصريين ؟ ما احسب احداً يزعم ان الواجب عليهم كان ان يتربصوا بالعلم حتى يأذن الله فيخرج لهم من خالص العربية ما يدل على كل ما كان وما سوف يكون .

واعل الحرج السيامي في مصر في مؤخرات عهد اسماعيل ، ثم في تهيو البلاد للفننة في عهد توفيق قد خذل من قوائم هذه النهضة « اللغوية العلمية » وان لم يخلد في النهضة الادبية ثم كانت القارة الكبرى بالاحتلال الانجليزي ، ثم نعهد المسيطرين منهم على التعليم بسط العلوم على التلاميذ باللغة الانجليزية . ولا يذهب عنك ان ادامة هذا السنين الطوال قد كاد يقطع ، ثانياً ، الصلة بين العربية ومصطلحات العلوم الكونية : ولسوء حظ العربية لقد كانت هذه الفترة هي اشد قترات التاريخ ازدهاراً بمخترعات الغرب ومستكشفاتة في مرافق الحياة . وما زال يرشقنا كل يوم منها بما لا نجد عنه منصرفاً ولا محيداً ، ولا تجد لغتنا عليه مسعداً ولا معينا !

على انه من جبل مضي قد تعاضم هذا الخطب جماعة العلماء والمتأدبين فانبعثت له طائفة من ائمة اللغة واعلام البيان واقبلوا على كتب اللغة بنكتونها فكنتا ليصيبوا بها ما يطرنا به العلم الحديث ، فجذبوا اشهرأ او اياماً ، ولا ادري ما الذي فرق عزائمهم ، فسرعات ما انقبضوا بعد ان اخرجوا بضع عشرة كلمة سار أفلها ومات سائرهما ، ولا حول ولا قوة الا بالله !

على ان جهوداً فردية ظلت مرسله ، انتج بعضها كثيراً ، وانتج بعضها قليلاً . الا انها بكثيرها وقليلاً لا تغني في هذا الباب كثيراً !

وعلى ذكر هذه الجهود أحبي بأطيب التحيات وازكاها ذكرى استاذنا الاعظم العالم اللغوي الاديب الشاعر الكاتب حفي بك ناصف عليه رحمة الله . فاني لا أعرف في هذه البلاد من جمع بين خدمة العلم وخدمة الادب وخدمة اللغة ، وخاصة من الجهة العملية مثل حفي ناصف . وبدوم على هذا طوال السنين لا زهو ولا استكبار ، بل انه لتواضع

يشبه الانكسار . وهكذا العلماء لا المتعاملون !

إذن لم يفت كل ما بذل العهد الأخير في مطالب العلم الحديث عند لغة العرب . وكيف الحيلة في هذا الخطب الجسام : ان البلاد تريد ان تتعلم ، وتريد ان تتعلم بلغتها لغة العرب ، وفي الحق انهما اذا لم ترد هذا فقد خطت بعدها قبرا لا انبعث لها منه الى غاية الزمان .

وهنا اذكر لامام الصحفيين المرحوم السيد علي يوسف حكمة له مأثورة : « ان من يعلم الامة بلغتها فانه ينقل العلم اليها . اما من يعلمها بغير لغتها فانه ينقل أفراداً منها الى العلم » . ونحن المصريون بحمد الله اشد أنفة واوسع في الحياة مطلباً واعز مطمناً من ان نقنع بان ينقل افراد منا الى العلم !

وإذن لا بد من حل ، وهذا الحل لا يمكن ان يكون الا باتخاذ إحدى طريقتين لاثالث لهما : اما المياذ بالنحت والتعريب وما اليهما من الوسائل الى مط اللغات حتى نصيب طرائف المداني . واما الالتجاء الى التعريب بعد صقل الالفاظ الاجنبية وتسويتها حتى تستقيم اللهجة العربية . وذهب قوم من افاضل العلماء الى هذا ، وخالفهم جماعة من أندادهم الى ذاك . ومن ذلك اليوم نشأ في هذه البلاد ما يدعى بالقديم والجديد ، ونجم من يدعون أنصار القديم ومن يدعون أنصار التجديد .

نعم ، لقد اتسع بعد هذا معنى القديم ومعنى الجديد اذ اصبح الى تناوله فقه اللغة . يتناول الادب في تصرفه واساليبه ومطالبه والغاية منه وغير ذلك ، ولهذا شيعة وانصار ، ولهذا شيعة وانصار ، واننا لنعود الى هذا الموضوع بعد اذ تفرغ مما اخذنا فيه من هذا التاريج لكيلا تختلط الموضوعات ويختل نظم الكلام .

اسلفت عليك ان الخلاف قد انبعث بين من يقولون بالاجتزاء بالنحت والاشتقاق وما اليهما ، وبين من يذهبون الى التعريب . وقامت المناظرات بين الفريقين ، وعقدت المحافل لشهود الجدل والحوار . فكانت اظهر حجة هؤلاء ان اللغة العربية قد انقبضت من مئات السنين عن اسباب الحضارة ، ولم تشهد هذه العلوم الحديثة ولا عهد لها بهذه الوسائل التي يطلع علينا الغرب بها كل حين . فليس من المعقول ان نصيب فيها ما يغني في كل ذلك .

ومن المسلم به اننا في علومنا واسبابنا في الحياة انما نعيش عيالاً على الغرب وعنه نأخذ ،
ومنه نستمد وبه نقندي فلا يحصى لنا عن التعريب . على اننا لا نكون مبتدعين اذ انحنى
عمدنا الى التعريب . فلقد اضطر اليه سلفنا العظام في انصر عصور اللغة العربية وازكى
ايامها ، اضطروا اليه في صميم العصر العباسي حين ارادوا على نقل علوم اليونان وآداب
الفرس الى لغة الكتاب العزيز ، ولست تستق كتاباً ترجم او ألف في ذلك العهد في منطق
او فلسفة او طب او هندسة او فلك او غيرها ، الا رأيت قد سلك ، في كثير من
المواضع ، سبيل التعريب .

وأبلغ من هذا ان العرب في جاهليتهم على غني لغتهم الهائل وعلى انهم كانوا أجهل
خلق الله بالعلوم والفنون ، لم يخرجوا من ان يقتضوا كثيراً من الالفاظ الفارسية
والحبشية وينظموها في صميم العربية .

وكان من أبلغ حجج الآخرين ان التعريب لا يجوز الا للعرب . فهم وحدهم الذين
يملكون ان يدخلوا في لغتهم ماشاءوا وان ينفوا عنها ما أرادوا . فكل دخيل بعدهم لا يمكن
ان يقال انه من لغة العرب .

على ان السابقين في العصر العباسي وما وليه اذا كانوا قد اضطروا في سبيل الترجمة
عن بعض مصطلحات العلوم الى ايراد كلمات اجنبية فما كان ذلك ليدخلها في لغة العرب ،
بل انها مازالت تعتبر من لغى اجنبية .

ثم ان العباسيين قد استطاعوا ان يترجموا بالعربية الصحيحة الخالصة علوم اليونان ،
وبدبه ان وقوع طائفة يسيرة من المصطلحات الأعجمية فيها لا يخرجها عن عربيتها . اما
نحن فاذا طرقتنا اليوم هذا الباب فس نجد في كل عشر كلمات واحدة عربية وتسعة معربة ،
او على الصحيح اعجمية ، اما لانه ليس في لغة العرب ما يبدل على المعنى الحديث ، واما
باستسهال الناس للتعريب عن طول المراجعة والتنقيب ، وفي هذا القضاء كله على لغة
الكتاب الكريم .

ويرى هذا الفريق من العلماء ان في ابواب الفتح والاشتقاق والتجوز متسعاً لكل ما
يعرض لنا من معنى حديث وزادوا على هذا انه اذا تعصت لغة العرب عن اداء معنى طريف
بعد ان نثر كل تلك الابواب ، وثنفد الحيل والوسائل ، فواجب ان يلجأ الى مجفوات

اللغة وما لم يعد يستعمل من مفرداتها فيطلق على ذلك المعنى ، وبذلك تؤدي الغرض من جهة ، ونبعث ميت العربية من جهة اخرى .

ثم يحتدم الجدل ، ويستحر الطعن والقتال ثم اذا الزمن يكر ، واذا الليالي تفر ، واذا اللغة في انقباضها ، واذا المعاني الحديثة ما زالت في اضطرابها ، لا نستدركها على رأي انصار القديم ، ولا نلتحقها على رأي اصحاب الجديد .

وقبل ان نهجز هذا الموضوع يجب ان نشيد بأثرين كريمين كان لهما حظ في انعاش اللغة العربية بقدر محمود . اولهما ، انه لما ولي المغفور له سعد زغلول باشا وزارة المعارف تقدم بتدريس العلوم المختلفة باللغة العربية ، فنشطت العزائم ، وتضافرت الهمم على التماس ما يترجم من صميم العربية عن مطالب تلك العلوم . وكان من مقنضيات هذه النهضة ان أنشي في وزارة المعارف فلم للترجمة العلمية ، فاخرج في مختلف العلوم كتباً غير يسيرة ، اذا اعوز بعضها الدقة في حسن الاداء ، فلقد كان لها نفعها على كل حال .

والثاني انه لما تقلد المغفور له احمد حشمت باشا هذه الوزارة والى سعي سلفه العظيم ، واقبل على تشجيع تلك النهضة بتقريب علماء اللغة واذكاء هممهم ، وشق طرائق العمل لهم وبادر فألف لجنة دعيت (لجنة الاصلاحات العربية) بتولى رياستها وزير المعارف ، ووكالتها وكيلها ، ودعا الى عضويتها جماعة من خيرة العلماء : اسماعيل حسنين باشا ، احمد زكي باشا ، حفي ناصر بك ، اسماعيل رأفت بك . الشيخ احمد السكندري وغيرهم .

ولولا حب الجدل ، الذي ابتلينا به نحن المصريين ، لآتت هذه اللجنة اجل الثمار ، على انها برغم ذلك قد حققت كثيراً من الاعلام والمصطلحات الجغرافية مازال يؤخذ بها في التعليم الى الآن .

ثم فترت هذه الفورة بعد اعتزال حشمت باشا وزارة المعارف وجري على تلك اللجنة القضاء المحتوم .

«المجمع لغوي»

ادرك اهل العلم ثانياً ان جهود الافراد لا تغني في هذا الحدث كثيراً ، لان الواقع دل على ذلك اولاً ، ولأن عمل الفرد في مثل هذا لا يكفّل له الضبط والدقة الواجب ان ثانياً ، ولان اثر الفرد لا يلتزم به المجموع ثالثاً ، فتكون النتيجة نتيجة الارتكان على الجهود الفردية التي تختلف الدلالات على المعنى الواحد ، سواء في الالفاظ المفردة او في الصيغ المحبوسة .

ومن هنا التفتت النيات الى وجوب عقد مجمع لغوي يضم اليه افاض العلماء واللغويين وكبار الادباء من الشعراء والنقّدة والكتاب ، حتى يثمر السعي من جهة الدقة والتجويد ، ومن استراحة جمهور المتأدبين اليه واخذهم به في معالجتهم لالوان العلوم والآداب . ووجهت الدعوة الى صفوة هؤلاء فعلاً ، وجهها الاستاذ احمد لطفي السيد بك (مدير دار الكتب يومئذ) فلبوا ، واجتمعوا ثم اجتمعوا ، ثم انقضوا لا عن شيء وتفرقوا كل مفروق . وبعد بضع سنين ثبت هذه النية مرة اخرى فدعا صاحب العطوفة ادريس راغب بك جماعة من صفوة العلماء والادباء الى عقد «مجمع لغوي» ايضاً . فاجتمعوا واشتعبوا لجائاً لتجرد كل واحدة منها لمطلب خاص ، ثم اجتمعوا وانتضج مسعاهم عن اثر يسير ، لا ادري مصيره اليوم ، ثم انقضوا وتمزقوا كل ممزق .

لم يبق بعد كل هذا بد من احالة الامر على الحكومة فالحكومة قوية بما لها ، قوية برجالها ، قوية بقوانينها . ماتأخذها هواة في بسطها على موظف فاطر كسول وبعبارة اخرى ، لانجاح «المجمع لغوي» الا اذا تولته الحكومة فاصبح فرعاً (رسمياً) من فروعها . ولهذا منزلة اخرى ، وهي ان الحكومة تستطيع ان تفرض ما يخرجها (المجمع اللغوي) فرضاً في كتب التعليم وفي مكاناتها (الرسمية) وغير ذلك . وفكر في ذلك الاستاذ علي الشمسي باشا مذ كان وزيراً للمعارف ، واحتفل للامر ايما احتفال ، وراجع فيه الاستاذ احمد لطفي السيد بك (مدير الجامعة يومئذ) والاستاذ احمد حافظ عوض بك وثالثاً . وقدم كل منهم الى الوزير تقريره متضمناً المبادئ الاساسية التي ينبغي ان يقوم عليها بناء المجمع والغاية من قيامه ، وطريقة قيامه بهمة ، على جهة الاجمال لا التفصيل . وجعل الوزير يفكر بعد ذلك ويتدبر ، وفي خلال هذا التفكير وهذا التدبير تخلت الوزارة عن الحكم .

وقام على وزارة المعارف بعدد الاستاذ احمد لطفي السيد بك قوالى مسماة سلفه ، وجد في الامر ايما جد حتى اتم مشروع انشاء «المجمع اللغوي» ومشروع ميزانيته على ماروى لي الثقة الصادق ، والعهد عليه ثم لم يظهر لهذا المجمع «الرسمي» الى الآن (حسن ولاخير) . وهكذا ظلت لغة العرب وحاجة العلم يناشد كل منهما صاحبه قول الشاعر :

أرى ماء وبي ظأ شديداً ولكن لا سبيل الى الورود

ولقد انتهي الى ان هناك ملاحظة قوية قد ارتفعت على مشروع انشاء «المجمع اللغوي» ذلك بان اللغة العربية ليست ملكاً للمصرين وحدهم حتى يستأثروا بالتصرف فيها ، بل هي ارث مشاع بين جميع الامم التي تنطق (الضاد) . ومميزات ان يكفل لهذا المشروع نجاح الا اذا اشترك فيه مندوبون عن سائر الامم العربية الاخرى ، ليجري كل ما يستخرج المجمع وما يولده على السنة المتكلمين بالعربية في جميع اقطار العالم ولقد يكون لهذا الراعي شيء من الاعتبار بتوحيده جميع الصيغ والدلالات في اقطار العالم العربي ، وان كان هذا برغم الف مجمع ومجمع ، مما يكاد يلحق بالاستخيل . ولكن ليست اقامة مجمع لغوي مصري بحث خيراً من ألا يقام مجمع البتة من اي نوع كان ؟ .

ثم لقد سبقنا اخواننا اهل الشام فألفوا «لمجمعاً علمياً لغوياً» فهل دعونا او دعوا غيرنا من المنتمين للعربية الى الاشتراك فيه ؟ وهل هم منظرون حتى تبدي الامم العربية الاخرى رأياً فيما هم يخرجون ؟

والحق الذي لا ريب فيه ان مصر اعلى البلاد العربية حضارة واوفرها غني ، واوسعها علماً وادباً ، فهي حاملة لواء الحضارة في الامم العربية ، وان غيرها ليقندي بها . ولو انها نهجت في هذا الباب سبيلها لانبعا غيرها واخذ عنها سواها من الامم الناطقة بالعربية .

ثم ماذا بضيرنا نحن اذا خالفنا غيرنا ، في الدلالة على المعاني الحديثة ، الى غير ما نستخرجه من المفردات وما ننوئض عليه من المصطلحات ؟

وبعد فلقد اوردت عليك موجزاً من تاريخ اللغة العربية من صدر النهضة الحديثة ، ومبلغ ثقلها ، وكيفية تصرفها . والجهود التي بذلت في سبيل انبساطها لحاجات العلوم

الكونية . ومن هذا كله ترى ألا ملجأ ولا منجى الا بالاسراع في عقد مجمع لغوي (رسمي) تكفله الحكومة ، ويشد منه جبهة العلماء والمتأدبين . .

بين القديم والجديد ايضا

قلت لك في مقال الماضي انه قد اتسع معنى القديم ومعنى الجديد ، اذ أصبح الى تناوله فقه اللغة ، يتناوله الادب في تصرفه وأساليبه ومطالبه والغاية منه ، وغير ذلك . والواقع ان الخلاف جد واضح في امر فقه اللغة ، فهناك قوم يقولون بالتعريب فيما لا غناء للعربية فيه وقوم لا يسيغونه البتة ، بل بذهيوت الى معالجة ذلك بالنحت والاشتقاق وما اليهما على ما سلف به التفصيل . اما الخلاف في شأن الادب بين أنصار القديم وأنصار التجديد ، فالحق انه غير واضح المعالم ولا بين الحدود .

نعم ان هناك اختلافاً كبيراً تحسه وتستشعره بين آثار هؤلاء وآثار هؤلاء . وهذا الاختلاف لقد يظهر مرة بقدر كبير وقد يظهر مرة بقدر صغير ، فهو من الجهة العملية قائم على كل حال . اما من الجهة النظرية فان احداً لم يتقدم الى الآن بتبيين حدوده واظهار وجوهه وتفصيل مسائله . وبعبارة أخرى : ان احداً من هؤلاء ولا من هؤلاء عبر في صراحة ونصاحة بيان عما يرى ان يكون عليه الادب العربي في هذا العصر الذي نميش فيه . فان انت ظفرت بشيء من البيان في هذا ، ظفرت به على وجه الاجمال لا على وجه التفصيل . وعلى ذلك فليس من حقنا نحن المحايدون ان ندخل في تفصيل ما طواه اعلمه وأجمله ذود الشأن فيه . بل ان كل ما علينا ان نأخذ في الامر كلامنا من الجهة النظرية بالاجمال . اما من الجهة العملية البادية في آثار اصحاب القديم وأنصار التجديد ، فهذه من حقنا ان نفوض فيها على جهة التفصيل :

يغيب اصحاب القديم خصومهم بالنسبة آداب الافرنج قد غمرت احساسهم وطفئت على شعاعهم فانحرفت ملكاتهم عن الطبع العربي ، فهم اذا نظموا او أرسلوا البيان والنسب جلوه في لفظ عربي فانه لا يسلم طبع اللغة ولا يساير كرائم آدابها وبدائع أساليبها ؛ فيصنع حائلة ، وجل فاصلة ، وثرا كيب مثزيلة ، وأخيلة ناشرة على الطبع ، وتشبيهاات نابتة عن السمع . وانزلاق الى معان غريبة لا يصلحها سبب ، ولا يربطها نسب .

وهيات ان يكون الادب كذلك أو يكون ذلك من الادب .
ويجيبهم الآخرون : انكم لا تفقهون الادب ، ولا تدركون اثر الادب ، ولا تعرفون
الغاية من الادب ، لان كل همكم وهمتكم قد احتبس على رص الألفاظ وتزيين الصيغ
بالتماس ألوان المحسنات البديعية . مما استهلكتم المعاني في هذا السبيل ، والتجرد في تلمع
جملة قديمة او مثل عربي تسوقون ذلك في غير شيء ، وقد تدفعون الكلام اليه دفعا
لتصيبوه وتستكروهوه على نظمه فيما أنتم فيه . فالاصل في الادب عندكم نظم الفاظ وتصيد
صيغ وتزويق كلام كائنة ما كانت معانيه ، وواقعة ما وقعت مراميه . اما المعاني واما
الاغراض ، واما إفشاء النفس بما يترقق فيها من ألوان الحس ، واما تصوير الجمال
وإشعاره الخ فليس هناك في شيء من ذلك . وهذا هو الادب لو كنتم تفقهون .
هذه صفوة . التلخيص الينا من مناظرات الفريقين (أصحاب القديم وانصار التجديد)
اما من الجهة العمالية فقد حدثت في صدر هذا المقال بان الاختلاف بين آثار هؤلاء
وآثار هؤلاء لقد يظهر مرة بقدر كبير ، وقد يظهر مرة بقدر صغير . ولأن ، ونحن
بسبيل الابانة عن الخلاف من هذه الجهة ان نمد الى أطول أقطاره وأوسع مراميه لنظهر
القاري على أ. ضح صورة وأبين مجاله :

فلان عندنا وفلان وفلان بقرضون الشعر فلا يكادون بأنون به الا بالغريب الشاس
من مفردات اللغة لا يجد الخاصة انفسهم السبيل الى فهمه الا بمراجعة المعاجم . . فاذا
سافروا (في اشعارهم) فطريقهم الموامي (الصحاري) وما يترقق فيها من السراب ، وما
يتراءى لهم من الآل ، يقطعونها على متون العيس ، وكيف وردت خمسا (بكسر الخاء)
او سدسا (بكسر السين) وكيف صنع ذيلها ؟ اوضعت عارضة ؟ (فنقول ارخى فوقها ستر)
او رفعت شامدة (فنقول رنق فوقها نسر) وكيف حنت النجائب وكيف انت ، ولم تبلغ
راكبها طلبتهم الا بعد ان :

أكل الوجيف لحومها ولحومهم فأتوه انقاصا على انقاص

فاذا بكوا بكوا الأطلال والاحجار من دوارس الآثار : واذا تعشقوا تعشقوا (بنت
معتنق الفوارس في الوغى) واذا واعدوا الحبيبة اللقاء في (منزعج الأولى) واذا فاحروا

بالكرم ، فبخر الجزور لسنامه (شحم كهذاب الدمقس المقتل) واذا كثروا بالشجاعة فادانتهم للطعان (السيف الياني ، والرمح السميري ، والقنا الخطي) الخ الخ .

اما المتطرفون من اصدقاء الحديث فمندم (الموت اللازوردي) و (الهيولي الراقدة على سرير الابدية) و (العذاب الناعم) و (بالبحيم) و (بالشیطان) و (الشيطان المرتبك في نسج عنكبونه) الخ مما لا أريد الاطالة فيه إشفافاً على ذوق القاري الكريم .

هذان مثالان ضربتهما اولهما شديد التطرف في التمسك للقديم . وثانيهما شديد

التطرف في عدم المبالاة باللغة في سبيل اصابة معنى حديث .

ولا يذهب عنك انه يقع بين هذين الحدين مراتب متعددة ، حتى انك لانكاد تحس في بعض الآثار فروقاً بين اصحاب القديم وانصار التجديد . ولا ننس ان العلة فيما ترى من هذا التبليل او شبه التبليل في الاساليب هي ما شرحته لك في المقال الثاني فراجعه ان شئت وجوه التعليل .

وبعد فقيم الخلاف في الرأي ، وفي كل هذا الجدل والحوار ؟ لقد يفهم ان يقوم الخلاف جدياً في متن اللغة بين من يقولون بالتعريب ، ومن يحفظون التعريب . وهذه مسألة يجب ترك البت فيها لمجمع لغوي معقودة له ثقة العلماء وأئمة اهل البیان . اما الادب وأساليبه وسائر اسبابه فالخلاف عليه لا يزول بالمناظرة ولا بالاقناع ، وانما يقتصر ويزول بحكم الزمان ، وانه الى هذه الغاية لني بعض الطريق .

لا أحسب ان هناك شكاً عند اصحاب القديم او دعاة التجديد في ان الأدب في كل لغة وعند كل أمة كائن حي يجري عليه من نواحيس الطبيعة ما يجري على سائر هذه الكائنات فهو ينمو وهزل ، وهو بطول و يقصر ، وهو يشتد و يضعف ، وهو ينبسط و ينقبض ، وهو يجود و يخث ، وهو يتشكل و يتلون . يتأثر في كل هذا بما يدخل عليه من العوامل وما يحيط به من الاسباب والملاسات .

ثم اذا كانت ابلغ مظاهر الادب هي الترجمة عما يعتلج في النفس من العواطف ، وبتنزي فيها من الوان الاحساس ، وما يتعلق به الذهن من فنون الاخيلة ، فلا بد للأدب على هذا من ان يتلون ، ولا بد له ان يتطور .

واعلم وفقنا الله جميعاً للسداد ان اهل العلم اجمعوا على انه مامن صورة يتبدعها الذهن

او خيال يتراءى للوهم الا وهو منتزع من امر واقع مستمد من حقيقة ثابتة . وانك معها تمثلت لنفسك من الصور ما يتجاوز المعقول ، وظهرت من الأخيالة ما يلحق بالمتخيل ، فليست يستطيع ان يتجاوز شيء من ذلك الواقع ، ولا ان يخرج عن دائرة المحسوس ، وانما كل شأنك فيما تنصور او تتخيل انك ملحق بصورك وأخيلتك من الواقع المحسوس ، انك تستطيع ان تنصور جبلاً من اللؤلؤ وجمراً من الزئبق وانساناً من الخشب وطائراً من الذهب ، فهل تراك في هذا جئت بشيء من العدم ، كلا فالجبل موجود واللؤلؤ موجود والبحر موجود والزئبق موجود الخ ، فكل ما صنعت انك لفقت من الحقائق الواقعة لحسك فأخذت من الجبل جرمه ، واستمرت اللؤلؤ لجوهره وهكذا ، وكيف يتهيأ لذهن انسان ان يمثل اشياء لم تقدر في الخلق ولم يقع عليها حس ؟ ذلك المستحيل .

واقدر ترجم العرب عن احساسهم اصدق الترجمة ، وصوروا عواطفهم ابداع تصوير ، فوصفوا اليد لانها مساكنهم ، والنوق لانها مطاباهم ومادتهم في طعامهم ، وأن لم (من اصوافها واو بارها واشعارها اثنائاً ومثاعاً الى حين) وافلتنوا في وصف السيف والرمح لانها عدتهم في حروبهم ومغازيهم الخ .

والناس هنا انما يسكنون الدور ، بله القصور . ويسعون في شوارع فؤاد الاول وقصر النيل (والكرنيش) لا في سقط اللوى ، ويمتطون في سفرهم ويتجوالهم قطر السكك الحديد ، والترم ، والسيارات ، والمركبات ، لا متون العيس ، وعيونهم تقع كل يوم على ما تخرج الارض من مختلف الازهار والانوار ، لا على القمل ، ولا على الجذب الحل ، وهم يستصحبون بالكهرباء لا بالزيت الخ ، وهم من هذا الذي يقع لحواسهم فوق ما شعاع في نفوسهم من علوم الكون واسبابه ، انما يستلهمون الحس ويستوحون الشعور . ولا سبيل لهم الى غير ذلك . فمن أرادهم بعد هذا على ان يغمضوا جفونهم ، ويسدوا آذانهم ويحفظوا انوفهم ، ويبعثوا بمشاعرهم الباطنة وعواطفهم الكامنة ، الى جزيرة العرب تسليخ اليها الف عام مضت لتشهد ما شهد العرب ، وتحس ما أحس العرب ، ونقول ، اقال العرب — فذلك من لا يحق له ان يعد في الناس .

ثم مالنا ولكل هذا ، ألم تكن للجمالية آدابها ، حتي اذا فتح الاسلام للعرب ، واتصلوا بطرف من الحضارة في العصر الأموي تطور هذا الادب وتلون مسامرة لكل

صور الحياة ، حتى اذا استحدثت الحضارة وذاع العلم في العصر العباسي ازداد تطور الادب فواتي كل مطالب العلم والحضارة . وهكذا ما برح الادب يتشكل ويتلون في كل عصر وفي كل بيئة متأثراً بما يتداخله من العوامل وما يحيط به من الاسباب .

والشيء بالشيء يذكر ، فلقد قيل لابن الرومي كيف يسبقك هذا الغلام من بني العباس ؟ (يريدون عبد الله بن المعتز) فقال هذا غلام اذا شعر فانما يصف آنية بيته وصدق ابن الرومي ، ودعك من تشبيهات ابن المعتز في السحاب ، وفي الهلال والنجوم وفي الخمر وفي خيل الطراد ، وانظر كيف يقول حتى في مقام الاستعظاف والمدح .
قال يصف قلم ابي القاسم :

قلم ما أراه ام فلك يجري	بما شاء قام و يسير
خاشع ساجد يقبل قرطا	سأ كما قبل البساط شكور
مرسل لا تراها يحبسها الشك	اذا ما جرى ولا التفكير
كم منابا وكم عطايا وكم عي	ش وحنف نضم تلك السطور

أرأيت كيف يكون كلام الملك بن الملك حتى في مقام المدح والاستعظاف ؟ انه لا يرى القلم يجري الا بما شاء مرسله وانه لا يمثل في انجنائه على القرطاس الا بمن يراه في حضرة ابيه وحضرته خاشعين ساجدين يقبلون البساط شكراً على ما أوتوا من النعمة . ثم لا يرى هذا القلم الا يجري دائماً بالاسعاد والاشقاء وبالاحياء والافناء .
نظن ان هذه القضية من المسلمات عند اصحاب القديم وانصار الجديد .

وهناك قضية أخرى لا احسبها كذلك موضع خلاف بين هذين الفريقين : وتلك ان هذا الادب الذي نتحاور فيه انما هو قبل كل شيء ادب العرب . ولهذا الادب اصله وعنصره ، وله مادته وجوهره ، وله بدائع تراكيبه ، وروائع أساليبه ، وله نصيحة ديباجته واشراق بانه ، وله تلاحم نسجه ورسانة بنيانه ، وله موسيقاه تنحدر الى النفس فتغزها من عجب ، وتثيرها من شجي وطرب ، حتى انك لتصيب الجمال كله في تنسيق اللفظ ، وتشتعر اللذة اجمعها في تجويد النسخ دون اي اعتبار لمعنى او تعلق بخيال .

أليس ههنا قول الجعفي :

وقفة بالعقيق نطرح ثقلًا من دموع بوقفة بالعقيق

وقوله :

ذاك وادي الاراك فاحبس قليلا مقصراً في ملامة او مطيلاً
لم يكن يومنا طويلاً بنما ن ولكن كانت البكاء طويلاً

أليس يهزك هذا الكلام : يتزاحف الى كبذك ؟ ومع هذا اي معنى فيه ؟ واي
غرض أراد ان يشكه الشاعر به ؟ اللهم لا شيء غير شرف اللفظ ، وتلاحم النسيج ،
والبراعة في تأليف الكلام فاذا خرج بنا طلب المعاني الطريفة والتشبيهات الحديثة عن
ارضاء الذوق وانحرف بنا عن مواناة الطبع فقد حق لنا الا ننظم ذلك الكلام في الادب
العربي لا على التفصيل ولا على الاجمال .

هاتان قضيتان ليس الجمع بينهما بالمعنى ولا بالمعير . فلقد زعمت لك في بعض هذا
المقال ان الادب كائن حي يجري عليه من سنن الكون ما يجري على سائر الاحياء . فاذا
لم تر له الا ان يظل رابضاً في مجتمعه من عصر طرفه وزهير فذلك تعسف ايما تعسف ،
وانكار لحقوق الحس وواقع الشعور ايما انكار . واذا قدرت له ان يسلم جلد ، ويجمع
انفه ويصلم أذنيه ويفري لحمه ويفري عظمه . ثم يتزايل ويتابع حتى يستوي للمعاني
الحديثة ، ويتجهياً لمطالب الحياة الطريفة ، فذلك العسف بأدب العربية وذلك الخسف
من دونه كل خسف .

اذن لقد اتفقنا في تقديري على الاقل على انه لا سبيل لنا الى استمداد مشاعرنا
واحساسنا من غير ما يحيط بنا من الاسباب كما انه لا ينبغي لنا أن نتجاف لغة العرب
وما ازلوا لنا من بارع الصيغ ورائع الاساليب .

فهل ترى يشق علينا الجمع بين هذين المذهبين ؟

كلا والله ، ما كان ذلك — لو بسطتم لغة العرب في البلاد — بعسير .

ولقد سبقكم القرآن الكريم بالترجمة عن السنة الامم الخالية ، فسوى المعنى بالضرورة ،
كاملاً . ولكنه طبعه على ذوق العربية فروي عن ابليس في نشأة آدم (رب فانظرني

الى يوم الوقت المعلوم (وروى عن نوح (رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين) وروى عن شعيب وآل شعيب (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما نقول وانا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعز يز . قال ياقومي ارهطي اعز عليك من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً — الآية الكريمة) وروى عن فرعون موسى يتحدث الى وزيره : (يا هامان ابن لي صرحاً لعلي ابلغ الاسباب . اسباب السموات فاطلع الى إله موسى . اني لاظنه كاذباً — الآية الكريمة) وغير هذا مما لا يستدركه الاحصاء من ترجمات الكتاب العزيز . افكان هذا كله ترجمة حرفية يدل فيها لفظ باللفظ ؟ ام ان الكتاب الكريم صاغها بما يتضمن المعنى كله ويتوافى في الوقت نفسه للهجة العرب .

صدق الله العظيم

وفي الواقع انك ترى فينا نفراً ممن اخذوا انفسهم بادب الغرب وطبعوا على ثقافته ، اذا ترجموا او اجتمعوا لاداء معنى حديث اخرجوه على سمت عربي لا ينبو عن الطبع ولا ينشز عن الذوق . وانما اعانهم على هذا فقههم في العربية ووفرة ما حصلوا من مفرداتها وكثرة ما قلبوا من النظر في صيغها واساليبها .

واقدر قلت لك في بعض هذا الكلام ان الادب كائن حي يجري عليه من نوااميس الطبيعة ما يجري على سائر الاحياء اليس يندفع الوليد من رحم امه دقيقة ضعيفاً لا يملك من امر نفسه كثيراً ولا قليلاً ، فما يبرح ، على الزمن ، بالغذاء والتربية والرياضة ينمو وبنفطن وتدرج جوارحه وتنضج حواسه حتى يصبح رجلاً كاملاً ، اذ هو هو ما بدل بدأ يبد ، ولا رأساً برأس ، ولكنه صنع الطبيعة تربيته وتنميه رو بدأ رو بدأ بما يدخل عليه من الغذاء ، وما يؤثر فيه من عناصر الحياة ، وانت ابوه ما تكاد تستشعر نموه ولا شجوبه للرجولة . وقل مثل هذا في الشجرة الباسقة المظلة المثمرة ، فلقد تخرج نجماً ، ثم لا تزال بموالة السقي وحسن التعمد تنمو وتطول ، اذ انت لا تجس لها شيئاً من هذا حتى تنبت وتزهى ، ومع هذا فالشجرة هي الشجرة ما غيرت ساقاً بساق ، ولا بدلت غصناً بغصن .

وكذلك ينبغي ان يكون الادب ، هو الادب العربي في اصله ومنجمه ، يتلون بتلون الزمن ، ويتشكل بتشكيل الحضارة .

والحضارة لا تهجم هجوماً ، بل انها لتسرب الى الناس في هواده ولين ، فيسايرها
الادب كذلك في هواده ولين ، بحيث ان كل ما تنتظر له به من معان حديثة ، واغراض
طريفة ، يمد له بعض جوانبه حتى يتناولها ويسيغها ويهضمها او يجر بها في عروقه مجرى
دمه حتى تندمج في نفسه وتصبح جزءاً من كلة ، فيخرج بها وهو راياً نائماً ، اذ تصبح
هي به كذلك عربية لاشية فيها على ذلك درجت العرب من اول جاهليتهم الى ان انقضت
لفتهم واوشك ان ينقلص ظلها بنقلص حضارتهم في هذا العالم .

لقد وضحت لك هذا المقام ابين توضيح ، وليس بعد من شك في ان من يريدنا على
ان لا نمدو حدود الادب في الجاهلية او ما بعد الجاهلية انما هو مخلوق لا يؤمن بالحياة
ولا بنوايس الحياة . وان من يريدنا على ان نطفر بالادب العربي انما هو انسان
لا يؤمن بآداب العرب .

باحث

رسالة الكرم

- ٧ -

« اللحق والخلفة »

اللحق محرقة كل شيء لحق شيئاً اذ أُحرق به من الحيوانات والنبات وحمل النخل واللحق الثمر الذي يأتي بعد الاول . وكل ثمرة تنجي بعد ثمرة فهي لالحق والجمع الحاق . وقيل اللحق في النخل ان ترطب وتُذحر ثم يخرج في بطنه شيء يكون اخضر فلما يرطب حتى يدركه الشتاء فيسقطه المطر وقد يكون نحو ذلك في الكرم يسمى لحقاً قال الطرماح في مثل ذلك يصف نخلة اطلعت بعد بنع ما كان خرج منها في وقته .

أَلْحَقَتْ طَلَمًا غَرَبًا كَأَنَّمَا لَعِبَتْ بِهِ إِذْ أَطْلَعَتْهُ فِي غَيْرِ حِينِهِ وَذَلِكَ أَنَّ النَّخْلَةَ إِذَا مَاتَتْ

في الربيع فاذا اخرجت في آخر الصيف ما لا يكون له بنع فكأنها غير جادة فيما اطلعت . وفي المخصص واذا أتى العنب وانه ادراكه ثم أتى الكرم يحصرم جديد فذلك اللحق والجمع الحاق . والخلفة كاللحق .

وقيل الخلفة شيء يحمله الكرم بعدما يسود العنب فيقطف العنب وهو غض أخضر لم يدرك بعد^(٢) والخامة في جميع الشجر وهو في النخل اللحق . وفي اللسان والقاموس فيقطف

(١) الاستلاب - في النخل ان ينبت فيه شيء من البسر بعد الصرام . واستلعبت

النخلة اطلعت طلماً وفيها بقية من حملها الاول .

(٢) هكذا في الاصمعي وفيه ايضاً وهو الخلفة في العنب والنضاج في جميع الشجر وهو

في النخل اللحق . وفيه ايضاً يقول احدنا لصاحبه أتدخل تحت العنب فتلقط من الخلفة اي ادخل ولم ار النضاج الا جمعاً لتضيح او تاضح .

العنب وهو غصن أخضر ثم يدرك وكذلك هو من سائر الثمر . والخلفة ايضاً ان يأتي الكرم بحصرم جديد . وخلفة الثمر الذي بعد الشيء والأخلاف ان يكون في الشجر ثمر فيذهب فالذي يعود فيه خلفه ويقال أخلف الشجر إخلاقاً اذا اخرج ورقاً بعد ورق قد نأثر . وخلفة الشجر ثمر يخرج بعد الثمر الكثير . وأخلف الشجر خرجت له ثمرة بعد ثمرة . وخلفت الفاكهة بعضها بعضاً خافاً وخلفة اذا صارت خافاً من الاولى .

« الزبيب »

نقدم ان الضمير هو الذابل^(١) من العنب .
والزبيب ذاوي العنب^(٢) اي يابس واحدته زبيبة . وقد أرب العنب وزيب فلان غيبه تزيباً جعله زيباً فتزيب هو . وفي التاج أرب العنب وزيبه تزيباً فتزيب ومن المجاز قولهم تزيب قبل ان يتحصرم وفي المخصص فان ترك العنب حتى يتكش^(٣) فقد أرب فاذا فعل ذلك به فقد زبب .

والزبيبي والزباب كشداد بائم الزبيب .
العُجْد بالضم الزبيب وقيل حبه وقيل اردؤه وقيل ثمر يشبهه وليس به . وقيل حب العنب وقد تقدم وذكر في القاموس جواز الفتح فيه .
العجيد قال في القاموس كجمر وقنفذ وجندب الزبيب ونقلها في اللسان عن أبي زيد .
وفي المخصص وهو الزبيب والعُجْد والعُجْد وقيل هما حب الزبيب وقيل هما من الزبيب الأسود .

وفيه عن ابن دريد العُجْد ردي الزبيب او حب العنب وليس له اشتقاق يوضح زيادة النون لانه ليس في كلامهم عَجْد^(٤) الا ان يكون فعلاً مائلاً . وفي اللسان والعُجْد

-
- (١) ذبل كنعصر وكرم النبات والنفصن والانسان يذبل ذبلاً وذبولاً دق بعد الري وقيل ذوي . وذوي العود والبقل بذوي ذياً وذوياً ذبل فهو ذاذ وهو ان لا يصيبه ريه او يضر به الحر فيذبل ويضعف . وذوي العود ييس . (٢) والتين .
(٣) يقال تكش جلده اي تقبض واجتمع .
(٤) في التكملة ليس في كلامهم عَجْد ولا عَجْد .

- والعُذْبَةُ ^(١) رديّ الزبيب وقيل نواه .
 القَصَى بالفاء والصاد حب الزبيب واحده فصاة وانشد ابو حنيفة :
 قَصَى من قَصَى العنجد
 الفضا ^(٢) بالفاء حب الزبيب .
 القَصَى بالقصاف المفتوحة . مقصورة العنجد وهو عجم الزبيب وهو لغة في القَصَى .
 وقَصَى الرجل بالتشديد اكل القَصَى .
 وفي المخصص العَرَفَى الزبيب ومثله في القاموس .
 النواة عجمة الزبيب والتمر .
 وقد تقدم ان كل ما في جوف ما كُول كالزبيب وما اشبهه . كعجم واحده كعجمة
 وان الفرص بلقائه عجم الزبيب .
 العَزَم بالفتح شجير الزبيب وجمعه عَزَم ككتب . والعَزَمِي بباع الشجير . والشجير
 كزغيف ثفل كل شيء يعصر والعامّة نقوله بالناء . وفي المصباح انه معرب . وثفل كل
 شيء وثأفله ما استقر تحت من كدر . وقال الليث الثفل ما رسب خثارته او علا صفوه من
 الاشياء كلها . والثفل الحب . وفي المصباح الثفل مثل قفل حثالة الشيء وهو الثخين الذي
 يبقى أسفل الصافي .
 الحُمَال كغراب بقية الثغاريق والاقماع من الحشف والزبيب .
 الصناب ككتاب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب يؤتدم به . والمصناب كمنبر
 المولع باكل الصناب .
 المَبْس نوع من الزبيب وقد تقدم انه ضرب من الكرم ينهض على ساق .
 الوَيْزَةُ الزبيب الاسود .
 الطائفي زبيب غناقيده مترافقة الحب كأنه منسوب الى الطائف .

* * *

(١) في التاج كجعفر وقنفذ فتأمل .

(٢) هكذا في اللسان وفي التاج والصواب كتابته بالياء .

« التزييب وموضعه وما يتعلق به »

الجرين : الموضع الذي تجفف فيه الثمار جمعه جُرُن كبريد وبرد وسبب اللسان والجرين موضع البر وقد يكون للثمر والعنب والجمع أَجْرَانَة وَجُرُن وقد أَجْرَت العنب وفي المخصص فاذا وضع في الجرين قبل أَجْرِن .
الرحبة بالتخريك موضع العنب بمنزلة الجرين للتمر قال الاصمعي ولا يسمون موضع العنب الجرين انما يسمونه الرحبة . وقال في موضع آخر وَجْرَت العنب في الجرين اي يجمع فيه وقد اجرته .

ويقال فرش العنب في الرحبة بسطه ليزيب .
الكتر بالفتح والتاء المثناة حائط الجرين اي جرين التمر والتزييب .
الذَّيْرَة هي الجرين كما في المخصص .
المخمل كمنبر والحاملة الزنبيل الذي يحمل فيه العنب الى الجرين .
الكنهدر كسفرجل . هو الذي ينقل عليه العنب واللبن ونحوهما .
المكتل كمنبر : والمكتلة زنبيل يحمل فيه التمر او العنب الى الجرين وقيل هو شبه الزنبيل بسع خمسة عشر صاعاً . والجمع المكائل .
الزَّيْبِل الذي يحمل فيه العنب الى الجرين والوعاء يحمل فيه جمعه زُبُل وزُبْلان قال الجوهري اذا كسره شددت فقلت زَبِيل او زنبيل لانه ليس في الكلام فعليل بالفتح ونقل الصاغاني عن الفراء الفتح . وجمع زنبيل زنايل وزبل الشيء وازدبله احتمله .
المعقاب البيت يجعل فيه الزيب .
المِرْحَة بالكسر الانبار من الزيب وهو الحبل الذي يوزن فيه ذلك .

« عصر العنب والتزييب »

يقال غَمَل العنب يَغْمُلُه غملاً نضد بعضه فوق بعض وفي المخصص غَمَلَت العنب في الزبيل أَغْمُلُه وذلك اذا اردت ان تعصره فجملته قبل ذلك في الزبيل فلا يرسم الشمس حتى يشرب العنب ماء العيدان .

عصر العنب ونحوه عماله دهن او شراب او عسل بعصره عصراً من باب ضرب واعتصره اعتصاراً . استخرج ماءه او ما فيه فهو معصور وعصير فعيل بمعنى مفعول . وقيل عَصَرَه

عَصْرًا وَعَصَرَهُ نَصِيرًا وَلِي عَصْرَهُ بِنَفْسِهِ . واعتصره اذا عصر له خاصة وقد اعتصر العنب وتعتصر وعُصارة الشيء بالضم وعُصاره وعصيره ما تحلب منه اذا عصرته . وقال في المخصص اذا اعتصر العنب فادل ما يخرج منه العُصارة وجمعها عُصارات وعُصار وكذلك اسم كل شيء عصر . وقيل العصاراة ما سال عن العصر . وما بقي من الثفل ايضا بعد العصر . وكل شيء عصر ماؤه فهو عصير واعتصر عَصِيرًا اتخذه .
 المَصْرَة التي بعصر فيها العنب والمعصرة موضع العصر .
 المَصْر كمنبر ما بعصر فيه العنب والمَصْر الذي يجعل فيه الشيء ثم بعصر حتى يتحلب ماؤه .

العواصر ثلاثة احجار بعصر بها العنب يعملون بعضها فوق بعض الركوة مثلثة الزاء رفعة تحت العواصر . والافصح فيها الفتح وجمعها رِكَاء .
 الرِّفْص شدة العصر رهص الشيء كمنع عصره عصراً شديداً .
 القَرَو مسيل المعصرة ومنعها والجمع القُرَي والافراء ولا فعل له .

« للبحث صلة »

سليم الجندي

عضو المجمع العلمي العربي

آراء وافكار

تأثير اللغة العربية « في اللغات الاوربية »

نشر السيد محمد امين محرز مقالة في الماقطع عالج فيها بعضاً من المعلومات عن تأثير اللغة العربية وبالاخص اللهجات العربية العامية القديمة في اللغات المنحدرة من اللغة اللاتينية للام التي كان لها اتصال بالعرب . ولا يخفى على كل من تعلم اللغة اللاتينية خاصة عدم وجود أداة التعريف فيها مطلقاً حتى ان اللغات الحديثة المنحدرة منها والتي لم يكن للعرب بها اتصال حافظت على هذه القاعدة وهي عدم وجود أداة التعريف فيها مثل اللغة الرومانية في ولايتي « الافلاخ والبغدان » وكذا في لغة « الرومنش » المتحدث بها في شرق سويسرا اما اللغات المتولدة من اللغة اللاتينية وكان للعرب بها اتصال فقد أخذت أداة التعريف عنهم من دون ملاحظة الاحرف شمسية كانت اوقرية وهي اللغات البرتغالية والاسبانية والفرنسية والابطالية وبما ان أداة التعريف في اللغة البرتغالية هي (O) مثل كلمة (Opan) أي الخبز و (اوبورنو) (Oporto) أي (الميناء) فانت ترى انها أخذت بالاحرف الشمسية بلا تمييز بينها واللغة الاسبانية أخذت بالاحرف القمرية وأداة التعريف فيها (ال) . مثال ذلك (Elpain) الخبز وكلمة (Elporto) (الميناء) وأداة التعريف في اللغة الفرنسية هي (lo) وفي الابطالية (il) .

ولما دخل العرب اسبانيا وفتحوا جنوب فرنسا وجنوب ايطاليا وجدوا الشعب يقول عن الماء (Aqua) فنطق العرب حرف (Q) (قافاً) فصارت (اقوى) فاثرت اللهجات العامية في ذلك الوقت التأثير الملموس للآن في الصعيد وبعض مدن شمال افريقيا التي ينطق أهلها (القاف) (جافا) فأخذ الاسبان بهذه القاعدة سمووا الماء بدلاً من (Aqua) بـ (Agua) وما زالت مستعملة للآن وكذلك في البرتغال . اما في فرنسا فيظهر انهم أخذوا

باللهجة العامية المستعملة الآن في التكلم في عواصم المدن المصرية ونطقوا القاف (آفأ) ولا يخفى ان الاحرف المتحركة في آخر الكلمات اللاتينية تسكن في اللغة الفرنسية فكلمة (Aqua) صارت (Aque) اي ان (أفوا) صارت تنطق (أفو) ونطقوا القاف همزة كما هو واقع في مصر الآن فصارت (آاو) واختصرت الى (او) (Eau) وهي ما يعنى به في الفرنسية (الماء) . وتروى بعض اللهجات في بلاد الارياض مثل القنايات والزنكون في مديرية الشرقية يمشون الكاف ويقولون عن كلمة (الحكومة) مثلاً (الخشومة) .

وقد اخذت اللغة الايطالية الحديثة واللاتينية ايضاً بالنطق العامي فتمطش الكاف امام الاحرف المتحركة مثال ذلك انهم يقولون عن (Cicéron) (سينسيرون) المحامي الروماني الشهير (Cicérone) (تشيتشرون) .

ولكن الالمان حافظوا على النطق اللاتيني الاصلي ومازالوا يسمونه الآن (Kekeré) كيكرو . وقد ذكر ابن بطوطة في رحلاته انه لما ذهب الى القسطنطينية ايام البيزنطيين في جملة رسل ملك النصارى لخطبوا بنت امبراطور القسطنطينية البيزنطي لابن ملك النصارى سمع الاملين حينما كان يمر بهم في الاسواق يشيرون اليه بكلمة (سراكنو) فاخذتها الامم الاوربية الغربية وسمت بها العرب . وقد عطش الايطاليون (الكاف) على ما سبق بهانه فكانوا يسمون العرب (سراتشيني) (Sarracini) وصحفتها الفرنسيون تصحيفاً يسيراً فقالوا (سارازين) (Sarrasin) وقد كثر ذكرها في حروب شرلمان والحروب الصليبية وقد اخذها عنهم الانكليز ونطقوا بها (سارازانز) (Sarrasins) .

ولنرجع الآن لترجمة لفظ البيزنطيين (سارا كينو) ولها معنى قبيح لانك لا تنتظر من عدوك طبعاً ان يسميك ملاكاً فلفظة (سارا) معناها (صحراء) ولفظة (كينو) بالغة اليونانية القديمة (كينوس) (Kynos) يعني (كلب) .

وكثير مثل هذه الكلمات تجده في اللغة الاوربية الحديثة ولها اصل عربي واضرب مثلاً بكلمة تطلق على كثير من محال تجارية صحيحة في القطر المصري وفي اوربا باجمعها وهي لفظة (فارمسي Pharmacie) وهي مجموعة كلمتين احدهما عربية اصلاً والثانية يونانية و (ما كيون) باليونانية (Makcion) معناها (مصنع) و (Phar) لو نطقنا

بكل حرف على حدة لكانت (بهار) اي (مصنع البهار) وكثير مثل ذلك في اللغة الفرنسية مثل (كاف) (Cave) (قبو) اي محل خزن الخمر و (مسكين) (Mesquin) و (الجبر) (Algebre) وقد لاحظت في الاسكندرية بنفسني ان بعض صنّاع البلاط القادمين من جنوب ايطاليا عندما يسألون عن المقاطعة التي كانوا يستوطنونها في ايطاليا يقولون (آلايريا) (Alabria) عن مقاطعة (كالابريا) (calbria) اي انهم ينطقون (الكاف) بـ (الآف) كما سبق التوضيح .

من تعاليق صاحب مختار الصحاح « على كتاب جامع الاصول في أحاديث الرسول »

نشرت في المجلد (٨) الصفحة (٦٤١) من مجلة مجمعنا العلمي مجتاً عن صاحب مختار الصحاح ونقلت اليه السماع المدون على الجزء التاسع من كتاب جامع الاصول في أحاديث الرسول وقد وجدت في كذاثني بعض تعاليق لصاحب المختار كنت نقلتها عن هوانش الكتاب المذكور فأحببت نشرها لاطلاع العلماء .

قال : لم أجد الحقوق بمعنى اللحاق الا في لفظ الحديث وكفى به حجة .
اما الحديث فهو ان بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله أينما أسرع بك لحوقاً قال : أطولكنّ يدأ فأخذوا قصبة فذرعوا بها فكانت سودة أطولهن يدأ . فعلنا بعد انما كان طول يدها الصدقة وكانت أسرعنا لحوقاً به وكانت تحب الصدقة .
أخرجه البخاري ومسلم والنسائي .

وقال في تعليق آخر :

لم أجد من البدر فعلاً الا في هذا الحديث ببدر تترك الى آخر الحديث .
وقال عند ذكر حديث « دعوا الحبشة ما ودّعوكم واتركوا الترك ما تركوكم » ان هذا حجة على أئمة اللغة في قولهم ان دع لا يستعمل منه ماضٍ .

عبد الله مخلص

مطبوعات حديثة

المخارج في الحيل

« للامام محمد (توفي ١٨٩ هـ) »

لم يكف المستشرقين خدمتهم لآدابنا العربية بنشر كتبنا التاريخية والادبية حتى سمحت بهم هممتهم الى نشر كتبنا الفقهية والدينية ايضا . وهذا الكتاب أعني كتاب (المخارج في الحيل) هو من أعرق آثار السلف في الدين ، وأقدمها في التصنيف ، فهو للامام محمد بن الحسن الشيباني احد اصحابي ابي حنيفة اللذين رويا مذهبه وشرحاه وأكلا ما كان بدأ به من تقرير القواعد وتخرج المسائل وتغيير بعض الاكام .

وقد عمد الى هذا الكتاب المستشرق الالماني يوسف شخت (Josef schacht) فطبعه في ليبسك طبعا متقنا مصححا . وألحق به رواية أخرى لهذا الكتاب لشمس الأئمة السرخسي . وقد بلغ مجموع صفحات الكتاب (١٣٦) صفحة . ورواية السرخسي لهذا الكتاب مفتحة بهذه العبارة : (من كتاب المبسوط لشمس الأئمة ابي بكر محمد بن احمد ابن ابي سهل السرخسي المحتوي على كتب ظاهر الرواية للامام محمد بن الحسن الشيباني كتاب الحيل الخ) . فيفهم من هذا ان كتاب (مخارج الحيل) ليس كتابا مستقلا بل انه الامام محمد وانما هو جزء من كتبه الفقهية المشهورة المسماة (كتب ظاهر الرواية) وهي أصل الاصول في مذهب الامام ابي حنيفة . قال العلامة ابن عابدين في منظومته رسم المفتي :

(وكتب ظاهر الرواية أنت ستا وبالأصول ايضا سميت)

(صنفها محمد الشيباني حرر فيها المذهب النعماني)

(الجامع الصغير والكبير والسير الكبير والصغير)

(ثم الزيادات مع المبسوط نواترت بالسند المضبوط)

وقد جمع الامام الحاكم هذه الكتب الستة في كتاب سماه (الكافي) وقد شرح (الكافي)

الامام السرخسي في كتاب سماه (المبسوط) وعليه المعول في مذهب السادة الحنفية . ولذا قال ابن عابدين في منظومته المذكورة :

(ويجمع الست كتاب الكافي للحاكم الشهيد فهو الكافي)

(أقوى شروحه الذي كالشمس بمبسوط شمس الأئمة السرخسي)

فكتاب (مخارج الحيل) هو أحد مضامين ظاهر الرواية للامام محمد . وقد رويت عنه كتب ظاهر الرواية بعدة طرق أهمها ما جاء في مبسوط السرخسي ، فالمستشرق (شخت) طبع كتاب المخارج هذا بأحدى الروايات عن الامام محمد ثم ألحقها برواية السرخسي في كتابه (المبسوط) .

ومعنى كلمة (مخارج) ان المكلف اذا وقع في ضيق من امر الحلال والحرام يرجع فيه الى الفقيه فيجد له مخرجاً من ضيقه : بان يفتيه فتوى شرعية تحلل له ما كان حرم عليه او تحرم عليه ما كان حل له . فهذه الفتاوى التي تنير المخرج أمام المكلف الموهق بموهنا (الحيل) وقد ألف المقهاء كتباً كثيرة في هذا النوع من الفتاوى أشهرها (حيل الخصاص) وباليتم لم يسموها بهذا الاسم القبيح فان التحيل في الدين ضرب من التلاعب به بل هو التلاعب بعينه والعياذ بالله . وانا لنربأ بفقه ديننا وبكبار أئمتنا — ولا سيما الامام محمد وشمس الأئمة السرخسي — عن مثل هذا الموقف الذي هو شأن من لا خلاق لهم من المتأسمين بسماة العلماء . ولذا أنكر بعضهم أن يكون (كتاب المخارج في الحيل) للامام محمد . واسمع ما قاله شارحه السرخسي في فاتحة روايته وما كه بنصه :

« اختلاف الناس في كتاب الحيل انه من تصنيف محمد رحمه الله ام لا ؟ كانت ابو سليمان الجوزجاني رحمه الله ينكر ذلك . ويقول من قال ان محمداً رحمه الله صنف كتاباً سماه الحيل فلا تصدقه . وما في أيدي الناس فإنما جمعه ورأوا بغداد . وقال ان الجهال ينسبون علماءنا (يريد بهم علماء السادة الحنفية) رحمهم الله الى ذلك على سبيل التعبير (يعني ان الجهال من أتباع المذاهب الاخرى ينسبون الى علماء المذهب الحنفي ما لم يقولوه من امر الحيل الفقهية تعبيراً لمؤازرة عليهم) فكيف نظن بمحمد رحمه الله انه سمى شيئاً من تصانيفه بهذا الاسم ليكون ذلك عوناً للجهال على ما يقولون . واما ابو حفص رحمه الله فكان يقول : هو من تصنيف محمد رحمه الله وكانت يروي عنه ذلك . وهو

الاصحاح « هذا ما قاله الامام السرخسي وقد ختمه بقوله (وهو الاصح) فدل على ان (كتاب مخارج الحيل) هو للامام محمد نفسه . لكن الحيل التي علم بها الامام محمد وشارحه السرخسي وأمثالهما من ثقات أئمة مذهبنا الحنفي إنما هي حيل يراد بها تأييد حق بعد ان كاد هذا الحق يفوت صاحبه و يفلت من بين يديه ولم يجد نصاً صريحاً يحفظ له حقه فالفقيه يرشده الى طريقة شرعية تساعد على حفظ حقه من الضياع . اما اذا كانت الحيلة تساعد المبطل على بطله وعلى إضاعة حق ثابت لا آخر — فان الأئمة رضوان الله عليهم وفي طليعتهم — الامامان محمد والسرخسي — لا يرضون هذه الحيلة ولا يعلمون بها . ولا يرشدون اليها . بل ينكرونها ويمقتونها أشد المقت . وبذلك يكون الدال عليها والآمر بها : فالمديون الذي يحاول الفرار من دينه الثابت في ذمته اذا علمه احد الفقهاء حيلة فوصل بها الى أكل ذلك الدين كان المديون والفقيه آثمين بل فاسقين في نظر الامام محمد وشارحه السرخسي وسائر أئمة الاسلام — والدائن الذي له دين ثابت في ذمة آخر وكانت أدلة الاثبات في يده ضعيفة فله ان يلجأ الى فقيه يرشده الى طريقة شرعية تساعد القاضي على إثبات دينه والحكم به واستنقاذه من يد المدين الظالم — فيكون هذا الفقيه وذاك الدائن غير آثمين بالطبع . ولكن مع هذا كان يحسن ان لا يطلق على هذا النوع من الفتاوى الشرعية — اسم (حيل) ولعل الامام محمداً رحمه الله لاحظ هذا فسمى كتابه (كتاب المخارج في الحيل) وقد أحسن كل الاحسان ولو سماه كتاب (المخارج في المحارج) اي في المضايق والمآزق لكان أكثر احساناً لعمرى .

والحاصل ان الحيل التي تضع على الناس حقوقهم هي المذمومة المنهي عنها شرعاً — وهي التي يجب ان لا تسمى شرعية لان الشرع براء منها — وهي التي ورد في بعض الآثار بحق المفتين بها : « لا تعلموا أولاد السفهاء العلم فيعلموا الناس الحيل » وكفى بهذا دليلاً على فجيها وسفاهة أربابها .

هذا وانا لنشكر للمستشرقين (ولا سيما الأستاذ شحنت) عنايتهم بنشر ما أثر أسلافنا حتى الفقهية الدينية منها . لكننا نأمل منهم ان ينفطنوا الى (المتشابهات) من امور ديننا : كمثل اشتباه (بحث الحيل) ويفهموا جيداً ما قاله الامام السرخسي نفسه في هذا الصدد وهو قوله (من ٨٨ من كتاب مخارج الحيل) : (فالحاصل ان ما يتخلص به الرجل من الحرام او يتوصل به الى الحلال من الحيل فهو حسن . وإنما يكره من ذلك ان يحال في

حقير لرجل حق يبطله . او في باطل حتى يموتهم او في حق حتى يدخل فيه شبهة . فإما كان على هذا السبيل فهو مكروه . وما كان على السبيل الذي قلنا أولاً فلا بأس به . لان الله تعالى قال : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) ففي النوع الاول معنى التعاون على البر والتقوى ، وفي النوع الثاني معنى التعاون على الاثم والعدوان اه . « المغربي »

—*«X»*—

البستان

« جمعة العلامة الشيخ عبد الله البستاني »

هو كتاب في اللغة أخرجته المطبعة الاميركية ببيروت يقع في قرابة ثلاثة آلاف صفحة من القطع الكبير متقن الطبع حسن التبريد والترتيب . فهو من هذه الناحية ينفي في كثير من المواد عن كثير من المعاجم القديمة . ثم هو من حيث السعة والمحة ايضا ينفي عن المعاجم الحديثة التي لم يسلم اكثرها من كثير من الخطأ .

فانت في البستان تكاد ترى ماتراه في اللسان ، بل قد تجد بعض الفاظ أغفلها اللسان نفسه — واللسان من أغزر كتب اللغة مادة — تراه في البستان مبوباً مرتباً لا حشو فيه ولا تكرار .

لذلك يكون البستان قد مدّ ثلثة ظاهرة في دواوين اللغة لا كما قيل فيه : انه نسخة عن أقرب الموارد .

ولو كان لرجل فرد في العصر الحاضر ان يستبد بوضع معجم لكان أستاذنا العلامة عبد الله البستاني حقيقاً ان يكونه . وهو الرجل الذي انتادت اليه هذه اللغة بمفرداتها وغرائبها ، وواردها وشاردها .

بقي ان الترتيب والدقة ، على فائدتهما ، ليسا كل ما نحتاج اليه في معاجنا ، فهناك المصطلحات الحديثة ، وتحديد بعض الألفاظ ، ونوضح بعض المعاني ، وقرار وجه واحد لالفاظ نكثر فيها اللغات ، الي غير ذلك مما أعرض عنه العلامة البستاني في معجمه

لأنه من أعمال المجامع العلية ، أو الجماعات اللغوية ، لا من عمل الفرد . فالكتاب من هذه الناحية ناقص ، ولا يسد حاجة العرب والعربية .
 وثمة نقص آخر ، هو اغفال ألفاظ قد يفنقروا اليها . وهذا مخالف للغرض الذي أراد المؤلف من وضع مطول يجمع اللغة كلها ، يختصره بآخر اقتصر فيه على الضروري من الألفاظ . وهناك أغلاط ترجح أنها مطبعية ، غير أن وقوعها ثم تركها من دون تصليح ولا إشارة ، ليس مما يجوز في معجم يرجع إليه .
 وفي رأينا أن هذين النقصين سببهما أيضاً الانفراد في التأليف ، ولا يسلم مؤلف من مثل هذا معاً علا قدره العلمي ، وصمت . نزلته في اللغة .

الألفاظ المغفلة

فما أغفله : (السَّمُود) بمعنى الطويل الشديد . و (ساد) بمعنى سَوِد صار أسود . و (الاسود) العظيم من الحيات وفيه سواد . لم يورد صاحب البستان في جمعه الا (أَسَاود) وفي اللسان : (إَسودات) و (اسود) و (اساويد) . قلت ولعل اسودات جمع (اسودة) مؤنث (أسود) على خلاف القياس .
 (السعدود) السبي الخلق لم يذكرها البستان . وكذلك : (السند) بمعنى المعتمد . وما اظن قوله : أليبد « ما استند اليه الانسان من جائط له غيره » كافياً . والسرد بمعنى الزرد . و (السراد) وهو الزرّاد . و (السرادة) البُسرة تخلو قبل ان تُترهى وهي بلعة .

اورد (مستعدة) مصدر (ساعد) ولم يذكر (سعادا) ولم يذكر من معاني : (سَمَد) رفع رأسه تكبراً بل يخص هذا المعنى بـ (سمد) وزان طرب . وفي اللسان سَمَد سمودا رفع رأسه تكبراً ، وكل رافع رأسه فهو سَمَد ، وقد سمد بسمد وبتسمد سموداً . واغفل اسماء وبعضاً من معاني اتمد وانماد .

واغفل . من معاني (السُمُد) القليل من النوم .

ولم يذكر في (سورد) استبادهم بمعنى (سادهم) ولا ذكر (المَسود) وهو الذي ساد غيره . ولا (المسود) وهو السيد أو الذي سوده غيره . واغفل (تساده) مشادة

وشداداً غالبه . و (شد) المئزر جد واجتهد .

هذا ما عثرت عليه في مواد معدودة مثابة ، ولعل الناظر في هذا المعجم نظراً دقيقاً مطولاً ، يرى أشياء كثيرة قد أغفلها صاحبه . وفي ذلك إخلال بالفرض المقصود من جعل هذا المعجم مطولاً جامعاً . ولا يرد على هذا أنها كلمات استشفها فاطراً رحمه الله قد ذكر في جملة ما ذكره أمثال :

(القُرْاشِيَاء) ضرب من النبت . (القُرْشَبُ) المسن - والسيء الحال (قرشم) وثب وثباً متقارباً . و (اقرشم) (اقرشاعاً) : يرتشق ويرفع رأسه ونشاطه . و (المقرشم) المنصب المنتشر المتحي للشر . و (قرشم) الشيء جمعه كقرشمه : كل هذا على ثقله وفلة فائده جاء في حقل واحد من صفحة واحدة فإليك في الصفحات الأخرى ؟

الاعلاط المطبعية

قلنا : (الأعلاط المطبعية) لان الاستاذ لا يخفى عليه صوابها ولا يمكن ان يقع مثله في مثلها . من ذلك :

الشُّكْر : عُرْفان الاحسان (كذا) بضم الشين والكاف من (الشكر) وصوابها سكون الكاف . وبضم العين من عِرْفان وصوابها بالكسر .

(رخصة) جاء في (واث) عندي (ولثة) من خبر ورخصة منه ، اي يسير . وليس في البستان الا (رصح) في الامر (رصح) بالسين . ولم ترد فيه (الرخصة) بالضاد . وانما جاء فيه (الرصح) خبر تسمعه ولا تتيقنه . وفي اللسان (الرخصة) الشيء البسير تسمعه من الخبر من غير ان تتيقنه . فالصواب اذا (رخصة) بالضاد .

(مسرهد) الصبي أحسن غذاءه . يرفع الصبي رحقها النصب وهي من الاعلاط الظاهرة . (المسرهد) السمين من (الاسمنة) وصوابها من (الاسمنة) ففي لسان العرب سنام مسرهد اي سمين .

(يمنة . وقطاف) جاء في (سند) و - ذنب الباقية خطر فضرب قطافها يمنة ويسرة . والصواب (قطائفا) بالفاء لا بالقاف على ما في التاج . (يمنة) بالفتح لا بالضم . وقد وردت (يمنة) بالضم ايضاً في (لفت) قال : النفقة . ويوجه يمنة (كذا) ويسرة .

(القرن) وفي (سند) ايضاً : (ناقة مساندة القرن : اي صلبته متلاحكة) والصواب
القرى على مافي اللسان والتاج . أشد ثعلب :
مذكرة الثنيا مساندة القرى . مجاليه تختب ثم ثنيب
والقرى الظهر : يقال حمل اقرى طويل القرا وهو الظهر والاثني (قرواه) وقد
وردت القرى والقرا . مقصورة وممدودة .
(المُسندة) : ضرب من الثياب ولعل الصواب مُسندة كمعظمة بالثقليل .
هذه أغلاط منها اربعة في مادة واحدة هي : (سند) . وعسى ان لا يجد المتبع شيئاً
كثيراً من مثل ذلك . على ان هذا الغلط اذا كان يسيراً ضبطه ومعرفته على المشتغلين
باللغة ، فليس امره بالهين على الطلاب والشادين .

القصور في التعريف

(البكران) : نبت دائم الخضرة يؤكل حبه ؟
(السكر) : بالفتح بقلة من الاحرار ؟
(السمام) : بالفتح ضرب من الطير واحدته سمامة على ان ابن منظور في لسان
العرب حدد هذا التعريف بعض الشيء بقوله : ضرب من الطير نحو السمانى واحدته
سمامة . وفي التهذيب ضرب من الطير دون القطا في الخلقة .
(السلاج) : عيد للنصارى ا وكم للنصارى من عيد ؟
(سم السمك) : شجرة الماهيزهرة وتعرف باليوصير اه وترجع الى (اليوصير) فيعرفه
بانه : نبت يتداوى به ويعرف بـ (سكر الحوت) أجوده الذهبي الزهر . فالطالب بين
(سكر الحوت) و(الماهيزهرة) و (سم الحوت) لا يعرف كيف يخرج ولا بابها يأخذ ؟
وأخرى هي التعريف الدوري الذي أشار اليه المفضل الخوري بطرس البستاني في
المقدمة المحتمة التي صدر بها الجزء الثاني من البستان . عدد فيها شوائب المعاجم وجعل
التعريف الدوري احداً من .
(الجو) : الهواء . و (الهواء) الجو .
(تلافي) (تدارك) . (تدارك) تلافي .

وهذا بعض ما ذكره صاحب المقدمة ووقع فيه صاحب البستان وامثال ذلك كثير :

(النصي) : نبت سبط مادام رطباً فاذا ابيض فهو الطريفة .

(الطريفة) : النصي والاحليتان اذا ابيضتا او اذا اعتما وتما .

وليست بالحجة المذرة ان المعاجم القديمة هكذا وضعت ، وان اصحاب المعاجم الحديثة على هذا جروا . فالزمن الذي نعيش فيه يتطلب غير ما كان يتطلبه عصر اصحاب المعاجم القديمة ، والعلامة البستاني كان يرجى منه غير ما يرجى من غيره ممن وضعوا المعاجم الحديثة والآن كان الامر مشابهاً والعمل مراجعة .

هذا وقد أغفلت بعض الحركات في كلمات كان من حقها ان تضبط في مثل هذا المعجم وأدخلت بعض كلمات في غير مواضعها .

على ان هذه الهفوات لا تنقص شيئاً كثيراً من قدر الكتاب ومقام صاحبه . وعسى ان يقف الافراد في وضع المعاجم اللغوية بعد اليوم عند هذا الحد اذا كانت التأليف متابعة .

وقد وعدت المطبعة الاميركية ان تخرج معجماً يجمع الالفاظ الحديثة والمصطلحات العلمية . فمسي ان ترجع في عملها هذا الى لجنة من الثقات ليكون العمل اكمل والثقة أكبر .

هذا ونحن نكرر الشناء على المطبعة الاميركية ونرجو ان يستأنف المرسلون الاميركان تلك النهضة العربية التي كانوا بدأوا بها في أوائل عهدهم . ونستمر الرحمة والرضوان لاساذنا العلامة عبد الله البستاني على خدمته الجلى للغة العربية وأبنائها .

عضو المجمع العلمي العربي

عارف النكدي

كتاب الدواجن

« مؤلفه الامير مصطفى الشهابي »

وهذا ايضاً من الكتب الزراعية النافعة التي عاهد مؤلفها الفاضل نفسه على التصنيف فيها . والكتاب كما يظهر من اسمه يبحث بايجاز عن طرائق تربية الحيوانات الداجنة ويقع في ٢٣٢ صفحة ويحوي ١٦ شكلاً ، ويتناول في قسمه الاول القواعد العامة لهذا الفن « التعريفات والخصائص الفردية والتبدلات والوراثة وطرائق التسايف والانتخاب والاصطفاء والتجهين والتخليط والتبغيل والتغذية واهم الاغذية وتعيين الشحنة ومساكن الدواجن والغاية من تربيتها وتصنيف عروقها » . وفي قسمه الثاني القواعد الخاصة بتجلية اهم الحيوانات الداجنة وتربيتها ، فيذكر مثلاً عن الخيل « خلقها والوانها وشياتها ومعرفة منها وتجليه عروقها العربية والافريقية والاوربية ، وتوليد الخيل ورياضتها وطفها وتعلمها وعيوبها وامراضها » ، وتكرر هذه الأبحاث عن الحمير والبغال والبقرة والجواميس والضأن والماعز والاعبل .

ومما يلفت النظر ان المؤلف قد اصطلح على تعريب لفظة (Genre) الفرنسية بجنس و (espèce) بنوع و (Variété) بصنف او ضرب و (Embranchement) بشعبة و (classe) بصف و (ordre) برتبة و (race) بمرق (اورس او سلالة) و (Sélection) بانتخاب و (consanguinité) باصطفاء و (croisement) بتجهين و (métis) بهجين او مقرف و (métissage) بتخليط و (Hybridation) بتبغيل و (Hybride) ببغل (او نغل او خلاصي) و (Ration journalière) بشحنة الى آخر ما هنالك من المصطلحات العلمية التي تنتمي لوئوحيد في انحاء البلاد العربية فننقد بذلك المؤلفات العلمية العربية الحديثة من بلبلة المصطلحات واختلافها بين مصر والشام والعراق والمغرب . وذكرا المؤلف عدداً كبيراً من الاسماء الفصحى لاعضاء الخيل والوانها وشياتها وما يقابلها بالفرنسية مما كان درجه في المجلدين الخامس والعاشر من هذه المجلة . وأظهر ان اسم العمومي الذي يعرف به احد صنوف الضأن في بلاد الشام مذكور في معاجنا القديمة وان ضأن مريبنوس الشهير في ادربا واميركا بجودة صوفه هو من اصل افريقي وان اسمه

مشتق من قبيلة بني مرين . هذا والكتاب يعد في الجملة من خير ما وضع في هذا القرن
لخريجي المدارس الزراعية وللمشتغلين بتربية الدواجن في البلاد العربية . فنهني مؤلفه
الفاضل ببروز هذه الحلقة الخامسة من سلسلته الزراعية ونرجو له التوفيق لا كمالها .

المهندس الزراعي

وصفي زكريا

المختارات

« جمعها الأب رفائيل نخلة اليسوعي وطبعها بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت »

« فجاء الجزء الاول منها في ٢٢٤ صفحة من القطع الصغير وسيليه »

« الجزء الثاني » .

نظر المصنف الفاضل في جمع هذه المختارات المدرسية الى عوامل شتى ترغب التلامذة
في دراسة آداب اللغة العربية منها ان تكون القطع المختارة لادباء القرن الحاضر دون
غيرهم وان يكون بمضاهاتي موضوعات وطنية والباقي في موضوعات متنوعة وتكون لغتها
بسيطة متينة الحوك ، ويكون في الكتاب تصور المؤلفين وموجز في تراجمهم . ولا شك
ان نظرة المؤلف في عوامل التشويق هذه هي نظرة صائبة . لكن الاختصار على الادباء
المعاصرين لا يجوز الا في المدارس الابتدائية او في الصفوف الاولى من مدارس التجهيز
اما في الصفوف العليا من تلك المدارس (كالنوع والعاشر والحادي عشر) فيجب ان
يدرس التلامذة قطعاً لفحول الأدياء الأقدمين اذ بغيرها لا يمكن اكتساب ملكة اللغة
والوقوف حتى على البسيط من أسرارها .

وجاء في الجزء الاول من المختارات قطع لثلاثين أديباً من المعاصرين منهم الفحول
ومنهم الذين يعدون من الدرجة الرابعة . ولذلك نظن ان الأب المحترم لم ينظر في انتقائهم
الى عامل ما من عوامل الانتقاء المختلفة . وعلى كل أرى ان كتابه هو من كتب القراءة
المفيدة ولا سيما للأحداث .

« الشهابي »

حقائق ودقائق

« وهي مقالات مختارة من عشرة مجلدات من مجلة العرفان »

صدر الجزء الاول من هذه المختارات حاوياً لاثنين عشرة مقالة في ٣٢٠ صفحة .
وموضوعات المقالات مختلفة وكلها مفيدة ومطبوعة طبعاً جيداً . وفي الكتاب صور لبعض
رجال العرب المشهورين . فنشكر للأديب صاحب العرفان هديته ونتمنى صدور الاجزاء
التالية من مختاراته .

« الشهابي »

التعاون

« كتاب اجتماعي الفه الاستاذ احمد لاشين يقع في ٤٥٠ صفحة »

« بقطع الربع »

هو سفر نتجلى في كل سطر منه روح الغيرة الحميدة الكائنة في صدر المؤلف وغزارة
معارفه في معالجة الادواء الاجتماعية . وهو فوق ذلك مكتوب بلغة فصيحة لا تكلف فيها
يفهمها الفصحاء وغير الفصحاء ومنزى عن رسوم كبار الاسانذة الاجتماعيين الذين
كان لم القدح المعلن في نشر أساليب التعاون في اوروبا ومصر وتأسيس الجمعيات التعاونية
في مختلف البلدان .

ما لا يستطيع الفرد تستطيع الجماعة مشتركة متعارنة ، فالتعاون اذاً في الصناعة
والزراعة والاقراض والبناء وخصوصاً في بيع الحاجيات نوع من الاشتراك بين جماعات
يحمي بهذه الطريقة بعضها بعضاً من البطالة ومن الفقر بوضعها سداً يوجب استبداد المتولين
الذين ينتجون المنهوجات او يتجرون بها فيسلبون باثمانها الباهظة الشارين سلباً بلا شفقة
غير ناظرين الا غاية واحدة وهي الاثراء العاجل . وقد تبين خصوصاً بعد الحرب العالمية
التي قلعت من الناس روح الاستقامة والانسانية ان شركات التعاون خير سلاح لمقاومة
جشع الرأسمالين ، وقد رفعت حالة الطبقة المتوسطة وخصوصاً الطبقة الفقيرة وحالت دون
مقوتها في حفرة البؤس المحفورة لها بقصد استعبادها ، فأذاقتها شيئاً من الرفق والرخاء

لم تكن لتستطيعه بجهودها المنفردة ، وحمتها من الامراض الفتالة التي كانت تفتك فيها .
- في المساكن المظلمة الرطبة القذرة حيث الاجور رخيصة لا يسمح للفقير بؤسه ان يؤذي
عائلته الى احسن منها ، ووزعتها عن اتيان المحرمات وارتكاب الجرائم التي يجبر اليها
الاعدام والجوع :

بون شامع بين هذا النوع من الاشتراك وبين الاشتراكية المعهودة اليوم ونموذجها
الاشتراكية البولشفية ، وشتان بين اضرار هذه في الحياة الاجتماعية ومنافع تلك . فلا
نخلطن اذاً بين التعاون الاشتراكي والاشتراكية العريضة ولنخزن الفث عن السمين عندما
نقرأ الكتب التي تبحث في مبادئ الاشتراك .

يتغنى كل عاقل محب لوطنه ان تنتشر في بلدنا مبادئ التعاون التي شرحها الاستاذ
لاشين شرحاً وافياً في كتابه ، وهي خير وأبقى من الجمعيات الخيرية الموجودة عندنا .
فهذه تساعد الفقير المعدم مساعدة محدودة لا كبيرة تأثير فيها وكثيراً ما انتقلت دائق الاحسان
في غير محله ، وتلك تسنده كي لا يهوي وتطعمه حتى لا يجوع ، وتحفظ قواه من الوهن
وذريته من الانقراض . وحرى بكبار مفكر بنا ان يشتغلوا بمثل هذه المنافع فيها يرفعون
مستوى أمنهم .

عبد الله رعد

عضو المجمع العلمي

حكايات الاطفال

« نشرته المطبعة المصرية بمصر »

لم يؤلف في تربية الاطفال كتاب توفرت فيه جميع الشروط المرغبة للصغار في
القراءة والمطالعة مثل هذا الكتاب الذي ألفه الاستاذ كامل الكيلاني . ويظهر انها
سلسلة كتب صدر جزؤها الاول مزينا بالصور المختلفة الألوان والاشكال مرسومة على
ورق متين ويتخللها حكايات غاية في السهولة مكتوبة بخطوط ذات حرف ثخين مختلفة احمر
من أزرق وأحمر وغيرهما . فتلفت نظر المعلمين والمربين الى هذا الكتاب . « المغربي »

مبادئ الكشفية

اسم كتاب ألفه بالانكليزية (روبرت يونغ) الانكليزي ونقله الى لغتنا العربية السيد بهاء الدين الطباع . وقد تصرف في تربيته ذاهباً مذهب الكشف المسلم من حيث اللباس والعلامات والشعار ونحو ذلك . وهذا الفن (فن الكشف) حديث النشأة في بلادنا من الوجهتين العلمية والعملية . لكنه أخذ في التقدم يوماً بعد يوم وهو اذا قارنه حسن التربية الأخلاقية والجد في تحصيل العلم كان منه فائدة عظيمة لناشئة البلاد . لأنها تبت في نفوسهم روح الرجولة والنجدة والنشاط والابتناء وغير ذلك من الأخلاق النبيلة . فنشكر للفاضل عنايته بترجمة هذا الكتاب . له



نوابغ السريان

رسالة تضمنت محاضرة نفيسة في تراجم نوابغ السريان الذين نبغوا في لغتنا العربية كان ألقاها في حفلة مدرسة حمص السريانية سنة ١٩٣٠ الحبر العالم السيد (سويريوس أفرام) مطران سوريا ولبنان على السريان . وقد جاء في المحاضرة ترجمة نحو ٣٥ فاضلاً من علماء الطائفة السريانية ومعظمهم أطباء وفلاسفة ومؤرخون ومنهم المترجمون الذين نقلوا العلوم القديمة الى لغتنا العربية في عهد المأمون وغيره . فلا غرو اذا كان في مطالعة هذه المحاضرة فائدة لمحبي التاريخ والادب العربي . له



نظرة في كتاب

« الفلاحة الأندلسية »

—«»—

كتاب الفلاحة الأندلسية ام ما اتصل بنا من الكتب الزراعية القديمة بعد كتاب الفلاحة النبطية . وهو تأليف الشيخ ابي زكريا يحيى بن محمد بن احمد المعروف بابن العوام الأشبيلي الأندلسي من عاشوا في القرن السادس للهجرة . وقد طبع بانكري هذا الكتاب في مجريط سنة ١٨٠٢ مع ترجمته الى الاسبانية فجاء في جزءين صفيحانها من القطع الكبير .

وترجمه الاستاذ كليمان موله الى الفرنسية وطبعت تلك الترجمة في باريز سنة ١٨٦٥ وذكره دوزي في معجمه ونقل عنه كثيراً من الالفاظ ولا سيما التي لا توجد في معاجم اللغة الاصلية . وذكره ادورد فنديك في كتاب « اكتفاء القنوع بما هو مطبوع » . والاستاذ صاحب معجم المطبوعات العربية والعربية . ولم يفت ذكره احداً من الفوا في الزراعة وكانوا على صلة بما تركه الاجداد لنا من المصنفات العلمية لكنني لم اجد ذكراً لابن العوام في كتاب الصلة لابن بشكوال او كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار او بغية الملتبس في تاريخ رجال اهل الأندلس لاحمد بن يحيى الضبي وكلها مطبوعة في مجريط . وفات ذكره الاستاذ خير الدين الزركلي صاحب قاموس الاعلام .

ولكتاب ابن العوام شأن كبير لدى علماء الزراعة لأنه بعد اكبر معلة زراعية في القرون الوسطى . وقد نقل المؤلف عن ابن وحشية في كتاب الفلاحة النبطية وعن عدد من المؤلفين المسلمين الذين ضاعت كتبهم الزراعية ولم يتصل بنا شيء منها مثل كتاب ابي عمر بن حجاج المسمى بالمقنع وكتاب الشيخ ابي عبد الله محمد بن ابراهيم بن الفصال الأندلسي وكتاب الشيخ الحكيم ابي الخير الأشبيلي وكتاب الحاج الغرناطي

وكتاب ابن ابي الجواد وكتاب غريب بن اسعد وغيرهم . وقد راجعت اسماء هذه الكتب في فهارس بعض دور الكتب المهمة في اوربة والبلاد العربية فلم اعثر عليها مع ان ابن العوام ذكر في الصفحتين ٧ و ٨ من مقدمة كتابه انه اعتمد عليها في تصنيف ذلك الكتاب . فهي اذن قد ضاعت كما ضاع معظم ما انتجته قرائع اجدادنا العرب في القرون الخالية .

واذا تلونا رأي بعض العلماء الاوربيين في كتاب الفلاحة الاندلسية يتجلى لنا ما كان لهذا الكتاب من النوائد في تلك الايام . قال العالم الفرنسي رنجلان « كان ابن العوام يسكن اشبيلية وقد قام بعدة تجارب زراعية على جبل الاشرف . وليس كتابه معرض فصاحة وبلاغة لكنه كمناسة لاجود الابحاث الزراعية التي كتب فيها الانباط واليونانيون والرومان مع التي كانت معروفة في الاندلس » .

وقال انطوان باسي في تقرير قدمه الى الجمعية الوطنية الزراعية الفرنسية سنة ١٨٥٩ « لا نقدر قيمة كتاب ابن العوام على كونه يحوي الفنون الزراعية القديمة والتي كانت متبعة في الاندلس بل له قيمة ثانية وهي كشف النقاب عن ان العرب كان لهم ملحوظات في الطبعة والكيمياء ما كنا نرتقب وجودها لديهم . وهو سفر ملآن بالفوائد يربنا بايجاز ما كانت عليه الزراعة لدى الامم القديمة ثم في الاندلس . حائر البلاد الاسلامية ابان الفتح الزاهر . وبالاختصار ان هذه المعلة الزراعية التي خص بها القرن الثاني عشر (من الميلاد) هي تامة » انتهى .

ولا بد من تنبيه القاري الى ان ابن العوام وأمثاله ممن الفوا في الزراعة كانوا قليلي الحرص على سلامة لغة مصنفاتهم وانهم كانوا يستعملون في بعض الاحايين الفاظاً ومصطلحات لا تجيزها معاجم اللغة وقواعدها . ثم ان طبعة مجرب من كتاب الفلاحة الاندلسية بالعربية والاسبانية مشحونة بالاغلاط المطبعية . وبعد هذا يجب ان لا يظن بأن كتاب ابن العوام واشباهه تصلح لهذا الزمان (وان كانت اصلح الكتب في القرن السادس من الهجرة حتى اوائل القرن الثامن عشر من الميلاد) فهي تحوي الغث والسمين كسائر كتب القرون الوسطى في العلوم الطبيعية وإذا انعمت النظر في مضمونها رأيت اجود القواعد المبنية على التجارب والحس بجانب استغف الخرافات التي ينسب العقل عنها . ولا لوم

على المؤلف في ذلك لان الفنون الزراعية الحديثة بما فيها من حقائق علمية راسخة هي وليدة القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر من الميلاد بعد الكشف عن المكروبات واصول الكيمياء وعلم الطبيعة وحياسة النبات والاسمدة المعدنية والكيمائية وحياسة الحشرات المفصرة الخ .

وهالك بعض ما لفت نظري من الالفاظ والمصطلحات في الجزء الاول من كتاب ابن العوام :

استعمل حرف الصنف بمعنى (Variété) وفاقاً لرأيي ورأي العلامة الدكتور امين باشا المعلوم صاحب معجم الحيوان وخلافاً لرأي الدكتور محمد بك شرف صاحب معجم العلوم الطبية والطبيعية الذي انكر تخصيص ذلك المعنى بتلك اللفظة . قال ابن العوام في الصفحة ٢٥٤ « في غراسة القسطل وهو الشاء بلوط والقسطون قال خ هو اصناف منه المقرطح المعروف بالامليسي ومنه الصغير المعروف بالبرجي . . . » . وليس صاحب كتاب الفلاحة الاندلسية ثقة في اللغة كما اشرت اليه سابقاً ولكن استعمال هذه اللفظة للمعنى الفرنسي المذكور منذ القرن السادس من الهجرة شيء بدعونا الى عدم استنكار هذا الاستعمال او التخصيص في ايامنا هذه مع العلم بان اللفظة فصيحة لا غبار عليها . ويجب ان لا يحيط ذلك من قيمة لفظة « الضرب » فهي تصلح ايضاً للمعنى نفسه .

وقال في الصفحة ٥١ « فينبت الشجر كالسنديان والكمم والضرو » فلفظة السنديان الفارسية الاصل لا ذكر لها في الامهات عدا الناج حيث توجد الجملة الآتية وهي : « الاسناد شجر . قلت والمعروف السنديان » وهو لم يعرف هذه الشجرة . اما ابن البيطار فقد ذكر في مفرداته : « السنديان هو شجر البلوط عند اهل الشام بلا خلاف » . ولما كان اهل الشام يطلقون هذه اللفظة على نوع خاص من انواع البلوط هو المسحى باللاتينية (Quercus coccifera) وجب ان يخص هذا النوع النباتي بهذه اللفظة المعربة قديماً وان نوضح اللفظة المذكورة في مكانها من معاجم اللغة . وهي لم تفت العلامة الدكتور احمد عيسى بك صاحب معجم اسماء النبات واعلمه نقلها عن بوسنت الذي عاش في الشام وعرف النبات الذي يطلق الشاميون عليه هذه اللفظة الفارسية .

وسمى الثنايت (ثمدانات) في ص ١٦٠ والمنبت هو ما اطلقته في مقال سابق على

ما يسميه الفرنسيون (Pépinière) اي الارض التي تربي فيها الغراس ريثما تنقل الى مستقرها . وتسميها العامة (دندانة ومشتلة) . واللفظ المنابت اصح واجمل من لفظ الترمذانات التي لا تستعمل اليوم والتي تظهر عليها العجمة .

واطلق لفظ التغطيس والتكبيس (ص ١٨٢) على ما يسميه الاكارون « التدريك والتدريج » اي حتي غصن شجرة ودفنه في التراب دون فصله عنها فتبرز في الجزء المطمور جذور حتي اذا قطع الغصن وفصل عن أمه يصبح نباتاً مستقلاً محتويّاً على جميع صفات الشجرة الاصلية . وهذا العمل يسمى بالفرنسية Marcottage وهو بالعربية العكس وهو ايضاً الترفيد مع التوسع . والغصن المحني يسمى العكيس وبالفرنسية Marcotte .

واذا لم يحن الغصن ولم يدفن في تراب الارض بل وضع حوله اصيص (او ثنية) مملوء تراباً كما يصنع فلاحة بلادنا بالكروم وبأشجار الفصيلة البرنقالية مثلاً فان هذا العمل يسميه ابن العوام الاستسلاف (ص ١٨٢) . وقد وصفه بدقة وسمى الاصيص ظرفاً كأن يكون قصيرية او قدراً . ولم اجد لفظ الاستسلاف في الامهات بهذا المعنى او بمعنى بقرب منه . وذكر دوزي في مجمعه عن موله الفرنسي الذي ترجم كتاب ابن العوام الى الفرنسية ان الاستسلاف هو العكيس الموضوع في قصيرية وذلك خطأ لان ابن العوام اطلق الاستسلاف على الفعل اي على طريقة العكس هذه لا على العكيس .

وسمى الاصيص اي ما تسميه العامة (شقفة زريعة) قدراً واجانة (ص ١٩٩) وقصيرية (ص ٣١٨) ومن الغريب انه سماه ايضاً (شقفة نخار) وهي اللفظة الدارجة نلى اساننا قال في ص ١٩ من ج ٢ « ويجعل ذلك في شقفة نخار » وهي عامية .

واذا قطعت الارض قطعاً تفصل اعضاها بعضها عن بعض لكي يسهل سقيها فكل قطعة منها تسميها العامة « مسكة » وقد سماها ابن العوام « حوضاً » قال في ص ٣٩١ « . . . ويقطع احواضاً كل حوض ١٢ ذراعاً . . . » .

وما يلفت النظر ان بعض الذين نقل ابن العوام عنهم كأبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن الفضال الاندلسي كانوا يستعملون اسماء الاشهر الافرنجية وهي يناير وفبراير الخ وهؤلاء نقلوها عن الكتب الرومية . وبعضهم كانوا يوردون اسماء الاشهر السريانية وهي كانون الثاني وشباط الخ ومنهم ابن وحشية في كتاب الفلاحة النبطية . فيتضح اذن ان

استعمال هذه او تلك من اسماء الاشهر كان امراً مألوفاً . والشاميون لا يستعملون اليوم في كتبهم وجرائدهم ومجلاتهم الا الاسماء السريانية اما المصريون فيقتصرون على ذكر الاسماء الفرنجية . ولما كان من الضروري توحيد الثقافة في القطرين وكانت الالفاظ الفرنجية مألوفة لدى المغاربة من العرب والمتعلمين من ابناء الشام والعراق ارى من المفيد ان يستعمل الشاميون والعراقيون اسماء الاشهر الفرنجية في مطبوعاتهم بدلاً من الاسماء السريانية او ان يضعوا هذه بين هلالين بجانب تلك .

وعندما تكون الزروع والفراش كثيفة متأخرة نطلع الضعيفة منها لتجود البقية . فهذا العمل يسمى بالفرنسية Démariage وقد وجدت المصريون يطلقون عليه فعل أخف فيقولون أخف الزرع ويخف الزرع بمعنى يجعل خفيفاً اي يقلل عدد نباتاته في الارض المزروعة . اما ابن العوام فإنه يستعمل لهذا الغرض التفريج ما بين الفراش بمعنى الكشف والتوسيم وهذه اللفظة اصلح من التي استعملها المصريون وكنا استعملناها نحن نقلاً عنهم . ومن التعبيرات الغريبة التي لم نسمع بها اضافة الفلاحة للحيوان قال في الصفحة الاولى « . . . وما يتعلق به من كتبهم في فلاحه الحيوان . . » وقد كرر هذه الاضافة في الصفحة السابعة . ويظهر انه يعني بقوله « فلاحه الحيوان » الفن الذي نسميه اليوم « فن تربية الدواجن » وبالفرنسية Zootechnie

وتمت الفاظ استعملها ابن العوام ما برحت شائعة الى يومنا هذا على السنة الفلاحين واكن يندر ان تراها في كتاب حديث مطبوع وهي كثيرة مثلاً :

ص ١ (وفلاحة الارض نقسم قسمين بعلاً وسقياً) .

ص ٢١ (تدبير التفاح حتى يثمر في غير اوانه وتدير غرس العنب حتى يكون حبه دون نوى) . ونحن نستعمل اليوم في الكتابة افعال المعالجة والتهيئة والتخضير وغيرها بدلاً من التدبير مع ان الفعل الاخير كثير الاستعمال في المسكالة وهو فصيح بمعنى الاعناء والتنظيم .

ص ٣٨ (ولذلك كان وجه الارض اطيب من سائر اجزائها) ونحن نكتب اليوم اجود واصلح ونستعمل لفظة اطيب بلساننا .

- ص ٦٤ (٠٠٠) والتي يغلب عليها البياض)
- ص ٦٧ (٠٠٠) فهي أوفقى الارضين للارز) ونحن نشتغل في الكتابة لفظ اصلح الارضين .
- ص ٦٧ (٠٠٠) وربما خف سوادها) بدلاً من قلّ
- ص ١٥٢ (ينبغي ان تختار مواضع لغرس البساتين فيها مياه كافية)
- ص ١٥٥ (في اتخاذ الاشجار في البعل وفي الجنات على السقي)
- ص ٦ (٠٠) ومعرفة جيد الارض ووسطها والدون منها) واللفظة الاخيرة فصيحة ومنقشية على الاسن لكنها غير مستعملة في الكتابة .
- ص ١١ (النيش والطمر والمشق) استعمل الاولى للكشف عن اصول الاشجار والثانية لرد التراب الى الارض والثالثة للحفر الخفيف كالتمشيط .
- ص ٢٣ (فيما يريج الارض و يصلحها ٠٠٠)
- ص ١٢ ج ٢ (قال شولون البر يستنفد دسم الارض)
- وهكذا عثرت في كتاب ابن العوام على عشرات من الالفاظ الشائعة على السنة اكرة الشام اليوم ويندر ان يستعملها الكتاب كما قلت ذاهبين الى انها عامية او مبتذلة .
- واورد التركيب والانشاب والاضافة بمعنى التطعيم . واستعمل في تعبئة الفعل الاول تارة حرف الجر في وطوراً على . قال في الصفحة ٤٢١ « اذا ركبت شجرة على شجرة توافها ٠٠٠ وان التفاح اذا ركب في الرمان ٠٠٠ » . اما انشبت فعدها بالحرف في واما اضاف فبالحرف على قال في ص ٤١٧ « متى ينشبت اترج في فرصاد » وذكر في ص نفسها وفي التي تليها فعل الاضافة معدي يحرف الجر الى .
- وفي الامهات طعم الفصن وأطعمه وصل به غصناً آخر . اي انك اذا اردت جعل شجرة مشمش كلابية تحمل مشمشاً حمواً مثلاً نقول « يجب تطعيم المشمش الكلابي بالشمش الحموي » فالاول هو المطعم والثاني نسميه اليوم الطعم . ولم اجد في المعاجم الاصلية غير ذلك . اما ابن العوام فقد اورد في ص ٤١٩ « يطعم الجوز في التين ويطعم القراسيا في الاجاص ٠٠٠ » وذلك مخالف لما ذكرنا وكان يجب ان يقول « يطعم التين بالجوز

والأجاص بالقراسيا» لأن النين والأجاص هما المطعمان أي ما يراد التخلي عنها . ومع هذا فأن عبارة ابن العوام لا تحتل الالتباس فكأنه قال يركب الجوز في التين والقراسيا في الأجاص .

أما كتاب هذه الايام الذين تناولوا الزراعة والنبات في اجناسهم فكثير منهم يعدون فعل التطعيم بعلي وذلك تبعاً للافرنج في لغاتهم فيقولون مثلاً طعم البرنقال على الانرج بدلاً من طعم الانرج بالبرنقال . والجملة الاولى هي ترجمة الجملة الفرنسية (Greffer l'oranger sur le bigaradier)

ومن اشكال التطعيم التي تراها مفصلة في كتب الزراعة الحديثة التطعيم بالشق (Greffe en fente) والتطعيم التاجي ترجمة (Greffe en couronne) والتطعيم بالبرعم (Greffe en écusson) . فالشكل الاول مماه ابن العوام التركيب بالشق كما نسميه اليوم ومماه ايضاً التركيب النبطي قال في ص ٤٥٢ « التركيب الذي يعمل بالشق ويسمى النبطي . . . » . وسمى الشكل الثاني تطعيم اللحاء (ص ٤١١) والتطعيم الرومي (ص ٤٥٦) وقوله تطعيم اللحاء اقرب الى الفهم من التطعيم التاجي لأن الغصن في هذا الشكل يركب في المطعم بين اللحاء والعود . اما الشكل الثالث فقد مماه التركيب الفارسي والتركيب بالرقعة والتعبير الاخير لا يزال شائعاً على السنة الأكارين في بلاد الشام . ومما هو شائع لديهم ايضاً لفظة القلم للغصن الذي يركب في المطعم في شكل التطعيم بالشق وللذي يؤخذ منه البرعم او العين في شكل التطعيم بالبرعم (اي الرقعة) فأن ابن العوام يستعمل لفظة القلم لذلك الغصن كما يستعمل البستانيون في ايامنا هذه .

واستعمل الكسح والزير والشمر (ص ٥٠٠) لأشكال تقليم الاشجار والكروم على الاطلاق^(١) . والفعالان الاول والثاني ما برحا جارين على السنة فلاحه بلادنا . ولم اجد هما بهذا المعنى فيما لدي من الامهات .

وسمى القضبان التي تقطع للغرس اوتاداً كقضبان الكروم والصفصاف والخور مثلاً وهي التي يسميها فلاحو الشام افلاماً وفلاحو مصر غقلاً واصلح لفظة لها الفلج

أقل وفسول^(١) واقربها للفهم «قضببان الغرس» • وهي بالفرنسية Boutures • واستعمل لفظة «الخلوف» للفسائل التي تنمو حول جذع الشجرة (ص ٢٦٨ و ٢٢٩) وهي بالفرنسية Rejetons ويسمها اكاروالشام «مرار يش وأخلاف» وسميت واحدها الشكير والعقّان والركزة والبتيلة^(٢) الخ وسمها العلامة امين الملعوف الحبكة والسرع والشكير والنامية^(٣) • واخطأ دوزي في معجمه حيث قال ان ابن العوام استعملها لقضببان الغرس فحسب اي Boutures • واورد الذقلة والذقل ج أنقال بمعنى الغريسة والشربة (نصبة في الشام) وبالفرنسية Plant وهذه اللفظة لا توجد في الامهات بهذا المعنى ولا يستعملها فلاحو الشام في هذه الايام •

ويحصل على ارومة الزيتون مثلاً حذاء سطح الارض او تحته نتوءات بارزة عليها صيون تفتح عن فسائل • فاجزاء الارومة المذكورة تصلح للغرس ونسنى في بلادنا «الجتار» وقد سماها ابن العوام العجور واحدها عجرة (ص ٢٢٩) وسمها دوزي في معجمه نقلاً عن موله Loupe ou protubérance d'un olivier مع ان اللفظة الفرنسية المستعملة في الكتب العلمية هي Eclat de souche ويسمونها في بعض النحاء فرنسة Souquet و Souchet • والعجرة بمعنى النوء والمقعدة فصيحة وينيد استعمالها للمعنى الذي نحن في صدد •

وذكر دوزي ان ابن العوام استعمل لفظة النواحي لما يسمى بالفرنسية Drageon مع انه استعملها لتلك اللفظة ولللفظة Rejeton على السواء وكذا لفظة مأنج نج مملوخ • هذا جزء مما اقتبسناه من الفاظ كتاب الفلاحة الاندلسية قلل في ذلك فائدة لمن يؤلفون في العلوم الزراعية والنباتية •

مصطفى الشهابي

عضو المجتمع العلمي العربي

(١) انظر ج ٥ ص ٥٥٨ • (٢) انظر ج ٥ ص ٥٥٩ •

(٣) انظر ج ٧ ص ٢٩٣ •

حياة الجاحظ (١)

— (١) —

نفوتنا نواح كثيرة من نواحي الجاحظ التي تشرع لنا باباً الى الوقوف على تفاريق حياته ، على اننا نستطيع ان نحيط بنبذ غير يسير من هذه الحياة وان لم يكن لنا بهذه الاحاطة مقنع ، فقد نستطيع مثلاً ان نعرف طائفة من امور ميلاد الجاحظ ، وأهله ، وهيأته ، وابتداء ثقيفه ، وحالات عقله في صباه ، وحرفته في اول امره ، وثروته ، وأعماله ، ولهو ، واعتناؤه بداره ، وأكابر الرجال الذين لازمهم في حياته ، وتعلّبه بسبب صحبته لاحد هؤلاء الاكابر ، ومكانبتهم له ، وأسفاره الى انطاكية والى دمشق والى مصر ، وآثار هذه الأسفار وطبيعة هذه الآثار ، وعائته في آخر حياته ، وتأثير هذه العلة في بعض كتاباته ، وتعقب الناس له في التماس بعض المطاعن ومداراته ايامه ، وضجيره من لؤم اخلاقهم ، ووفاته .

نعم قد نستطيع ان نعرف هذا كله ، لكن هذه المعرفة لا تنفع غلبلاً قياساً الى ما يعرفه أدباء الافرنجة من امور كتابهم وشعرائهم وأشباه هذه الطبقات ، على ان امرنا لا يشبه امرهم ، فان آثار عقولنا مبعثرة وقد ضاع كثير من هذه الآثار وما حفظ منها قد يصعب وصول الابنذي اليه ، ولم يكتب لنا ان نكون أمة مجموعة الشمل من قديم الدهر يسلم كل عصر من العصور نتائج عبقرية الى العصر الذي يليه حتى تفرّد هذه العبقرية فيزيد

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري - احدها أعضاء المجمع العلمي العربي

التي شرع في المحاضرة بها في كلية الآداب في دمشق من تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ .

الآخر في ميراث الاول فيضيف مستحدث الأدب الى قديمه ، فما فائنا في الماضي فعمناه
ان لا يفوتنا في الحاضر والآتي .
فلنشرع في ذكر ما اتصل بنا علمه من حياة الجاحظ^(١) .

ميلاده

لم يذكر الانباري ولا ابن عساكر ولا ابن خلكان السنة التي ولد فيها الجاحظ وإنما
ذكروا السنة التي مات فيها وقالوا : نيف على سبعين سنة ، وذكر ياقوت في معجمه
ان الجاحظ قال : انا أسن من ابي نواس بسنة ولدت في اول سنة ١٥٠ وولد في آخرها .
والكن ابن خلكان قال في كلامه على ميلاد ابي نواس : وذكره الخطيب ابو بكر في
تاريخ بغداد وقال : ولد في سنة خمس واربعين وقيل سنة ست وثلاثين ومائة .
وقال الانباري قبل ابن خلكان : ولد ابو نواس سنة خمس واربعين ومائة وقيل
ولد سنة ست وثلاثين ومائة

وقد ذكر بعض الذين طبعوا ديوان ابي نواس انه ولد في سنة احدى واربعين ومئة .
من هذا كله يتبين لنا ان رواية ميلاد الجاحظ لا تخلو من اضطراب ، ولكننا اذا علمنا
ان الجاحظ مات في سنة ٢٥٥ وانه شكاه في أواخر ايامه كبر السن فقال : وأشد من
ذلك ست وتسعون سنة أنا فيها ، سهل علينا ان نقول ان الجاحظ ولد في سنة تسع وخمسين
ومائة او في سنة ستين ومائة بوجه التقريب .

اهله

أجمعوا على ان الجاحظ اسمه عمرو بن بحر بن محبوب وهو كنانى لبي نسبة الى ليث
ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة .

وقالوا : كان الجاحظ مولى ابي القلمس عمرو بن قلع الكنانى ، ثم الفقيمي .

ومنهم من أضاف الى هذا : وهو كنانى ، قيل صليبه ، وقيل مولى .

(١) استندت في الكلام على حياة الجاحظ الى كتب ابن خلكان وابن عساكر والى
معجم الادباء لياقوت الرومي والى طبقات الادباء للانباري .

وكان جده اسود يقال له : فزارة ، وكان جماً لا لعمرو بن قلع الكنتاني .
 اما كنيته فقد قال ابوبكر العمري ، سمعت الجاحظ يقول : نسبت كنياتي ثلاثة
 ايام فأثبت اهلي فقلت : بن أكنى ، فقالوا بابي عثمان^(١) .
 هذا كل ما نعرفه من نسبه واسمه وكنيته وأظن ان هذه المعرفة لا تنفي ظناً ، فان
 ناحية نسبه غامضة .

غير اننا نعلم ان الجاحظ أقارب عاشوا بعده ، وأريد بهؤلاء الاقارب يموت بن المزرع
 وولده ابا فضلة ، اما يموت فقد ذكر عنه ابن خلكان انه ابن اخت الجاحظ ولكن يموت
 يقول : الجاحظ خال امي^(٢) .

عاش يموت بن المزرع بعد وفاة الجاحظ وقدم بغداد سنة احدى وثلاثمائة وهو شيخ
 كبير وحدث بها عن المازني والسجستاني والرباعي وعبد الرحمن بن اخي الاصمعي وعن
 غيرهم وكان أدبياً اخبارياً وله ملح ونوادر وحكايات وكان لا يعود مريضاً خوفاً من ان
 يتطير باسمه وكان يقول : بليت بالامم الذي سماني به ابي ، فاذا عدت مريضاً فاستأذنت
 عليه فقيل : من هذا ؟ قلت : انا ابن المزرع وأسقطت اسمي .

سافر يموت الى مصر مراراً ومات سنة اربع وثلاثمائة بطبرية الشام .
 اتصل بعض نسبه بحكيم بن جبلة ، وحكيم هذا كان من أعوان علي بن ابي طالب
 وكان صاحب الشرطة في البصرة وقتل بالبصرة .
 خلف يموت بن المزرع ولداً اسمه ابو فضلة مهمل وكان شاعراً ذكره المسعودي في
 كتابه وذكره الخطيب في تاريخ بغداد فقال : هو شاعر مليح الشعر في الغزل وغيره ،
 وسكن بغداد .

وفيه يقول أبوه مخاطباً له في قصيدة^(٣) :

فجُنب في الارض وابغ بها علوماً ولا تقطعك جائحة ثبوت
 وان يخل العليم عليك يوماً فذل له ، وديدك السكوت

(١) تاريخ ابن عساكر . (٢) تاريخ ابن عساكر .

(٣) عن تاريخ ابن خلكان بتصرف يسير .

وقل : بالعلم كاتب ابي جواداً يقال : ومن ابوك ، فقل : يموت
من هذا كله نستطيع ان نستنبط أن من أقارب الجاحظ من اشتهر بمحبة العلم وباللمح
والنوادير فكان بينهم وبين الجاحظ مشابه في هذا الباب فان الجاحظ طلاب للعلم مفتون
بالنوادير —

حياته

كان الجاحظ مشوّه الخلق وانما قيل له الجاحظ لان عينيه كانتا جاحظتين والجنوحظ
النشوء وكان يقال له ايضاً الحماقي . ومن جملة اخباره انه قال : ذكرت للمتوكل لتأديب
بعض ولده ، فلما رأي استبشع منظري فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني .

تحصيله

أين طلب الجاحظ العلم في صغره

يظهر لنا ان الجاحظ كان في ابتداء امره يحمل اللوح بيده و يقدو على كتابه على نحو
ما كانت عليه الحال في هذه الديار من عشرين سنة وعلى نحو حالنا في يومنا هذا فان
الكتاتيب لم يبتل امرها في بعض القرى واحياء المدن . والبكم القصة التي رواها لنا
وهي من آثار الكتاب^(١) :

« وأنا حفظك الله رأيت كتباً مرة في الحى . نحن في الكتاب فعرض له صبي يسرى
مهدباً من اولاد القصابين وهو قائم يحول لوحه ، فعض وجهه ، فقع ثنيته دون موضع
الجن من عينه اليسرى فخرق اللحم الذي دون العظم الى شطر خده فرمى به ملقياً على
وجهه وجانب شدقه وترك مقلته صحيحة وخرج منه من الدم ما ظننت انه لا يعيش معه
وبقي الغلام مبهوتاً قائماً لا ينبس وأسكتته الفرع وبقي طائر القلب ثم خيط ذلك الموضع
ورأته بعد ذلك بشهر وقد عاد الى الكتاب وليس في وجهه من الشتر الا موضع الخيط
الذي خيط ، فلم ينج الى ان بريء ولا هرت ولا دعا بماء حتى اذا رآه صاح : ردوه ،
ولا بال جرواً ولا عاقماً ولا أصابه مما يقولون قليل . ولا كثير . »

(١) كتاب الحيوان (الجزء الثاني ص ٥) .

ولئن دللنا هذه القصة على ان الجاحظ طلب العلم في اول امره في الكتاب مع ابناء القصابين وغيرهم فلقد دللنا على شيء أعظم من هذا كله فاني ارى فيها اثر عنصر من عناصر عبقرية الجاحظ فأبو عثمان تقريس من صغره ، والكلمة من كلامه ، والنقريس النظائر المدقق والجاحظ مطبوع على التدقيق لا يريد ان ينفذ منه امر قبل الاهتمام به ، على ان هذه القصة تشمل على اشياء غير ما ذكرت فانها تدل على قوة حفظ الجاحظ فقد رواها وهو ابن سبعين بوجه التقريب ، فلم يهمل في روايتها لونا من الالوان او حركة من الحركات او هيئة من الهيئات ، ولكن فيها غير قوة الحفظ فان كلمته : يحو لوحه ، تضمن سرّاً من أسرار لغته ، فهي تشبه الكلمة التي نهيكم عليها منذ اسبوعين : أين تذهب في هذا المطر والبرد .

فبأي كلام تفصح في هذا اليوم عن فكرة مثل هذه الفكرة ، أفستطيع ان نجد أسهل من هذا التعبير : يحو لوحه ، على ان هذا المقام لا يتسع للغرض في مثل هذا البحث ولكني أحببت ان أشير الى شأن الآثار التي يبقيا لنا الكاتب مما يتعلق بصباه وبجوانه فان هذه الآثار تكشف لنا الغطاء عن كثير من عبقريته .

حالات عقله في صباه

وكما عرفنا ان الجاحظ نشأ في الكتاب فقد عرفنا حالة من حالات عقله في تلك الصبوة الغامضة فمن هذه الحالات طائفة من أوامره ، قال (١) :
واما قول النساء وأشباه النساء في الخفافيش فانهم يزعمون ان الخفاش اذا عض الصبي لم ينزع سنه من لحمه حتى يسمع نهيقي حمار وحشي فما أنسى فزعي من سن الخفاش ووحشتي من قر به ايماناً بذلك القول الى ان بلغت .
ومن هذه الخرافات التي برى الى الله منها قوله (٢) : وزعم لي بعض العلماء ممن قد روى الكتب وهو في ارض منها ان حية يقال لها الدساس تلب ولا تبيض وان أنثى النمر لم تضع نمرّاً قط الاّ ومعه أنثى .

(١) كتاب الحيوان (الجزء الثالث ص ١٦٧) .

(٢) ، ، (الجزء الرابع ص ٧٥) .

والاعراب تزعم ان الكفاة نبت في الارض فتطر مطرة صيفية فيستحيل بعضها أفاعي فسمع هذا الحديث مني بعض الرؤساء الطائفين فزعم لي انه عاين كفاة ضخمة فتأملها فاذا هي تتحرك فتنهض اليها فقلعها فاذا هي أفعى ، هذا ما حدثته عن الأعراب حتى برئت الى الله من عيب الحديث » .

هذه معتقدات صبي مالبت ان نشأ وترعرع فكان على العقل معتمده واليه مستنده في كل امر من امور الدين والفلسفة والعلم فلم يبق من تلك المعتقدات اثر .

حرفته وثروته

الى اي حرفة كان ينحرف الجاحظ بعد خروجه من الكتّاب فقد قيل لنا انه رؤي يبيع الخبز والسمك بسيمان (نهر بالبصرة) .

ولكن هل طال عهده يبيع هذا الخبز وهذا السمك ، فالذي نعلمه انه جمع مالا لا بأس به ، قال ميمون بن هارون قلت للجاحظ (١) :

ألك بالبصرة ضيعة فتبسم وقال : انما أنا وجارية وجارية تخدمها وخادم وحمار ، أهديت كتاب الحيوان الى محمد بن عبد الملك فأعطاني خمسة آلاف دينار وأهديت كتاب البيان والتبيين الى ابن ابي دواد فأعطاني خمسة آلاف دينار وأهديت كتاب الزرع والنخل الى ابراهيم بن العباس الصولي فأعطاني خمسة آلاف دينار فانصرفت الى البصرة ومعني ضيعة لا تحتاج الى تجديد وتسميد » .

أعماله

ولقد جمع هذا المال ونقلاً جلائل الاعمال فقد صدر في ديوان الرسائل ايام المأمون ثلاثة أيام ثم انه استعفى فأعني وكان سهل بن هارون يقول : ان ثبت الجاحظ في هذا الديوان أقل نجم الكتّاب .

وكان ينقلد خلافة ابراهيم بن عباس الصولي على ديوان الرسائل ويحكي انه لما جاء الى الديوان جاءه ابو العيناء فلما أراد الانصراف تقدم الجاحظ الى حاجبه اذا وصل الى

(١) معجم الادباء لياقوت (الجزء السادس ص ٢٥) .

الدهليزان لا يبدعه يخرج ، ولا يمكنه من الرجوع اليه ، تخرج ابو العيناء ففعل به ذلك ،
فنادى باعلى صوته : يا ابا عثمان قد اربتنا قدرتك فأرنا عفوك .

فانظروا كيف يميل الى الهزل حتى في دواوين الخلفاء . ولكنه لم يخلق لهذه
الدواوين . فقد خرج الجاحظ من ديوان الرسائل وفي نفسه عاملات : عامل الهزو ،
وعامل الطموح فلتوضح هذا الامر .

كان الجاحظ على نحو ما صورته لنا الفتيح بن خاقان في رسالته اليه صاحب عظمة
في نفسه ، بثق بعلمه وبمعرفة ، وان رجلاً قد شعر من نفسه بهذه العظمة ليصعب عليه
ان يكون في ديوان مسلوب الإرادة فيه ، يعمل لرجال ربما كان يعتقد انه أرفع منهم
منزلة ، وأعلى شأنًا ، فما وسعه الا ترك الديوان ، حتى يتبسط في أفق اعلى ، ويتفصح
في جو أمد ، ليس بينه وبين شيء من مرادات نفسه حاجز يحجز ، او حائل يحول ،
بوفر على هذه النفس كرامة ، قد لا يستطيع ان يوفرها وهو راسف في قيد السلطان ،
ويتمتع بقراءة كتب كانت غذاء روحه مدة قرن .

خرج الجاحظ من ديوان الخليفة لانه صاحب اعتماد على نفسه يحب ان يعيش مطلقاً
من كل قيد فلم يخلق لامثال هذه الدواوين التي لا تخلو من القيد ، وخاصة أن الجاحظ
رجل مطبوع على الجزء والسخرية ، ومن كان هذا شأنه قد يتعذر عليه ان يجد نفسه
تبعثه على الهزل وان ينقاد وطبعه يدفعه الى الانطلاق فما أحب ان يقيد نفسه في ذرا
الدواوين ، فان رجلاً قد خبر عمل السلطان ، وكان رأيه في هذا العمل على الوجه
الآتي (١) :

« وليس هكذيلا بين لابس السلطان بنفسه ، وقار به يخدمته ، فاب اولئك لباسهم
الذلة ، وشعارهم الملق ، وقلوبهم ممن لهم خول مملوءة قد لبسها الرعب والفهنا الذل ،
وصحب ترقب الاحتياج فهم مع هذا في تكدير وتغيص خوفاً من سطوة الرئيس وتكيد
الصاحب وتغير الدول واعتراض حلول المحن ، فان هي حلت وكثيراً ما تخطئ فناهيك بهم

(١) رسائل الجاحظ على هامش كامل المبرد (الجزء الثاني من ٢٤٨) .

مرحومين يرق لهم الاعداء فضلاً عن الاولياء » .
 لبعد عادة عن ملايسة السلطان بنفسه ومقاربتة بخدمته وخاصة ان كان قد شاهد
 المحن التي أشار اليها وشاهد بمن حأت وستكلم عليها في الآتي .
 ان رجلاً يقول في مدح التجار ^(١) :

« اودع الناس بدناً واهناًم عيشاً وآمنهم مرباً ، لانهم في أفبتهم و كالمملك على
 أمرهم يرغب اليهم اهل الحاجات وينزع اليهم ملتسو الباعات لا تلحقهم الذلة في
 مكاسبهم ولا يستعبدنهم الضرع لمعاملاتهم » .

لطاح الى أفق يشبه افق التجار يتمتع فيه بدعة البدن وهناء العيش وأمن السررب ،
 ولئن نزع بالجاحظ نفسه عن عمل يجد فيه الذل والملق والضرع فربما نزع به
 هذه النفس الى عمل يكون فيه صاحب الامر النافذ بضرع الناس اليه و يذلون له بدلاً
 من ان يكون الضارع الذليل ، وما يتيسر له مثل هذا العمل الا في ظلال الخلافة فكأنما
 وسعت له نفسه ان يذوق لذة هذه الخلافة فاذا صحت الرواية التي رواها ابن عساكر
 في تاريخه وهذه هي :

« دخل رجل على الجاحظ فقال له : يا ابا عثمان ، كيف حالك ، فقال الجاحظ سألتني
 عن الجملة ^(٢) فاسمعها مني واحداً واحداً ، حالي ان الوزير يتكلم برأيي وينفذ امره ،
 وبنواثر الخليفة الصلات اليّ وآكل من لحم الطير اسمها وألبس من الثياب انفرها وأجلس
 على ألين الطبري وأتكي على هذا الريش ثم اصبر على هذا حتى يأتي الله بالفرج ، فقال
 له الرجل الفرج ماأنت فيه ، قال : بل احب ان تكون الخلافة لي ويعمل محمد بن عبد الملك
 بأمره ويختلف اليّ ، فهذا هو الفرج ! » .

إذا صحت هذه الرواية فمعناها ان الجاحظ لم يجد لذة في التصدير في ديوان الرسائل
 لأنه لم يعمل بأمره ، وإنما كان يعمل بأمر الخليفة ، على حين يجد لذة في الانفراد بالامر
 واليحي ، فهل أفصح عن أمانيه لما قال ^(٣) :

(١) رسائل الجاحظ على هامش كامل المبرد (الجزء الثاني ص ٢٤٨) .

(٢) في الأصل سألتني عن الجملة ، وفي نسخة عن الجملة .

(٣) كتاب الحيوان — الجزء الثاني ص ٣٣

« وليس شيء إلا أمر من أمر الأمر والنهي ومن الظفر بالاعداء ومن عقد المنن في اعناق الرجال والسرور بالرئاسة وبثمرة السيادة لأن هذه الأمور هي نصيب الروح وحظ الذهن وقسم النفس »

وكيف كان الأمر فأننا نحمد الله الذي لم يأت به بالفرج ، فلو أتاه لحزمت العربية شيئاً غير يسير ، بيد أنه إن فائته الرياسة عن سبيل السلطان فقد أتته هذه الرياسة منقادة إليه عن سبيل الأدب ولا شك في أن الأدب اخلد أثراً من كل سيادة وسلطان ! فالذي نراه إن الجاحظ عاش في نعمة وربما أعطي نفسه حقها من اللهو فقد كان المكي يعيش جارية يقال لها سندوة ثم تزوجها نهارية وقد دعاه الجاحظ إلى منزلها غير مرة .^(١)

اعتناؤه بداره

عاش الجاحظ في نعمة وقد بقيت منه آثار فيها شيء يدل على التحقيق العلمي لكن هذا الشيء لا يخرج من الدلالة على اعتناء الجاحظ بداره ، فمرة كان يصرف هذه العناية إلى غرس الأشجار ، فمن قوله :^(٢)

« ولقد أردت أن أغرس في داري أراك فقالوا لي : إن الأراك إنما تثبت من حب الأراك يغرس في جوف طين في قواصر ويسقي الماء إداماً فإذا نبت الحب وظهر نباته فوق الطين وضعت القوصرة كما هي في جوف الأرض وتكن إلى أن تصير في جوف الأرض فإن الدرّ تطالبه مطالبة شديدة وإن لم تحتفظ منها بالليل والنهار أفسدها فعمدت إلى مشاراة من صفر من هذه المسارح وهي في غابة الملاسة واللين فكنت أضع القوصرة على الترس الذي فيه الأملس فاجد فيه الدرّ الكثير فكنت أنقل المشارة من مكان إلى مكان فما أفلح ذلك الحب . — »

ومرة كان يصرفها إلى تعليق الأبواب الثمينة ، فمن هذا قوله :^(٣)

« ومثل ذلك قول نجار كان عندي دعوته لتعليق باب ثمين كريم فقلت له : انت

(١) — كتاب الحيوان — الجزء الخامس — ص ١٣٨

(٢) — كتاب الحيوان — الجزء الخامس — ص ١٢٥

(٣) — كتاب الحيوان — الجزء الثالث — ص ٨٥

احكام تعليق الباب شديد ولا يحسنه من مائة نجار نجار واحد وقد يذكر بالحدق في
نجارة السيوف والقباب وهو لا يكمل تعليق باب على تمام الاحكام والقباب عند العامة اصعب
ولهذا امثال فمن ذلك ان الغلام والجاربة يشويان الجدي والحمل وهما يحكان الشيء وهما
لا يحكان شي جنب ومن لا علم له يظن ان شي البعض اهون من شي الجميع فقال لي :
قد احسنت حين اعلمني انك تبصر العمل فان معرفتي بمعرفتك تمنعني من التشقيق فعلقه
فاحكم تعليقه ثم لم يكن عندي حلقة لوجه الباب اذا اردت اصفاه فقلت له اكره ان
اجلسك الى ان يذهب الغلام الى السوق ويرجع ولكن اثقب لي موضعها فلما ثقبه واخذ
حقه ولائي ظمره فلانصراف والنقت الي فقال : قد جودت الثقب ولكن انظر اي نجار
يدق فيه الرزّة فانه انت اخطأ بضربة واحدة شق الباب فعلمت انه يفهم صناعته
فهما تاما . — «

من هذا كله تستنجون ان الجاحظ لم يكن بكل امر سواء أ كان هذا الامر صغيراً أم
كان كبيراً فهو لا يشبه بعض العلماء الذين تقوى فيهم ملكة وتضعف ملكات حتى يكاد
يصل بهم الضعف الى البلاء ، وانما هو كامل من الكلمة .

ملازمته لا كابر الرجال — من هم الرجال الذين لازمهم في حياته .

قال باقوت في معجم الادباء : (١)

« وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك خاصة ، وكان منحرفاً عن احمد بن
ابي دواد للعداوة بين احمد ومحمد ، ولما قبض على محمد هرب الجاحظ فقبيل له لم هربت
فقال : خفت أن اكون ثاني اثنين اذ هما في النور ، يريد ما صنع بمحمد وادخله لدور
حديد فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه ، فمذب هو حتى مات يعني محمد
ابن الزيات . — «

من هو محمد بن عبد الملك ومن هو احمد بن ابي دواد وما هي العداوة بينهما . (٢)

(١) معجم الادباء — الجزء السادس — ص ٥٧

(٢) اعتمدت في الكلام عليهما على تاريخ ابن خلكان . —

اما محمد بن عبد الملك فهو أبو جعفر المعروف بابن الزيات وزير المعتصم وهذه قصة وزارته :

كان احمد بن عمار بن شاذي البصري وزير المعتصم فورد على المعتصم كتاب من بعض العمال فقرأه الوزير عليه وكان في الكتاب ذكر الكلا فقال له المعتصم : ما الكلا فقال لا اعلم ، وكان قليل المعرفة بالادب ، فقال المعتصم : خليفة امي ووزير عامي ! وكان المعتصم ضعيف الكتابة ثم قال : ابصروا من الباب من الكتاب ، فوجدوا محمد ابن الزيات فادخلوه اليه فقال له : ما الكلا ، فقال : الكلا العشب على الاطلاق فان كان رطباً فهو اخلا فاذا يبس فهو الحشيش ، وشرع في تقسيم انواع النبات فعلم المعتصم فضله ، فاستوزره وحكمه وبسط يده .

ولما مات المعتصم وقام بالامر ولده الواثق هرون أقر الواثق ابن الزيات على ما كان عليه في ايام المعتصم بعد ان كان ساعطاً عليه في ايام ابيه ، وحلف يمينا مغلظة انه ينكبه اذا صار الامر اليه ، فلما ولي أمر الكتاب ان يكتبوا ما يتعلق بامر البيعة فكتبوا فلم يرض بما كتبوه فكتب ابن الزيات نسخة رضيها وأمر بتحرير المكاتبات عليها . فكفر عن يمينه وقال : عن المال ، والفدية عن اليمين عوض وليس عن الملك وابن الزيات عوض . فلما مات الواثق وتولى المتوكل كان في نفس المتوكل من ابن الزيات شيء وسببه انه لما مات الواثق بالله اخو المتوكل أشار ابن الزيات بتولية ولد الواثق وأشار ابن ابي دواد الآتي ذكره بتولية المتوكل وقام في ذلك وقعد حتى عمّحه بيده والبسه البردة وقبله بين عينيه وكان للمتوكل في ايام الواثق يدخل على الوزير ابن الزيات فيتجهمه الوزير ويغلظ له في الكلام متقرباً بذلك الى قلب الواثق فأضمرها المتوكل في نفسه فلما ولي الخلافة خشي ان نكبه عاجلاً ان يسير امواله فيفوته فاستوزره ليطمئن وجعل ابن ابي دواد يغريه ويجد لذلك عنده موقفاً حتى قبض المتوكل على ابن الزيات فلم يجد من جميع املاكه وضياعه وذخائره الا ما كانت قيمته مائة الف دينار فندم على عمله وقال لابن ابي دواد : اطمعني في باطل وحمّلني على شخص لم اجد عنه عوضاً .

كان ابن الزيات قد اتخذ في ايام وزارته ثموراً من حديد واطراف مساميره المحدودة الى الداخل وهي قائمة مثل رؤس المسال وكان بهذب فيه المصادرين وارباب الدواوين

المطلوبين بالمال ، فكيفما انقلب واحد منهم او تحرك من حرارة العقوبة تدخل المساءير في جسمه ، فيجدون لذلك اشد الالم ولم يسبقه احد الى هذه المماقبة وكان اذا قتل له احد منهم ايها الوزير ارحمني ، فيقول له : الرحمة خور في الطبيعة .

فلما اعتقله المتوكل أمر بادخاله في النور وقيّده بخمسة عشر رطلاً من الحديد فقال ابن الزيات : يا امير المؤمنين ارحمني ، فقال له المتوكل : الرحمة خور في الطبيعة كما كان يقول للناس فلما كان في الحبس طلب دواء و بطافة فأحضرتا اليه فكتب :

هي السبيل فمن يوم الى يوم كأنه ما تربك العين في النوم

لا تجزعن رويداً انها دول دنيا لنقل من قوم الى قوم

وسبورها الى المتوكل فاشتغل عنها ولم يقف عليها الا في الغد ، فلما قرأها المتوكل أمر باخراجه فجاءوا به اليه فوجدوه ميتاً وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وكانت مدة اقامته بالنور اربعين يوماً فهذا هو النور الذي خاف الجاحظ ان يكون فيه ثاني اثنين .

ولكن هل نجا الجاحظ من عذاب ابن ابي دواد بعد موت صاحبه ابن الزيات ، اظن انه لم ينج من شيء من ذلك وقبل ان نبين ما صنع به ابن ابي دواد لاجرج علينا ان أوجزنا في كلمة على ابن ابي دواد .

قال ابراهيم بن الحسن : كنا عند المأمون فذكروا من بايع من الانصار ليلة العقبة فاختلفوا في ذلك ودخل احمد بن ابي دواد فعدّهم واحداً واحداً باسمائهم وكنائهم وانسابهم فقال المأمون : اذا استجلس الناس فاضلاً فمذل احمد فقال احمد : بل اذا جالس اهل الم خليفة فمثل امير المؤمنين الذي يفهم عنه و يكون أعلم بما يقول منه .

هذا هو احمد بن ابي دواد !

ولما ولي المعتصم الخلافة جعل ابن ابي دواد قباضي القضاة وعزل يحيى بن اكرم وقد خص به احمد بن ابي دواد حتى كان لا يفعل فعلاً باطناً ولا ظاهراً الا برأيه .

ولما مات المعتصم وتولى بعده ولده الواثق بالله حسنت حال ابن ابي دواد عنده ولما مات الواثق بالله وتولى اخوه المتوكل فلج ابن ابي داود في اول خلافته فولي موضعه ولده ابو الوليد محمد .

وكثر ذمّه وقل شاكروه واستمرّ على مظالم العسكر والقضاء الى سنة سبع وثلاثين ومائتين فسخط المنوكل على القاضي احمد وعلى ولده محمد وحرف ولده عن المظالم ثم صرفه عن القضاء واخذ من الولد مائة الف وعشرين الف دينار وجوهراً بأربعين الف دينار وسبّره الى بغداد من سرّ من رأى وفوّض القضاء الى القاضي يحيى بن اكثم الصبّغى . كان بين قاضي القضاة احمد بن ابي دواد وبين الوزير ابن الزيات منافسات وشحناء وقد هجا بعض الشعراء الوزير ابن الزيات بقصيدة عدد ابهاها سبعون بيتاً فبلغ خبرها القاضي احمد فقال :

احسن من سبعين بيتاً هجا جمعك معان في بيت
ما احوج الملك الى مطرة تغسل عنه وضر الزيت
فبلغ ابن الزيات ذلك ويقال ان بعض اجداد القاضي احمد كان يبيع القار فقال :
يا ذا الذي يطعم في هجونا عرّضت بي نفسك للموت
الزيت لا يزري باحسابنا احسابنا معروفة البيت
قيروتم الملك فلم ننقه حتى شلنا القار بالزيت

تعديبه

قلت : لم ينج الجاحظ من شر ابن ابي دواد لأنه كان منحرفاً عنه ، ملازماً لعدوه ابن الزيات . فماذا صنع به ابن ابي دواد ؟
قال ابو عبدالله المرزباني ^(١) :

« حدث استواق الموصل وابو العيلاء قال : كنت عند احمد بن ابي دواد بعد قتل ابن الزيات فجئني بالجاحظ مقيداً وكان من اصحاب ابن الزيات وفي ناحيته ، فلما نظر اليه قال : والله ما علمت لك الامتناسية للنعمة كفوراً للصنعة ، معدداً للمساوي وما فتيت باختصلاحي لك ولكن الايام لا تصلح منك ^(٢) لفساد طوبيتك ورداءة دخلتك وموه اختيارك وتغالب

(١) معجم الادباء لياقوت — الجزء السادس ص ٥٨

(٢) في الاصل : لا تصلح منك الا لفساد طوبيتك . . . فأظن ان « لا » زائدة

فلا محل لها .

طبعك فقال له الجاحظ : خفض عليك ايدك الله فوالله لئن يكون لك الامر علي خير من ان يكون لي عليك ولئن امي وتحسن أحسن عنك من ان احسن فتسي ، وان تغفو عني حال قدرتك أجمل من الانتقام مني ، فقال له ابن ابي دواد : قبحك الله ما علمتك الا كثير تزويج الكلام وقد جعلت ثيابك اما قلبك ثم اصطفيت فيه النفاق والكفر ، ما تأويل هذه الآية : وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ، ان اخذه اليهم شديد . قال تلاوتها تأويلها اعز الله القاضي ، فقال : جيشوا بمحمد ، فقال : اعز الله القاضي ، ليفك عني او ليزيدني فقال : بل ليفك عنك ، فجي بالحداد فغزوه بعض اهل المجلس ان يعنف بساق الجاحظ و يطيل امره قليلاً فلطمه الجاحظ وقال : اعمل عمل شهر في يوم وعمل يوم في ساعة وعمل ساعة في لحظة فان الضرر على ساقى وليس يجزع ولا ساجة فضحك ابن ابي دواد واهل المجلس منه ، وقال ابن ابي دواد لمحمد بن منصور وكان حاضراً : انا اثق بظرفه ولا اثق بدبسه ثم قال يا غلام ، صر به الى الحمام وامط عنه الاذى واحمل اليه تحت ثياب وطويلة وخفك فلبس ذلك ثم اناه فتصدّر في مجلسه ثم اقبل عليه وقال : مات الآن حديثك يا ابا عثمان .

مكانباتهم له

هذه طائفة من اكابر الرجال الذين كان يلزمهم ويتردد اليهم وقد بلغ من استئناس محمد بن عبد الملك الزيات بالجاحظ ان ابا عثمان كان يأكل معه في يوم من الايام فجاءوا بفالوجة فتولع محمد بالجاحظ وأمر ان يجعل من جهته مارق من الجام فأمرع الجاحظ في الاكل فتنظف ما بين يديه ، فقال ابن الزيات : نقشعت سحاؤك قبل سماء الناس ، فقال الجاحظ : لأن غيما كان رقيقاً^(١) .

ولقد رغب في مجالسه الامراء والخلفاء وصحب هؤلاء الامراء في أسفارهم وقد كانوا يكتبونه ومن جملتهم الفتح بن خافان الذي استوزره المتوكل وأمره على الشام وأمره ان يستنيب عنه وكان المتوكل لا يصبر عن الفتح قدر ساعة .

وقد كانت للفتح بن خافان خزانة كتب لم ير أعظم منها كثرة وحسناً وكان يحضر

(!) تاريخ ابن عساكر .

داره فصحاء العرب وعلماء البصرة والكوفة ، قال ابو هفان : ثلاثة لم أرقط ولا سمعت بأكثر محبة للكتب والعلوم منهم : الجاحظ والفتح بن خاقان واسماعيل بن اسماعيل القاضي^(١) .

ومن رسائل الفتح بن خاقان الى الجاحظ كتاب كتبه اليه يقول في فصل منه^(٢) : « ان امير المؤمنين يجد بك ويهش عند ذكرك ولولا عظمتك سيفك نفسك لعلمك ومعرفتك لحال بينك وبين بعدك عن مجلسه ولغصبك رأيك وتديرك فيما انت مشغول به ، ومتوفر عليه ، وقد كان التي الي من هذا عنوانه فزدتك في نفسه زيادة كف بها عن تجشيك فاعرف لي هذه الحال واعتقد هذه المنة على كتاب الرد على النصارى وافرح منه وعجل به الي وكن من جدا به على نفسه وثنال مشاهرتك قد استطلعت لما مضى واستسلمت لك سنة كاملة مستقبلة وهذا مما لم تحتكم به نفسك وقد قرأت رسالتك في بصيرة غنام ولولا اني أزيد في مخيلتك لعرفتكم ما بعثتني عند قراءتها والسلام » .

ولقد مدح الجاحظ جماعة ، منهم ابراهيم بن رباح بن شبيب الجوهري الكاتب وكان ، اليًا على الاهواز ، وابوالفرج نجاح بن سمة وسنظر في شعره وكان يكاتب جماعة منهم ابراهيم بن المدير وكان ابراهيم هذا يلبس مع ابي عثمان وكانا يجتمعا في كل ثلاثة ايام .

أسفاره

فلنصحب الجاحظ في أسفاره ولننقب عن الآثار التي خلفها بعد هذه الأسفار ، فقد كان ابو عثمان جواً آفاقاً ، كأنه دحا الارض من خبرته بها ، فقد دخل البلدان في صحارى جزيرة العرب والروم والشام وغير ذلك وجارى الطرق ودخل البراري وأمعن فيها وضرب الى المواضع الوحشية^(٣) .

ومن الذي يخامر شك في نعمة السفر ، ونتاجه في الأدب ، فقد يكون الضرب في مناكب الارض مشحذة للذهن ، مصقلة للخيال لما في مشاهد الطبيعة من مختلف الصور

(١) فوات الوفيات (الجزء الثاني) - (٢) معجم الادباء لياقوت (الجزء السادس)

ص ٧٢ . (٣) كتاب الحيوان (الجزء السابع ص ١٥)

ومتباين الألوان مما يكون مادة لرجال العبقرية يستمدون منها في الشعر والتصوير ، فقد اقتبس (شانو بريان) من سفره الى اميركة صوراً شتى وألواناً غريبة أسبغت على فكره وعلى لغته نعمة الشباب ، ومن أراد ان يعرف ماالذي أوحاه السفر الى « لوتي » فليقرأ كتبه التي صور فيها مآزيره من مختلف الأصقاع فقد رمى بطرفه في مشاهد هذا العالم المديد فأحيا في كتبه مصر القديمة وافر بقية المحرقة وقسطنطينية الساحرة وكان لبلاد فارس ولديار الشام صورة في هذه الكتب ، وأحيا عواصف بحر من البحور ولذات جزيرة من الجزائر ، وكان يمزج عواطفه بكل ماوقعت عليه عينه .

ولو نظرنا في أدبنا نفسه لرأينا للسفر اثرآ في بعض هذا الأدب . فلو لم تحضر الهموم رحل ابي عبادة البحتري فيوجه عنده الى (ابيض المدائن) لما كانت لنا من شعره هذه السينية الخالدة التي لا نجد سينية أفضل منها في شعر العرب .

اي شيء من ابوان كسرى لم يمرضه علينا البحتري ، أفاته شيء من صورة انطاكية ، أم فاته شيء من موائل المنايا وتزجية الصفوف واخضرار لباس الجند واصفراره وعراك الرجال بين يدي كسرى واماحتهم برمح او الاحتمهم بترس فكأنهم احياء وكأنهم أموات .

أم فاته شيء من وصف مدامة كأنها مجاجة الشمس او كأنها ضوء ليل حتى حار البحتري في هذه المشاهد كلها واغتنى ارتياحه في العسكر فكانت يده تنقراهم بالمس فليس يدري أهو في حلم قد أطبق عينيه على الشك ام هي امان غيرت ظنه فما تمالك في سحر هذه المشاهد وروعة هذه الصور ان اعانها بدموعه فبكى على ابوان يز من بسط الديباج واستل من ستور الذهب لم يكن بانيه نكسا في الملوك ، وصبا الى قيان المقاصير بين حواء ولعساء ، وما تمالك ان بكى على رباع عمرت دهرأ للسرور فصارت هذه الرباع للتهزي والتأسي !

ولو لم يغر المهلي شعراء بغداد بابي الطيب المنيني حتى تباروا في هجائه وأسمعه ما يكره وتماجنوا به وتنادروا عليه لما اتخذ المنيني الليل جملاً وفارق دار السلام متوجهاً الى حفرة ابي الفضل بن العميد والى ابي شجاع عضد الدولة فكان من رحلته الى بلاد فارس هذه الايات التي وصف بها شغب بوان فقال :

ملاعب جنة لو سار فيها - سليمان اسار بترجمات
 طببت فرساننا والخليل حتى خشيت وان كرم من الحوران
 غدونا لنقض الاغصان فيها - على أعرافها مثل الجمات
 فسرت وقد حجب الحر عني وجئت من الضياء بما كفاني
 والقي الشرق منها في ثيابي - دنانيراً ثغر من البنات
 لها ثمر تشير اليك منه - باشرية وقفن بلا اوان
 وأمواء تصل بها حصاها - صليل الحلي في ايدي الغواني

وكان لنا من هذه الايات صور ناطقة في الوصف أضفناها الى ميراثنا الأدبي .
 فالسفر مادة من مواد التصوير والشعر ، وفيه نعمة ربما كانت اكبر من هذه النعم كلها ، فما أحسن ما قاله احد كتاب الافرنجة في هذا المعنى ، وليس يحضرني اسمه فقد قال : يسافر الانسان كي ينسى الحقائق . وفي كتبه . هذه معنى بعيد ، فكأنه يريد ان يقول ان الحياة تشتمل على حقائق لا تخلو من ايلام وايجاج فاذا سافر المرء نسي ألمها ، وزهل عن وجعها ، لان طرفه يلهو بامور تكاد تكون عزاء النفس وسلوانها .
 واني اعتقد ان من جملة الامور التي أعانت الجاحظ على حياته المبسطة كثرة أسفاره التي كانت تجدد من قوة نفسه ونشاطها .

سافر الجاحظ الى انطاكية والى دمشق والى مصر ووضع كتاباً اسمه : (كتاب البلدان) وغير بعيد انه وصف فيه الامصار التي عرفها ولكن هذا الكتاب لم يسقط البنا فلما نزلنا لم خصائص الآثار التي خلفها لنا بعد رحلته ، وانما نعرف طائفة من هذه الآثار مبعثرة في تضاعيف مائتاهي البنا من كتبه ، فاذا حكينا عليه من هذه الناحية فلا يكمن حكينا قاطعاً ، وانما يتعلق هذا الحكيم بما وصل اليه من آثار أسفاره دون غيرها مما لم نطلع عليه .

فمن آثار سفره الى انطاكية قوله^(١) :

« اني رأيت الثلث الاعلى من منارة مسجد انطاكية أظهر جدّة من الثلثين الاسفارين

(١) كتاب الحيوان (الجزء الرابع ص ٥١) .

فقلت لهم : ما بال هذا الثلث الاعلى أجده وأطرى ، قالوا : لأن تسميتها ترفع من بجرنا هذا فكان لا يمر بشيء الا أهلكه فرمى على المدينة في الهواء محاذياً لرأس هذه المنارة وكانت أعلى مما هي عليه فضر به بذنبه ضربة خرقت من الجميع أكثر من هذا المقدار فأعادوه بعد ذلك ولذلك اختلف في المنظر » .

فمن هذا الكلام يظهر لنا ان ديدن الجاحظ في كل امر من الامور التدقيق والتدقيق فكانت له نفس طامة لا تريد ان يفوتها شيء .

اما آثار سفره الى دمشق والى مصر فانها أغرب وأعجب ، وقد كانت سافر الى دمشق مع الفتح بن خاقان وذكر هذه الحكاية (١) :

« واحتاج أصحابنا الى التسليم من عض البراغيث ايام كنا بدمشق ، ودخلنا انطاكية فاحتالوا لبراغيثها بالأسيرة فلم ينفقوا بذلك لان براغيثهم تمشي وبراغيثهم نوعان : الابل والبرد ، انما سموا ذلك الجنس على شبيهه بما حكى لي ثمامة عن يحيى بن خالد البرمكي فان يحيى زعم ان البراغيث من الخلق الذي يعرض له الطيران فيستحيل بقا كما يعرض الطيران للنمل وكما يعرض الطيران للدعابيص فان الدعابيص اذا انسخت صارت فراشا فكان أصحابنا قد لقوا من تلك البراغيث جهداً وكانت له بليدة أخرى ذلك ان الذي تسهره البراغيث لا يستريح الا ان يقتلها بالعرك والقنل والآن ان يقبض عليها فيرمى بها من فوق السرى فيرى انهن اذا صرن عشرين كان أهون عليه من ان تكون احداً وعشرين ، وكان الرجل اذا رام ذلك من واحد منها انثنت يده وكانوا ملوكاً ومثل هذا شدد على أمثالهم فما زالوا في جهد منها حتى لبسوا قمص الحرير الصيني وجعلوها طوبلة الابدان والاردان فناموا مستريحين . »

هذه الآثار التي تركها لنا بعد سفره الى بلاد يكاد يكون جنة الدنيا فلسنا ندرى اننى الجاحظ بغوطة دمشق ام نظر الى مسجد هـ ، وهو يعلم مقدار افتخار المشقبين بمسجدهم فمن قوله : (٢)

(١) كتاب الحيوان (الجزء الخامس ص ١١٣) .

(٢) رسائل الجاحظ على هامش الكامل — الجزء الاول —

« وقول الدمشقيين ما تأملنا قط تأليف مسجدنا وتركيب محرابنا وقبة مصلانا الا
أثار لنا التأمل واستخرج لنا الثغرس بين غرائب حسن لم نعرفها وعجائب صنعة لم نقف
عليها وما ندري اجواهر مقطعاته اكرم في الجواهر ام ننضيد اجزائه في ننضيد الاجزاء .
انه ليعلم ماذا كله فهل استماله شيء من المسجد ومحرابه وقبة مصلاه وجواهر مقطعاته
أم آلمه عض البراغيث في دمشق فشغله هذا العوض عن كل حسن من محاسنها .
على انه قد اشار الى المسجد اشارة خفيفة فقال : ^(١)

« وقد رأيت مسجد دمشق حين استجار هذا السبيل ملك من ملوكها ومن رآه فقد
علم ان احداً لا يرومه وان الروم لا تسخوا انفسهم به فلما قام عمر بن عبد العزيز بجأله
بالجلال وغطاه بالكرابيس وطبخ سلاسل القناديل حتى ذهب عنها ذلك التلاؤؤ والبريق
وذهب الى ان ذلك الصنيع بجانب لسنة الاسلام وان ذلك الحسن الرائع والمحاسن
الدقائق مذمومة للقلوب ومشغلة دهن الخشوع وان البال لا يكون مجتمعاً وهناك شيء يفرقه
ويعترض عليه . »

ولئن اقبلت دمشق في ذهنه صورة البراغيث فقد اقبلت مصر في هذا الدهن العجيب
صورة أبشع فمن قوله : ^(٢)

« كنت بعجت بطن عقرب اذ كنت بمصر فوجدت فيه اكثر من سبعين عقارب
صفار كل واحد نحو ارزة . »
براغيث وعقارب !

هذا ما عرفناه من آثار سفره الى مصر : دمشق ، فاذا كان كلامه في كتاب البلدان
وفي رسالة مصر من هذا النمط فلم يكن الجاحظ في اسفاره شاعراً ، اي لم بصور لنا
ألوان التربة التي زارها تصويراً فيه حياة وشعور وانما كان يبحث عن حقيقة من الحقائق
العلمية فلم يبعج بطن العقرب على سبيل اللهو وانما فعل هذا واضرابه على سبيل التحقيق
وسننظر في هذا في كلامنا على تحقيقه وتجربته . على ان صاحب صبح الاعشى ذكر ان

(١) كتاب الحيوان — الجزء الاول — ص ٢٩

(٢) كتاب الحيوان — الجزء الرابع ص ٥٦

لجاحظ رسالة في مدح مصر قال فيها : وإنما سميت مصر بمصر الناس اليها ، فإن هذه الرسالة ^(١) ؟

عائنه

كيف انطفأ نور هذا العقل الذي تطلع في قرن متكامل الى كل ضرب من ضروب المعرفة حتى ازدحم فيه المعارف على متباين اشكالها فكان لنا من مزدهمها كنز لا ينفي سجنس الليالي .

حكى ابو علي القالي عن ابي معاذ عبدان الخولي المنتطب قال : ^(٢)
دخلنا يوماً بسر من رأى على عمرو بن بحر الجاحظ نعوده وقد فليج فلما اخذنا مجالسنا اتى رسول المتوكل اليه ، فقال : وما يصنع امير المؤمنين بشقى مائل ولعاب سائل ثم اقبل علينا فقال : ما نقولون في رجل له شقان ، احدهما لو غرز بالمسال ما احس والشقى الآخر يمر به الذباب فيغوث واكثر ما اشكوه الثمانون . «

وقد حدث يموت بن المزرع شبه هذا الحديث فقال : ^(٣)
وجه المتوكل في السنة التي قتل فيها ان يحمل اليه الجاحظ من البصرة فقال لمن اراد حمله : وما يصنع امير المؤمنين باصريء ليس بطائل ، ذي شقى مائل ولعاب سائل وفرج بائل وعقل حائل . «
وحدث المبرد قال : ^(٤)

دخلت على الجاحظ في آخر ايامه ، فقلت له كيف انت ، فقال : كيف يكون من نصفه مغلوج لو حز بالناشير ما شعر به ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقر به لآله واشد من ذلك ست وتسعون سنة أنا فيها ثم انشدنا :

(١) الجزء الثالث — ص ٣١٨

(٢) امالي القالي — الجزء الاول — ص ٥٠

(٣) معجم الادباء لياقوت — الجزء السادس — ص ٧٩

(٤) معجم الادباء لياقوت — الجزء السادس — ص ٧٩

أترجو ان تكون وأنت شيخ كما قد كنت أيام الشباب
 لقد كذبتك نفسك ليس ثوب دريس كالجدید من الثياب
 وكان يطلي نصفه الايمن بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الايسر لوقرض
 بالمقاريض لما احس به من خدره وشدة برده .
 وكان يقول في مرضه ^(١) : اصطلمحت على جسدي الاضداد ان اكلت بارداً اخذ برجلي
 وان اكلت حاراً اخذ برأسي ، أنا من جانبي الايسر مفلوج لو قرض بالمقاريض ما علمت
 ومن جانبي الايمن منقرس فلو مر به الذباب لتألمت وبني حصة لا ينشرح لي البول معها
 وأشد ما علي ست وتسعون سنة .»

هذه جملة الروايات التي تتعلق بملته ، وقد اثير هذا المرض في كتاباته حتى قال في
 كتاب الحيوان ، وكتاب الحيوان الفه في الربع الاخير من عمره ^(٢) :
 « وقد صادف هذا الكتاب مني حالات تمنع من بلوغ الارادة فيه ، اول ذلك العلة
 الشديدة والثانية قلة الأعوان والثالثة طول الكتاب الى ان قال :
 فان وجدت فيه خلافاً من اضطراب لفظ ومن سوء تأليف ومن تقطيع نظام ومن
 وقوع الشيء في غير موضعه فلا تنكر بعد ان صورت عندك حالي التي ابتدأت عليها كتابي» .

شكواه من اللؤم

ولكن الداس لم يسامحه في هذه الحالة التي صورها فكانت طائفة منهم يتعجبونه
 ملتزمين المطاعن والمغامر فلم ينبج الجاحظ من داء العبقرية ، وأريد بهذا الداء شر جماعة
 لا تهدأ أعصابهم الا اذا ثقلوا في التماش والملاسع .
 فمن قول ابي عثمان في هذه الجماعة ^(٣) :

« فان كثيراً ممن يتكلف قراءة الكتب ومدارسة العلم بقفون من جميع هذا الكتاب
 (كتاب الحيوان) على الكلمة الضعيفة واللفظة السخيفة وعلى موضع من التأليف قد عرض له
 شيء من استكراه ، وناله بعض الاضطراب او كما يعرض شيء في الكتب من سقطات الزم

(١) مرآة الجنان — الجزء الثاني — ص ١٦٤ . (٢) كتاب الحيوان (الجزء

الرابع ص ٦٩) . (٣) كتاب الحيوان (الجزء السابع ص ٢) .

وفلتات الضجر ومن خطيئ الناسخ وسوء تحفظ المعارض على معنى لعله لو تدبره بعقل غير مفسد ونظر غير مدخول وتصفحه وهو محتس من عوامل الحسد ومن عارض التبرع ومن أخلاق من عسى ان يتسع في القول بمقدار ضيق صدره ويرسل لسانه ارسال الجاهل بكنهه ما يكون منه ولو جعل بدل شغله بقليل ما يرى من المذموم لنقله بكثير ما يرى من المحمود كان ذلك أشبه بالادب المرضي والخيم الصالح وأشد مشاكلة للحكمة وأبعد من سلطان الطيش وأقرب الى عادة السلف وميرة الاولين وأجدر ان يهب الله تعالى له السلامة في كتبه والدفاع عن حجته يوم مناضلته خصومه ومقارعة اعدائه .

من هذا يتبين لكم ان الفالج قد اثر في تأليف الجاحظ حتى انبرت جماعة لتطلب اللفظة السخيفة و لكلمة الضعيفة في كتاب الحيوان فكان يضطر الى مداراتهم واستمالتهم والى كثرة الاعتذار فمن قوله (١) :

« ولولا سوء ظني بمن يظهر التماس العلم في هذا الزمان ويظهر اصطناع الكتب في هذا الدهر لا احتجيت في مداراتهم واستمالتهم ونوفيتي نفوسهم وتشجيع قلوبهم مع كثرة فوائده هذا الكتاب الى هذه الرياضة الطويلة والى كثرة هذا الاعتذار حتى كأن الذي أفيدته اباهم استفيدته منهم وحتى كأن رغبتني في صلاحهم رغبة من رغب في دنياهم . »

فما زال الجاحظ في خاتمة حياته يشكو مرة فالجه ومرة شيئاً أشد من الفالج وهو لو لم يمرض بعض الأحياء حتى ورد الخبر بموته .

وفاته

حدث احمد بن يزيد بن محمد المهلب عن ابيه قال (٢) :

قال لي المعتز بالله : يا يزيد ورد الخبر بموت الجاحظ ، فقلت : لأمير المؤمنين طول البقاء ودوام العز ، قال وذلك سنة ٢٥٥ ، قال لي المعتز : قد كنت أحب ان اشخصه اليّ وان يقيم عندي ، فقلت له : انه قد كان قبل موته عطلاً بالفالج .

وكان موته بالبصرة وقد قال فيه ابو شراة :

(١) الحيوان (الجزء الخامس ص ٥١) . (٢) تاريخ ابن عساكر .

في العلم للعلماء انت يتفهموه مواعظ
واذا نسبت وقد جمعت علا عليك الحافظ
ولقد رأيت الظرف دهرأ ما حواه اللافظ
حتى أقام طريقه عمرو بن بجر الجاحظ
ثم انقضت ايامه وهو الرئيس الواعظ

هذه خلاصة حياة نقاب صاحبها في كل أفق من آفاق العيشة ، وخبر كل امر
من امور الدنيا ، خبر خشونة الحياة ونعيمها ، وامتن ذل السلطان وعزته ، وثقل جلائل
الأعمال وصحب أصاغر الناس وأكابرهم ، وذاق اللذات بمجامعها فلم يُثِفَ عليه شيء
من لذة السفر ولذة العلم وماشاهيهما ، ومد الله في أجله فكأنه يقول :

مضى يأت هذا الموت لا تبقى حاجة لنفسي إلا قد قضيت قضاءها

ان حياة مثل حياة الجاحظ مزدحمة بالحوادث ، قد يجد الإنسان في دقائقها كثيراً
من العبر ، ولكنني لأمرئياً بالعبارة واحدة أجعلها خاتمة الكلام على هذه الحياة ، لوجودنا
أشباه هذه العبرة في حياة طائفة كبيرة من رجال العبقرية .

حبس الجاحظ نفسه على الأدب والعلم مدة قرن متكامل وكان همه الأبعد التنقيب
عن الحقيقة والنزيب على الأساليب ، على نحو ما نبينه في الإشارة إلى تحقيقه العلمي ، فما
هو جزاء هذه العناية بالأدب والعلم ، جزاء هذا كله نعقب الناس اياه وهو في أشد
حالة من الحالات ، وأي حالة أشد من الفالج ، فقليلاً مانساع وقليلاً مانلاين ، فقد
طبعنا على النعقب ، ولمجننا بما يؤدي إليه من لواذع القول ولواسع اللفظ ، ننظر إلى
سيئة نسترها حسنات فلا نفترق العين إلا هذه السيئة ونغضي على الحسنات فنعمي عنها
او ننعامي ، وقد نولنا المحاسن في كثير من الأحوال فلا نجيب ان يبرع إلى جنبنا بارع ،
هذه طبيعتنا ، وعبثاً نحاول ان نهذب هذه الطبيعة ، هل هذب العلم من أخلاقنا ،
أفلا نزل في هذه الأخلاق أشباه أجدادنا الذين كانوا يأوون إلى الكهوف والغيان في
شباب البشرية . ١ -

نعم ، هذا ما لقيه الجاحظ من الناس في أواخر ايامه ، وأغرب من هذا كله انه ربما

ألف كتاباً في باب من الأبواب فيتواطأ على الطعن فيه جماعة بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براءة هذا الكتاب وفصاحته حتى كان ينسب كتبه الى من تقدم عصرهم فيأتيه أولئك الطاعنون باعيانهم فيكتبون كتبه المنسوبة الى غيره بخطوطهم وبتداسونها بينهم ويتأدبون بها ويستعملون الفاظها ومعانيها ، ولو علموا ان هذه الكتب ألفها الجاحظ نفسه لما كان منهم الا الطعن والقذح !

وقبل ان انظر في سيرة الجاحظ كنت أنظر في سيرة المنبي ، فما أشبه الذي كان يلقاه الجاحظ بالذي كان يلقاه المنبي فأبو عثمان شكاً الحسد ، وأبو الطيب لم يسلم من شر الحساد .

كلنا نعلم ان أبا الطيب كان في ابتداء امره في خشونة من عيشه ورقة من حاله يشتهي كل شيء ، يشتهي النساء من الملابس والكريم من المطايا ، توفي أبوه وهو فقير فضرب في مناكب الشام النماساً للرزق وكثيراً ما أشار الى فقره والى إخفاقه في السعي والى كساد شعره في اسواق بعض الممدوحين ، ومع هذا كله ما كان يخلو من حسد الحساد وشماتة الشامتين وكيد الكائدين ، فكان ضجيره من هذه الأخلاق اللثيمة يطفح على جنبات شعره ، ولقد أفضى الامر بحساده الى ان شتموا بموت جدته لانه كان يذهب في حبها كل مذهب .

لم يسلم المنبي من شر الحساد وهو فقير فأخلق به ان لا يسلم من هذا الشر بعد ان غرق في مكارم سيف الدولة الباهرات وبعد ان أنزل أفراسه عسجداً بنعمي ملك حلب فقد آلم كثيراً من الشعراء وكثيراً من رجال اللغة ، فكانت شكوى الحسد تفيض في شعره وربما تمنى القوم موته فنعموه وهو حي ولكنه كان ينفذ من بعد منعمهم فيزول القطن والكفن .

ترك المنبي سيف الدولة واتصل بكافور الإخشيدي فاندفع في شكوى الحسد وغادر كافوراً فوقم في بغداد في شر شعرائها الذين نالوا من عرضه وتباروا في هجائه واسمعوه ما يكره وتماجنوا به وتنادروا عليه .

لم يسلم المنبي من داء العبقرية سيف كل طور من أطواره ولئن كان الجاحظ يهزأ بحساده فلم يكن المنبي أقل هنأ منه بهؤلاء الحساد فلم يفكر في واحد منهم ورب بيت

قاله في التمر يض بهم أشد من وقع السهام في غلس الدجى :
ومن يك ذا قم مر صريض يجسد مرأ به الماء الزلالا

نظرت في سيرة الجاحظ وفي سيرة المتنبي و كنت أقرأ من ايام قليلة مقالا أنشأه
الكاظم الفرنسي (زولا) في وصف نعش الشاعر (فلوير) .

لم يمش حول نعش هذا الشاعر الا ثلاثمائة رجل من باريز فقد غاب كثير من الذين
كان يجب عليهم ان لا يغيبوا ، ومدينة الشاعر نفسه وهي (روان) لم تشيع اشهر ولد من
أولادها فقد قالوا ان اهل (روان) انما هم تجار يسخرون من الادب على ان في (روان)
كثيراً من الاساتيد والمحامين والاطباء والشباب المستنير ، ان فيها من قراء رواية مادام
بوفاري فلم يتحرك واحد منهم ، فلم يصحب النعش الا مائتا رجل من (روان) وكثير من
الناس كانوا ينظرون الى النعش على سبيل اللهو فلم يكن على وجه واحد منهم اثر من آثار
الحزن والحقيقة ان اربعة اخماس اهل روان لا يعرفون فلوير والخمس الآخر كانوا يكرهونه
وقد ختم (زولا) مقاله المبكي بهذه العبارة : هذا هو المجد .

نعم هذا هو المجد ، وهذا ما يصادفه رجال العبقرية في حياتهم وفي مماتهم !
أفهدأت أفكار هذه الطبقة من الناس في عصر من العصور ؟ أفنال رجال العبقرية
ما يستحقونه من الجزاء ؟ استغفر الله . انهم لا يريدون جزاء ولا شكوراً انهم اجل من كل
جزاء ومن كل شكور ، وانما الذي يريدونه ان تكف عن نهشهم وعن لسمهم هذا هو
كل جزائهم .

ومن البلاء ان يبلغ من وساوسنا ان نعتقد ان مجرد الطعن على بارع من البارعين
يحطمه تحطياً أخطم الجاحظ طعن الطاعنين ؟ أفهدم المتنبي نهش الناهشين ؟ أفلم يذهب
اولئك الناهشون اللاسعون بين سمع الأرض وبصرها ولم يبق الا ذكر الجاحظ والا
ذكر المتنبي !

اننا نستطيع ان نهدم الجاحظ واننا نستطيع ان نحطم المتنبي والسبيل الى ذلك ان
نأتي بادب ابرع من ادب الجاحظ وبشعر اروع من شعر المتنبي . فتعني يومئذ على آثارهما ،
فاما الهذيان وأشباهه فيذهب جناءً واما التبوغ فيمكث في الأرض !

البستان

« في الميزان »

—«»—

البستان معجم عربي وضعه الشيخ اللغوي عبد الله البستاني ، لتداوله ايدي المحققين عند احتياجهم الى مراجعة بعض الألفاظ الضادية ، وقد عرطنه بعض الجرائد والمجلات ، ونسي النقدة انهم قد اوتمنوا على لغة آبائهم ، وحفظها من الفساد وان لا ينظروا الى لوجوه ولا الى الصداقة ، ولا الى كل شيء بفكك عري هذا اللسان البديع البناء المحكم الأركان . على اننا كنا قد نقدنا بعض النقد المجلد الاول من هذا الديوان ليكون المجلد الثاني أنقن تأليفاً وأسدت انشاءً وذلك في مجلتنا لغة العرب (٦ : ٦٨ وما يليها) وظن بعضهم ان في الجواب حوبة ، تبرئة لمديحهم المكبل كيلاً ، اذ غايتهم غير الغرض الذي رمينا او نرمي اليه . وقد أشرنا الى ما في الجزء الثاني من الأوهام اشارة قابس نار في مجلتنا ايضاً (لغة العرب ٩ : ٥٠٣) لكن ذلك غير وافي بالغرض ، اذ لم نعرض لهذه الثقلية الا كمن يمر بالديار راكب القطار ، او ناقل الأخبار على أجنحة البرق خاطف الابصار . والان أردنا ان نعيد نظرة ثانية في هذا المجلد الثاني ، ليعلم الواقف على هذا المقال ان هذا الديوان الجديد مفسدة للغة العربية ، ولكلام كل من ينقل عنه ، او يقتبس منه . والدليل : انك لا تجد فيه صفحة واحدة سالمة من عدة أغلاط . ولو كانت قليلة و يسيرة وخفيفة لمان الامر واحتقر ، لكنها مخلة بالمعنى والمبنى ، فاقطعني النفي على أمثلة منها ، لتجلي الحقيقة بصورتها الواضحة ، وتزول اللائمة من صدور بعض الثقات الاثبات ، الذين يتوخون الصدق في جميع شؤونهم .

الصفحة الاولى من هذا المعجم هي نصف صفحة على الحقيقة ، وقد طالعناها بتؤدة ، فلم نر فيها خلالاً غميمة لها دون غيرها ، فقد بالغ بعض الكثرة في اعلاء شأن هذا

الناس هو فتح الجيمين ، وبمعنى آخر ، وهو ما تدارس به الكدس من آلات الزراعة . فكان يحسن بالشيخ ان يتخذ اللاحب من الطرق لا المندرس منها .

وقال في تلك الصفحة : وفي خطبة ابي طالب « الحمد لله الذي جعلنا من رضى خري مَعْدَةً وَعَنْهَرْ مُفْهَرْ » . . . والذي في دواوين اللغة : « الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزرع اسماعيل ، ورضي مَعْدَةً ، وَعَنْهَرْ مُفْهَرْ » . فكان يجب ان يراعي الامانة التي اوتمنها ولا يخالفها ، اما اذا كانت نيته الاختصار ، فكان يحسن به ان يحافظ على الطريق التي اتبعها من قعد الحذف ويجعل ثلاث نقط بدلها . فيكتب مثلاً هكذا : « الحمد لله الذي جعلنا من رضى مَعْدَةً وَعَنْهَرْ مُفْهَرْ » وعلى هذا الوجه يـ لم من كل نقد ، ويرضي الحزبين : حزب المحافظين على سلامة النصوص . وحزب مختصرها .

وجاء فيها : « الموضوعي : المصوت » . وليس هذا صحيحاً ، فان المُضَوِّضِي خاص بالرجال ، وكانت عليه ان يقول : رجل مُضَوِّضِي او : المُضَوِّضِي من الرجال المصوت . — ثم قوله : « الموضوعي بتسهيل الهمزة الاخيرة ليس هذا موطنه . بل مظنة في مادة (ض وض) اباهنا فكان يجب ان يقال الموضوعي اي بهمة في الآخر لكنه نقل ما جاء في القاموس ومن نقل عنه ولم يترك كل التروي في ما نقل . والاعوي الضليح من يميز الغث من السمين ، وبأخذ الحسن وبنيد الردي .

ومن منقولاته ، انه قال « الضَوْضُوءُ ايضاً كهدد . الاخيل . توقف فيه ابن دريد فقال ما ادري ما صحته » اه . قلنا في هذا التعريف عدة مغامز الاول . انه قال الاخيل . وللأخيل عدة معان ، منها ، الكبر ، وذو الكبر وذو الخلال اي الشامة ، وطائر مشووم ، او هو الصبرد ، او هو الشقراق ، فأباً من هذه المعاني اراد صاحب البستان ؟ والذي يظهر من سياق عبارته أنه أراد معنى الطائر ، فكان عليه ان يقول ، الضَوْضُوءُ ايضاً كهدد الاخيل للطائر المعروف ، او لهذا الطائر المعروف ، او ان يقول الاخيل بمعنى الطائر حتى ننقي سائر المعاني التي تنطوي تحت الاسم المذكور . وهذا ينبغي من كتابه نفسه اذا راجعنا معنى الاخيل . — وقوله توقف فيه ابن دريد يصح على المعنى الذي اوجب الى الطائر ، امامانيه الباقية فلم يتوقف فيها ابن دريد . فهذا المغمز الثاني .

اما المعزز الثالث فهو : ان توقف ابن دريد في هذا المعنى ذكره صاحب حياة الحيوان ، على ما نص عليه صاحب التاج . والدميري ليس بحجة في نقل الاسانيد اللغوية . والدليل ان صاحب المخصص قال في كتابه (٨ : ١٥١) [قال] ابن دريد : (الشقراق) وهو الضوضو ايضا والشرشق « اه . ولم يضعف هذه الرواية ولم يخرجها ولم يقطعن بها ، ولم يقل ان ابن دريد توقف في معنى الضوضو .

والمعزز الرابع : لو صح نسب هذا التوقف الى ابن دريد لما جازله ان يذكره في كتابه ، لانه كثير ما حذف الزوائد من الشروح والنقاسير والتأويل ، فكان عليه ان يستري طريقة لا يلوي عليها ولا على امثالها ، بل يمسك بالمبدأ الذي عاهد نفسه عليه ليكون معجها حاوياً لباب اللغة ، لا قشورها اوزوائدها التي تترك للمعاجم الكبرى ، كلسان العرب اوتاج القروس اومدة القاموس ، الى نحوها .

والمعزز الخامس انه لم يحقق شيئاً بنفسه عن لفظة الضوضو وعن معناه الحقيقي ، والذي ظر لنا ان الكلمة لغة في اليويو ، في لسان من بقلب الياء ضاداً بعد ان يجعلها جيناً (راجع لغة العرب ٦ : ٧٨٧) فهو من الصوائد الجوارح لامن البغاث . وقد نبه على هذا الامر ابن سيده في مخصصه . فليراجع (في ٨ : ١٥١ وفي عدة مواطن بعد تلك الصفحة) . وجاء في تلك الصفحة الاولى (ضوّل الرجل ضؤولة وضالة ، صغر وضعف . . .) قلنا : والذي في لسان العرب (ابو منصور ، ضوّل الرجل بضوّل وضالة وضؤولة ، اذا قال رابه . وضوّل ضالة ، اذا صغر) اه . فانظر كيف خلط مصدران مصدر ، ومعنى بمعنى ، ومنبى بمنبى .

وقال : « يقال (ما عليك فيته ضؤولة) اني صغار وضعف » اه . وهذا كلام لا غبار عليه . والذي عهدناه في هذا الديوان ان يفسر الضعف من الكلام بالفاظ ستملة يفهمها الجميع . فقوله صغار ، عوض (مدلة) التي استعملها سائر اللغويين ، من باب وضع الشيء في غير موضعه .

فتحنا اتفاقاً بعد الصفحة الاولى من هذا (الكتراثمين) الصفحة ٤١٤١ اقرأيناه يقول فيها « الفرير يسُ بالكسر وفتح الياء طائر يقال له الطيروج وهو المعروف بالحجل » اه .

فكم من غلط في هذه العبارة الصغيرة! — واول هذه الاوهام انه ضبط الضريس ضبط قلم وكلم بكسر الضاد واسكان الراء، وفتح الياء نقلاً عن محيط المحيط، بحر الاغلاط ومااربة الاوهام. والصواب وزان زُبَيْر اي بالتصغير. قال الكمال الدميري في طرغلودس « يعرفه اهل الأندلس ويسمونه الفُـرَّيس (بضاد معجمة مضمومة وراء مهمل مفتوحة وياء ساكنة منقوطة اثنتين من تحتها وسين مهمل) . قال الرازي في كتاب الكافي هو عصفور صغير أصفر من جميع العصافير ، لونه رمادي واحمر وأصفر وفي جناحيه ريشة ذهبية ومنقاره رفيع ، وفي ذنبه نقط بيض متواترة ، وهو دائم الصغير واجوده السمين » اه على انه قال في رسم الضريس « الفُـرَّيس : الطيهوج » فالدميري ضاد نفسه بنفسه . ولم نر في سائر كتب اللغة ذكراً للفُـرَّيس في مادة ض رس ، ولا في مادة ط ه ج ولا ط ي ه ج . والذي عليه العلماء ان الفُـرَّيس تخفيف اليونانية طرغلوديس او خرغلوديس .

هذا من جهة ضبط الكلمة . ولم نجد مؤلفاً قبل صاحب محيط المحيط ضبط اللفظ بالوجه الذي ذكره الشيخ عبد الله . على ان دوزي ذكر ان بعضهم سماه : (الفُـرَّيس) يضم الضاد وتشديد الراء المفتوحة ، ويحيل النظر على القزويني . وقد رأينا ان الضبط الصحيح هو ما ذكرناه عن الدميري وذكر عن ابن البيطار ان الطيهوج اي الدراج الا ان صاحب المعجم المنصوري يضعف هذه الرواية بقوله « وزعم ابن سميحوت انه (ابيه الطيهوج) الفُـرَّيس ولم يصح . وقد ذكر الافرنج ما يقابله عندهم في لسانهم فقال فر بنغ هو الطرغلوديس (Motacilla troglodytes) وقال شَرُّبُونُو انه الضخم المنقار (Gros - bec) وذهب يابني انه الزرزور وهو في نظر (طُرَّة) ويسميه الدرّيس ايضاً طو بئر بقم في الغابات اسمه (pajarillo) او (Triguero) .

جئنا الآن الى معنى الكلمة . فقد رأينا في ما نقلناه من الأقوال ان كثيرين منهم يقولون انه الطيهوج ، لكن الطيهوج غير الحجل ، نعم انه من جنس الحجل او شبيه به ، لكنه ليس به . فالطيهوج هو المسمى بلسان العلم (Tetras bosania) لا كما قال احد الادباء انه (Ommoperdrix bonhami) إذن على من يؤلف المعاجم ان يتوخى اصدق المعاني والا لم يبق فيها فائدة .

ثم فتحنا بالاتفاق ايضاً الصفحة ١٤٥١ وفيها « الطزر محركة : النبت الصيفي معرب
تزر بالفارسية » اهـ . — قلنا : والكلمة الفارسية (تزر) تعني الآبَت الصيفي لا الآبَت
الصيفي ، لكن الرجل حاطب ليل ، يحطب في ما يحيط به من محيط المحيط ، فوجد العبارة
التي نقلها ، فأدى النقل بامانة ماوراءها امانة . ولم يلتفت الى صحة ما كتب . على ان
المعلم بطرس وجد هذا النقل في بعض دواوين اللغة فنقله ، إذ يرى وارداً في لسان
العرب . وخطأ الطبع سهل الوقوع . اما المحققون الآبَت فلم يفسروه الا بما فسرناه
اعتماداً على لفظه الاصلي الفارسي .

وذكر في مائة (ط غ م) الطغمة . قال « الطغمة (وضبطها بالضم) الجماعة
امرهم واحد » . فكم غلطاً في هذه الكلمات الاربع ؟ . (١) انه ضبطها بالضم وهي
بالفتح . (٢) ذكرها كأنها من حرّ كلام العرب وعتيقه . وهي مولدة . نقلها بـ ط ر
وأمثاله ، فدخلت كتب النصاري الدينية . (٣) لم يشر الى انها دخيلة حديثة النقل
في لغتنا وهي باليونانية (Tagma) . (٤) قال (الجماعة) ولم يذكر اي جماعة . أجماعة
الناس ، ام الحيوانات ، ام الطير ام السمك . اذ لكل هذه المخلوقات جماعات وقد يكون لها
شأن واحد كالحيوانات التي شأنها تقليد حركات الانسان ، كالطير التي شأنها الطيران على
وجه من الوجوه ، كالسمك التي شأنها نوع من السباحة . فعلى كل هؤلاء البرايا تصدق
الجماعة . وكان حقه ان يقول جماعة الناس ، لكن الرجل أراد ان يختصر فقصر . —
وفاته ان ينقل من محيط المحيط قوله وعند الحسابين ما بين الربوة والملك ، وهما [اي
الطغمة بمعنى الجماعة من الناس وبالمعنى الحسابي] من كلام المولدين اهـ . فلا يستعجال الشيخ
عبدالله في النقل نسي ان ينقل ثمة الكلام ، واهمل قوله من كلام المولدين ، فقطع العبارة ،
فجاءت الطغمة انها فصيحة في نظر من يبحث عنها في البستان .

وكلام محيط المحيط بقوله « بين الربوة والملك » أغلق على دوزي . فنقل العبارة
ووضع وراءها علامة استفهام كأنه لم يفهم المراد من هذه الرطبة الغريبة — قلنا
والصواب بين الربوة والملك لكن زاد المنضد من عنده شيئاً فانقلب الكلام طغمة طمانية .
احتجنا الى ان نطلب معنى (الطقس) اليونانية الاصل فرأينا يقول مفسراً ايها
« الطقس الطريقة . وغلب على الطريقة الدينية (نصرانية دخيلة) » اهـ . اما عبارة

محيط المحيط فهي هذه « الطقس ... يطلق عند النصارى على شعائر الديانة واحتمالاتها
معرب تكسيس باليونانية ، ومعناها نظام وترتيب ج طقوس » اه . فانت ترى من هذا
الكلام ان صاحب محيط المحيط فهم معناها أحسن من الشيخ . لان الطقس الشعيرة الدينية
و « الشعيرة واحدة شعائر الحج ، وهي مناسكه وعلاماته وآثاره واعماله وكل ما جعل
علماً لطاعة الله » (التاج) وهذا ما يسميه الافرنج (Rit, Rite) او (Cérémonie)
اما الطريقة الدينية فهي — على ما عرفها السيد الشريف الجرجاني — (السيرة المختصة
بالمالكين الى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات » اه . ومنها الطريقة القادرية
والنقشبندية والمولوية والرفاعية والبدوية والسهروردية والشاذلية والسوسية والدسوقية
الى غيرها . وهذا ما يسمى عند الفرنجية (Ordre) او (Congrégation religieuse .
وهناك ادلة عديدة على انه يتعسف الامور لجهله قواعد العربية ، فتراه يقول في مادة
ع م رس « العمروس ... ج عماريس وعماريس وهو نادر كقوله :

اولئك لم يدرين ما سمك الـرى ولا عـهـب فيها رثاـث العارـس » اه .

فانت تراه يقول « وعماريس وهو نادر » لانها عبارة محيط المحيط ، والقاموس
الفيروزبادي . وكأنه يجهل ان فعاليل ومفاعيل وافاعيل قد تحذف منها الياء في الشعر ،
كما ان فعالل ومفاعل وافاعل قد تشبع الكسرة في الشعر فيثولد منها ياء وكل ذلك غير نادر
بل كثير الوقوع في اشعارهم . سنفاض في منظوماتهم .

قال صاحب التاج في مادة (س ن د) وحديث مسند ، واحاديث مساند ومسائيد
بزيادة التخمية اشباعاً ، وقد قيل انه لغة . وحكى بعضهم في مثله القياس ايضاً . كذا قاله
شيخنا » اه . وقال المذكور في مادة ع ج ج « يوم معج ذو اعجاج . ورياح معاجج اي
ذات اعجاج . وضدها مهاوين . ومعجاج الريح التي تثير الغبار ، كما يصح ان تكون معاجج
جمع معجج . ومهاوين جمع مهوان . وقال ابن سيده يجوز ان يكون جمع مهوان
(التاج في هون) .

والظاهر من سرد البيت المذكور انه لم يفهم معناه ، لانه اورد رثاـث العارـس التي هي
جمع رثة بصورة (رثاـث) بثلاثين قبل الالف وبعدها ، ولا معنى لها يتسقى اتساقاً مقبولاً
في هذا البيت .

ومن غريب امره انه كثيراً ما يعرف الشيء او يحلّيه ، ولا يتصور حقيقة ما يقوله . فقد ذكر مثلاً في مادة (ع ن ج ر) ما هذا نصابه « عنجرا الرجل مدّ شفتيه وقلبهما ثم صات ، والعنجرة بالشفنتين والزنجرة بالاصابع » اهـ . — قلنا هل تصور الاستاذ الغروي معنى ما كتبه ؟ — لانه اذا مدّ الرجل شفتيه ، وقلبهما ، فكيف يمكنه ان يصوت بهما ؟ ان هذا الامر بعيد الوقوع . والذي ذكره الثقات من أئمة اللغة « عنجرا الرجل اذا مدّ شفتيه وقلبهما » ولم يزيدوا « ثم صات » لان الامر غير ممكن .

ومن جهله احكام هذه اللغة قوله في مادة (ع ن ز) « العنزة ، العنز » وهذا لم يرد في كلام رجل فصيح يحسن العربية ، انما يقولها بعض العوام لا غير . وكيف جاز له ان يذكرها في الفصح وقد تعدّد نبت العامي والمولد والوحشي من ديوانه ؟

ومن غريب امره ان ليس فيه سليقة معرفة الكلام العامي او فساد الحرف الخوشي ، فتراه يقول مثلاً في مادة (ع ن ظ ز) « عنظر عنظرزة ، صات كالعنز » وليس في دواوين اللغة هذه الكلمة ، انما هي من كلام بعض العوام ، الساقط كل السقوط ، فالرجل نقلها عن محيط المحيط . وهذا نقلاً عن فريتغ . ولما كانت عبارة فريتغ لاتينية وبطرس البستاني لا يفهم لغة الرومان أوّلها بالامني الذي ذكرناه . اما عبارة فريتغ اللاتينية فهي :

(eucurrit Saliens ut capra) ومعناها عدا قافزاً كالعنز ، فأين المدو قافزاً

من صوت العنز ؟ — والذي نعلمه ان فريتغ نقل عنظر من كتاب الف ليلة وليلة الذي طبعه هيجت (في ٨٢٤٢) ولم يعتبر احد كلام الف ليلة وليلة فصيحاً عالياً حتى يستخرج به او يؤخذ به او يدون في المعاجم تدوين الفصح . نعم لو ثبت على انه من العامي لما عترضنا عليه ، لكننا نعلم انه نفي من مجسده ما كان من هذه اللغة ولذا نعاتبه على خلط الفصح بالصحيح بالمسج القبيح .

وايست هذه المرة هي المرة الاولى اعتبر فيها العامي فصيحاً فقد وهم هذا الوهم عشرات ان لم يكن مئات . فقد ذكر العُنْقُوب والعُنْقُوت لبنانين . والعنقد والعنقربط لضربين من السمك وكل ذلك من كلام العوام . وهذا عن فريتغ ، وفريتغ عن بعض المستشرقين الذين قد لا يعرفون العامي من الفصح ، فنشأت من عدم تحقيق بعضهم هذه الفوضى في اللغة . اننا لسنا من الذين لا يودون تدوين العامي ، بل بالعكس نحب ان يُقَيّد ، لكن نريد ان ينسج عليه لكي يتميز عن الفصح ، اذ للكلام طبقات بعضها أرفع من بعض ، كما ان

للناس طبقات ، وللمعادن طبقات ، ولكل شيء طبقات ، يميز فيها الدون عن الرفيع القدر
والثمين . ومن الجهة الثانية ار الشيخ عبدالله اخذ على نفسه ان لا يلتفت الى كلام العوام ،
إذن لماذا عاد الى ما حجرة على نفسه .

يقول في مادة (ع ول) في ص ١٦٨٣ « ماله عال ومال » وفسرها هكذا : « دعاء
عليه . اي كثرت عياله وجار في حكمه » اه . ثم عاد الى هذا الكلام عينه في الصفحة
التالية فقال : « ماله عال ولا مال ، اي شيء » اه . وسبب وهمه هذا انه نقل مرة
عن قاموس الفيروز آبادي (وهي العبارة الاولى) ومرة عن محيط المحيط (وهي العبارة الثانية)
ولم ينسبه الى ما فعل يخالف بين الشرحين .

ويوفق له انه لا يفهم ما يكتب . فقد ذكر مثلاً في الصفحة ١٦٨٤ ما هذا نصه :
« العالة ، النعامة ورشيته الظلة يسوتها الرجل من الشجر يستثر بها من المطر » اه . فظن
ان النعامة هنا الطائر المهود . والدليل انه قبل معناها عن المعنى الذي يليها كما رأيت ،
والحال ان المراد بالنعامة هنا شبه الظلة . . . كما شرحها لكن جهل المعنى فوقع منه ما وقع .
وقد تأثر سيفي عمله هذا صاحب محيط المحيط فقد قال هو ايضاً ، العاله ، النعامة والظلة
يستثر بها من المطر . وكان حقه ان يقول : النعامة وهي الظلة . . . او النعامة اي الظلة . . .
او النعامة هي الظلة . . .

وقال في مادة (ع ي ه ن) « العيون نبت طيب » وهي عبارة محيط المحيط وهذا
النبت لا يعرفه احد لانه لا وجود له في للكون . والمعروف العيون لا سواء .
وقال مثلاً سيفي مادة (غ ر ر) « غرّ الراعي يغُرُّ [كيمد] » . . . رعى ابله . . .
و - الرجل والدابة أكل الغرّ غرّ [كسبب] . . . اه . وابل هذه الاوهام انه
ضبط مضارع غرّ بالضم وهو بالفتح في هذا المعنى الذي يشير اليه . وهناك غلط آخر هو
ان معنى غرّ يغُرُّ (المفتوح العين) رعى ابله الغرّ غرّ . فان لم يرعاها هذا النبت ، فلا
يقال غرّها يغُرّها . كذا نقله صاحب التاج عن الصاغاني . - ثم انه وضع الرجل
والدابة على مستوى واحد . وكيف يقبل العاقل ان يضع نفسه موضع الدابة ؟ والصواب
ان الرجل لا يأكل الغرّ غرّ بل الدابة لا غير . ثم انه ضبط الغرّ غرّ بفتح الغين المعجمتين
وليس للعرب نبات بهذا الاسم . والذي يعرفه السلف بهذا الرسم هو الغرّ غرّ بكسرتين

والدليل على ذلك انك لا تجد سبب كتابه الغرغر بفتححتين بل بكسرتين ؟ وقوله وغر الرجل والدابة ، اكلا الغرغر ، كان حقه ان يقول : اكل الغرغر حتى لا يرجع القول الى الاثنين معاً كأنهما شداً في قرآن واحد ، او كأن الرجل والدابة هما مما يجمع احدهما الى آخر ، مع الواو هنا ليست واو عطف كما توهمه ، بل واو تقسيم اي انها وردت بمعنى (او) ومثل ذلك ماجاء في لسان العرب ومعجمه وغيرهما . فقد قالوا في مادة (ذي ل) ذالت المرأة والناقة نذبل ، هنزت وفست . وأذانتها هنزاتها « اه . ولم يقولوها بالثنية . وقالوا اذال فلان فرسه وغلامه ، اذا أهانه « اه . ولم يقولوا اذا أهانها ترفعاً من جعل الواحد في مثلة الآخر . فهكذا يجب ان تكتب الكُتُبُ وتصف لا كما فعل . اما هو فقد عاد وقالها وهو غلط بفتح .

ولم يفكر ابداً في ان الغرغر (بكسرتين لا بفتححتين كما فعل) ، من الانبئة التي لانأكلها البشر وان كان ذلك ممكناً . فالغرغر على ما جاء في تاج العروس ولسان العرب عشب من عشب الربيع وهو محمود ولا ينبت الا في الجبل . له ورق نحو ورق الخزامى ، وزهرته خضراء . قال الراعي :

كأن القنود نلى قارح اطاع الربيع له الغرغر
وزباد بقعاء مولية ويهي انايبها نقطر

اراد اطاع زمن الربيع واحدته غرغرة « اه . وهذا العشب معروف الى يومنا هذا في دياراليمن واسمه عند العلماء (*Lavandula dentata*) . وقال مثلاً في مادة (ك ح ل) « تكحلت المرأة والارض (كذا) والحالنا كما كتحلنا في المانهين » . ومثل هذا التعبير لم يرد في كتاب من الكتب ، بل لم يرد في محيط المحيط نفسه فكيف بلغ به الامر الى هذه الدرجة من تحقير المرأة حتى انه ساواها بالارض . وقال مثلاً في المادة المذكورة « كحل بغيرأل ، ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث » ثم قال بعد ذلك « كحل ايضاً السنة الشديدة المجذبة ويجوز فيها المنع والصرف كمنه » — قلنا : فكيف منعها في الاول ثم جوزها في الآخر ، والصحيح انه يجوز فيها المنع والصرف فهي كمنه . — وفي تلك المادة « ويقال » صرحت كحل اذا لم يكن في السماء غيم . قال سلامة بن جندل :

قوم اذا صرحت كحل فحيتهم مأوى الضربك ومأوى كل قرضوب
والقرضوب هو الفقير . واي صلة بين خلو السماء من القيم وبين قول جندل ؟
أفاذا غابت السماء ، كان يمنع على ذلك القوم قرى الضيف ؟ فالمنى الذي اورد له هذا
البيت هو ان كحل جاءت للدلالة على الشدة الشديدة ، وهي من معاني كحل ، وليس
كما قال . افتدري ما فعل صاحبنا ؟ — ذكر هذا المعنى ولم يستشهد بهذا البيت الذي
يزيد كلامه قوة وأسراً ، بل ترك اللفظ والمعنى بلا سند ولا عماد من التنظيم .
وهناك غرابية أخرى هي انه نسي نص البيت الذي كان انشده في مادة (صرح) .
فقد ورد ثم بهذا الوجه شرحاً لقوله « صرحت كحل ، اية أجربت وصارت صريحة
اي خالصة في الشدة . قال سلامة بن جندل :

قوم اذا صرحت كحل فحيتهم مأوى الضيوف ومأوى كل قرضوب
ومن العجيب انه لا يستعمل الفاظ العصر بين الموجهة أحسن توجيه لا يتأخذها ، بل
يعدل الى الاعتماد على بعض مصطلحات البربر التي لا تعرف الا في ديار المغاربة او في
لغتهم ، وما ذلك الا لانها وردت في تاج العروس . نعم لو ذكر جميع الحروف الواردة
في التاج من أوضاع العوام التي دونها لما لم ناه ، لكنه ينثني قضا ويهمل قضياً . ذلك
مما تأباه النفوس العربية . فقد قال مثلاً في تلك المادة « المكحلة ايضاً : الآلة
يضرب بها بندق الرصاص في لغة المغاربة . يقال « هو يرمي بالمكاحل » وهو مجاز .
شبهت بمكحلة العين لما فيها من السواد » اه . ولم يعزها الى قائلها وهو صاحب التاج ،
هذا فضلاً عن انه لم يذكر البندقية ولا البارودة ، اللتين هما اصح استعمالاً من المكحلة
التي ترادفهما ، ثم من قال له ان تفسير الزبيدي هو الصحيح ؟ — نعم قد يصح وجه تأويله
وبقوله بعض الادباء او المتأدبين ، لكن هناك فارقاً لا يرضى بهذا التأويل الهزيل .
أما الذي يراه الغير فهو ان المكحلة سميت كذلك لان في نحو وسطها حفرة صغيرة كالمعين ،
تشبه المكحلة ، بوضع فيها البارود الذي يشبه الكحل بلونه ودقته .

الاب انتاس ماري الكرملی

عضو في المجتمع العلمي العربي



ادبنا القومي

- ٤ -

عود على بدء

الآن وقد فرغنا مما طرد فيه الكلام من الإلام بتاريخ النهضة اللغوية الحديثة، والعلل في الاختلاف بين لهجات الأدباء والكلام في القديم والجديد — نعود مستعينين بالله إلى الكلام في ادبنا العام أو (الأدب القومي) .

وقبل كل شيء ينبغي أن أقرر أن في مصر والحمد لله أدياً عربياً بارعاً وإن فيها شعراء لا يختلفون عن فحول الشعراء في أزكى عصور العربية ، وإن فيها كتاباً لهم من فصاحة البيان وقوة التبصر ما لا يقل عما أثر عن السابقين من أئمة البيان . وأزيد على هذا أيضاً أنهم اجدوا على اللغة نفسها بما طبعوا من الإلفاظ وما نظموا من الصيغ في إصابة المعاني الحديثة وإداء الأغراض الطريفة . ولا يمكن مؤرخاً أن ينسى في هذا الباب ما جاء به الشيخ حسين المرصني . وتلميذه البارودي . والشيخ محمد عبده . واللقاني . وسعد زغلول . والموليحي الكبير . والموليحي الصغير . ومحمود واصف . وإمين واصف . واسماعيل صبري . وأحمد شوقي . وحفني ناصف . وحافظ إبراهيم . و خليل مطران . وقاسم أمين . ولطفي السيد . وعبد الخالق ثروت . وأحمد زكي . والدكتور عبد الحميد بدوي . وطه حسين . وعبد القادر حمزة . والدكتور هيكل . ومحمد الهراوي . والمنفلوطي . والسكندري . وعباس العقاد . وإبراهيم المازني . ومصطفى صادق الرافعي . وعبد الرحمن شكري . وغيرهم كثير . فأنني لم أذكر من ذكرت على سبيل الحصر ، بل على سبيل التمثيل .

ولكن مما لا ينبغي أن يفوتك أيضاً أن هذه النهضة مازال يعوزها شيان : الأول أن مابعثت من ادب العرب وماجددت من لغتهم إنما ظل دائراً في الخاصة ، على حين ظل

سواد المصريين بنجوة عن تذوق بلاغة العرب ، فعكفوا على ادبهم الذي المات الى بعضه فيما سلف ، والذي سأعود اليه في شيء من التفصيل . والخلاصة انه لم ينبعث احد لتبسيط هذه اللغة وتيسيرها حتى تلتقى بروائعها أذهان جمهرة الناس ، او عمل على رفع مستواهم هم حتى يدركوها ويتذوقوا بلاغاتها .

اما الثاني فان جل ما تجدد في اللغة ونطرق منها الى احاطة المعاني الحديثة ، ان لم يكن كله ، انما كان من حظ المعنويات دون الماديات حتى اضطررنا الخاصة ، بله العامة . الى ان يعودوا في سبيل الترجمة عنها بالتعريب .

ومما يحسن ذكره هنا ان بلاغة الخاصة لا يتذوقها الا الخاصة وحدهم ، اما بلاغات العامة وأشباه الخاصة فالكل في تذوقها واستشعار حلاوتها بمنزلة سواء .

ولست في هذا المقام بمجشمتك ان تطالع على العامة ، بل وانصاف المتعلمين . بقصائد اسري القيس . وطرفة . والاعشى . ولبيد . والأحوص . وأراجيز روبة . والحجاج مثلاً . لتمتحن مداركهم وتستخير أذواقهم . بل أرر لهم من ذلك الشعر المرسل السهل اللين القائمة معانيه في ظواهر الفاظه ، او هو الشعر الذي يسميه صديقنا شاعر النيل بالشعر (الدباح) اطلم بهذا على العامة وانصاف المتعلمين ترحم حتى ان فهموه لم يتذوقوه ولم يحرك فيهم من الشجن كثيراً ولا قليلاً ، اذ تراه يهز نفوس الخاصة هنأ ، ويحز في كبودهم حزاً !

هلم فانشد العامة وأنصاف المتعلمين قول الشاعر :

اقضي نهاري بالحديث وبالمنى ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا بدا لي الليل هنئي اليك المضاجع
او قول الشاعر :

تعالى نجدد دارس العهد بيننا كلانا على طول الجفاء بلوم
وقوله :

ابكي الذين أذاقوني مودتهم حتى اذا أيقظوني للهوى رقدوا
واستنصوني فلما قت متهمضاً بشقل ما حملوني في الهوى قعدوا
لأخرجن من الدنيا وحبهم بين الجوانح لم يشعر به احد
وقول الشاعر

حدثوني عن النهار حديثاً أوصفوه فقد نسيت النهارا

وما زال يخني الحب حتى حسبته نفس في احشائه ونكلا

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القول فقد جئنا خراسانا
يا ليت من نتمنى عند خلوتنا اذا خلا خلوة يوماً تمنانا

احمامة الوادي بمنعرج اللوى بحياة من ابكاك ما ابكاك ؟
اما انا فبكيت من ألم الجوى وفراق من أموى أنت كذاك ؟

ولما تدانى البين قال لي الهوى رويداً وقال القلب أين تريد
وقال لي الغادون ما أنت مشتة غداة قطعنا الرمل ؟ قلت أعود

ولقد وقفت على ديارهم وطلوها بيد البلى نهب
وتلفتت عيني فمد خفيث عني الديار تلفت القلب

بامرحة الماء قد صدت موارده اما البك طريق غير مسدود ؟

و كنت اذا ماجئت سعدى بارضها ارى الارض تطوي اليّ ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودّ جليسا اذا ما انقضت أحداثه لو تعيدها

ولا التقينا قرب الشوق جهده شجيتين فاضا لوعة وعثابا
كأن صديقاً في خلال صديقه تسرب أثناء العناق وغابا

ايا برق ليس الكرخ داري وانما رماني اليه الدهر منذ ليالي

وهل فيك من ماء المعرة قطرة تغيث بها ظمآن ليس بسالي

الا يا حمامي قصر دوران هجتنا بقلبي الهوى لما تغنيتما ليا
وابكيتما في وسط صحبي ولم اكن أبالي دموع العين لو كنت خاليا

أأترك ليلي ليس بيني وبينها سوى ليلة إني إذن لصبور

واب مقيات بمنعرج اللوى لأقرب من ليلي وهانك دارها

فديتك أعدائي كثير وشقة تي بميد وانصاري لديك قليل
و كنت اذا ماجئت جئت بعملة فافنيت علاقي فكيف أقول؟

يا ليت ماء الفرات يخبرنا أين تولت باهله السفن

آخر شيء أنت في كل هجمة واول شيء انت عند هبوبي

وارحمنا للغريب بالبلد الناء زح ما ذا بنفسه صنعا

فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا تنفعا

ومن هذا الطراز في اشعار العربية كثير ، فها انشده العامة وانصاف المتعلمين ، بل وبعض المتعلمين فلوست بواجده متدحساً منهم الى نفس ولا محرراً فيها شجنا ، وهذا على سهولته وانكشاف الفاظه ، ووقوع معانيه اكثرها للآداب العامة !

والوجه في هذا واضح جلي : ذلك ان العلاقة بين الألفاظ والمعاني انما هي علاقة وضعية بيئية ، وان زعم بعضهم (كالصيري) ان هناك علاقة عقلية بين الالفاظ ومدلولاتها بحيث لو تجرد الانسان وشخذ حسه ، وتخلّى عن شواغله لوقع على المعنى من نفس اللفظ ما له به عهد من قبل . وهذا على بعده وغرابته لا ثراء يجدي من الجهة العملية كثيراً ولا قليلاً

فلقد نشأنا نسمع اللفظ ونبدل (بضم النون) على معناه ، وبحكم التكرار في اللفظ واستحضار المعنى ، كما وقع في السمع ينعقد بينهما تمام الاتصال حتى لا يكاد الانسان يحيل المعاني في قرارة نفسه من غير ان تقوم في الفاظها المقسومة لها . اما تصور المعاني مجردة من الفاظها فذلك من الشاق العسير .

ثم ان النفس تستريح الى اللفظ بطول ترديده وتقلب اللسان فيه . ثم ان الألفاظ فضلاً عن دلالتها على معانيها الاصلية بتطاول الزمن والاستعمال كثيراً ما تنم على دقائق لا ينم عليها غيرها . بل كثيراً ما يجهز عن تجليتها الشرح والتفسير .

فاذا كان الخاصة يتذوقون الآداب العربي وبطربون بروائعهم تعلموه وحذقوه وبلغوا السنين في حفظه وترديد النظر فيه . كما ان من حذقوا منا الفرنسية او الانجليزية مثلاً ودرسوا آدابها وقلبوا النظر في بدائع آثارها — يستريحون من غير شك ، اليها ، وبطربون بها .

وبعد فأت تعلم ان العامية هي الفاشية في البلاد . وقد استقرت الفاظها على مختلف المعاني من الزمان البعيد ، وجملت هي الاخرى نتناول من الدقائق ما لا يكاد يغني فيه الشرح والتفسير . كما استراحت اليها آذان العامة والخاصة جميعاً بطول الاستعمال وكثرة التكرير . ولأورد عليك طائفة يسيرة من الألفاظ العامية ، لعلك مستخرج من صحيح العربية ما يؤدي معانيها ، بل ومائمه عليه من الدقائق ، ولكن نفسك لا تستشعرها وتطبعها لحسك الا بعد العلاج الكثير في الزمان الطويل :

نقول : « فلان مزمق مني » و « فلان ماله كده بينقسم بالهجل » و « الكور اتلحق منه » و « بادوب توصل العصر » و « الواد ده ابن حنت » و « يقعد وينقسم » و « خده على مشمه » و « سابه يرن » و « فلان ده قنا » و « قل له ينبط » و « اما راجل مقص » و « وفلان راجل عمكي » و « فلان راجل صرم » و « التين المهبطل » و « كانت فلان يمهطه مهط » و « الولد صبح منيق » و « فلان ده مفلوت عياره » و « المسألة كانت يغمه » و « الولد ده دلوعة » و « استذوق » و « شوف لك قط غمضه » .

وارجو ان تبدل كل ما يقع لك من (القافات) في هذه الكلمات (همزات) هذه طائفة من الفاظ العامية يشترك كل منها معنى خاصاً ، ويجلي في نفسك صورة لا يستطيع ان يجليها

عليك غيره الا بطول الالف وكثرة العلاج والترديد .
 واقصد قلت لك فيما سلف ان للعامة احساسهم وعواطفهم ولا بد لهذه ان تخلج ولا بد
 لهذه ان تفرق ولا سبيل الى حقنها في الصدور حتى يأذن الزمان فيخذقوا العربية الخالصة ،
 ويطبعوا ملكاتهم على آدابها فكان لا بد لهم من ان ينحتوا آدابهم من لغتهم و بصوغوه من
 متواضع لغتهم فكان ثم على هذا أدب بارع تلون في عدة صور ولوضاع . منها الزجل ،
 ومنها الادوار ، والمواني ، والواوات ، والطقاطيق ، والمنولوجات ، والامثال ، والنكات
 البلدية ، او مايعبر عنه عندهم (بالقافية) والنطرف (القفش) وغير ذلك ولقد احسنوا
 من هذا في كثير .

واني فوق هذا لأزعم ان لغة العامة تمتاز على لغة الخاصة بشيئين : الاول اننا جميعاً
 نشأنا في العامية وبها نتحدث ونقاول في جميع اسبابنا . ولاتستثنى من هذا الخاصة انفسهم .
 فهي ألصق بنفوسنا وادنى الى طباعتنا ، وأقدر على تبين أغراضنا وتصوير عواطفنا .
 والثاني : انه اذا كانت أبلغ مظاهر الآداب هي الترجمة عما يعنلج في النفس من فنون
 الاحساس وألوان العواطف وكانت هذه مستمدة مما يلاسننا ويحيط بنا اذ ان لكل مسعى
 من ذلك في العامية اسماً ، وكل معنى لفظاً ، لان العامية لا تخرج ولا تنورع ، فان العامية
 من هذه الناحية أغنى وأعظم ، بالنسبة لنا ، وقرأ .

وهنا أرجو من القارئ الا يظلمني فيخلق بين منية الكاتب وبين مجرد تقريره للواقع وانا
 انما أقرر الواقع في رأيي على الأقل ، اما أمنيته واما سمعادي كلها فبان بثقلها ظل العامية
 عن البلاد بحيث تخلفها على الاسن كلها سيدة اللغات .

رسالة الكرم

- ٨ -

« عصير العنب والزبيب »

السُّلَافَةُ والسُّلَافُ بالضم من الخمر أخلصها وأفضلها وذلك إذا تحلب من العنب
والزبيب والتمر بلا عصر ولا مرث ما لم بعد عليه الماء بعد تحلب اوله . قال الراغب السلافَةُ
ما تقدم العصر . وفي المخصص اذا أتقعت الزبيب اياماً فأول ما يرفع من عصارته السلاف
ثم يصب عليه الماء فيكون ما يخرج منه بعد الماء نطلاً . وفي اللسان والسلاف ماسال من
عصير العنب قبل ان يعصر . وسلافَةُ كل شيء عصارته اوله .
الخُرطوم كزنبور اول ما يجري من العنب قبل ان يداس . وقال ابن الاعرابي انه
السُّلَافُ الذي سال من غير عصر .
سُجَّاجُ العنب ماسال من عصيره .
العُنفوان ماسال من العنب من غير اعتصار . وعنفوان كل شيء اوله وقد غلب على
الشباب والنبات .
الدبس بكسرة وبكسرتين عمل التمر وعصارته وقيل عصارَةُ الرطب وقيل ما تحلب
من الزبيب والعنب .
الصَّقَرُ والصَّقَرُ ما تحلب من العنب والزبيب والتمر من غير ان يعصر والصقر الدبس
عند اهل المدينة .
الصَّقَرُ الدبس ومنه نخلة مسقار بسيل سقراها اي دبسها .
الاسفَنَطُ بكسر الحزة مع كسر الفاء وفتحها المطيب من عصير العنب وقيل هي اعلى
الخمر وقيل خمر فيها افاديه وقيل هي الخمر الرومية . قال ابن السكيت وهي الاسفَنَطُ وهو

اسم بالرومية معرب وليس بالخمر انما هو عصير عنب . ويسمى اهل الشام لاسفنت الرساطون يطبخ ويجعل فيه افواه ثم يعتق وفي اللسان واهل الشام يسمون الخمر الرساطون وسائر العرب لا يعرفونه . ثم قال ومنهم من بقلب السين شيناً فيقول رشاطون .

نقدم ان النطل ماعلى طعم العنب من القشر وان النطل ما يرفع من نقيع الزبيب بعد السلاف ، بعد صب الماء عليه ثانية . والناتل الخمر والجرعة من الماء والابن والنبيذ . والنطل بالكسر خثارة الشراب . والمناطل المعاصر التي ينطل فيها .

النبيذ الشي المنبوذ والنبيذ مانبذ من عصير ونحوه . والنبيذ ما يعمل من الاشرية من التمر والزبيب والعسل والخنطة والشعير وغير ذلك . يقال نبذ التمر والعنب اذا ترك عليه الماء ليصير نبيذاً فصرف من مفعول الى فاعيل وسواء كان مسكراً او غير مسكر فانه يقال له نبيذ . و يقال نبذ النبيذ وأنبذه وانقبذه ونبذته ونبذت نبيذاً اذا اتخذته . ويقال للخمر المعتصر من العنب نبيذ كما يقال للنبيذ خمر .

الزبيبي بالفتح النقيع المتخذ من الزبيب .

النقيع والنقوع شراب يتخذ من زبيب ينقع في الماء من غير طبخ . والنقيع والمنقع ككرم كل ما ينقع تمراً كان او زبيباً او غيرهما كالعنب والقراصيا والتين وما اشبههما ثم يصنى ماءً ويشرب (والنقيع المحض من الابن يبرد كالمُنْقَع والنقيعة) . والنقوع ما ينقع في الماء من الليل لدواء او نبيذ ويشرب نهاراً وبالعكس .

وذلك الاناء منقع ومنقعة وبكسرهما . وفي اللسان والنقيع والنقوع شي ينقع فيه الزبيب وغيره ثم يصنى ماؤه ويشرب . والنقاعة ما أنقعت من ذلك . قال ابن بري والنقاعة اسم ما أنقع فيه الشيء .

الفقد بفتح فسكون ولا يحرك هكذا قال في القاموس وفي التاج وصوب الصاغاني تسكون القاف . وقد ضبط في اللسان بالشكل محرراً — شراب يتخذ من زبيب او عسل و يقال ان العسل ينبذ ثم يلقى فيه الفقد فيشده وهو نبات يشبه الكشوث وهو نبات يتعلق باعصان الشجر من غير ان يضرب بعرق في الارض .

القيديد بالكسر عصير عنب يطبخ ويجعل فيه افواه من الطيب ثم يفتق ويقال انه ليس بخمر وقيل هو الخمر .

الفضيخ عصير العنب • وشراب يتخذ من بسر مفضوخ • واللفضة بالكسر حجر يفضخ به البسر ويخفف • والمفاضخ الأواني التي يذبذ فيها الفضخ وقد تقدم • أفضخ العنقود اي حان ان يفتضخ وبعصر ما فيه •

البُخْتُج كقنفذ العصور المطبوخ واصله بالفارسية (مِبْخُتَه) اي عصير مطبوخ • الجمهوري بالضم اسم شراب مسكر او نبيذ العنب أتت عليه ثلاث سنين • وفي حديث النخعي انه اهدى له يخنج قال هو الجمهوري وهو العصير المطبوخ الحلال • وقال ابو حنيفة واصله ان يعاد على البختج الماء الذي ذهب منه ثم يطبخ و يودع في الاوعية فيأخذ أخذاً شديداً • وقيل انه سمي الجمهوري لان جمهور الناس يستعملونه اي اكثرهم • الصّـفـف والصّفـف شراب لاهل اليمن وصناعته ان يشدخ العنب ثم يلقى في الاوعية حتى يغلي • وقيل هو شراب العنب اول ما يدرك وقيل هو شراب يتخذ من العسل • والصّفـفان المولع بشرب الصّفـف وهو العصير •

الباذق بكسر الذاو وفتحها ما يطبخ من عصير العنب ادنى طبخة فصار شديداً • قيل اول من وضعه بنو أمية لينقلوه عن اسم الخمر •

الآخـذـر كفلس مأسـكر من عصير العنب لانها خامرت العقل • وقال ابو حنيفة قد تكون الخمر من الحبوب • قال ابن سيده واظنه تسخا منه لان حقيقة الخمر انما هي للعنب دون سائر الاشياء • وفي التاج الأشصح عند الجمهور ان الخمر عام اي هو عصير كل شيء يحصل به السكر •

والخمر يذكرون وثوث والأعراف فيها التأنيث • وذكر في التاج والمصباح ان الاصمعي أنكر التذكير ولكن كلامه في كتاب النخل والكرم يخالف هذا فقد قال فيه : قالوا هي الخمر وهو الخمر مذكور وثوث لغتان • وفي اللسان والخمر ما خمر العقل وهو المسكر من الشراب وهي خمرة : خمر وخمور مثل قمر وقمر • وفي القاموس الخمر مأسـكر من عصير العنب كالخمرة • وفي المصباح ويجوز دخول الماء فيقال الخمرة على انها قطعة من الخمر كما يقال كنا في لمة ونبيذة وعسلة اي في قطعة من كل شيء منها •

وخنجر الرجل والدابة يخنـره خمرأ سقاء الخمر والمُخـنـجـر كحدث متخذ الخمر والخمارة بئرها • ويقال غالب الخمر فلاناً اذا شربها فذهبت بعقله او بصحة بدنه •

والغول الصداع أو السكر وبه فتر قوله تعالى : « لا فيها غول » ولا هم عنها ينزفون »
 أي ليس فيها غائلة الصداع . وقال أبو عبيدة : الغول أن يفتال عقولهم وأنشد :
 وما زالت الخمر تغتالنا وتذهب بالأول الأول
 أي توصل إلينا شرّاً وتعتمدنا عقولنا .

وعنب خمري يصلح للخمر ، ولون خمري يشبه لون الخمر . وقد تقدم أن العنب
 يقال له الخمر كما يقال للخمر العنب . ويقال للخمر سويق الكرم . أنشد سيبويه لزيد
 الأعمى :

تكلفني سويق الكرم جرم وما جرم وما ذاك السويق
 وما عرفت سويق الكرم جرم ولا أغلت به مذ قام سوق
 فلما نزل التحريم فيها إذا الجرمي منها لا يفبق
 ويقال للخمر ام اخل .

السكر بفتح السين والكاف الخمر المعتصر من العنب قال ابن الأثير هكذا رواه الأثبات
 ومنهم من يرويه بضم السين ومكون الكاف . والسكر النباذ .

اخل كفلس ما حمض من عصير العنب وغيره جمعه خلول كفلوس سمي بذلك لأنه
 اخل منه طعم الحلاوة . يقال اخل الشيء إذا تغير واضطرب . واخل واحدة خلة
 يذهب بذلك إلى الطائفة منه . وقال أبو زيد جأوا بخلة لم فلا أدري أعني الطائفة من
 اخل أم هي لغة فيه كخمر وخمرة . ويقال خل الرجل النبيذ تخليلاً إذا جعله خلاً .
 ويستعمل لازماً فيقال خل النبيذ إذا صار بنفسه خلاً . وتخل النبيذ في المطارعة .

قال الأصمعي وإن أردت صنعة اخل أخذت من العنب ما بدا لك فتزج ثمار يقه
 وتلقي بعضه على بعض في جرة وتتركه حتى يجود ثم تصفيه فتعزل ماء الأول وتصب على
 النطل من الماء ما يغمره فإذا احتاج إليه صفي ماؤه . واستعمل وترك الماء حتى يدرك . وقال
 آخر يصب على العنب مثلاً من الماء ويترك حتى يحدق أي يحمض ثم يصفى ويصب مثلاً
 يؤخذ منه ولم يصف .

وخل الرجل البسر جعله في الشمس ثم نفضه باخل ثم جعله في جرة وكذا غير البسر
 كالخيار والكرنب والبادنجان والبصل . فهو مخلل . والاختلال اتخاذ الخل من عصير العنب

والتمر . وفي اللسان والتخليل اتخاذ الخل . والخلال كشداد بائع الخل وصانعه .
وخالط الخمر وغيرها من الاشربة تخليلاً فسدت وحمضت وخلل شراب فلان اذا
فسد وصار خللاً .

وفي المثل ما هو بخل ولا خمر اي لا خير فيه ولا شر . وحكى ثعلب ما له خل ولا خمر
اي ماله خير ولا شر .

التجبر كرجيف . تقدم ان التجبر ثقل كل شيء بعنصر . والتجبر ما عصر من العنب
فجرت سلافته وبقيت عصارته ويقال هو سفل البسر يخاط بالتمر فينذب . وقال ابو حنيفة
يقال لما بقي من ثقل العنب التجبر . والتجبر طرح التجبر في النبيذ يشند وهو الخمر فان
طبخ بعد ذلك حتى يؤند به ويشرب ولا يغلى فقد ارتب وهو الرب وأعقد وهو العقيد
وكل شيء بطبخ حتى يتخن فقد أعقد . وقال ابو عبيد أعقدنه حتى أعقد بعقد وهذا في
القطران والرب والعسل ونحو ذلك . وقال ابو حنيفة ويسمى ذلك العقيد دبس العنب
وهو الطلاء تشبيهاً بطلاء الابل .

الرب بالضم الطلاء الخاثر وقيل هو دبس كل ثمرة وهو سلافة خثارتها^(١) بعد
الاعتصار والطبخ والجمع الرباب والربوب .

وارتب العنب اذا طبخ حتى يكون رباً يؤندم به . قال الأصمعي قال الطائي اذا
أردت صنعة الرب اخذت من الغريبب والأقماعي الفارسي او الأقماعي العربي او النوامي
ما بدا لك حين يعقد فتغمله وإغماله ان تجعله في غرارة او مكث فتصب بعضه على بعض
فتدعه في الشمس ثلاثاً او اربعاً ثم تفضحه ثم نصفه وتجمعه في قدر متوقد وقوداً غير شديد
وتخرج رغوته وزبدته وتطبخه حتى يعقد . وقال غير الطائي غمله يغمله .

وان أردت صنعة المربث^(٢) اخذت ثمار بق العنب والحبة فبستهما ثم دقتهما دقاً
شديداً ثم بللتهما بفضيخ العنب شيئاً ثم نلته برغووة الرب ثم شيء (كذا) من رب تخلط فيها

(١) الخثارة بالضم البقية . (٢) لم نجد المربث في اللسان والتاج ولعله فعيل بمعنى مفعول

من مرث الشيء في الماء اذا انقع فيه او من مرثه لينه حتى صار مثل الحساء ثم نجساه ويقال
مرثه اذا مرسه في ماء وغيره حتى ينفترق اجزؤه .

شيثاً من سويقي البلسن وهو العدس فتكبه به . وقال بعضهم المريث يعمل من سويقي البلسن ومن اليهش^(١) يعني المقل ومن النطل ومن الثفاريق ومن الحَدَل^(٢) والحدل شجرة تكون بهيمة يقال لها الاغاليق فذلك ما كان طحن ثم سقي الرُب والحدل يعمل من الطفق وهو مما وصف الحمصيص^(٣) يربب بعصير العنب ثم يؤكل .

الطلاء ككتاب ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه . وفي القاموس الطلاء خاثر المنصف^(٤) . وقال ابن الاثير هو بالكسر والمد الشراب المطبوخ من عصير العنب قال وهو الرُب واصله القطران الخاثر الذي تظلي به الايبل . والطلاء في اللغة كل ما طليت به .

وبقال عقد العسل والرُب ونحوهما يعقد وانهقد وأعقدته فهو معقد وعقيد اي غلظ . وكذلك عقيد عصير العنب . ويقال للقطران والرُب ونحوه أعقدته حتى تعقد . وفي القاموس عقده تعقيداً أغلظته حتى غلظ كأعقدته .

عضو المجمع العلمي
سليم الجندي

—•••••—

(١) اليهش رديء المقل وقيل الرطب من المقل والخَشَل بابسه والملج نواه والختي سويقه . (٢) في اللسان الحَدَل شجر بلبادية وقال الصاغاني صوابه بالذال . (٣) في اللسان الحمصيص بقله دون الحماض في الحموضة طيبة الطعم واحدته حمصيصه وقال ابو حنيفة بقله الحمصيص حامضة تجمل في الاقط نأكله الناس والايبل والغنم . ولا يخفى ما في هذه العبارة من الركاكة والغرابة اللتين تدلان على براءة الاخصمي من هذا الكتاب وقد أشرنا الى ذلك في المقدمة . وانا لم أجد للطفق ذكراً في اللسان والناج وغيرهما مما لدينا من كتب اللغة .

(٤) والمنصف كعظم الشراب يطبخ حتى يذهب نصفه .

آراء وافكار

واسطة السلوك

« في سياسة الملوك »

— ومثال رائع من أمثلة الحضارة العربية —

وصف السيد محمد السعيد الزاهري « تلمسان — الجزائر » كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك تأليف السلطان ابي حمو موسى بن يوسف احد ملوك بني زيان بمدينة تلمسان (مجلة المجمع العلمي م ١١ ص ٩٧ - ١٠١) وذهب الى انه « لا يزال مخطوطاً لم ينشر بعد » . والحق ان الكتاب قد طبع في تونس سنة ١٢٧٩ هـ كما ورد في « كشف القنوع بما هو مطبوع » (ص ٣٨٧) ويقول زبدان في تاريخ آداب اللغة العربية (م ٣ ص ٢٥٩) انه طبع في الاسنانة ايضاً سنة ١٢٩٥ هـ .

اما الطبعة التونسية وهي في (١٧٥ صفحة) بقطع متوسط ، في كل صفحة ٢٦ سطر وفي كل سطر زهاء ١١ أو ١٢ كلمة . وقد عني بتصحيحها الشيخ محمود قبادو ومحمد البشير التواني ، ونجز طبعتها « . . . » بطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية سنة رابع ثاني الاربعين سنة تسعة (?) وسبعين بعد المائتين والالف من الهجرة . « . وصدرت بكلمة نصف بعض نواحي المؤلف زعموا انها ترجمته ، وقد استوعبت صفحة وبعض صفحة ، ومن الخير ان نربي طرفاً منها على علاته فان فيه حديثاً رائعاً اذا صح كان غرة شاذخة في جبين الحضارة العربية يضاف الى ما فيها من غرر معلومة وحجول .

ودونك ذلك « الحمد لله . ذكر ترجمة المؤلف ، هو السلطان ابو حم (؟) موسى بن يوسف احد ملوك بني زيان بمدينة تلمسان ، وكان رحمه الله يحتفل ليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الاحتفال بما هو فوق مواسم العام على ما هو متقول من ربح الارواح

ومن نظم الدر والعقيان فيقيم مدعاة (?) يحشر لها الناس عامة وخاصة فما شئت من غمارق مصفوفة ، وزراحي مبشوة ، وبسط موشاة ، وسائد بالذهب مغشاة ، وشمع كالاصطوانات (?) وموائد كالحالات ، ومباخر صفر ، منصوبة كالقباب يخالها المبصر من نهر ، وبفاض على الجميع أنواع الأطعمة ، كأنها أزهار الربيع المنمحة ، تشتهيها الأنفس وتستلذها الأعين . ويعقب ذلك يجنفل المسمون بامداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وبقرب السلطان خزائن المنجانة قد زخرفت كأنها حلة يمانية لها أبواب مجوفة على عدد ساعات الليل الزمانية فمهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها وفتح عند ذلك باب من ابوابها وبرزت منه جارية صورت في أحسن صورة ، في يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطورة فتضعها بين يدي السلطان بلطافة ، ويدها اليسرى على فمها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافة . هكذا حالم الى انبلاج الصباح ، ونداء المؤذن : حي على الفلاح»

وقد أشار الزاهري الى ان النسخة التي يصفها لم يذكر في اولها اسم المؤلف وانما ذكرت بعض اخبار بني زيان وذكرت معها اوار يخنها يستطيع الباحث ان يعلم منها اسم المؤلف وانما هو موسى بن حمو (?) ما فيه من شك ، ثم أورد بيتين من قصيدة المؤلف في الكتاب تأييداً لما ذهب اليه ، وهما :

وانا موسى بن حمو أصلح للملك ولا (?) يصلح لي
فأنا للطفل كوالده وأسوق الشيخ على مهل

والطبعة التونسية تصرح باسم المؤلف في فاتحة الكتاب تصرحاً لا تبقى معه حاجة الى الاستدلال بالشعر وما اليه ، وهذا نص ما جاء فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد . كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك تأليف الامام الملك الهام الاسد الغرغام امير المسلمين مولانا موسى بن يوسف ابوحمو بن زيان العبد الوادي رحمه الله تعالى . الحمد لله الذي لم يزل ولا يزال ، وهو الكبير المتعال ، خالق الأعيان والآثار ، ومكوثر الليل على النهار »

وقول الزاهري « هو موسى بن حمو » من خطأ الطبع فيما يظهر لانه ذكر مراراً

وَأَنَا بِرُؤُوسِي وَأَبُو حَمْرُو أَصْلَحُ لِلْمَلِكِ وَيُصْلِحُ لِي

بغداد : محمد بشيرة الاثري

—《※※※※※》—

مطبوعات حديثة

الشرع الدولي في الاسلام

« وضعه السيد نجيب الارمنازي »

— الحكيم في الحقوق والمجاز في العلوم الدولية العليا —

Les principes Islamiques

&

Les rapports Internationaux en temps de Paix et de Guerre .

الناس الآن اقلهم ، يأخذون الامور بظواهرها ، ويتوهمون الحاضر صورة عن الماضي ، فاذا رأوا أمة ناهضة خيل اليهم انها كذلك منذ كانت ، وأخرى عائرة حسبوا العتسار طبعاً فيها ، لا انقال منه . وهم بعد ينسبون الى الاول كل محممة عرفوها . وبلصة وبت بالثانية كل مثلية انكروها .

ولقد لقينا نحن العرب من هذا الامرين . عرفنا الناس وقد اضعنا تراثنا القديم ، فقاموا على حاضرنا الباهت ، ماضينا الزاهر ، فجاءت احكامهم فينا مغلوطة جائرة . ولقد نفطن لذلك فريق من الناشئين النابهين ، الذين قصدوا في طلب العلم الى دار الغرب ، فجدوا في التنقيب عن أمجادهم الغابرة ، وعلومهم المنسية ، وناولوا في أطروحاتهم العلمية طائفة من علوم العرب وآرائهم وأقوالهم التي توافق — من حيث المبدأ والاساس — كثيراً من علوم العصر الحاضر . وقد أشرنا في هذه المجلة الى كثير من هذه الاطروحات القيمة . وبين أبدينا الآن أطروحة السيد الارمنازي .

والموضوع دقيق ، بل هو ايضاً غريب على السمع وقعه (الشرع الدولي في الاسلام) فهل في الاسلام شرع دولي ؟ وهل كتب العرب في شيء لم نعرفه الام الا في العصور

المتأخرة ؟ ام هي خطرات يسوس بها شيطان الفرور في صدور هذه الامم المتناغية بماضيها ، فتكثر من التحدث عن مفاخر ، منها ما كان ، ومنها ما لم يكن . شنشة معروفة تبي في العاجزين ؟

هذا اول ما يتبادر الى ذهن القاري او السامع ، ولست انكر ان مثل هذا البحث يتطلب مدارة وعناء حتى يستخرج المؤلف من حادثات الماضي ووقائمه ، ما ينطبق على ما أسموه بـ « الحق في الدولة » . غير ان جهود السيد الارمنازي وعلمه ، وخصب التاريخ العربي ، ومنابع السياسة الشرعية الاسلامية ، كل هذا ، ذلل جميع تلك الضعاب . فاذا بالذي كان شكاً يصبح يقيناً ، واذا بالمرتاب يعود مؤمناً ، والمنكر يرجع نقرأ ، بعد الحقائق التاريخية التي آتى بها المؤلف .

فهو يسرد الاسس التي يتعين على المسلمين ان يجروا عليها في معاملة غير المسلمين : محاربين او مسلمين ، اشخاصاً كانوا ام دولاً . في دار الاسلام وفي خارجها . ويلم بشريعة الحرب ، ومذاهب المسلمين في القتال ، وفي السياسة العسكرية ، وفي السلم والتحكيم ، والامان والمعاهدات . ثم ينو بالالعلاقات السياسية والتجارية التي أقرها الاسلام ، وفيه بحث الرسل والسفراء .

هذه خلاصة بعض الابحاث القيمة التي عالجها السيد الارمنازي . ولقد انفرذ دون باقي اخوانه بان نقل كتابه هذا الى العربية بلغة عالية ، وتبسط في البحث فأق بالحنين ، واستحق الشكر مراتين .

عارف النكدي



نشرة الجمعية الحلدونية

« بتونس عن السنة ١٩٣٠ » .

اذا قيل للشامي ان في تونس جمعية علمية أهلية لها مدرسة تجهيزية تحتوي في قسميها الابتدائي والثانوي نحو ٦٠٠ تلميذ يدرسون العربية لا مستغرب الأمر ولما صدق هذا التنبأ . ذلك ان انقطاع الصلات بين الشام وتونس جعلتنا نعتقد ان هذا القطر العربي المحمدي عليه علمك وادبكم واقتصادياً إن عاجلاً وإن آجلاً . وقد جاءت هذه النشرة لتدفع عن هذا

الوم وثني بان هالك نهضة علمية وأدبية لا بأس بها اليوم قد تأتي باينع الثمار اذا تعاهدما المستنيرون من التونسيين بعزيمة وثبات .

أسست الجمعية الخلدونية سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) وغايتها نشر المعارف بين التونسيين وارسال بعثات مدرسية الى فرنسا وتأسيس دور للكتب واظهار مدنية العرب للفرنسيين ومدنية الفرنسيين للعرب بنشر جريدة عربية فرنسية .

وقد جعلها مقام الباي العالي تحت رعايته وانخرط في سلكها كثير من وجهاء البلاد وافتتحت مدرستها منذ ذلك الحين فأخذت تسير الى الأمام سيرا مطردا حتى قارب عدد تلامذتها اليوم ٦٠٠ تلميذ وصار لديها خزانة كتب تحوي خمسة آلاف مجلد تقريبا منها مخطوطات نادرة . وبلغ معدل الذين يختلفون اليها للمطالعة ألف مطالع في الشهر وهو عدد لا يستهان به في تونس .

واتضح لنا من برنامج الدروس ان المدرسة الخلدونية تعادل الصف التاسع او العاشر من مدارس التجهيز لدينا ، وان فيها علاوة على ذلك محاضرات يلقيها بعض الأساتذة في تاريخ آداب اللغة العربية والاقتصاد السياسي وحفظ الصحة والمواقف الحاسمة في تاريخ الاسلام . وعدد هذه المحاضرات خمس في الاسبوع وهي مباحة لطلاب الفائدة من الأهلين . والجمهور يقبل على استماعها حتى ان عدد المستمعين لا يقل عن ٢٠٠ - ٣٠٠ مستمع لكل محاضرة .

وجاء في النشرة نموذج من تلك المحاضرات يدل على فضل المحاضرين وتضلعمهم بالموضوعات التي يعالجونها كمحاضرات الاستاذ ابن عاشور في القاضي الفاضل وفي محمد المويلحي والاستاذ عثمان الكماك في ديانة ابن المقفع وفي ابي السلط أمية بن عبد العزيز ، والاستاذ احمد المهدي النيفر في الأعشى .

وجاء فيها ايضا مقالة في « شهيرات الدور الحفصي » للعالم الكبير حسن حسني عبدالوهاب احد اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق عن كتاب « شهيرات التونسيات » تأليف الموما اليه وهو لم يطبع بعد ، ومقالة ممتعة عنوانها « مصير الأندلسيين » لمحمد الطاهر بن عاشور كبير اهل الفتيان من السادة المالكية ، وبمحت أدبي علمي عن النحل للاستاذ مصطفى الكماك المحامي ورئيس جمعية قدماء الصادقية ، وفصل في الجاذبية العالمية للأجرام

الحموية بقلم الأستاذ الهادي الكسوري مدرس علم النملك في الخلدونية ، وكلمة في حفظ الصحة للدكتور محمود الماطري .

فخيا الله جهود اعضاء الجمعية الخلدونية ورئيسها الأستاذ عبدالرحمن الكعك وحيدا لو طبعوا أهم المحاضرات في كتاب على أجزاء وجعلوا تلك المحاضرات نذناول العلوم المادية أحيانا وزادوا في صفوف المدرسة وعلومها حتى تعادل مدارس التجهيز في الشام ومصر واوربة .

« الشهابي »

تاريخ الحركة القومية

— وتطور نظام الحكم في مصر —

« الجزء الثالث في ٦٣٥ ص من القطع المتوسط »

« تأليف عبد الرحمن بك الرافي »

من الكتب مالا تكاد نقرأ في واحدما بضم صفحات حتى تحس بقوة عجيبة تطبق جفتيك خشيئا وتبعث بك الى عالم الأحلام . ومنها التي هي على العكس من ذلك سحابة أخاذة تغفل في النفس فعل النشوق من الأثير فيأبى الجفنان ان ينطبقا ألا على آخر كلمة منها . وبودهما لو طالت صفحاتها أضعافا .

وبعد ان كتاب الاستاذ الرافي هو من القليل الثاني أي من الكتب التي تستهويك بسلاسة عبارتها وغزارة مادتها وسلسلة أبحاثها . ولقد كنت تكلمت في الصفحة ٢٥٣ من المجلد العاشر عن الجزءين الأول والثاني وهما يتناولان بدء الحركة القومية المصرية في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر أي منذ ما احتل نابليون مصر الى ان ارتقى محمد علي الكبير أريكة الحكم فيها . اما الجزء الثالث فهو يبحث عن عصر ذلك الرجل الكبير الذي كفل استقلال مصر وشاد فيها صرح القومية الباذخ وكاد يحقق غاية العرب الخلاص ببناء مملكتهم الكبرى لو لم نخنه الدول الاوربية ونألب عليه وبرأسها انكلترا . وهو يحوي ١٧ فصلا كل موضوعاتها مهمة كالزعامة الشعبية في بدء حكم محمد علي والحملة الانكليزية سنة ١٨٠٧ وفشلها وانفراد محمد علي بالحكم بعد اخفاء الزعامة

الشمسية وحرب الوهابية وفتح السودان وحرب اليونان والحرب في الشام والافاضول ومما عدا لندن والجيش والاسطول والمدارس التي فتحت في مختلف العلوم والبعثات التي أرسلت لتلقي العلوم في أوربة وأعمال الاستقاء والأعمال الزراعية والصناعية ونظم الحكومة وأحكامها وحالة مصر الاجتماعية والحكم على عصر محمد علي .

وختام الفصول فصل في إبراهيم باشا ذلك القائد الباسل الذي يعد من أكبر قواد العالم والذي كان يجاهر بأنه ينوي في فتوحاته إحياء القومية العربية وإعادة استقلال العرب اليهم . وقد نقل المؤلف الفاضل جملة عنه ينطوي تحتها سياسته وسياسة أبيه العظيم وهي « أنا لست تركياً فاني جئت مصر صبياً ومنذ ذلك الحين قد مصرتني شمسها وغبرت من دمي وجعلته دماً عربياً » .

وكانت فرصة تساعد محمد علي في سياسته لكنها تغلت عنه بتأثير انكلترا التي كانت من أعدائه . وكان حكم المصريين في بلاد الشام أعدل من حكم الأتراك وذكر المؤلف الفاضل رأي بعض مؤرخي الشام في هذا الصدد ولا سيما رأي رئيسنا الجليل صاحب خطط الشام فقد نقل عنه المؤلف بضع صفحات قارن فيها حكم الترك بحكم المصريين وأظهر حسنات الحكم المصري في الشام وبين كيف قضت الدسائس الأجنبية وخاصة الانكليزية على فكرة الدولة العربية الكبرى .

والخلاصة ان الجزء الثالث من سفر الاستاذ الراجعي هو أثنى موجز تاريخي لأعمال محمد علي العظيمة وهو من الدروس الوطنية التي يجب على كل شاب مستنير تلاوتها بامعان .

« الشهابي »

حركات الاعراب

« في اللغة العربية »

— فائدتها ، من اين جاءت ، كيف وضعت ، آخر عهد البادية بها —

من البديهي ان مفردات اللغة مؤلفة من الألفاظ وان مادة اللفظ لا تعدى حروف الهجاء . ولكن للحروف هيات في اللفظ من حركات وسكون يُطلق عليها على سبيل التغليب اسم الحركات ، وهذه الحركات اما عارضة لمادة الكلمة ومبناهما ، او عارضة لآخرها . وتسمى الاولى حركات المباني كما في حركات غمَز غمَر غمِر غمِر غمَر غمَر غمَر فهذه الكلمات الست مع اتفاقها في الحروف وترتيبها مختلفة المعنى باختلاف حركاتها اختلافاً من أصل الوضع .

وتسمى الثانية حركات الاعراب او (علامات الاعراب) لانها تعرب عن مراد المتكلم بموقع الكلمة من الجملة ، ولا تؤثر هذه الحركة بمعنى الكلمة الوضعي شيئاً ، فسميد في قولك رأى سميد احمد هو سميد نفسه اذا رفعته فاعلاً او نصبته مفعولاً به ولكن حاله واقعاً منه الفعل غير حاله واقعاً عليه الفعل وانما يعرف اختلاف حاله من اختلاف حركات الاعراب .

فائدتها

ان هذه الحركات تؤثر أثرها في المعنى التركيبي خاصة وتعطي الجملة ايجازاً بديعاً لا مثيل له في غير العربية من اللغات فيما أحسب والايجاز في اللفظ مع الوفاء بالدلالة على المراد من أعظم ميزات اللغة . انظر الى قولنا ما أحسن زيداً فانك تجد لهذه الكلمة ثلاثة معانٍ تختلف باختلاف الحركات في أواخر كلماتها مع بقاء مبانيها وتراكيبها اللفظية كما هي .

ونقول ما أحسن زبداً بنصبها وانت تربد استجب فيكون قائماً مقام قولك أعجب كثيراً لحسن زيد . (٢) ونقول ما أحسن زيد برفع أحسن وخفض زيد وانت تربد الاستفهام وهو قائم مقام قولك استنهم عن أحسن شيء في زيد . (٣) ونقول ما أحسن زيد نفتح أحسن وترفع زبداً وانت تربد الاستفهام أيضاً وهو قائم مقام قولك استنهم عن ماهية احسان زيد .

ثم انظر الى قولنا هذا كريم أحسن منه عالم فاذا رفعت كريماً وعالمًا كان المراد بهما شخصين اثنين احدهما كريم والاخر عالم ولكن العالم أحسن من الكريم واذا نصبتهما كانا شخصاً واحداً عالماً وكريماً لكنه في كرمه أحسن منه في علمه .

وانظر الى قولنا كم كتاب قرأت فاذا رفعت كتاباً كنت مریداً الاخبار بكثرة ماقرأت من الكتب واذا نصبته كنت مرید الاستفهام على حقيقته .

قال ابن قتيبة في كتابه مشكلات القرآن مانصه :

« وللعرب الاعراب الذي جعله الله وشيئاً لكلامها وحلية لظامها وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين كالفاعل والمفعول لا يفرق بينهما اذا تساوت حالهما في الإمكان الفعلي ان يكون لكل واحد منهما — الا بالاعراب ولوان قائلاً قال هذا قاتلٌ اخي بالنووين ، وقال آخر هذا قاتلٌ اخي بالاضافة لدل بالنووين على انه لم يقتله وبجذف النوين على انه قتله .

ولو ان قارئاً قرأ : فلا يحزنك قولهم انا نعلم مايسرون وما يعلنون . وترك طريق الابتداء باننا واعمل القول فيها بالنصب على مذهب من ينصب ان بالقول كما ينصبها بالظن لقلب المعنى على جهته وأزاله عن طريقته وجعل النبي محزوناً لقولهم ان الله بهلم مايسرون وما يعلنون وهذا كفر من نعمده وضرب من اللحن لا يجوز الصلاة به . وقال رسول الله (ص) لا يقتل قرشي صبراً بعد اليوم فمن رواه جزماً أوجب ظاهر الكلام ان لا يقتل إن ارتد ولا يقتل منه ان قتل . ومن رواه رفعاً انصرف التأويل الى الخبر عن قريش انه لا يرتد احدٌ منها عن الاسلام فيستحق القتل . فما ترى الى الاعراب كيف فرق بينها » . ثم قال : وقد تكشف الشيء . مان فيشتق لكل معنى منها اسم من ذلك الشيء

كاشتقاقهم من البطن الخحيص (مبطَّن) وللمعظم البطن اذا كان خلقة (بطين) فان كان من كثرة الاكل قيل (مبطان) وللمنهوم (بطين) وللعليل البطن (مبطون) انتهى .
في كل هذا انما اختلف المراد باختلاف الحركات الاعرابية مع ان الجمل المذكورة لم يتغير شيء من تركيبها ونسبتها غير علامات الاعراب ولكن المعنى التركيبي قد تغير معها تغيراً لا يستهان به كما سمعت من كلام ابن قتيبة .

وكذلك اذا قلت علم زيد خالد الكتاب لا تعلم ايها المعلم وايها المتعلم فاذا رفعت ونصبت عرفت ان المرفوع المعلم والمنصوب المتعلم تقدم او تأخر لا فرق وبقي للتقديم والتأخير افادته الخاصة من البيان . فاذا طرحنا الحركات جانباً وجعلنا الدلالة على الفاعل تقدمه وعلى المفعول به تأخره على ان تجعل الفاعل واجب التقديم مطلقاً كما اذا كانا موصورين — فائلك النكات البهانية والمعاني التي يأتي بها تقديم المتأخر او تأخير المتقدم وهي افادات تأتيك من ترتيب الجملة دون زيادة في اللفظ وهذا من خصائص العربية فيما أحسب وقد أسهبت القول قليلاً في فوائد الاعراب في اللغة ليعلم ان القول بتفضيل اهمال الحركات على استعمالها لان المعنى لا يفسد باهمالها فكل أبناء العربية يفهمون من قولنا زيد مسافر بالتسكين كما يفهمون زيد مسافر بالتحريك — ليعلم ان هذا القول — عجيب لاسباب من علامة مدقق ذي خبرة على الفصحى كصاحب المقتطف . وقد ظهر مما تقدم من القول ان كثيراً من الجمل اذا اهمل فيها الاعراب اشبه على السامع فهم معنى الجملة لانها تحتمل معاني لا يميزها الا الاعراب او إطالة الجملة بكلام يدل على المعاني المرادة .

من اين جاءت

من الحقائق التي لا أحسب ان فيها جدالاً او يكون فيها جدال غير معتد به ان العرب الذين قلّ امتزاجهم بغيرهم من الام كانوا أحفظ لجدّة اللغة ولقديمها من غيرهم لان الامتزاج بغير اهل اللغة من اكبر الاسباب في تطور اللغة فنشأ اللغة العربية من أم اللغات السامية لم يكن فيه من التغير ما كان في أخواتها فهي اذاً على هذا أقرب اللغات السامية من لغة الام . وهذه الحقيقة ليست بخرية عن استنتاج العلماء فقد ذكرها كثير من الباحثين كمسألة لا تحتمل الجدال .

ثم انه جاء في التاريخ القديم ان اللغة التي انتشرت في المملكة البابلية الاولى قبل زمن حمورابي بعشرين قرناً و اكثر (وهي ام اللغات السامية) كانت ذات حركات للاعراب وانها قضت اكثر من النفي سنة وهي ذات حياة في سجلات الحكومة ودواوينها وعلى السنة العلية من القوم قال مسيرو (Maspero) ان اللهجة المصقولة التي كان كتبة بنبوى و بابل يستعملونها في عهد هيردوتس لانشاء الكتابات الرسمية كانت منذ زمن طويل ما يشبه لغة نبيلة يفهمها نخبة الناس وتجهلها العامة وكان العامة من سكان المدن والقرى يوت يتكلمون باللهجة الارامية التي كانت أثقل من تلك « وكلام مسيرو ظاهر في ان لهجة العامة من سكان المدن والقرى (اهل الحاضرة) كانت الارامية ولكن لهجة سكان البوادي (اهل البادية) ما كانت ؟ ؟

ان اهل الحاضرة هم الذين امتزجوا بغيرهم من الام فاستجمعت لغتهم بهذا الامتزاج وكانت منه اللهجة الارامية (العامية البابلية) كما امتزج بعد الاسلام اهل الحاضرة من العرب بغيرهم من الام فاستجمعت لغتهم وكانت منه لهجتنا العامية .

وكذلك ضيع الاولون حركات الاعراب باستجماع لغتهم وكانت هذه اول شيء أضاعوه منها بدليل ان اللغة الفصحى الاولى (الا) ذات الحركات الاعرابية انما فقدتها في سكان الحواضر والمدن والقرى الذين تطورت لغتهم فكانت منها الارامية (السريانية القديمة) وهي ليست بذات اعراب ، ولم يفقدها سكان البوادي فكانت لهم لغة بدو الاراميين (وهي العربية) تزدهي باعرابها الذي رأينا ملكة راسخة فيهم مثلاً ضيع الآخرون حركات الاعراب باستجماع لغتهم وكان هذا اول شيء أضاعوه منها ، بدليل ان اول انحراف وقع في اللغة كان في خلافة عمر (رض) لما جاء الاعرابي يتعلم القرآن في المدينة فسمع اللحن في الحركات الاعرابية وانكره ولو سمعه في غيرها لما سكت عنه فكان بذلك نصيب سكان البوادي الأولين كنصيب سكان البوادي الآخرين من حفظ اللغة بحركاتها الاعرابية ما استطاعوا اليه سبيلاً وبقدر ما بعدت عنهم الام الاخرى وهكذا نقيس بين العصرين بقياس التمثيل ونعلم حال القديم الذي لم نره ولا نتحققنا خبره بحال الحديث الذي عرفناه وتحققناه ونطمئن الى القول بان حركات الاعراب التي كانت في اللغة الاولى (الام) قد حفظتها لها البداوة والبعد عن الام الاخرى حتى ظهرت في

عربيتهم الاخيرة وقد خلت منها اللغات الاخرى الاخوات الا آثاراً في لغة بطرا^١ ولغة تدمر لان اهلها من بقايا العماليقة^(١) ثم نقول :

لكن بدو الاراميين الذين سكنوا البادية العربية والذين سمحوا عرباً لارتحالهم عن الوطن الاول غرباً^(٢) لم تذهب منهم هذه الحركات او اشباهها بدليل وجودها عند أعقابهم يوم اخذت اللغة عنهم وبدليل انها كانت حينئذ راسخة فيهم رسوخ الملكة في النفس تجري على السنين في موافعها دون قصد ولا كلفة ولا تعمل مما يدل على طول عهدهم بها حتى أصبحت جارية مجرى الطبع .

فهذه الحركات اذاً متصلة اليانا من مبراث اللغة الاولى ام لغتنا العربية حفظتها لنا البداوة وبُعْد حامليها عن الاتزاج بغيرهم من الاعاجم .

فلنا ان هذه الحركات كانت في العرب انصلت في الاعقاب على مدى الاحقاب حتى وصلت اليانا وسواء أكانت هي كما هي او دخلها التطور جريباً على سنن الكائنات فهي لم تكن عينها فليست بعيدة عنها بل هي في واديهما ربيت ونشأت وعلى غرارها طبعت وبدرها غذيت والقول بان العرب عرفوا هذا بمعرفتهم النحوي وانهم احتذوا فيه مثال اليونانيين فلا أراني كثير الحاجة لدفعه لان الالهام باحوال العرب قبل الاسلام فضلاً عن الاضطلاع بها يكفيننا امره . واني لسكان البادية بمعرفة قواعد النحوي كعلم من العلوم وقد سئل اعرابي انجر فلسطين؟ فقال انني اذن لقوي فقبل له اتمحز اسرائيل فقال انني اذا لرجل سوء . ففهم هذا البدوي وهو عن يوثق بعربيته ويتخذ الائمة كلامه حجة في النحوي واللغة — فهم الجر والهمز بمعناهما اللغوي ولم يكن للاصطلاح اقل مساس بفهمه وعلمه . وان الاعرابي القادم من البادية الى المدينة ليتعلم القرآن وهو بعد لم يبل بفساد اللسان — عرف تغير المعنى بتغير حركة (ورسوله) من الرفع الى الجر لا من حيث انها رفع ونخفض بل من ان في افادتها صرفوعة معني مغايراً لما نفقده مخفوضة .

(١) العرب قبل الاسلام . (٢) العلامة فاندريك .

كيف وضعت

ان الذي عليه المحققون ان وضع اللغات لم يكن بالتنصيص على لفظ خاص لمعنى خاص وانما كان الوضع بالتوسع في الاستعمال على قدر الحاجة وامتدادها وتنوعها بامتداد الزمن ونطاق اول المدة وعلى حسب ما هو معروف من متن التطور الجاربي على الالمنة وبعده في مثل هذه الحال ان توضع الحركات الاعرابية بمثل هذا النحو من الوضع وان تكون على هذه الطريقة لان الحركات الاعرابية على ما هو الظاهر ليست مما تدعو اليه الحاجة الماسة بان تكون ركنًا من أركان النظام لا يتم بدونها حتى يقال انها جاءت على قدر الحاجة اليها ثم تمت وامتدت كما يصح ان يقال هذا في الكلمات ولهذا تجدها لا تطرد على لسان من لم يتعودها دون صرمان او ممارسة فكيف كانت اذا هذه الحركات الاعرابية (او علامات الاعراب) هل هي بقايا كلمات كانت تدل مائلا عليه علامات الاعراب ثم اختزلت بتطاول المدة وصقلت بالاستعمال فصارت كما نراها . يقول بذلك كثير من العلماء . وجاء في المقتطف^(١) مانعه « يستدل من علم اللغات ان اصل هذه الحركات كلمات فاختصرت على تناديه الزمن وبقيت هذه الحركات دلالة عليها » ولكن هل كانت هذه الكلمات التي هي اصل هذه الحركات خاصة بام اللغة العربية المعبودة وفي حيزها اختصرت هذا الاختصار او انها كانت قبلها في أمها الاولى ثم جاءت الى أم اللغة العربية المعبودة بالارث ؟ وعلى تقدير انها كانت في اصل الفرع الاسيوي الاول الذي منه كانت اللغات السامية والآرية والمغولية وأخوانها فهل اصابتها الاختصار كله او بعضه قبل انفصال السامية (ام العربية) عنه او انه كان من صيغ اللغة السامية . ربما يعرف ذلك ويكشف هذه الامور ويحل هذا الاشكال الباحثون في مقابلة اللغات وتحليلها اذا تسنى لهم وكان في اخوات العربية وخالاتها ما ينير لهم الطريق بان يكون لهذه الكلمات (الاعرابية) ما يدل عليها او يشير اليها في هذه اللغات .

اما اذا كانت هذا مجرد حدس وتخمين فللحدس والتخمين مجال ايضا في غير هذا

الطريق وحينئذ يجوز لذهاب ان يذهب الى ان هذه الحركات الاعرابية ربما تكون وضعت بوضع خاص وذلك بان يقال ان ابناء اللغة الاولى كانوا في تمدنهم وعلومهم في منزلة صالحة تدل عليها آثارهم . وقد دلت الآثار انه كانت للبابليين مدارس منظمة يعلمون فيها الحكمة والطب والفلك والحساب ، وظهر في الآثار من آثار هذه المدارس جداول الضرب الحسابية التي كانت تدرس فيها ، واخبرنا التاريخ عن مزيد عنايتهم بلغتهم الفصحى التي حفظوها واتخذوها اللغة الرسمية وكانت مصقولة مهذبة كما يدل عليه كلام مسيرو المتقدم وانها كانت لغة النخبة والطبقة العليا .

فلا يبعد والحال هذه عن الذين صقلوا لغتهم وهذبوها ان يكونوا في جملة صقلها وتهذيبها وتحريرهم البلاغة فيها تعمدوا الاختصار في الكلام مع الوفاء بالدلالة على المراد مما يسمونه اليوم بالايجاز وهو من أغلى ضرور البلاغة ومن جملة هذا الاختصار وضع العلامات الاعرابية وهي حركات في الغالب لا تطول بها الجملة ولا تفسخ ولا يتغير بها وضع الكلمة فدلوا بها على مرادهم من الكلمة في جملتها فاعلة او مفعولة او غير ذلك . مقدمة او مؤخرة لتدل في التقديم والتأخير على معنى مراد ، وان يكون ذلك جرى في مجامع لم خاصة او عامة ، او من جماعات او أفراد لم محل المقتدى به في الامة فأخذه عنهم عليسة القوم وتبعهم في ذلك المقتدون المتشبهون بهم وجرى مجرى الاستحباب اولاً ثم أصبح عادة وتقليداً ثم ملكة راسخة ويكون ذلك منهم حيث قل انتشار الفساد في اللغة . وسرى ذلك في سكان البادية فحفظوه وجرؤا عليه ولنغرض لذلك مثلاً فنقول استعمل أبناء اللغة ما الاستفهامية بدلاً من اي شيء فاشتبهت بالتعجيبة ووقعت أفعل بعدها كاحسن في قولك ما أحسن زبداً . واشتبه على السامع اي المعنيين يريد المتكلم الاستفهام ام التعجب ونصب القرينة اللفظية كزيادة اللفظ تطويل والمفروض اننا قررنا منه فحركوا حينئذ ما وقع بعد ما التعجيبة بالنصب وما بعد الاستفهامية بالرفع وليس في ذلك مشقة ولا تطويل . وكذلك كان الفعل يكون من فاعل لا يكون مفعولاً به وعلى مفعول به لا يكون فاعلاً ، وفي مثل هذا لا يشبهه الفاعل بالمفعول به سواء أقدم ام تأخر مثل كسر الزجاج الحجر ونظم الشاعر قصيدة . وتبقى اعتبارات التقديم والتأخير البيانية صالحة في مثله ، ولكنهم وجدوا الفعل وكثيراً ما يكون يقع من فاعل يصح ان يكون مفعولاً به ، وعلى مفعول به

يجوز ان يكون فاعلاً وقد نقضي الاعتبار البهائية التي هي حلية اللغة تقديم المفعول به على الفاعل للاهتمام به او لغير ذلك من الأسباب البهائية فيحتاج والحال هذه الى ما يميز الفاعل عن المفعول فجاءوا بالحركات الاعرابية فكان المرفوع في مثل هذا تقدم او تأخر فاعلاً والمنصوب مفعولاً به . ولعل مثل هذا احتاج الى مدة متطاولة وبعد اختلافات كثيرة بين الأصقاع والقبائل في الاستعمال حتى استقر وثبت منه الاحسن والأصح في الاستعمال فعمّ وشاع وذهب ما عداه .

وان القول بالكلمات المختصرة الى الحركات يعترضه صعوبات كبيرة في تعليل هذا الاختصار وتطبيقه على حركات الاعراب لا يمكن تذييلها الا بتكليف كثير ، واذا رأينا من السهل مثلاً ان نقول ان علامة الرفع (الضمة) اختصرت من الكلمة التي تدل عليها الى الواو الذي هو علامة للرفع ايضاً ثم اختزل الواو الى الضمة ، فلسنا نرى من السهل تطبيق ذلك على غير هاتين من علامات الرفع كالالف وثبوت النون وكذلك الحال في النصب وعلاماته والخفض وعلاماته والجزم وعلاماته .

كما يعترض الخدس المفروض للوضع الخاص ان هذه العلامات تراها اول ما يذهب في اللغة عند امتزاج اهلها بغيرهم وان صيرورتها الى الملكية من الوضع الخاص في أمة لم تكن بعيدة عن الاختلاط في غيرها بقدر ما يفرض لها من البعد — امر لا يقبله العقل بسهولة وبدون مشقة .

وكيفما كان الحال فقد اتصل الياسام ان اللغة العربية أورثتها نظام الاعراب بالعلامات فنقف عند هذا القدر المحقق من البحث ونترك ما عداه للتحققين في اللغات حتى يظهر البحث ما تطمئن اليه النفس فيه . ونحقيق لدينا ان العرب (بدوا الاراميين) اتخذوا هذا الميراث ونجى فيهم مجرى الملكية وهم في عزلتهم فلم يتسرب اليهم الاهمال وحفظته لهم البادية فلم يؤثر فيه عندهم ما اثر فيه عند اخوانهم .

كما حفظت البادية البعيدة عن الامصار هذه اللغة الفصحى الى زمن ظهور الاسلام وفي صدره بروتقها وبهجتها وصورها من اللحن الطاري على السنة العرب المجاورين للاعاجم كان ذلك حتى أصبحت هذه الحركات ملكة طبيعية ثابتة في ألسنتهم . وليس معنى قولنا هذا انهم لا يقدرّون على اللحن كما كنا نلقاه من مشايخنا زمن الدراسة بل معناه ان ألسنتهم

تجري بلا تعمل ولا كلفة على هذا النظام شأن من يتمرن عليه في هذه الايام فينطلق به لسانه دون تعمل ايضاً ، واثن كان لا يسلم متمرن اليوم من الخطأ الذي يكثُر و يقل بحسب مرانه وتعود لسانه فلأن مرانه ناقص من حيث انه يتمرن في بيئة مؤما الخطأ والغلط وعلى العكس متمرن ذلك العصر الذي كان في بيئة كلها صواب وصحيح .

ان سكان هذه الجزيرة اتخذوا حفظ هذه اللغة على هذا النحو تقليداً لم في التجاوز عنه العيب والعار ، ولا ترسخ عادة في قوم ما لم تتخذ تقليداً مستحباً يعاب تاركه على تركه فتمرنوا عليها مراناً تاماً يشب عليه الصغير و يشب عليه الكبير حتى أصبح غاماً شائماً بين صغيرهم وكبيرهم عالمهم وجاهلهم ولم يحجم النقلة من الأئمة الآخذون اللغة عن الاعراب ان يعتدوا بلغة الصبيان والمجانين لانهم آمنون على . لكانهم من الخطأ فكان بعضهم يحجج لمذهبه بكلام امثال هؤلاء . فلا ينكره عليه منهم منكر .

قال ابن دريد في اماليه عن الاصمعي قال سمعت صبية بحبي ضربة يتراجزوت فوقفت وصدت في عن حاجتي . اقبلت اكتب ما اسمع واذا شيخ اقبل فقال اكتبك عن هؤلاء الاقزاع الادناع ؟

لم يحجم الاصمعي وهو الامام اللغوي عن ان يكتب عن هؤلاء الاقزاع الادناع لانه يرى في كلامهم حجة . وقول الشيخ اكتبك الخ مستنكراً . ما هو الا استصغار لامرهم واحقار لشأنهم من حيث انهم اقزام ادناع (من صغار الناس وأراذلهم) لا من حيث انه مخطي أو مصيب بالاخذ عنهم فهو نظير ان تختار لامرك حاذقاً فيه ولكنه صغير المنزل دلياً الحسب مستقدر العيش مع انك لا تعدم حاذقاً مثله رفيع المنزل كريمة الحسب ظاهر المروءة فيصح حينئذ لمن يغار عليك ان يلومك على هذا الاختيار وليس معنى لومه الطعن في حذق من اخبرته بل الطعن فيه من حيث نفسيته .

آخر عهد البادية بها

ان هذه الملكة الراحلة في نفوس هؤلاء الاعراب لحفظ اللغة باعرايها اهملت في القبائل المجاورة للأعاجم الكثيرة الاختلاط بهم ولم يسمع عن احد من العرب الجاهليين

ان الائمة فحزوا عن الاحتجاج بلغته قبل عدي بن زيد العبادي الذي نشأ بين أبيدي
ملوك الفرس .

فسدت لغة اهل الاختلاط والامتزاج بالام الاخرى وكانت قوة هذا الفساد
وضعه تابعين لقوة الاختلاط وضعفه ثم سرى الفساد من الحاضرة الى البادية بقوة
الامتزاج والاختلاط مريانا تابعا لهذه السنة وكانت السلامة تثقف امام هذه القوة
وبقي هذا الفوز مستمرا الى آخريات القرن الثالث للهجرة وما بعده بقليل حتى ذهبت هذه
الملكة او كادت وعم الحزن أقطار العربية باديها وحاضرها الا قليلا لا يعتد به .

وصينت اللغة الفصحى العربية في دفاتر العلماء والادباء وفي المجامع الادبية وعلى
السنة الشعراء والخطباء والكتاب .

احمد رضا

عضو المجمع العلمي العربي

ثقافة الجاحظ (١)

— « » —

مرء بنا ان الجاحظ طلب العلم في ابتداء امره في كتاب والظاهر ان الكتابين كانت شائعة في عصر الجاحظ فكان يتردد اليها اكابر علماء اللغة أمثال النصر بن شمبل وابي محمد اليزيدي وابي زيد الانصاري احد أساتيد الجاحظ حتى قال النصر بن شمبل : كنا ثلاثة في كتاب ، انا وابو زيد الانصاري وابو محمد اليزيدي .

فاذا كانت كتابتيهم في تلك الايام الطيبة على نحو كتابينا في هذه الديار لا تطلع عليها شمس ولا يهب في نواحيها نسيم فمن ظلمة الكتاب الذي ترعرع فيه الجاحظ انبلج ضياء اخاء مدارك العرب احد عشر قرناً ولاندرى الى اي قرن يمتد .

ولكن من الذي يعلمنا كيف انصرف الجاحظ من بعد خروجه من الكتاب الى التوسع في مذاهب الأدب والدين والعلم والفلسفة ومن الذي رغبه في هذا التوسع فانهما نجعل هذا كله وانما نعلم ان ابا عثمان قرأ على طائفة من العلماء لم تغب عنا اسماؤهم واذا علمنا هذا هان علينا ان نعرف كيف نما عقل الجاحظ فلسنا نرتاب بان لأساتيد هذه اثراً بليغاً في نمو عقله وامتداد ثقافته .

من هم أساتيد الجاحظ ؟

سمع الجاحظ من ابي عبيدة والأصمعي وابي زيد الانصاري واخذ النحو عن الاخفش

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبوري احد اعضاء المجمع العلمي العربي

في شرع في المحاضرة بها في كلية الأدب في دمشق من تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ .

أبي الحسن وكان صديقه واخذ الكلام عن النظام وتلقف الفصاحة من العرب شفاهاً بالمربد (١) .

لقد كشف لنا هذا النبا الفطاء عن ثقيف الجاحظ فاذا بحثنا عن خصائص الرجال الذين روضوا عقل أبي عثمان وتقبنا عن المذاهب التي عرفوا بها استنبطنا من مجتهدنا ان للجاحظ أربع ثقافات : ثقفه في اللغة والأدب والدين والعلم .

أما اللغة وربما كانت هذه الناحية أعجب نواحي الجاحظ فقد اخذها عن اهلها الذين لم يفسد بياهم شيء من العجمة فاذا ملك الجاحظ من زمام الفصاحة ما لم يملك غيره من الكتّاب فان لمخالطته عرب المربد سرّاً في هذه الفصاحة وسننظر في هذا كله في كلامنا على لغته .

وأما الأدب فقد خرج فيه رجال كانوا مضارب الامثال فيه واذا قلنا الادب أردنا بهذه اللفظة ما كانوا يريدونه بها في عصر الجاحظ فالأدب كان يتضمن أخبار العرب وأشعارهم وملحهم ونواديرهم وغرائبهم وما شابه ذلك . وكذلك الدين والعلم والفلسفة فقد استضاء في هذا كله بضياء رجل كان مضرب المثل في مذهبه .

فلننظر في كل من اساتيد الجاحظ نظرة عجيبة حتى نلّم المأثورات التي يقولها الذين ثقفوا رجلاً مثل الجاحظ فانت المأثرة من هذا الشكل تمهد لنا مجازاً الى الاطلاع على أسرار عبقرية الجاحظ لاننا اذا علمنا ان ابا عثمان قرأ على أشباه النظام وابي عبيدة والاصمعي وابي زيد الانصاري والأخفش ابي الحسن واخذ اللغة عن عرب المربد سهل علينا بعد هذا كله ان ندرك سر هذه الآفاق التي تبسط فيها الجاحظ واذا أضفنا الى معرفتنا هذه ما نعرفه من طبيعة الكتب التي كان يقرأها في حياته ومن وآله بالكتب على وجه عام لم تشكل علينا نشأة هذه العبقرية الفتنانة .

من هو ابو عبيدة ومن هو الاصمعي ومن هو أبو زيد الانصاري ومن هو الأخفش ابو الحسن ومن هو النظام وما هو رأي الجاحظ في اساتيده ؟

(١) معجم الادباء (الجزء السادس ص ٥٦) مطبعة هندية بمصر .

فلنبحث قبل كل شيء عن جماعة العلماء الذين تولوا تثقيف الجاحظ من ناحية الأدب وأريد بهذا الجماعة أبا عبيدة والأصمعي وأبازيد الانصاري والأخفش ابالحسن ولندكر على سبيل الإيجاز آراء اهل عصرهم فيهم^(١) .

أما أبو عبيدة ميمر بن المثنى التيمي البصري فهو الذي قال فيه الجاحظ نفسه : لم يكن في الارض خارجي ولا اجماعي أعلم بجميع العلوم .

وقد كان ابونواس يتعلم منه ويقول فيه : ذاك أديم طوى على علم .
أقدمه هرون الرشيد من البصرة الى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائة وقرأ عليه اشياء من كتبه .

وقد كان الفضل بن الربيع يقول : هذا علامة اهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه .
الا انه كان سيئ العبارة مع فرائد كثيرة وعلوم جمة .

وقد كان جباناً لم يكن بالبصرة احد الا وهو يداجيه وينقيه على عرضه .
خرج مرة الى بلاد فارس قاصداً موسى بن عبد الرحمن الهلالي فلما قدم عليه قال موسى لغلماؤه : احترزوا من أبي عبيدة فان كلامه كله دق ثم حضر الطعام فصب بعض الغلمان على ذيله مرققة فقال له موسى : قد أصاب ثوبك مرقق وانا اعطيك عوضه عشرة ثياب فقال أبو عبيدة : لا عليك ، فأت مرققك لا يؤذي ، اي مافيه دهن ففطن لها موسى وسكت .

وكان الأصمعي اذا أراد الدخول الى المسجد قال : انظروا لا يكون فيه ذاك يعني أبا عبيدة خوفاً من لسانه .

ولما مات أبو عبيدة لم يحضر جنازته احد ، لانه لم يكن يعلم من لسانه احد ، لاشريف ولا غيره وكان وصفاً ألغ مدخول النسب مدخول الدين يميل الى مذهب الخوارج وكان لا يقبل شهادته أحد من الحكماء .

كانت ولادته سنة عشر ومائة في الليلة التي توفي بها الحسن البصري .
وتوفي سنة تسع ومائتين بالبصرة وقيل سنة احدى عشرة وقيل سنة عشر وقيل سنة ثلاث عشرة ومائتين .

(١) رجعت في الكلام عليهم الى الإنباري صاحب الطبقات وإلى ابن خلكان .

وكان سبب وفاته ان محمد بن القاسم بن سهل النوشجاني أظعمه موزاً فمات منه ثم اتاه ابو العتاهية فقدم اليه موزاً فقال له ابو العتاهية : ما هذا يا ابا جعفر فتلث ابا عبيدة بالموز وتريد ان تقتلني به ، لقد استحليت قتل العلماء .

وتصانيفه تقارب مائتي مصنف منها كتب في الحمام والحيات والعقارب والخيول والابل والزرع اي في الموضوعات التي عالجها الجاحظ ذاته .

واما الاصمعي فهو صاحب لغة ونحو وامام في الاخبار والنوادر والملح والفرائب وهو من اهل البصرة قدم بغداد في ايام هرون الرشيد .

قيل لأبي نواس : قد أحضر ابو عبيدة والاصمعي الى الرشيد فقال : اما ابو عبيدة فانهم ان امكنوه قرأ عليهم اخبار الاولين والآخرين واما الاصمعي فلبيل بطرجم بنفاته .

كان حسن الانشاد والزخرفة لردي الاخبار والاشعار حتى يحسن عنده القبيح .

وقال عمر بن شبة : سمعت الاصمعي يقول : أحفظ سنة عشر الف ارجوزة .

وقال سحنق الموصلي : لم ار الاصمعي بدعي شيئاً من العلم فيكون أحد أعلم به منه .

وكان السافمي يقول : ما عبّر احد عن العرب باحسن من عبارة الاصمعي .

وقد حرص المأمون على الاصمعي وهو بالبصرة ان يصير اليه فلم يفعل واحتج بضعفه

وكبره فكان المأمون يجمع المشكل من المسائل ويسيرها اليه ليحيب عنها .

كانت ولادته سنة اثنتين وقيل ثلاث وعشرين ومائة وتوفي سنة صفر سنة ست

عشرة وقيل اربع عشرة وقيل سبع عشرة ومائتين بالبصرة وقيل بمر .

واما ابو زيد الانصاري فهو من أئمة الادب وغلبت عليه اللغة والنوادر والغريب .

كان ثقة في روايته وكان سيئويه اذا قال : سمعت الثقة أراد به ابا زيد الانصاري .

حدث ابو عثمان المازني قال : رأيت الاصمعي وقد جاء الى حلقة ابي زيد المذكور

فقبل رأسه وجلس بين يديه وقال : انت رئيسنا وسيدنا من خمسين سنة .

وكان الثوري يقول : قال لي ابن مناذر أصف لك اصحابك : اما الاصمعي فأحفظ

الناس واما عبيدة فأجمعهم واما ابو زيد الانصاري فأوثقهم .

و يروى عن أبي عبيدة والاصمعي انها سئلا عن الجيزيد الانصاري فقالا : ما شئت من عفاف وثقوى واسلام .
كانت وفاته بالبصرة في سنة خمس عشرة وقيل اربع عشرة وقيل ست عشرة ومائتين وعمره طويلاً حتى قارب المائة وقيل عاش ثلاثاً وتسعين سنة وقيل خمساً وتسعين وقيل ستاً وتسعين .

واما الأخفش ابو الحسن فهو من اكبر أئمة النحو في البصرة .
أخذ النحو عن سيبويه وكان اكبر منه وكان يقول : ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً الا وعرضه عليّ وكان يرى أنه أعلم به مني وانا اليوم اعلم به منه .
حكى ابو العباس ثعلب عن آل سعيد بن سالم قالوا : دخل الفراء على سعيد المذكور فقال لنا سعيد : قد جاءكم سيد اهل اللغة وسيد اهل العربية فقال الفراء : اما ما دام الأخفش يعيش فلا .
وكان الأخفش أجلع والأجلع الذي لا تنضم شفاه على أسنانه والأخفش الصغير الدينين مع سوء بصرهما وكنات وفاته سنة خمس عشرة ومائتين وقيل سنة احدى وعشرين ومائتين .

هذه جماعة العلماء الذين اخذوا الجاحظ عنهم النحو واللغة والنوادر والغريب والاخبار والملح ولا تدري ماذا اخذ عنهم ايضاً .
وللجاحظ رأي في أساتذته فاذا اتسع له مجال النقد تقدم ولم يتعيب والظاهر انه كان يستعصي عليه في بعض الاحايين فهم كلام أساتذته في النحو الاخفش أبي الحسن حتى قال له يوماً ^(١) .

« انت اعلم الناس بالنحو فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها ، وما بالناس تفهم بعضها ولا تفهم اكثرها ، وما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم ؟ قال : انا رجل لم أضع كني هذه لله وليست هي من كتب الدين ولو وضعتها هذا الموضع الذي تدعوني اليه

فلأت حاجتهم اليّ فيها وإنما كانت غايته المثالة فانا اضم بعضها هذا الموضع المفهوم لتدعوم حلاوة ما فهموا الي التماس فهم ما لم يفهموا وإنما قد كسبت في هذا التدبير اذ كنت الي النكسب ذهبت ولكن ما بال ابراهيم النظام وفلان وفلان يكتبون الكتب لله يزعمهم ثم يأخذها مثلي في موافقته وحسن نظره وشدة عنايته ولا يفهم اكثرها .

من هذا نقبين لنا ناحية من نواحي عقول اساتيد الجاحظ فلئن كان الاخفش من اكابر النحو بين فلقد كان صاحب حيلة وفطنة يعرف كيف يتصرف في جرّ مرغوب . وكما ان ابا عثمان نقد الاخفش في غمغمته في النحو فقد نقد الاصمعي و ابا عبيدة والاخفش في مقدار نظرم في الشعر فقد قال ^(١) :

« طلبت الشعر عند الاصمعي فوجدته لا يحسن الاغريبه فرجعت الي الاخفش فوجدته لا ينقل الا اعرابه فعطفت على ابي عبيدة فوجدته لا ينقل الا ما اتصل بالاخبار وتعلق بالايام والانساب فلم اظفر بما أردت الا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عتبى لملك الزيات . . . حتى قال الصاحب على اثر هذه الحكاية : فله ابو عثمان فلقد غاص على سر الشعر واستخرج أرق من السحر » .

غير أن هذا النقد قد لا يخلو من شيء من الانحراف عن الصواب فقد قال الجاحظ في الاصمعي : طلبت الشعر عند الاصمعي فوجدته لا يحسن الاغريبه ولكن الذي وصل اليه من امر الاصمعي ان له آراء في الشعر لا ندل على انه لا يحسن الاغريبه حتى كان الرشيد يقول له : يا أصمعي ما نطق في الشعر وقد كنت ذكرت لكم في محاضرتي الاولى رأيه في بشار ومروان بن ابي حفصة فان الذي يقول سيف بشار : سلك طريقاً لم يسلك وأحسن فيه وثقراً دبه وهو اكثر تصرفاً وفنون شعر وأغزر وأوسع بديعاً ومروان لم يتجاوز مذهب الاوائل، ان الذي يقول نظير هذا القول قد يحسن من الشعر على ما اعتقد غير غريبه .

مالنا ولهذا فاننا نكلم على نقد الجاحظ لاساتيده ولسنا نكلم على وجه الصواب او الخطأ في هذا النقد .

(١) العمدة لابن رشيق (الجزء الثاني ص ٨٤) .

هذا ما نأمله البنا من تخريج الجاحظ في الادب والى جنب هؤلاء العلماء عالم في طبقة مختلفة عن طبقاتهم قد اثر في الجاحظ من ناحية غير الناحية التي اثروا فيها فلئن كان لابي عبيدة والاصمعي والبي زبد الانصاري والاخنس ابي الحسن اثر بليغ في تثقيف عقل الجاحظ من جهة الادب فقد كانت للنظام اثر ابلغ في تثقيف هذا العقل من جهة الدين والعلم .

والتليذ محمول على تقليد أستاذه وربما قلده في حركاته وسكناته وفي مشيته .
يقول الجاحظ في النظام ^(١) :

« الاوائل يقولون : في كل الف سنة رجل لانظيره فان كان ذلك صحيحاً فهو ابو اسحاق النظام » .

وقال فيه في مقام آخر ^(٢) :

« مارأيت احداً أعلم بالكلام والفقه من النظام » .

وقال ايضاً في كلام له على تأثير النظام في المعتزلة ^(٣) :

« أنهم لم سبلاً وفتق لهم اموراً واختصر لهم ابواباً ظهرت فيها المنفعة وشملتهم بها النعمة » .

صور لنا الجاحظ أستاذه ابا اسحق النظام في صور شتى فمرة كانت بعرض علينا طبيعة نظره وتمييزه فقد قال ^(٤) :

« وكان ابراهيم مأمون اللسان قليل الزلل والزيغ في باب الصدق والكذب ولم أزع منه قليل الزيغ والزلل على ان ذلك قد كاد يكون منه وان كان قليلاً بل انما قلت على مثل قولك : فلان قليل الحياء وانت لست تريد حياة البتة وذلك انهم ربما وضعوا القليل في موضع ليس وانما كان عيبه الذي لا يفارقه سوء ظنه وجودة قياسه على العارض والخطاير السابق الذي لا يوثق بمثله فلو كان بدل تصحيحه القياس الناس تصحيح الاصل الذي

(١) ذكر المعتزلة للمرتضى (ص ٢٩) . (٢) ذكر المعتزلة للمرتضى (ص ٣٠) .

(٣) كتاب الحيوان (الجزء الرابع ص ٦٩) .

(٤) الحيوان (الجزء الثاني ص ٨٣) .

كان فاس عليه أمره على الخلاص ولكنه كان يظن الظن ثم يقيس عليه وينسى ان بدء امره كان ظناً فاذا اتقن ذلك وأيقن جزم عليه وحكاه عن صاحبه حكاية المستبصر في صحة معناه ولكنه كان لا يقول سمعت ولا رأيت وكان كلامه اذا خرج مخرج الشهادة القاطعة لم يشك السامع انه انما حكى ذلك عن سماع قد امتحنه أو عن معاينة قد بهرت .

ومرة كان يعرض علينا مبلغ ثقة اصحابه به فقد قال ^(١) :

« وكنا لا نرتاب بمحدثه اذا حكى عن سماع و بيان » .

وحينما كان يصف لنا مقدار حملة السر فقد قال ^(٢) :

« وكان ابو اسحق ابراهيم بن سيار النظام أضيّق الناس صدرأً يحمل سره ، وكان شراً ما يكون اذا يؤكّد عليه صاحب السر ، وكان اذا لم يؤكّد عليه ربما نسي القصة فيعلم صاحب السر . وقال له مرة قاصم التمار : سيجان الله ما في الارض أعجب منك أودعتك سرأً فلم نصبر عن افشائه يوماً واحداً والله لأشكوّنك للناس فقال : يا هؤلاء سلوه نعمت عليه مرة واحدة او مرتين او ثلاثاً او اربعاً فلن الذنب فلم يرض بان يشاركه في الذنب حتى صير الذنب كله لصاحب السر » .

وحينما كان يصف لنا اخلاقه فقد قال ^(٣) :

« وكان انفاً شديد الشكيمة ابناءً للفضية » .

هذا بعض ما اتصل بنا من آراء الجاحظ في أسناذه النظام واني ارى ان اذكر لكم من اليوم نماذج من مذاهب النظام في الدين والفلسفة والعلم وانماطاً من تهكمه وخصائص عقله حتي تعرفوا من هو الرجل الذي اثر في الجاحظ من نواح كثيرة .

ابراهيم بن سيار بن هاني النظام رئيس من رؤساء المعتزلة وقد انفرد عن اصحابه بمسائل تبعه فيها جماعة سمو بالنظامية ، فاعتزله يدور على قواعد معينة ذكرها الشهرستاني في كتاب الملل والنحل فلا محل للافاضة في ذكرها في مثل هذا المقام ولكنني لا أرى بأساً ببيان بعض آرائه في الدين ، من هذه الآراء ان استواء الطاعات يؤدي الى

(١) الحيوان (الجزء الرابع ص ١٠٦) . (٢) الحيوان (الجزء الخامس ص ٦١) .

(٣) الحيوان (الجزء الاول ص ١٣٦) .

استواء اهلها في الثواب وكذلك الحال في المعاصي قال الجاحظ ^(١) :
 « وزعم ابو اسحق ان الطاعات اذا استوت استوى اهلها في الثواب وان المعاصي اذا
 استوت استوى اهلها في العقاب واذا لم يكن منهم طاعة ولا معصية استوتوا في التفضيل
 وزعم ان أجناس الحيوان يحس ويألم في التفضيل سواء » .
 فكأن النظام يريد بهذا القول ان الله عز وجل ينظر الى الناس اذا استوت
 طاعاتهم او معاصيهم نظرة واحدة فلا يقدم صالحاً على صالح ولا يؤخر طالحاً عن طالح
 وكذلك نظره الى كل حيوان ذي شعور فلا يفضل دبكاً على كلب ، مثلاً وان رأياً مثل
 هذا الرأي بدلنا على طبيعة المباحث الدينية التي كانوا يبحثونها في عصر الجاحظ .
 وقريب من هذا الرأي قوله في دخول الأطفال الجنة وفي الفرق بين الأطفال
 وبين البهائم فاليكم هذا القول على نحو ما اشار اليه الجاحظ وهو لا يخلو من يسر ومسامحة ^(٢) .
 « وزعم ان اطفال المشركين والمسلمين كلهم في الجنة وزعم ان ليس بين الاطفال
 ولا بين البهائم فرق وكان يقول : ان هذه السبعية والبهيمة لا تدخل الجنة ولكن الله
 عز وجل ينقل تلك الارواح خالصة من تلك الآفات فيركبها في اي الصور الحسان
 أحب » .

ولما قالوا بقتل الكلب وأشباهه ردت عليهم بما يلي ، قال الجاحظ ^(٣) :
 لما قال معبد في قتل الكلب وتلا قول الله عز وجل : وانل عليهم نبال الذي آتيناها
 آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى
 الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل
 القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص . قال ابو اسحق : وان كنت انما جعلت
 الكلب شر الخلق بهذه العلة فقد قال على نسق هذا الكلام : ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً
 من الجن والانس لم يلوب لا يفقهون بها ولم أعين لا يبصرون بها ولم آذان لا يسمعون بها
 أولئك كالأنعام بل هم اضل ، فالذي قال في الايبل والبقر والغنم أعظم فأسقط من اقدارها

(١) الحيوان (الجزء الثالث ص ١٢٢) . (٢) الحيوان (الجزء الثالث ص ١٢٢) .

(٣) الحيوان (الجزء الاول ص ١٧٥) .

بقدر معنى الكلام وادنى ذلك ان تشرك بين الجميع في الذم فانك متى انصفت في هذا الوجه دعاك ذلك الى ان تنصفها في تتبع ما لها من الاشعار والامثال والاخبار والآيات كما تتبع ما عليها .

ولا ارى لي مندوحة عن التنبيه على رأيه في بعض المفسرين لمشاركة الجاحظ له في هذا الرأي على نحو ما يتبين لنا هذا في كلامنا على دين الجاحظ ، كانت ابو اسحق يقول ^(١) :

« لا تسترسلوا الى كثير من المفسرين وان نصبوا انفسهم للعامة واجابوا في كل مسألة فان كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير اساس وكما كان المفسر اعرب عندهم كان أحب اليهم وليكن عندهم عكرمة والكلي والسري والضحاك ومقاتل بن سليمان وابوبكر الأصبم في سبيل واحدة فكيف أثق بنفسير واسكن الى صوابهم وقد قالوا في قوله عز وجل : وان المساجد لله ، ان الله عز وجل لم يعن بهذا الكلام مساجدنا التي نصلي فيها بل انما عني الجباه وكل ما سجد الناس عليه من يد ورجل وجبهة وأنف وثغنة وقالوا في قوله تعالى : أفلا ينظرون الى الايل كيف خلقت انه ليس الجمال والنوق وانما يعني السماب واذا سئلوا عن قوله : وطلح منضود قالوا الطلح هو الموز ، وجعلوا الدليل على ان شهر رمضان قد كان فرضاً على جميع الامم وان الناس غيرهه ، قوله تعالى : كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ، وقالوا في قوله تعالى : رب لم حشراني أعشى وقد كنت بصيراً قالوا يعني انه حشره بلا حجة ، وقالوا في قوله تعالى : ويل للطففين الويل واد في جهنم ثم قعدوا يصفون ذلك الوادي ومعنى الويل في كلام العرب معروف وكيف كان في الجاهلية قبل الاسلام وهو من أشهر كلامهم ، وسئلوا عن قوله تعالى : قل اعوذ برب الفلق ، قالوا : الفلق واد في جهنم ثم قعدوا يصفونه ، وقال آخرون : الفلق المقطرة بلغة اليمن ، وقال آخرون في قوله تعالى : عينا فيها تسمى سلسيلاً قالوا : أخطأ من واصل بعض هذه الكلمة ببعض ، قالوا : وانما هي سلسيلاً اليها يا محمد ، فان كان كما قالوا فأين معنى تسمى وعلى اي شيء وقع قوله : تسمى ، فتسمى ماذا وما ذلك الشيء . . . » .

هذا من ناحية بعض معتقدات النظام في الدين اما من ناحية الفلسفة فاليكم رأيي في مذهب الشكاك فقد قال ^(١) :

« نازعت المحدثين والشكاك فوجدت الشكاك أبصر بجوهر الكلام من أصحاب الجحود » .

وقال في موطن آخر ^(٢) :

« الشاك اقرب اليك من الجاحد ولم يكن يقين قط حتى صار فيه شك ولم ينتقل احد عن اعتقاده الى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك » .

فاذا عرفنا طائفة من آرائه في الدين والفلسفة فلا بأس بان نعرف شيئاً من ناحيته العقلية فقد كان مطبوعاً على البحث عن اصل كل شيء وعن علته دون ان يقتصر على الانقياد والتقليد وهذا من خصائص الجاحظ نفسه ، فقد قال ^(٣) :

« بلغني وانا حدث ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اجثاث في القربة والشرب منه ، قال : فكنت أقول ان لهذا الحديث لشأناً وما في الشرب من في القربة حتى يجي فيها هذا النهي ، حتى قيل ان رجلاً شرب من في قربة فوكتته حية فمات وان الحيات تدخل في افواه القرب علمت ان كل شيء لا اعرف تأويله من الحديث ان له مذهباً وان جهلته » .

من هذا يتبين لنا ان النظام لا يؤمن بالامور قبل ان يعمل عقله في اصل هذه الامور وهذه صفة من صفات الجاحظ تظهر لنا في الآتي .

واليكم مايدل على حسن تصرفه في الاختبار والامتحان فقد قال ^(٤) :

« اذا أردت ان تعرف مقدار الرجل العالم وفي اي طبقة هو واردت ان تدخله الكبر وتنفخ عليه ليظهر لك فيه الصحة من الفساد فكن عالماً في صورة متعلم ثم اسأله سؤال من يطعم في بلوغ حاجته منه » .

(١) الحيوان (الجزء السادس من ١١) . (٢) الحيوان (الجزء السادس من ١١) .

(٣) الحيوان (الجزء الرابع من ٨٨) .

(٤) الحيوان (الجزء السادس من ١١) .

على ان النظام لم يكتف بطلب الفلسفة والكلام وإنما عكف على طلب العلم ولا سيما علم الطبيعة وكان الجاحظ ينقل عنه ، ولا بأس بأن أشير الى نموذج من آرائه في هذا العلم فأشير الى رأيه في انتشار الضياء والحرارة دون ان تعرض لصحة هذا الرأي او لفساده وإنما اكتفي بآبائه في هذا المقام حتى نعرف كيف كانت مباحثهم عن الطبيعة في عصرهم اذ ان الضياء والحرارة معروف امرهما في عصرنا هذا فلا ارى حاجة الى الخوض في مثل هذا المعنى ، قال ابو اسحق ^(١) :

« النار اسم للحرق والضياء فاذا قالوا : احرقته او سخنت فانما الاحراق والتسخين لأحد هذين الجنسين المتداخلين وهو الحر دون الضياء وزعم ان الجوهر صعاد وإنما اختلفا ولم يكن اتفاقهما على الصعود موافقاً بين جواهرهما لانهما متى صارا من العالم العلوي الى مكان صار احدهما فوق صاحبه وكان يجزم القول و يبرم الحكم فان الضياء هو الذي يعلو اذا انفرد ولا يعلو ، قال : ونحن انما صرنا اذا اطفأنا نار الأتوت وجدنا ارضه وهواه وحيطانه حارة ولم نجدها مضيئة لان في الارض وفي المادي الذي قد لابس الارض حراً كثيراً وتداخلتاً متشابكاً وليس فيها ضياء وقد كان حر النار هيئج تلك الحرارة فأظهرها ولم يكن هناك من ضياء ملابس فيهيجهما الضياء ويظهرها كما اتصل الحر بالحر فأزاله من موضعه وبرزه من مكانه فلذلك وجدنا ارض الأتوت وحيطانها وهواها حارة ولم نجدها مضيئة » .

ولقد كانت النظام مع هذا العلم ومع هذه الفلسفة يميل الى التثقيب في بعض الأحوال ، قال الجاحظ ^(٢) :

« وانشد ابراهيم بن هاني وعبدالرحمن بن منصور :

جنونك مجنون ولست بواحد طبيباً يداوي من جنون جنون
وكان ابراهيم لا يقيم شعراً ولا ادري كيف أقام هذا البيت وكان يدعي بحضرة
ابي اسحق علم الحساب والكلام والهندسة واللحن وأنه يقول الشعر فقال ابو اسحق نحن لم

(١) الحيوان (الجزء الخامس من ٢) .

(٢) الحيوان (الجزء الثالث من ٣٤) .

نخجك في هذه الامور فلك ان تدعيها عندنا ، كيف صرت تدعي قول الشعروانت اذا رويته لغيرك كسرته ، قال : هكذا فاني طبعته ان افيمه اذا قلت واكسره اذا انشدت ، قال ابواسحق : ما بعد هذا الكلام كلام ! » .

فقوله : ما بعد هذا الكلام كلام لا يخلو من نكتة باطن .

بقي ان نعرف بعض ما وقع اليينا من طبعة الكتب التي كان يقرأها الجاحظ في حياته حتى نعلم بعناصر ثقافته بهذا فبرها .

سمع الجاحظ من الفلاسفة وقرأ كتب الاطباء والمتكلمين فضلاً عن كتب الأدب التي تبحث عن اللغة والنحو والنوادر والاخبار والاشعار والغرائب وما شابهها وقرأ كتباً غيرها نقل عنها منها : كتاب الفراسة لاقليمون وكتاب طباع الالبان لصاحبه ماسرجوبه وكتاب المنطق لارسطاطاليس وكتاب افليدس ونقل عن بختيشوع وعن حنين وعن جالينوس وعن صاحب الديك وغيرهم .

فقد نظر في الذي اودعته الاوائل كتبها وخأدته من عجيب حكمها ودونته من انواع سيرها بحيث أصبح له اطلاع عام على الأفكار والمعاني فهو من هذا الباب كامل من الكلمة وأريد بالكامل من اخذ من كل شيء بطرف واذا تكلمنا على عبقرية في الآتي تبين لنا نتائج ثقافته العامة فلم يخف عليه موضوع من الموضوعات قد يجوز انه لا يتعمق في الموضوع تعمق اهل الاختصاص الا انه قد يلم به المأماً بحيث لا يكون غريباً عنه وقد طبعته قراءته الكتب على مختلف معانيها ثقافته بطابع خاص واعني بالطابع الخاص لنوع أفكاره ومعانيه حتى أصبح خصيب العقل لا يشكو منه خطأ في فكر او جدياً في معنى .

لم تخل ثقافته من عناصر يونانية وفارسية فانه على الرغم من انقياد ادب العرب له وعلى الرغم من دفاعه عن هذا الادب في مواطن شتى من كتبه ما تدم من الاخذ عن اليونانيين او عن الفرس فقد ذكر الامم التي فيها الأخلاق والآداب والحكم والعلم فقال : هذه الامم اربع ، وهي : العرب والهند وفارس والروم .

ورأي ان العرب أنطق وان لغتها اوسع وان لفظها ادل وان اقسام تأليف كلامها اكثر والأمثال التي ضربت انجود واسير والبديهة مقصورة عليها والارتجال والاقتضاب

خاص فيها ^(١) .

وكره الشعوبية وطعن عليهم :

« واعلم انك لم ترقوماً قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه ولا أشد استهلاكاً لمرضه ولا أطول نصباً ولا أقل غناً من أهل هذه النحلة وقد شفى الصدور منهم طول جشوم الحسد على أكبادهم ونوقد نار الشنآن في قلوبهم وغلbian تلك المراحل الفائرة وتسعر تلك النيران المضطربة ولو عرفوا اخلاق كل ملة وزى كل لغة وعلمهم في اختلاف اشاراتهم وآلاتهم وشمائلهم وهياتهم وما علة كل شيء من ذلك ولم اختلقوه ولم تكلفوه لأراحوا انفسهم وتحفت مؤنتهم على من خالطهم ^(٢) .

ومع هذا كله فما كان يستنكف عن ان يقول : قال جالينوس وقال صاحب المنطق وقال يخبشوع وأضرابهم فالجاحظ نزاع الى التجديد فهو لا يرى بأساً بان يدخل العربية عنصر من عناصر آداب الامم المعروفة في عصره المشهورة بالعلم والحكم والأخلاق والآداب ، واي ادب لم يعمل فيه ادب غيره .

« اي ادب من الآداب لم يؤثر فيه ادب غيره ولسنا نعرف ادباً قومياً محضاً مستقلاً كل الاستقلال وقد يذهب وممننا الى ان الأدب اليوناني مصبوغ بمثل هذه الصبغة وانما نشوء هذا لأن الأدب اليوناني قد عاش وحده دون بقية الآداب التي كانت في عصره وقد يؤثر ادب وسط في ادب اعلى منه على شرط ان يكون هذا الادب الوسط فيه شيء من الغرابة والجدة .

الجدة انما هي غذاء الأدب وهل تأتي هذه الجدة الا من ادب غيره اننا لا نستطيع ان نغذي بمواد بدنا وحدها لقد اقتبست فرنة عناصر ابداعها عن آداب غيرها من الامم وقد كان هذا الابداع يتجدد في كل عصر وقد اقتبست آداب اوربة على اختلافها معظم مادتها التي سكر بها أعظم العبقرين عن الادب الفرنسي ، هل من سبيل الى فهم (غوتي) مجرداً من الثقافة الفرنسية ؟ ام هل من سبيل الى فهم (شانو بريان) مجرداً من

(١) البيان والتبيين (الجزء الاول ص ٢٠٤) .

(٢) البيان والتبيين (الجزء الثالث ص ١٤) .

الثقافة الانكليزية (١) :

فالجاحظ لم تخل ثقافته من عنصر يوناني ولا يبعد انه كان يعرف الفارسية ولست أقول هذا استناداً الى طائفة من الألفاظ الفارسية التي أوردتها في بعض كتبه وفسرها فهذا غير كاف ان يستدل به على معرفته الفارسية فلا يخلو عصرنا من جماعة يعرفون بعض الفاظ أعجمية ثم يزعمون انهم واقفون على أسرار اللغة التي تدخل فيها هذه الألفاظ وهم لا يقفون عند هذا الحد بل يذهبون الى البحث عن اشتقاقات الألفاظ وردها الى اصولها وهم جاهلون بالفروع وبالاصول وهذا منتهي الخلط والتدجيل . وانما الجاحظ تغفل في بعض الأحيان في أسرار الفارسية فلم يقتصر على ذكر اللفظة ومعناها فن قوله :

« والفرس تسمي الاشياء بالاشتقاقات كما نقول للنعامة : اشتر مرغ و كأنهم في التقدير قالوا : هو طائر وجمل فلم نجد هذا الاسم أوجب ان نكون النعامه تناج ما بين الاول والطير ولكن القوم لما شبهوها بشيئين منقار بين سموها بذبذك الشيثين وهم يسمون الشيء المرء الخلو : ترش شيرين وهو في التفسير « حلو حامض » (٢) .

وقال في مقام آخر (٣) :

فالجاسوس بالفارسية « كوماش » وتأويله : ضاني بقري لانهم وجدوا فيه مشابهة الكيش وكثيراً من مشابهة الثور .

وقد كانت الفارسية مستفيضة حتى انهم كانوا يدخلون شيئاً منها في الشعر نفسه كقول المعاني للرشيدي في قصيدته التي مدحه فيها :

من يلقه من بطل مسرند في زغفة محكة بالسرد
يجول بين رأسه و (الكرد)

قال الجاحظ والكرد « العنق » .
ويقول المعاني في الرشيد ايضاً :

(١) النزاهة الادبية — السلسلة السابعة لمصاحبتها (Remy de Gourmon^t)
(ص ١٠٧) . (٢) الحيوان (الجزء الاول ص ٦٥) . (٣) الحيوان (الجزء الاول ص ٦٩) .

لما هوى بين غياض الأسد وصار في كف الهزير الورد
آلى يذوق الدهر (آب سرمد^(١))

ودليل آخر على استفاضة الفارسية في كلام العرب قول الأصمعي^(٢) :
« ثلاثة تحكّمهم بالمرودة حتى يعرفوا : رجل رأبته راكبًا ، أو سمعته بعرب أو شممت
منه رائحة طيبة .
وثلاثة تحكّمهم بالدناءة حتى يعرفوا : رجل شممت منه رائحة نبيذ سيفه محفل
أو سمعته يتكلم في مصر عربي بالفارسية أو رأبته على ظهر الطريق ينازع في القدر » .

هذا ما رأيت ان اذكره من ثقافة الجاحظ وهذه هي عوامل ثقافته : قراءته الادب
والدين والعلم والفلسفة على أسانيد كانوا الأمثال في مذاهبيهم واقتباسه عن علم اليونانيين
في بعض الاحيان ومطالعته لكتب في موضوعات شتى ثم خواطره وتجاربه ومعايناته .
فقد كان مولعًا بقراءة الكتب حتى قال ابو هفان^(٣) : « لم ارقط ولا سمعت من أحب
الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ فانه لم يقع بيده كتاب قط الا استوفى قراءته كائنًا
ما كان حتى انه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبعث فيها للنظر .
وقد نظهر لنا آثار هذا الولع في الفصل الذي عقده في الكلام على الكتب فقد نفنن
في هذا الكلام الثفنن كله .

مرة يجد في الكتب النزعة والانس والظرف والمزاح^(٤) :
« الكتاب أنم الدخر والعقدة ونعم الجلبس والعدة ونعم النشرة والنزعة ونعم المشغل
والخرقة ونعم الانيس لساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة . . . والكتاب وعاء ملي
علمًا وظرف حشي ظرفًا وانا لشحن مزاحًا وجدًا . . . ان شئت ضحككت من نوادره وان

(١) البيان : التمييز (الجزء الاول ص ٢٩) . (٢) عيون الاخبار لابن قتيبة
ص ٢٩٦ . (٣) معجم الادباء (الجزء السادس ص ٥٦) .
(٤) الحيوان (الجزء الاول ص ١٥) .

شئت عجبت من غرائب فرائده وان شئت الهتك طرائفه وان شئت اشجيتك مواعظه ٠٠٠»
ومرة يجد فيها آثار العقول ونتاج العصور ^(١) .

« ولا أعلم نثاجاً في حادثة سنة وقرب ميلاده ورخص ثمنه وامكان وجوده يجمع
من التدابير العجيبة والعلوم الغريبة ومن آثار العقول الصحيحة ومحمود الأذمان اللطيفة
ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة ومن الاخبار عن القرون الماضية
والبلاد المتنازحة والامثال السائرة والامم البائدة ما يجمع لك الكتاب »
وحينما يجد فيها شخذ الطباع وتبيح النفس ^(٢) :

« والكتاب هو الذي ان نظرت فيه أطل امتاعك وشخذ طباعك وبسط اسانك
وجود بيانك ونغم الفاظك ونجح نفسك وعمر صدرك ومنجك تعظيم العوام وصداقة الملوك »
وحينما يجد فيها الاستغناء عن ملابسة صغار الناس وما ينتج عنهم ^(٣) :

« ولولم يكن من فضله عليك واحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس على بابك
والنظر الى المارة بك مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم ومن فضول النظر من
عادة الحرص ومن ملابسة صغار الناس وحضور الفاظهم السافطة ومعانيهم الفاسدة
واخلاقهم الرديئة وجهالاتهم المذمومة لكان في ذلك السلامة ثم الغنية واحراز الاصل
مع استفادة الفرع ٠٠٠ »

والخلاصة انه يجد الكتب اشد تقييداً للآثر على عمر الایام والدمور من البنيان ^(٤) :
« وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه وبذهب العقل ويبقى اثره ولولا ما اودعت لنا
الاوائل في كتبها وخلافت من عجيب حكمتها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها
ما غاب وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدر كنا ما لم نكن ندركه
الا بهم لما حسن حفظنا من الحكمة ولضعف سببنا الى المعرفة ولولجأنا الى قدر قولنا ومبلغ
خواطرننا ومنعنا تجاربنا لما ندركه حواسنا وتشاهده نفوسنا لقات المعرفة وسقطت الهمة

(١) الحيوان (الجزء الاول ص ٢١) . (٢) الحيوان (الجزء الاول ص ٢٦) .

(٣) الحيوان (الجزء الاول ص ٢٧) .

(٤) الحيوان (الجزء الاول ص ٤٢) .

الشرع الدولي في الاسلام^(١)

—«»—

تساءل كثير من العلماء عن وجود شرائع دولية عند الأقدمين كاليونان والرومان والصين وتباينت الآراء في ذلك . ومما لا مجال للشك فيه ان في العهد الطويل الذي خلا بين الحضارة القديمة والحضارة الحديثة اي بين القرن السابع والثالث عشر — ذلك العهد الذي سادت فيه الحضارة العربية والآراء الاسلامية — أسست قواعد ومذاهب في المعاملات الدولية يستطيع المؤرخ ان يجد فيها سوابق تاريخية جلية يقايس بينها وبين ما وصل اليه المحدثون من الآراء والأوضاع .

وما كنت أعرف بادي الرأي ما عسى ان يقع لي من الوثائق وماذا اجده من المظان والمراجع . وحسبت انني لا أعتبر الا على النزر اليسير الذي لا يغطي غلة الباحث الحريص . فما كنت امثـير دفائن التاريخ وأرد بنايـع الفقه حتى وجدت فوق ما كنت اؤمل واكثر مما كنت أتوقع . واذا كان كثير من مؤرخي الشرائع الدولية قد أغفلوا هذه المرحلة العظمى فانهم قد أغفلوا بذلك اعظم المراحل التي قطعها الشرع الدولي قبل المرحلة الحديثة .

نعم ان الشرع الدولي من أوضاع المحدثين . ولم ينقر حقيقة الا منذ معاهدة (وستفاليا) ايام أصبحت الصلات الدولية قائمة على قواعد محكمة . ولكنه كسائر ما تنتجـه عقول البشر ، ثمرة المساعي المشتركة التي تقوم بها جميع الشعوب وتنعاقب عليها الأجيال . وبكفي ان توجد جماعتان حتى تشبـك بينهما المصالح وتضطرهما الى التعامل والتعاقد ، وتقرـر قواعد الحرب والسلم . فلذلك نرى الأوضاع الدولية رغم ما فيها من ضعف ظاهر ، قليلة

(١) محاضرة الاستاذ نجيب الارمنازي القاها في ردة المجمع العلمي العربي .

التحول كثيرة التشابه . ولا بد لكل جماعة ذات كيان من ان تحرص على توثيق عرى الصلات بمجاوريتها ، وان تحافظ بقدر ما تستطيع في علائقها على المبادئ الشريفة والقواعد العادلة ، التي يحترمها في الغالب اهل العصر ، ويوحى بها الوجدان والعقل .

ثم ان الامم والشعوب ثوارث الآراء والمذاهب ، وميراث العلوم عام مشترك بين الجميع ، والنشابه عظيم بين القواعد التي اخرجت للناس . ولكن ينبغي ان ينظر المرء حينما يقايس بين آراء المتقدمين وآراء المتأخرين الى الفرق بين هذا الزمان وبين تلك الازمان . فقد تغيرت الامم ، وتبدلت قواعد الدول ، وأصبح الانسان اليوم غيره بالامس . ولم تبق شؤون الرجال على ما كانت عليه من قبل وبدلت حالاً بعد حال .

والمقصود بالشرع الدولي في هذه الايام مجموع القواعد التي تعين حقوق الدول وواجباتها المختلفة في علاقاتها المتبادلة . ولكنه في المعنى الذي نقصده مجموع القواعد التي يتعين على المسلمين التمسك بها في معاملة غير المسلمين ومحاربين او مسلمين . سواء أكانوا اشخاصاً ام كانوا دولاً ، وفي دار الاسلام او في خارجها . ويدخل في جملة هذه القواعد احوال المرتدين والبلغاء وقطاع الطريق وقد سميت في كتب الفقه بالسير جمع سيرة لانها طريقة معاملة المسلمين لغيرهم . فلانكون مغالين اذا قلنا ان الائمة عُنوا منذ البدء في وضع أسس لما نسميه بالشرع الدولي ، وان كانت هذه الاصول تخص شريعة الحرب في اكثرها .

وقد وجد الاسلام منذ نشأته الاولى اعداء مناضلين ، فحارب من حاربه وسالم من سالمه ، ووضع الحدود والقواعد لحربه وسلمه ، وما يعرض له فيها من المسائل الكثيرة التي تتعلق بالمحاربين والمسلمين ، وأشبه ذلك مما احله الفقه الاسلامي أسنى مكات . وحقيق ان يقال انه عني بما تقدم من القواعد واتسع لها صدره اكثر من احكام العقوبات وسياسة الدولة . لانها نشأت مع الاسلام ونمت بتموه وساربت الحروب المستمرة والفتوحات العظيمة .

وقد قرر كثير من المؤلفين مثل (هولتزendorف و ريني) ان الفقه الاسلامي يضم جميع القواعد الجوهريّة التي تتعلق بشريعة الحرب ، ولم تقتصر على الفتح والغنمة بل تجاوزتها الى فرض الضرائب وذكر المواد المحرمة على التجارة ونظائرها . مما لا يختلف الا اسمه عما

يستعمل في يوم الناس هذا ^(١) . وأشار (نيس) الى ما في تاريخ الامم الشرقية — يعني الروم والعرب — بين القرن السابع والقرن الثالث عشر من اعمال وأوضاع تتعلق بما يسمى في ايامنا بالشرع الدولي . نعم انه لا يوجد شيء ثابت ، وليس ثم نظام معين ، وان هناك مظاهر غير متسقة ولا مستقرة ، ولكنها مع ذلك جديرة بان نقف عليها الانظار بكل تدبر وامعان ^(٢) .

وجميع كتب الفقه الاسلامي على اختلاف المذاهب ، تفصل على قدرها موضوعات الصلات بين المسلمين وغير المسلمين في باب الجهاد والسير كما ذكرنا . وقد يكون احسن ما ألف في هذا الباب كتاب السير الكبير للامام محمد بن حسن الشيباني صاحب البيهقي . وشرحه شمس الائمة السرخسي مؤلف المبسوط وأملأه في السجن على تلاميذه . وهو كتاب غزير المادة ، جم الفوائد ، قد استوعب اصول هذا العلم واستقصى غريب مسائله ، ولم يقتصر فيه على ما ذهب اليه اعلام المذهب الحنفي بل أورد كثيراً من مذاهب الآخرين وناقش أصحابها في حججهم . وطريق محمد في الترجيح في هذا الكتاب ، هو النظر فيما اختلف فيه اهل العراق واهل الشام واهل العجماء فرجع ما اتفق عليه فرقان تأخذ به دون ما انفرد به فريق واحد .

والف الامام ابو يوسف كتاب الخراج لمران الرشيد ، وهو يصح ان يكون كتاباً في التشريع المالي ، وقد عالج فيه كثيراً من مسائل الحرب والسلام ، لان الحرب من اعظم المصادر التي تمد بيت المال ، والف في لموضوع نفسه قدامة بن جعفر ويحيى بن آدم . ومن المؤلفات القديمة كتاب الاحكام السلطانية للقاضي ابي الحسن الماوردي ، الذي كتب في الغالب على مذهب الامام الشافعي . جمع كثيراً من الامور التي تتعلق بالشريع العامة للدولة ومن جملة ذلك شريعة الحرب وقد فدلها في اماره الجهاد وفي مطالب الخراج والجزية والغنائم . ورجع الى هذا الكتاب الفخيس اكثر من واحد وعدوه مؤيداً على غير مثال . وقد وضع القاضي ابو يعلى كتاباً سماه (الاحكام السلطانية) وعالج فيه نفس

(١) تمهيد في حقوق الاشخاص .

(٢) حقوق الاشخاص في معاملات العرب والبيزنطيين .

الابحاث على مذهب الحنابلة . ومنه نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق رديئة الخط غير كاملة . وفي هذه المكتبة وجدت كذلك نسخة من كتاب الدير الكبير الذي وضعه الامام محمد ، وهي كثيرة التحريف وان كان خطها جميلاً موثقاً . وقد قيل ان الكتاب مطبوع في الهند ، ولم اطلع على نسخة مطبوعة .

والشرع الدولي فيما نريد ان نقرره جزء من الفقه الاسلامي الذي لا يفرق بين الشرع الخاص والشرع العام ولا بين الشرع الداخلي والشرع الدولي . وهو كذلك شرع مكتوب لا يستثنى العرف والمادة وشرع داخلي يتختم تطبيقه في العلاقات الدولية . وكما ان حكمه يجري على الدول فكذلك يجري على الافراد مباشرة وبدون مباشرة اي كونهم من متعلقات احدى الدول . وللأفراد حقوقهم وواجباتهم كمقاولين ومعاقدين ومستأمنين وغير ذلك . والمرأة الغربية مثلاً اذا دخلت بلاد الاسلام اثارت جملة من مسائل تدرس فيه شؤونها الشرعية بعناية وتدقيق .

فما هو الاساس الذي بني عليه الشرع عند المسلمين ؟

انا نجد انفسنا قبل كل شيء اما شرع مصدره وحي آلهي ، ولكن هذه الفكرة المستندة على العقيدة والايمان لا تكفي لتعريفنا تماماً بالالزام الشرعي الاسلامي . ويرى المستشرق الكبير الكونت استرورغ ان الفقه الاسلامي بقيامه على أسس الوحي ونفرعه من علوم الدين ووقوفه عندما حددته اصحاب المذاهب الاربعة التي لا يصحبها التغيير والتبديل ، يشابه اكثر شيء بين الشرائع شرعية الكنيسة او الشرع القانوني^(١) . ولا يخلو ما قال هذا المستشرق من مبالغة في شأن المذاهب الاربعة خصوصاً في نظر الاصلاحيين من المسلمين . وعلى كل حال فان الفقه الاسلامي مزيج مؤلف من شرع ودين يمتان بسبب واحد فالفقهاء من علماء الدين وعلماء الدين من الفقهاء .

وصدور الفقه عن وحي آلهي يجعله ثابتاً لا يتغير . ولكن اي شيء في الدنيا لا يتغير . والمسلمون مأمورون باتباع اوامره والانتها عن نواهيه ، وما لأحد منهم ان يتبع في مذهبه

(١) حقوق الخلافة .

خياله ورأيه وادبه وفلسفته فهناك حدود لا يجوز له ان يتعداها ، على ان الفقه واسع النطاق كثير التفريع للسائل ، يجمع بين العادات والمعاملات والعقوبات واقامة الحدود وسياسة الحرب وتدابير السلم وسائر صنوف الشريعة وطرائق الحياة السياسية والاجتماعية . فالوحي إذن من الوجهة العملية والنظرية لم يكن وحده مصدر القواعد الشرعية كلها . وقد اكتفى المسلمون في اول امرهم بما كان بأنبيهم به القرآن من الاحكام وما كان يحدثهم به الرسول (ص) و يبين لهم فيما يعرض من الامور والحوادث . فلما امتدت الفتوحات وظهرت على المسلمين حاجات جديدة واحتكوا بمحضارات راقية وعقائد مختلفة ، لم يجدوا بداً من وضع قواعد الفقه الذي يطابق معنى الحكمة عند الرومانين . وهو كما حدده هؤلاء ، ولكن بمعنى أضيق لمعرفة الشرائع الالهية والبشرية وتعيين حدودها . وقد استعان المسلمون بالاجماع والقياس الذي نفع عن الرأي لسد حاجاتهم الجديدة ولجأوا فيه اكثر مما يحتاجون اليه الى اساس العام لجميع الشرائع القديمة : اساس العرف والعادة . البست القاعدة الاساسية الكبرى هي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهل الامر بالمعروف الا التمسك بما نعارف عليه الناس . والنهي عن المنكر الا هجر ما نكروه اوجملوه . واذا وجدنا في الاسلام قواعد مماثلة لما كان عند الرومان والعبرانيين وسائر الشعوب التي تقادم عليها العهد ، اليس ذلك لان هذه القواعد كانت شرائع متبعة في البلاد التي نشأ بها الاسلام ، ولم يشأ ان يقضي عليها لأن المجتمع كان يستفيد منها ، فإذن نستطيع ان نحكم حكماً لم يذكر بوضوح كاف وهو ان الاسلام لم يعوق سير حضارة الشعوب ولم يعترض في سبيلها ، بل أجل ميراث الامم التي سبقته في ديوان العالم ، وكانت حلقة اتصال كبرى في سلسلة الأوضاع القديمة والأوضاع الحديثة تلك السلسلة التي تمثل لنا جهود الانسانية الدائمة الدائبة في معارج التقدم ، وقد اكتفى الاسلام يحذف ما رآه ضاراً وابقاء ما رآه نافعا ، اما الزيد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض .

ولكن خصيصة الشرع الاسلامي واذا شئت فقل تفوقه ، قائم بما قرره من المؤاخاة العامة والتسوية بين أفراد الامة ، وهو لا يعرف حدوداً ولا يقف دون حائل ، يشمل الجميع ولا يميز بين احد ، وكل انسان مطلق الحرية في حدود الشرع ، مخفوف بالحماية حيثما كان ، هو واهله وماله . وهذا هو السبب الذي جعل الاسلام يمتد امتداده العظيم

على تمادي المصور في آسية وافر يقية وادوية بين الملايين الذين يعتقدون به . واذا كانت هذه القواعد لا تزال حتى اليوم . مصدراً لشرائع كثير من الشعوب التي اختلفت عناصرها ولغاتها وحضارتها ، فذلك لان نظام الاسلام الادبي والخلقي لم يكن قاتلاً لصفاتهم وخصائصهم . على اننا لانكر ان الرجال الذين وكل اليهم تطبيق هذه المبادئ لم يكونوا اكفاء لها وجديرين بها . فقد وجد الذين سوتوا صحائف التاريخ بسوء صنعهم وفسادهم الذي عم القريب والبعيد وأصاب العربي والاعجمي والمسلم وغير المسلم فلا ذنب على القواعد والمذاهب . ولكن الذنب على الرجال أنفسهم اذا ظلموا باعتدائهم حدود الله .

ثم ان الاسلام بتوحيده أساس الشرع وتعميمه ، منع في عهد طويل . ويمكن وقوعه من الخلاف بين الديني والمدني وبين الشرع العام والشرع الخاص وبين الشرع الوطني والشرع الدولي . وقد سنّ العقوبات اللازمة حتى لا يكون اهمل ناقصاً . والله عند المسلمين مصدر الشرائع الاسمي وهو الحكم العدل في الدار الاولى والدار الاخرى ، وهذا هو المذهب التيوقراطي الذي يعمر قلوب السامعين ، ولكن كيف يكون الحكم وتكون العقوبة في هذه الحياة ، خصوصاً اذا شجر الخلاف بين طوائف مختلفة حتى نشب القتال وسالت الدماء ، فقد قال تعالى : انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم . وقال : وان طائفتان من المؤمنين اقاتلتا فاصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأفسطوا ان الله يحب المقسطين . فما أحسن هذه الأسس ، الا تجد فيها نظيراً لما يسعى له الناس اليوم في الصلوات الدولية وتعتقد لاجله المجامع وتحتفل المؤتمرات ، الاصلاح والتحكيم وبعد ذلك الجزاء وعقوبة الباغين والمعتمدين .

غير ان هذه القواعد الشريفة لم تجد في الاسلام (وضعاً) عملياً يقوم بتطبيقها وينظر في امرها ، نعم انهم يذكرون اهل الحل والعقد الذين هم رجال السياسة والتدبير ، ولكن هذا الوضع الذي كان يرجى ان يكون عظيم الفائدة بعيد الأثر . ظل في طلي الابهام والضياع غالباً ، ولولا ذلك لما أصيب الاسلام بما أصيب به من أثره المسيطرين وسوء ملكيتهم ، على ان هذه القوة العظمى للامة ، هؤلاء الناس الذين سماهم الشارع باهل الحل والعقد ، ليكون لحكمهم في الجماعة مقام الارادة عند الفرد ، كان لهم جانب عزيز في صدر الاسلام

وان لم تكن لهم صفة معينة ، وقد اضمحلوا روياً وروياً مع اضمحلال الاسلام وتشتت قواه . وما من تبعة تقم على الدين والشريعة ، فكلاهما قابل للتطور يتسع لمختلف المذاهب ، ولكن الجماعة الحية الكائنة لم تكن لها ارادة او لم تكن لها فئة تملي هذه الارادة .

وأساس قواعد الشرع الدولي وطرق تطبيقه في الاسلام ، ان الارض تنقسم الى قسمين : دار الاسلام ودار الحرب ، وأراد بعضهم ان يضيف الى هاتين الدارين دار العهد .

فدار الاسلام تشمل البلاد التي يسود بها حكم الاسلام ، سواء أكان سكانها مسلمين ام غير مسلمين . وهي وطن كل مسلم مهما كانت جنسيته وحيثما كان ميلاده ، يتمتع فيها (بجربة المدنية) وحقوق الشريعة كما انه يلزم باداء واجباتها .

والبلاد الخارجة عن سلطان المسلمين تؤلف دارالحرب ، حيث ينبغي ان تتبع قواعد معينة تختلف عن الاولى ، هي أشبه بما يسمونه اليوم بقواعد الشرع الدولي العام والشرع الدولي الخاص .

واما دارالعهد او دارالصلح فهي البلاد التي لم يستول عليها المسلمون استيلاءً حتى يطبقوا فيها شرائعهم وصننهم ، ولكن أهلها دخلوا في عقد المسلمين وعهدهم ، على شرائط اشترطت وقواعد عينت ، فتحتفظ بما فيها من شريعة وأحكام ، وتكون شبيهة بالدول التي لا تمتنع باستقلالها كله ، سواء بحماية مفروضة او معاهدة معقودة . ومثال ذلك ما كان من عهد الرسول (ص) الذي كتبه لنصارى نجران او العهد الذي كتبه معاوية لاهل ارمينية فأقر به سيادتهم الداخلية المطلقة وابقى لهم رؤساءهم وأوضاعهم العسكرية وطبقاتهم الدينية . وحالفهم على دفع الروم عنهم وانجأهم بقدر ما يحتاجون اليه من الجنود وان يكون لهم جيش خاص لا يستعين به الخليفة في الشام . ولا يقول كثير من الفقهاء بدار العهد وما هي عندهم الا من قبيل الهدنة ومن المعاملات القائمة على المعاهدات المتقابلة ، واذا لم يكن هذا المذهب واضحاً كل الوضوح فانه مع ذلك يتخذ اصلاً للتعامل والتعاقد وضمائم المواصفات السلمية .

ويشبه التقسيم الاسلامي من حيث المبدأ على الأقل ، ما قبله البلشفيك في روسية ،

فهذه البلاد هي الوطن العام لكل شيوعي ودارالسلام للقائلين بهذا المذهب والمعتصمين بجهله ، وما بقي من العالم حيث يسود اصحاب الاموال واولياء الجبروت ، يعتبر دار حرب يتعين فيها على كل ثائر يقول بقول الشيوعيين ان يتخذ جميع الوسائل هو وجماعته للانتفاض عايتها والاستيلاء على مقاليد السلطة فيها .

ولا نعدم وجوماً للشبه كذلك بين المسلمين على اختلاف افطارهم وأجناسهم وبين نصاري الكاثوليك على اختلاف افطارهم وأجناسهم ونظر الكنيسة لم نظرها الى مجموعة عامة .

ومن هذا القبيل ما صنعه الاستاذ الشهير (لوريمر) في تقسيمه العالم بالنظر الى الشرائع الدولية وجعله ثلاث طبقات : الاولى يتمتع بجميع الحقوق ، وهي الانسانية المتقدمة التي تشمل الامم النصرانية في الغالب ، والثانية تتمتع بقسم منها ، وهي الانسانية البربرية ، اي التي هي نصف متقدمة ، وتدخل فيها الامم الاسلامية ، والثالثة لا تتمتع الا بجزء يسير من معاملة الانسان للانسان وهي الانسانية المتوحشة . وكذلك نجد عند المسلمين درجات مختلفة لتطبيق قواعد الشرع . الاولى تخص المسلمين الذين يتمتعون بكل حق حيثما كانوا في الممالك الاسلامية ، والثانية تخص الذين ينزلون في بلاد الاسلام ويتمتعون بحماية الدولة وصيانتها على حسب قواعد الذمة والامان ، او على حسب المعاهدات والمعاهدات ، والثالثة الحربيون وهم الذين يعاملون بحسب القواعد الاستثنائية التي لا يخفف من شدتها غير الرخص المبذولة والعهود المقطوعة ، والمصلحة التي يراها صاحب الامر .

ومما يحسن ذكره ان سيادة الاحكام في عرف الامامين ابي يوسف ومحمد هي فوق سيادة الامير في التمييز بين دار الحرب ودار الاسلام اذ المعتبر في حكم الدار — كما جاء في السير الكبير — هو السلطان وظهور الحكم ، فان كان الحكم حكم الموادعين بظهورهم على الدار الاخرى كانت الدار دار موادة ، وان كان الحكم حكم غير الموادعين او سلطان آخر في الدار الاخرى ليس لواحد من أهل الدارين حكم الموادة .

ونعم الجبال والانهار وسواها مما يفصل دار الاسلام عن دارالحرب من دارالحرب وان لم تكن حقيقة من الواحدة ولا من الثانية ، وهذا الحكم لعدم الامن والطأينة . وليس على غير المسلمين في دار الاسلام ان يراعوا جميع قواعد الشرع الاسلامي

بتحريم ما يحرمه وتحليل ما يحلله . وتجري أحكام الحدود على الذمي واختلف باقامتها على المستأمن ، فاستحسن ابو يوسف ان يؤخذ بالحدود كلها ، وقال آخرون من الفقهاء لا أقيم عليه الحد لأنه لم يدخل اليها ليكون ذمياً تجري عليه أحكامنا وهذا في الزنى والسرقه ، اما في القذف والشم فإنه يُجحد ويُعزّر لانها من حقوق الناس^(١) وكذلك فان الاوامر الخاصة بالمسلمين مثل تحريم الخمر لا تطبق على سوامم من الذميين ولا من المستأمنين . وفي بعض المعاهدات التي عقدت في القرن الثاني عشر والثالث عشر بين الدول الاسلامية والدول النصرانية كان المسلمون يستبقون لانفسهم حق العقوبة في بعض الجرائم الكبيرة ، ويتركون للقضاة النصارى حق الحكم بما سواها . وكان القضاء موكولاً الى رؤساء الطوائف في امر ابناء دينهم . وقد جاء في صبح الاعشى كثير من المراسيم في هذا المعنى وفي حق الرؤساء على معاملة رؤوسهم بالرفق والحسنى والمؤاماة واجتناب الحيف والاجحاف وكان في الاندلس قضاة من المسلمين يفصلون في دعاوى غير المسلمين ويسمونهم بقضاة الاعاجم على ما جاء في رسالة ابن القوطية في فتح الاندلس .

وقد ذكر الماوردي في الاحكام السلطانية عند كلامه على اهل الذمة (انهم اذا تشاجروا في دينهم واختلفوا في معتقدهم لم يعارضوا فيه ولم يكشفوا عنه واذا تنازعوا في حق وترافعوا فيه الى حاكمهم لم يمنعوا منه ، فان ترافعوا فيه الى حاكمنا حكم بينهم بما يوجبه دين الاسلام ونقام عليهم الحدود اذا اتوها ، ومن نقض منهم عهده بلغ مأمنه ثم كان حرباً ، ولا اهل العهد اذا دخلوا دار الاسلام الا امان على نفوسهم وأموالهم ولم ان يقيموا فيها أربعة أشهر بغير جزية ولا يقيمون سنة الا بجزية وفيما بين الزمنين خلاف ، ويلزم الكف عنهم كأهل الذمة ، ولا يلزم الدفع عنهم بخلاف اهل الذمة .

ولقضاة المسلمين حق الفصل فيما بين المسلمين وغير المسلمين من الخصومات الا اذا كان منشأها دار الحرب لان سلطان الاسلام لا يبلغها ، والقضاء يعتمد الولاية وماثمة من ولاية للمسلمين . وهذه القواعد ونظائرها تعد اليوم من مسائل الشرع الدولي الخاص . وهناك قواعد أخرى تضاهي ما عند المعاصرين من قواعد الشرع الدولي العام

(١) كتاب الخراج : ص ٢٢٤ - ٢٢٥ طبعة المكتبة السلفية .

وتذكرنا بها . فما يتعلق بالسلام نجد مثلاً وجوب الوفاء بالمعهود المقطوعة وحرمة المعاهد وعدم الاكراه في الدين والوساطة والتحكيم وصيانة الرسل واجتناب اذى المحايدين وقواعد المعاهدات والمحالقات وشؤون الامارات التابعة . اما شريعة الحرب فهي المجال الواسع لا بداع الشارع الاسلامي وانقائه . فقد أفاض في قواعد اعلان الحرب ومقدمات القتال وأسالبيه وصيانة الأولاد والنساء والشيوخ والرهبان وحرمة الموتى بوجوب مواراة قتلى الفريقين واجتناب المثلة واصلاح حال الأسرى والسبايا والعطف على الرقيق .

وقد وجد في العالم المتمدن منذ معاهدة وستفاليا قواعد تطلق بحرية الدول وتضامنها والتسوية بينها وما أشبه ذلك مما لا يمكن ان يتفق وروح تلك العصور المتقدمة النزاعة الى بسط السلطان في الارض كلها ، هذه الروح التي كانت تختفي في قلوب العرب خفقاتها في قلوب الفاتحين العظام قبلهم ، فلم يكن يبحث في حرية الدولة ولا ينظر في قواعد التسوية والتضامن بين الدول . ومع ذلك فقد اعترف المسلمون عملياً بوجود دول أخرى ، وذلك بعقد المعاهدات معها ومشاركتها بالصلات السياسية ، وهذه الصلات اما ان تكون مؤسسة على قاعدة الامان الذي ينفرع عن حق الجوار عند الاقدمين ، او على قاعدة العرف والمادة ، او على قاعدة الوفاء بالمعهود والعقود .

استوقف ناظري وانا أتأمل في تطور المعاملات الدولية وقواعدها بين المسلمين وسوام امور كثيرة أشرت الى بعضها في مائقدم وخصوصاً الشروط التي عاقد عليها مما اوية ابن ابي سفيان ارمينية وكانت وثيقة استقلالها الداخلي ومخالفتها مع الدولة الاسلامية الكبرى التي هي أشبه بمخالفة حماية بين دولة كبيرة وصغيرة على نحو ما نراه اليوم في المعاهدات التي تبذل فيها بريطانيا العظمى شأن سواها وتحرز نصب السبق على غيرها . وقد استجسنت كثيراً وتدبرت ملياً وصايا الخلفاء للجيوش في صدر الاسلام . وتذكرت عندها ماعده المحدثون من مفاخر الامة الاميركية في الوصية التي عمل بها قادتها في حرب الفصل سنة (١٨٦٠) واتخذت أساساً لشريعة الحرب الى يوم الناس هذا .

البس حسناً ما قاله ابوبكر : « لا تخونوا ولا تغاؤوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا بقعروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة

ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا لما آكلة وسوف تمرون باقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوه وما فرغوا أنفسهم له » .

اليس حسناً ما كان يقوله عمر بن الخطاب عند عقد اللوبة : « لا تجبنوا عند اللقاء ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا همماً ولا امرأة ولا وليداً ، وتوقوا قتلهم اذا التقى الزحفان وعند حمة النهضات وفي شن الغارات ، ولا تغلوا عند الغنائم وتزهوا الجهاد عن عرض الدنيا » .

وما عسى ان أستثير مثل هذه الدفائن وأبحث عن مثل تلك الذخائر، إذن لتجاهزت القدر الذي وضعته لهذا المقبال . ومهما أوجزت فلا بد لي ان أذكر ان فريقاً من أئمة المسلمين في عهدهم الاول كسفيان الثوري أنكروا فريضة القتال ابتداءً ولا يجب القتال عندهم الا دفعاً للعدوان ، وهذا المذهب بذكرنا بتحريم حروب الاعتداء الذي ما برحت عصبة الامم تسمى له منذ عشر سنين وتدعو اليه حتى كان ميشاق كيلوج .

ولا بد لي كذلك ان أشير الى حديث ابي عبيدة في اثناء قدوح الشام فقد كانت الصلح جرى بين المسلمين واهل الذمة في أداء الجزية وفتح المدن على ان لا يهدم المسلمون بيوتهم ولا كنائسهم داخل المدينة ولا خارجها وعلى ان يحقنوا لهم دماءهم وعلى ان يقائلوا من نازا من عدوهم ويذبوا عنهم وعلى ان عليهم ارشاد الضال وبناء القناطر على الانهار واصلاح الطرق وعلى ان يضيفوا من مر بهم من المسلمين ثلاثة ايام مما يأكلون ولا يكلفهم ذبح شاة ولا دجاجة .

قال ابو يوسف في كتاب الخراج فلما رأى اهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا أشداء على عدو المسلمين وعيوناً للمسلمين على أعدائهم . فبعث اهل كل مدينة من جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالاً من قبلهم يتجسسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم وما يربدون ان يصنعوا ، فأتي اهل كل مدينة رسلاً يخبرونهم بان الروم قد جمعوا جمعاً لم ير مثله ، فأتي رؤساء اهل كل مدينة الامير الذي خلفه ابو عبيدة عليهم فأخبروه بذلك . فكتب والي كل مدينة الى ابي عبيدة يخبره ، فاشتد ذلك عليه وعلى المسلمين ، فكتب ابو عبيدة الى كل وال من خلفه في المدن التي صالح اهلها يأمرهم ان يردوا عليهم ما جني منهم من الجزية والخراج ، وكتب اليهم ان يقولوا لهم انما رددنا عليكم أموالكم لانه

قد بلغنا ما جمع لنا من الجوع ، وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنا عليكم ما اخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم ، فلما قالوا ذلك لم يردوا عليهم الا اموال التي جبوها منهم ، قالوا : ردكم الله علينا ونصركم عليهم ، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئاً واخذوا كل شيء بقي لنا حتي لا يدعوا لنا شيئاً .

وسيرة عمر بن الخطاب في فتح بيت المقدس (ايلياء) سائرة مشهورة نكتفي بالامام اليها . ولكننا نذكر قليلاً من سيرة امراء المسلمين ايام الحروب الصليبية التي اطلقت فيها عقال النفوس فركبت هواها في سفك الدماء واستباحة الحرمات ، وذلك تقلاً عن المسيو (يورغا) المؤرخ الكبير ووزير معارف رومانية في كتابه الموجز في تاريخ الصليبيين . قال : « لما استرد صلاح الدين بيت المقدس باذل الامان للصليبيين ووفى لهم كل الوفاء بالشروط المعقودة ، وجاد المسلمون على أعدائهم ووطأوهم مهاد رأفتهم ، حتي ان الملك العادل شقيق السلطان اطلق الف رقيق ، ونودي ان كل من يخرج من بيت معين في المدينة يكون آمناً ، ومن على جميع الأرمن . وأذن للبطريرك بحمل الصليب وزينة الكنيسة . وأبيع للأميرات والملكة في مقدمتهم بزيارة أزواجهن ، وكان الجنود الذين يصحبون اللواتي أمرن بالجللاء يعطفون عليهن أشد عطف ويواسوهن كل المواساة . ولا يمكن ان يظهر فضل صلاح الدين وكال خلقه باحسن من تهديده السفن الايطالية حتي ترد اولئك البائسين الي ديارهم » .

وكذلك كانت سيرة الملك الكامل لما أخذ بمخنق الصليبيين في واقعة دمياط فاحاط بهم النيل وهددتهم المجاعة . واليك ما وصف المسلمين به احد الذين حضروا الواقعة من مؤرخي النصارى قائلاً : « هؤلاء الذين قتلنا آباءهم وابنائهم وبناتهم واخوانهم واخواتهم بطرق شتى . . . هؤلاء الذين سلبناهم اموالهم وأخرجناهم عراة من منازلهم نداركونا وسدوا خلئنا وأطعمونا بعد ان أهلكنا الجوع . ومازالوا يحسنون الينا حتي غمرونا ببرهم واحسانهم لما كنا في ديارهم وفي قبضة أيماهم . فلو ضاع لاحدنا غير لما ابطأ ان ردنا الي صاحبه » .

وقد آن لي بعد ان أوردت طرفاً من قواعد الشرع الدولي في الفقه الاسلامي ان أبين بإيجاز ما أراه من اثره في نمو الشرع الدولي عند الاسبانين . وتاريخ الشرع الدولي بدأ على انه وجد في بلاد الآخرين نشأته الكبرى وفيها ظهر أكثر المؤسسين اقواعده والمشيدين لأركانه . واذا أنبشنا هذا التأثير استطعنا ان نستخرج منه ان الشرع الدولي الحديث لم يخل من اثر للشرع الاسلامي . وقد يبحث كثيراً فيما أبقته فلسفة العرب وحضارتهم من الاثر في الاندلس وبالتالي في اوربة ولكنه قلما عني بالبحث في اثرها من الوجهة الشرعية . نلى ان مؤلفاً بلجيكياً (المسيو ستوكار) وضع في أوائل هذا العصر كتاباً فيما ابقاء سلطان العرب من الاثر في الشرائع الاسبانية والحالة الاجتماعية . ولا يمكن تحديد اثر الثقافة العربية في نمو الشرع عند الاسبانين ، ولكن في اثناء هذه المدة الطويلة التي حكم بها العرب اسبانيا ، عقدت بين الفريقين عرى وثيقة وتمكنت بينهما الصلات المختلفة . وقد أذن العرب للمغلوبين ان يحتفظوا بعاداتهم ويحكموا بسننهم وشرائعهم ، ولكن قواعد العرب وعاداتهم كانت تدخل رو يدأرو بدأ في معاملاتهم مع الاسبانين او في تعامل هؤلاء بعضهم مع بعض . ومن ذلك الالتجاء الى المحكمين في فصل الخصومات وأشباهه مما الفه الاسبانيون وجروا عليه . فلما جمع الاسبانيون كلهم على مناوأة العرب واخرجوهم شيئاً فشيئاً من ديارهم كانت هذه القوانين تؤلف القسم الاكبر من شرائعهم .

ثم ان فلاسفة العرب الذين تعلموا فلسفة اليونان وورثوا علومهم ، نقلوا ما تعلموه وورثوا مادوتوه مؤلفي القرون الوسطى ، فشهد الناس الخليفة الحكم الثاني في القرن العاشر يفتح في عهده المجيد تلك الحلقة الزاهرة من العلوم التي تحمل المكافاة ورفع من الحضارة بما أبقته من الاثر الحميد في اوربة النصرانية^(١) وكان العلماء من البلاد الاخرى يؤثرون اسبانيا في تلك العصور ليرتووا من مناهل عرفانها ويحملوا من علومها ما لا يجدونه يومئذ في فرنسا ولا في ايطاليا . ولم يأت على الفلسفة العربية الا عصران حتى أصابها التوقف فجأة بسبب القلاقل السياسية والغارات الاجنبية وشي من التعصب المحقوت .

(١) Renan, Averroès et l'Averroïsme

ويمكن ان يقال ان سلطات العرب في اسبانيا على الرغم من نقهقره لم يزل مؤثراً في أوضاعها السياسية والاجتماعية والشرعية ، وقد احتفظ المسلمون بعد تغلب الاسبانين بشرائهم الخاصة حينئذ من الدهر فان سياستهم الحميدة التي كانوا انبعوها في معاملة النصارى جعلت هؤلاء يواسونهم ويحاسنون من بقي منهم قبل زمن الاضطهاد والاكراه في الدين . وكان للعرب واليهود ايضاً معاهد عام مستقلة وعلماء منهم يعلمون فيها ، فانتهى امرهم بان سادوا وتمكنوا في قشتالة . فظهر حينئذ اثر الشرق اولاً بتأثير فلاسفة العرب ورجال الأخلاق منهم ، ثانياً باذاعة تآليفهم وترجمتها ، ثالثاً بوجود كثير من علماء قشتالة من محمد اسلامي ويهودي ، رابعاً بما كان يبذله علماء العرب واليهود من العون للنهضة العلمية في هذه المملكة الاخيرة (١) .

وعلاوة على ما تقدم فان المجموعة الثمينة المنسوبة الى الفونس العاشر والمسماة بالاجزاء السبعة لم تخل من اثر ظاهر للشرع الاسلامي وهي تحتوي على الشرع الكنسي والمدني والسيامي والعقوبات بتفصيل لا حد له من الاحتمالات والفروض . وقد فصلت شرائع الحرب فكانت هذه المجموعة مصدراً عظيماً لما قرر من قواعدها فسبقت اسبانيا بذلك سبقاً عجيبياً في القرون الوسطى بشرائعها وخصوصاً بمجموعة الاجزاء السبعة . فكانت هذه تقدم ما عند الشعوب الاخرى بقرون . وكان اسبانيا على ما يقول الاستاذ (نيس) ورثت الرومان مباشرة في وضع الشرائع (٢) .

ثم قال كذلك في مقام آخر : « ان مجموعة الأجزاء السبعة تدلنا دلالة واضحة على صفة المقاتلين وتنظيم توزيع الغنائم . وقد امتازت اسبانيا على سائر اوربة ، انها حافظت على الاختيار في جيشها ، على حين ان سائر الشعوب الغربية سيفي القرون الوسطى كانت تعدل عن الاختيار شيئاً فشيئاً وتجعل المراتب العسكرية مما يرثه الابناء عن الآباء . وبقي في اسبانيا المقدمون والقواد ينتخبون انتخاباً » .

فنحن لا يسعنا بعد ذكر ما تقدم الا ان نشير الى نصيب العرب في تقدم الشرع عند

(١) Bollester : Histoire de l' Espagne .

(٢) Les Origines du droit International .

الاسبانيين ، فالعرب — كما قال (جول مهل) مع شيء من المبالغة — هم والرومان اقدر الشعوب في التشريع ^(١) . ونقسم مجموع الاجزاء السبعة بذكرنا بتقسيم كتب الفقه الاسلامي ، ونحن نقول في الختام بقول الاستاذ (نيس) نفسه . ان شريعة الحرب والانظمة العسكرية عند الاسبانيين ، تأثرت كثيراً بشريعة الحرب عند المسلمين كما تأثرت فلسفتهم بفلسفتهم وآدابهم بآدابهم .

وقد وضعت رسالة باللغة الفرنسية في موضوع الشرع الدولي في الاسلام ، قدمتها لمعهد الحقوق في جامعة باريس ، وستنشر عما قريب في اللغة العربية مع تهذيب واضافة وقسمتها الى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة . هذه سياقتها :

المقدمة في تطور المملكة الاسلامية وما يتصل بها من تاريخ العرب وسيرة الرسول والفتوحات والنزاع بين النصرانية والاسلام .

الفصل الاول في الشرع الدولي والشرع الاسلامي وما يضاف الى ذلك .

الفصل الثاني في اوضاع الدولة وشؤون الخلافة وما اليهما .

الفصل الثالث في شريعة الحرب وما يذكر معها من اساليب القتال وسياسته وتوزيع النفي والمغانم وحروب المصالح .

الفصل الرابع في قواعد السلم وما يلحق بها من الامان وعقد الذمة والجزية والخراج والمهادنات والمعاهدات .

الفصل الخامس في العلاقات السياسية والعلاقات التجارية وما يذكر معها .

الخاتمة في تلخيص بعض ما تقدم وايراد وجوه الشبه والتباين بين قواعد المسلمين وقواعد الغربيين في الشرع الدولي .

هذا ولم احفل بالعلاقات الدولية في زمن الترك العثمانيين الا اذا جاءت عن عرض ، لانها تخص في الغالب تاريخ السياسة والشرع الدولي في اوروبا ، وقد عولجت في الكتب التي افردت لهذه الابحاث .

نجيب الارمنازي

دكتور في الحقوق

ادبنا القومي

- ٥ -

في الادب العامي

وقد آت لنا ان نورد عليك صدرآ من الادب العامي وسنخري ، فيه قدراً يسيراً من متغيره . اما تقسيم أنواعه واقامة الحدود لكل منها ، والبحث في أصله ومنبعه ، وكيف درج وكيف سار وكيف نلون ، فذلك كله مما يحتاج الى دراسات طويلة لا احسبها استقرئت او استوت بالتمحيص العلمي الى الآن ، على ان موضوعنا الذي نعالجه اليوم عن هذا في غناء . ومحببتنا ان نقرر محققين ان الادب الذي يدركه اكثر من تسعة وتسعين في المائة من سكان هذه البلاد هو هذا الادب العامي ، وهو الذي يندفع قوته وتستريح به نفوسهم وتتحرك له عواطفهم .

واعلم ان الزجل والموالي مشنقة في الاصل من أوزان الشعر ، وان كانت تُخرف عنها بقدر كبير او صغير ، ثم انها مصبوبة في قوالب عامية او أدنى الى العامية . فكتابتها بالعربية الخالصة او النطق بها كذلك فيه افسادها وإضاعة لأوزانها وإخراجها عن جميع حدودها . قال صاحب السفينة في الكلام على فن الموالى مانصه : « وهو من الفنون التي لا يلزم فيها مراعاة قوانين العربية بل قال جلال الدين السيوطي انه يجب فيه اللحن ، وعليه فيجوز استعمال الألفاظ الجارية في مخاطب العوام من الناس لفظاً وخطاً معاً ، لانك لو نطقت به حسب التخاطب ، واخذت نكتبه على قوانين الرسم المعتبرة مراعيًا للحروف لغيرت وضع ما نطقت به وخالفت حروفه وكسرت وزنه ، وفوت غرض الناظم عابه من تجنبس او غيره » اهـ .

هذا وللزجل غروب وأشكال وتقسيم لا يكاد يدركها الاستقصاء ، وهو على هذا

كل يوم في ازدياد بما نولد قرائح الزجالين . اما الموالى فننحصر في أنواع معدودة لا تكاد تعدوها . وليس هنا موضع تفصيلها .

والزجل والموالى كلاهما يعتمد فيه الى التماس المحسنات البديعية ، ومنها التجنيس ، في الموالى بنوع خاص ، ولقد پہالغ في هذا الى حد التعمسف والتلذيق واستكراء الألفاظ ولو أدى ذلك الى استهلاك الاغراض والتدلي الى استغف المعاني .

ولقد يظهر لك وانت تستعرض الموالى ان اكثر ناظميها انما يدورون باذهانهم قبل كل شيء ليتصيدوا الجناسات من مختلف الألفاظ حتى اذا استوت لهم جعلوا ينظمون من الألفاظ ما يفضي اليها وينتهي بها واقعة ما وقعت معانيها . من ذلك قول القائل :

ان زارك البدر بالوعد الذي اوفاه اقبل وقبل خديده ان سمح او فاه
واستغنم الوصل منه ايسره اوفاه ولا عليك من عدولك ان وشى اوفاه
وقول غيره :

فكري وسهدي وكتر الدمع وصيبه في حب من زاد بالمجران وصبي به
والقلب زاد احتراقه فيه ولهبه لولا يجيني حبيب قلبي يسليني
لا حترق في لظي من كتر ولهي به

وقول الآخر :

اصل اشتباكي مع المحبوب اهدابه لا وهب الروح لمن جابه واهدى به
وحق مومى كلهم الله واصحابه مالي مؤانس بطول الليل يؤانسي
الا خياله انام به الليل واصحابه

وقول الآخر :

بشراك يا قلب آدي اللي كنت به موعود

زارك حبيبك وطاب أنسك على ما وعود

ولا تنس قبل كل شيء انك تنطق بالألفاظ عامية ، وتبدل القافات همزات حتى يستقيم لك الكلام .

والى جانب هذا لقد ترى في هذا الادب (البلادي) اشياء تهز وتروع . انظر كيف

يقول الموال الصعيدي :

يا قلب لا كويك بالنار وان كنت عاشق لأزيدك
يا قلب حملني العار بتريد من لا يريدك ؟
ويتصل بهذا قول الآخر :

مسكين من يطبخ الفاس ويريد مرق من حديد
مسكين من يصحب الناس ويريد من لا يريد
ثم تأمل قول القائل :

ما العيش إلا العيش وان كان ناشف بله
والعورة يسترها الخيش فضك من دا كله

أرأيت في شعر الشعراء ونثر النثر ما يعلو على هذا الكلام (فضك من دا كله)
ولو قد نحمد أديب ان يشرح هذا المصراع وحده ويبدل على ما تحته من دقائق المعاني
لاحتاج الى أسطر طويلة ، ثم هيئات له ان يشعر كل ما فيه من حلاوة .
وانظر قول القائل :

خائف اقول له ، يقول له منيه مرعوب خائف
بالله يا قلله قلله حين توردي على الشفايف

وهذا كلام يحتاج الى تفسير يسير فابدل القافات منه اولاً (جنيات) على منطق اهل
الصعيد وسائر ريف مصر على التقريب . والناظم يناجي (قللة) الماء ويتخذها الى هواه
رسولاً فهو يقول : « انا خائف من ان أقول له فيقول لا ! فانا منه في رعب وخوف
سألتك بالله يا (قله) ان نقولي انت له حين ترددين على شفثيه . أرأيت ابداعاً في الطلب
كمذا الابداع ؟ هو يطوي اولاً مقول القول ، فلم يسأل (القللة) الا ان نقول ، ولكن
نقول ما ذا ؟ هذا ما اخذ نفسه بالأدب عن التصريح به او تركه للذهن الدقيق يفهمه
من قوله في غاية الموالي (حين توردي على الشفايف) !!
وقول القائل (ويروي للرحوم محمد سلطان باشا) .

اصل البلاوي ما هو انتم وقول العذول كان صايب
شاورت قلبي ما هنتم فراق الأحبة مصايب
وانظر بعد هذا الى ضروب من البلاغة فيما يدعونه بالغناء (المحلاوي) .

سبع سواقي بتنعي ما طفوا لي نار
يامنية القلب قل لي إزاي عشق الجار
يبقى النظر في النظر والقلب قايد نار
أنرى ، بعيشك ، هذا بقل حلادة اد براعة في اعلان الوله عن قول المحنوز :
وانت مقيمات بمنعرج اللوى لأقرب من ليلى وهاتيك دارها
وانظر الى قول القائل ايضاً :
طلبت يا حلو من شبابكك العالي يا هل ترى طلتك للناس ولا لي ؟
وقول القائل :

امانة الله في دي الغيبة افكرتو ناش بالي رضىتم بعادنا واحنا مارضىناش
سندين نستنظر رسول من يمكم ولا جاش والصبر اموه فرغ والدمع ما ينحاش
وقول غيره :

سافرت وادي اليمن وبعدت عن عيني مثلك ظريف المعاني ما رأت عيني
وان كان غيرك قمر ما ننظره عيني
باللي انا الورد وانت الماء تسقيني ان غبت دبلتني وان عطدت تنجيبي
وقول الآخر :

يا شمس قبل ان تغيب خبري اهلي بي انت سبب غربتي عنهم وتمذيبي
خايف يصادفك غمام يا شمس يخلي بي

ولا شك في ان من أحسن ما اثر من الشعر في بلاغة الاشارة قول الشاعر :
فاستبق عينك لا يودي البكاء بها واكفف بوادر دمع منك تستبق
فما الشؤون وانت جادت بياقبة ولا الدموع على هذا ولا الحدق

فهل تخلف عنه ناظم هذا (المذهب) :
على الملاح انت لا دير وانا على العشاق كده
وهل تخلف عنها الشيخ النجار حين يقول (واني لأرويه ولا حياء في العلم) .
يا اهل البلد شفتوش عيلة بالوصف ده

الأم والبنت تلدع . والواد كده

والبنت نادت في الجرة يا مسلمين

لا امي ولا أخني حرة واطلع لمين

أرأيت البلاغة البالغة في قوله (والواد كده) ؟ ثم أرأيت كيف أدت كلمة (تلدع) من المعنى ما لا يغني في أدائه لفظ آخر ، وهي لمرأة التي لا هي بالحررة الخالصة ، ولا هي بالبغني الخالصة . بل لقد جرى العرف على انها التي تعيش عيش الحرائر ، ولكنها تنساب اخني وقتاً بعد وقت Demi Mondaine كما يقول الفرنسيون . ولذلك ترى لها هنسا بندين وولداً .

ثم انظر بعد ذلك كيف كان هذا الكلام مسلماً جارياً على الطبع حتى لكأنك تسمع حقيقة بنتاً تدلي الى الناس بعذرهما فيما تشورط فيه من الخروج عن الفضيلة والانحراف عما تقتضي به آداب الدنيا وآداب الدين معاً !

وأروي لك شيئاً لا يعجبك اوله ولكن سيهرك آخره :

الحديد لو انطبع لانت وانت ما تلين يا معجباني

انا مستحي وانت غضبان طالت علينا الليالي

ولعل (طالت علينا الليالي) تدعو اليك قول العباس بن الأحنف :

تعالى فجدد دارس العهد بيننا كلانا على طول الجفاء ملوم

ثم كيف ترى في قول القائل :

(الليل أهو طال وعرف الجرح ميعاده) الخ

ولا يذهب عنك قول القائل :

سأهي الجفون ما كفاك الهجر يا ساهي سهران بتلعب وعن وصل الشجي ساهي

ثم انظر كيف يقول القائل في (طقطوقة) :

يا ست ليه المكابدة مش بكفي قلبي المناعدة

تكايدني ليه حابنوبك ايه

مفيش من الثقل فايدة

وانظر الى قول الآخرى (طقطوقة) ايضاً على لسان جارية تطلّم أمها يهواها :
يا حمامه بأأمه عدي المنصورة يجلاجله الفضة وشعور : رة
يا شيلة عيوننه بأأمه يا ضنى حالي
وقبل ان أفارق هذا الموضع أذكر انني كنت في سباحة نيلية مع شاعر النيل
حافظ بك ابراهيم ، وسمع ملاحاً يغني :

والفرش حيران بهم بالليل ما ناموا
فارتج رجة عنيفة من (الفرش حيران بهم) ورأى من فوره ان هذا المعنى البديع
ينبغي ان ينظم في شعر العرب فنظم بيته المأثور :

حار الفراش بنا مما نكابه وضاق صدر الليالي عن تشكيننا
وبعد ، فقد نلاحظ وخاصة في الموالى ، ان الكلام كثيراً ما يعلو فيها الى حد الفئنة ،
ثم ما يلبث ان يهوي الى الخفيض حتى لا يصبح بين أجزائه شيء من التجانس والاتساق .
وذلك بالضرورة من اثر ضعف النظام ، فان اقدم لتجيش نفسه بالمعنى الكريم فينفثه ثم
ينقطع به النفس فلا يستطيع ان يتم المقال الا بالفصل المتتالي الذي لا يترامى لغرض
ولا يترامى فيه عاطفة ، اما اذا كان الناظم قوياً فانك وان رأيت بعض أجزاء الكلام
يعلو على بعض فان السلامة مكفولة له على كل حال ، وهذا تحه فيما نظم صبري في هذا
الباب وما ينظم شوقي وأضرابهما من أئمة اهل البيات .

ومن الأدب الشائع في العامة (القصص) واكثرها شيوعاً في المدن والقرى على
السواء أمثال قصص ابي زيد الهلالي والزناقي خليفة والبردويل بن راشد الخ . على ان
بعض العامة يستريحون بالاستماع الى قصص الف ليلة وليلة ، بل وعنترة بن شداد ، على
انه قد شاعت في هذا العصر القصص الجديدة (الروايات) وهي تلي من الناشئين في التعليم
اقبالاً ايما اقبال .

ومن الوان الأدب التي لم يكن الخاصة — مع الأسف الكثير — بالتأمل وسيلة لكتابتها
واثباتها مع انها انما تعنى الخاصة وأشياء الخاصة — التطرف او كما يسميه المصريون
(بالقفش) وهو قائم على قوة البدنية وسلامة الذوق وسرعة وثوب الذهن الى ملابسات

المعنى وطبع الكلام في صورة عجيبة تبعث الطرب ونثير الضحك .
 وخير هذا النوع يجري على السن سكان المدن ، اما اهل الريف فلمهم تطرف ولكنه
 مبالغ لا طعم له .
 ومن أعرف ممن لم اكبر الحظ في هذا النوع المرحومون الدكتور بكير ، محمد بك
 البابلي ، محمد رشاد بك ، محمد الموليحي بك ، الدكتور رأفت بك ، خليل خير الدين بك
 امام العبد افندي ، وما زال في الاحياء والحمد لله كثير .
 وانما أردت (بالوسيلة) اكتابة هذا الادب وتدوينه ، تلك التي تحفظ له رونقه
 وبهاءه . فانه اذا أثبت بالعربية حال لونه ونضب ماؤه .
 ومن آداب العامية النكات البلدية المعروفة (بالقافية) وقد أسلفت عليك انهما من
 توليد مخ الحشاش المصري ، وهي قائمة على التلفيق وحده ، ذلك ان يعمد الرجل الى كلمة
 مأثورة او جملة معروفة في اي غرض من الأغراض فيسبقها باخرى حتى اذا انصلت بها
 حرقتها عن وجهها وأخرجتها الى لون من التطرف مضحك عجيب .
 ولقد كان هذا النوع من التطرف شائما في الاعراس ، وله رجال يحفظونه ويحذقونه
 فكان اذا انقطع المغني للاستراحة قام رجلان فتطارحا النكات في شتى المعاني ، حتى اذا
 غلب احدهما في باب من القول تحول بصاحبه الى باب آخر ويدعى عندهم (قافية) كذا
 والناس مما يسمعون في ضحك شديد ، ونصفق حديد .
 ثم الامثال العامية وما أدراك ما الامثال العامية ! . حقا لقد تناوات كل شيء
 وأصابت كل غرض ، وندست الى كل معنى ، فما يكاد يعرض لك رأي او يسمع لك
 خاطر ، وخاصة في تقرير مبدأ ثابت ، او امر عام واقع ، الا تنهيا لك ان تصل به مثلاً
 طامياً غاية في الدقة وحسن الاداء .
 ولعل العامية في هذا الباب من أغني لغات العالم .
 وهناك ألوان من الادب العامي آخر مما ينبغي فيه العامة ويتناشدون ، ومما يملحون به
 ويتفاكهون واني أدع الكلام فيه لمن يريد ان يتجرد في حصر أنواع الادب العامي وضبطها ،
 والابانة عن حدودها واصلها وتصرفها على الزمان .
 وبلغ القول بعد هذا ان من ينبغي عن (ادبنا القومي) كل هذا الادب الذي تعيش

به لامة كلها على جهة التقريب ، ويزعم انه محصور في الادب العربي الخالص (الشعر والنثر الفني) وهذا ما لا يدركه الا القليلون ، ولا يتذوقه الا الأقلون — فذلك احد رحاين^١: رجل لا يعرف الأدب ، او رجل لا يعرف مصر .

« باحث »



رسالة الكرم

- ٩ -

« الخطاب والأجام »

الخطاب ككتاب ان يقطع مايس من شكر الكرم حتى ينتهي الى حد ما جرى فيه الماء وزمانه حين يجري الماء في العود .

و يقال أحطب العنب واستحطب اي احتاج الى ان يقطع شيء من أعاليه .

واحطب الكرم حان ان يقطع منه الحطب . ونحطبه ، قطعه .

واحطب عنبك واستحطب حان ان بعنب^(١) .

واستحطب عنبك فاحطبه حطباً اي اقطعوا حطبه .

ويسمى ما يقطع منه الحطاب والمحطوب المنجل الذي يقطع به .

قنب الرجل العنب نقنباً قطع عنه ما يفسد حمله . وقنب الكرم قطع بعض قضبانته

للخفيف عنه واستيفاء بعض قوته . وقنبوا العنب اذا قطعوا عنه ما ليس بحمل وما قد

يؤذي حمله بقطع من اعلاه . قيل هذا حين يقضب عنه شكره رطباً .

قضب الكرم نقضياً قطع أغصانه وقضبانته في ايام الربيع . والمقضب والمقضاب

(١) هكذا نقله في التاج عن الاساس وقد رأيت في نسخة الاساس ان يؤنّب ولعل

الصواب ان يؤنّب من باب النفعيل .

المنجل الذي يقطع به . وقُضابة الشجر ما يتساقط من أطراف عيدانها اذا قضبت .
وقضابة الكرم والشجر ما يأخذه القاضب .

أَجَمَّ الرجل العنب اذا قطع كل ما فوق الارض من أغصانه . وفي المخصص
فاذا بلغ الكرم ان يقطع فاضل قضبانه للتخفيف عنه واستيفاء قوته قيل قُضِبَ وقُذِبَ
وقُلِّمَ (١) .

فاما الأجهام فقطع جميع ما على الارض منه يقال اجَمَّ العنب قال ابو حاتم بناس
يُجَمِّدُون العنب كل عام ولا يغرسون والجم ان يقطع من وجه الارض ثم ينبت قال يقطعونه
من وجه الارض عامين ثم يتركونه في الثالثة فلا يقطعونه حتى يكبر شجره فيحمل .
وقد تقدم معنى أقطع فلاناً قضباناً من الكرم اذن له في قطعها والقطيع الغصن
نقطعه من الشجرة . والقطع كالقطيع والجمع أقطاع .
وتقدم معنى أغلى الرجل الكرم ومعنى غمله .
حبك عروش الكرم قطعها .

العلة حديدة يقطع بها فسيل النبات والكرم .
ويقال رشح العنب ترشيحاً قام عليه وأصلحه . وفي حديث ظبيان يأكلون حصيدها
و يرشحون خصيداً اي المقطوع من شجر التمر قال في اللسان وترشيحهم له قيامهم عليه
واصلاحهم له الى ان تعود ثمرته نطلع كما يفعل بشجر الاعناب والتخيل .

« أنواع العنب »

— العنب الابيض —

الملاحى كغرابي و يشدد (٢) . عنب ابيض طويل الحب قال ابو فيس بن الاسلمت :
وقد لاح في الصبح الثريا كما توى كنعقود ملاحية حين نورا
وقال الشاعر :

(١) في اللسان قَلَمَ الظفر والعود والحافر بقَلَمِهِ قَلَمًا وَقَلَمَهُ قَطَعَهُ بالقلمين واسم
ما قطع منه القلامة . وقال والقلمان الجلمان لا يفرد له واحد .
(٢) في المخصص والتشديد قليل .

ومن تعاجيب خلق الله غاطية . يعصر منها ملاحى وغريب
والملاحى نوع من التين صفار الملح صادق الحلاوة ويزيب .
العنب الرازقي : ضرب من عنب الطائف أبيض طويل الحب والرازية والرازقي
التمر المتخذ من هذا العنب . وفي الاصمعي الرازقي أبيض داخلته زرقاة طوال الحب .
وفي التهذيب الرازقي هو الملاحى . ويقال له الطاهر والطهار .
النَّوْاسِي : بالضم ^(١) عنب أبيض عظيم العناقيد مدحرج الحب كثير الماء حلو جيد
الزبيب . وفي اللسان مدور الحب متشاكل ^(٢) العناقيد طويلة يلها مضطربها . قال الازهرى
لا أدري الى اي شيء نسب الا انت يكون مما نسب الى نفسه كدوار ودواري وان لم
يسمع النَّوْاسِ هنا . وفي المخصص ومنه النَّوْاسِي والنَّوْاسِي وهو الشامي وهو كأنه
أذنب الثعالب وهو عنب أبيض كثير العناقيد مدحرج الحب كثير الماء حلو ويزيب .
الاقمعي : قال في المخصص الالف منه مكسورة وقيل الأقمعي وهكذا ضبط في
اللسان . عنب أبيض وإذا انتهى منتهاه اصفر فصار كالورس وحب مدحرج كبار مكثز
العناقيد كثير الماء ، ليس وراء عصيره غابة في الجودة وعلى زيبه المعول . وهو غلة الناس
واصل العنب الذي يعتمد عليه . والاقمعي ضربان فارسي وعربي . فالعربي أبيض عظام
الحبة كثير الماء والفارسي اعظم حبة من العربي واقل ماء وأكثر شجماً .
التَّبَوَكِي : ضرب من عنب الطائف أبيض قليل الماء عظيم الحب نحو من عظم الاقمعي
ينشئ حبه على شجرة كذا في اللسان والتاج ، زاد ابن عباد كأنه نسب الى تبوك . وفي
المخصص والتبوكي وهو عنب احمر كبار كالضروع في العظم الا ان الضروع أحلى منه
واكبر عناقيد ويزيب كأنه التمر الشهريزي في الكبر . وقد ذكر في كتاب الاصمعي :
الشوكي : أكثر من مرة وعرفه بنحو ما تقدم عن اللسان والصواب التبوكي كما ذكرناه .

(١) هكذا ضبطه في التاج وضبط في اللسان بالشكل مثله وفي الاصمعي والنَّوْاسِي
والنَّوْاسِي الواو مشددة ثم قال والنَّوْاسِي الشامي ولم يجد النواحي فيما لدي من كتب
اللغة ولا من ضبط النواحي بتشديد الواو كما ضبط في كتاب الاصمعي .
(٢) كذا في اللسان وفي الاصمعي متسلسل العناقيد .

أطراف العذارى : عنب أبيض طوال كأنه البلوط يشبه باصابع العذارى المخضبة
اطوله وعنقوده نحو الذراع متداحس^(١) وقد يرب كذا قال في المخصص . وفي الأصمعي
أجود العنب الأبيض أطراف العذارى والصروع وهما متقاربان كل واحد يشبه صاحبه
يقال هذا عنقود من الأطراف . وقال سفي . وضع آخر وأما الأطراف فابيض طوال
رفاق وفي التاج أطراف العذارى ضرب من العنب ابيض رفاق يكون بالطائف يقال
هذا عنقود من الاطراف كذا في الأساس .

وفي اللسان وأطراف العذارى عنب أسود طوال كأنه البلوط يشبه باصابع العذارى
المخضبة لطلوه وعنقوده نحو الذراع . ثم قال وقيل هو ضرب من عنب الطائف أبيض
طوال دفاق .

هذه أقوال هؤلاء الائمة في تفسير أطراف العذارى . وهو متضارب وقولم يشبه
باصابع العذارى المخضبة بدل على انه غير ابيض . والذي يظهر لي انه وقع التباس في
هذا النوع من العنب فان هناك نوعاً آخر يقال له أصابع العذارى وهو اسود كما يأتي
فعلى هذا ينبغي ان يكون الأبيض أطراف العذارى والأسود أصابع العذارى و يؤيد
ذلك قول الأصمعي أجود العنب الأبيض أطراف العذارى وقوله : وأما الاطراف
فأبيض ، وقول الاساس : ابيض رفاق ، فتأمل .

الآء بوزن العاع عنب ابيض يأكله الناس ويتخذون منه رباً وقيل هو ثمر السرح .
الناهر والنهر ككثف العنب الأبيض هكذا ذكره في القاموس ولم يحمله .
الكلافي بالضم عنب ابيض فيه خضرة واذا رُبب جاء زيبه اكلف^(٢) ولذلك سمي
الكلافي . وقيل هو منسوب الى كُلاف وهو بلد في شق اليمن معروف كما نسبوا الجرشي
والتبوكي والتُرَبي^(٣) .

() يقال دحس الزرع اذا امتلأ حباً ودحس الشيء ملاءه ودحس السبيل امتلأت
اكنته من الحب ودحس الصنوف زاحمها بالناكب . (٢) في التاج ادم اكلف .
(٣) هكذا قال في المخصص ولم ينعت له ولعله منسوب الى تربة كهمزة وهو وادي بقرب مكة
على يمين منها وقيل وادي للضباب طوله ثلاث ليال فيه نخيل وزروع .

القُبَر كهُرد عنب ابيض فيه طول وعناقيد متوسطة ويزيب .
 الرءناء عنب بالطائف ابيض طويل الحب مكذا في اللسان والتاج . وفي الاصمعي
 عنب له حب طويل . ولم ينعته .
 الضروع بالضم عنب ابيض كبير الحب قليل الماء عظيم العناقيد منه ^(١) الزيب الذي
 يسمى الطائفي وعناقيد متراصة الحب . وفي الاصمعي واما الضروع فأبيض وهو اطول
 العنب حباً واقله حبة وقد تقدم قوله ان الضروع يشبه اطراف العذارى .
 أُوَيْن : العنب الأبيض عن ثعلب عن ابن الاعرابي وانشد :
 كأنه الوَيْن اذا يُجْنى الوين .

وقال ابن خالويه الوين العنب الاسود والطاهر والطاهر العنب الرازي وهو الابيض
 وكذلك الملاحي وقد تقدم هذا .
 الشامي عنب ابيض فاذا أينم احماراً مكذا قال الاصمعي . وقال في موضع آخر .
 والنوامي الشامي وقد تقدم عن الخصاص نحوه .
 الجُرْشِي كقُرْشِي ضرب من العنب ابيض الى الخضرة رقيق صغير الحبة وهو اسرع
 العنب إدراكاً . وزعم ابو حنيفة ان عنساقيد طوال وحبه متفرق قال وزعموا ان
 العنقود منه يكون ذراعاً كذا في اللسان . ثم قال ومن الاعناب عنب جرشي بالغ جيد
 ينسب الى جرش ^(٢) . وفي الخصاص الجرشي وهو اطيب العنب كله وهو اسحر ^(٣) رقيق
 بكر فيلح عليه الناس وقد يزيب وعناقيد طوال وحبه متفرق يكون العنقود منه ذراعاً

- (١) في التاج مثل الزيب الخ .
 (٢) جرش بضم الجيم وفتح الراء مخلاف باليمن من جهة مكة نسب الى جرش وهو لقب
 منبه ابن اسلم بن زيد بن الغوث بن حمير وجرش بفتح الجيم والراء بلد بالشام وفي التاج
 بلد بالاردن من فتوح شرحبيل بن حسنة .
 (٣) السَحَر والسُحرة باض يعلو السواد يقال بالسين والصاد الا ان السين اكثر
 ما يستعمل في صحراء الصبح والصاد في الالوان يقال حمار اصحر واتان صحراء وقيل الصحرة
 لون الاصحر وهو الذي في رأسه شقرة وقيل حمرة تضرب الى غبرة .

آراء وافكار

— « » —

التفاوت والتشاور^(١) « بكلمات اللغة »

من الناس من يتشائم بكلمات اللغة فلا يرضى ان يستعمل منها في كتابته او خطابه الا ما كان لطيف الجرس . لذيد الوقع في النفس . لكننا اذا اقررنا على تشاؤمه هذا ووافقناه على اطراح كل كلمة من كلمات اللغة احتكم فيها بذوقه الشخصي — اضطررنا ان نكف من بين سطور معاجمنا كثيراً من الكلمات في وقت نحن محتاجون فيه الى تنمية اللغة وتكثير سواد كلماتها : فاذا كنا لا نجوز استعمال الكلمات غير القاموسية من مولدة . ودخيلة . مربية . ولا يمكننا ان نضع كلمات وضعاً جديداً ثم بعد ذلك كله أخذنا نتشائم بالكلمات التي نشعر فيها ببعض الغرابة او الكراهة في السمع ونحكم ذوقنا الخاص في هذه الغرابة او الكراهة — كيف يتيسر لغتنا ان تجاري اللغات الحية وتفتح دائرتها لمطالب الحياة الجديدة . فعلينا إذن ان نقاوم هذا التشاؤم اللغوي بتفاوت لغوي مثله او أشد منه : فنقتال بكلمات اللغة . ونعمل على إحيائها مهما احسننا لأول الامر بكراهتها في السمع . فان تداولها وتكرر استعمالها كفيلاً ان يتهذب بها . وصقل خشونتها . والشرط الاعلى في جواز استعمالها مراعاة المقامات : اي ان يعرف الكاتب او الخطيب كيف يستعمل الكلمة وفي اي المقامات يجلسها . فاذا أوتي حظاً من الذوق اللغوي وعرف كيف يميز بين الكلمات . وما تصالح كل واحدة له من المقامات . راجت الكلمات التي كنا نعدها غريبة او مشافرة وحسن وقعها في الأذواق . وتعايرتها أقلام الكتاب وألسنة الخطباء : اذا لم يكن ذلك في كل موطن ففي مواطنها الخاصة . بها ولنضرب لذلك المثل الآتي :

(١) قرئت في إحدى جلسات المجمع .

إذا قال العرب (فلان سبط الشعر) أرادوا أنه مسترسل الشعر غير مجتمده .
و (سبط القامة) أي ممتدّها طولها . وإذا قالوا : (فلان سبطر) كان معناه ايضاً
الطويل المتمد القامة . فالراء في (سبطر) هي قطعاً زائدة في آخر كلمة (سبط)
لاتحادهما في المعنى . وكما تكون الزيادة في آخر الكلمة تكون احياناً في اولها وهذا نحو
اقشعر من (قشعر) فان قافها زائدة في اءل كلمة (شعر) لان معني (قشعر) قف شعره
وانتصب .

ثم ان العرب اذا وصفوا الاسد بكونه (سبطراً) حصل بعض التغير في معني
الامتداد : ذلك لأنهم يريدون امتداده عند الوثبة على الفريسة . فامتداده في تلك
الحالة هو امتداد جسمه او امتداد المسافة التي يقطعها .
وإذا قالوا (اسبطر) فلان على وزن (اقشعر) أرادوا معني الاضطجاع : لان
المضطجع يمدّ بدنه على الارض .

ومن الأدلة على ان الاسبطرار هو امتداد الجسم وانبساطه ما حكاه علماء اللغة قالوا :
حكّت امرأة صاحبها الى (شريح) القاضي في مرة يدها . ومع المدعية
درص مرة . ودرص المرة ولدها الصغير (وكذلك ولد الأرنب والجرد ونحوهما في
الحجم كله يسمى درصاً) . فقالت المدعية : ان المرة مررتي وهي أم هذا الدرص الذي
ييدي . وقالت الاخرى كلاً وإنما هي مررتي . ولما جاء دور الكلام للقاضي (شريح)
فصل القضية بينهما على هذه الصورة :

أدّوا الدرص من المرة فان هي قرئت (أي سكنت) ودرعت (أي سال الدر من
ثديها) واسبطرت (أي امتدت على الارض متهبأة للارضاع) فالمرة للمدعية . وان
هي قرئت ونقبت وازبأرت (أي انتفش شعرها) فليست لها (لان المرة لا تهرب
من ابنها الصغير عادة) .

هذا هو معنى اسبطر الحقيقى اوالأصلي أعني امتداد الجسم . وضد (اسبطر) بهذا
المعنى نقبض وتكتمش ونقلص واختنأ وتجمع الخ .

ثم توسع العرب في (الاسبطرار) فاستعملوه في معنى السرعة وأن يمضي السائر
أمامه قدماً من دون ان يُعَرَّج او ينثني : فقالوا : (اسبطرت الاوبل) اذا أمرعت .

وإنما سموا السرعة اسبطراراً لأن المسرع يمتد جسمه بطبيعة الحال .
ومن استعمال الاسبطرار بمعنى السرعة قول عمر بن أبي ربيعة :
(قالت لها أختها تعانيتها لفسدن الطواف في عمر)
(قومي نصدي له لبصيرنا ثم اغمز به يا اخت في خفر)
(قالت لها قد غمزته فأبى ثم اسبطرت تسعي على اثرى)
فقول عمر (اسبطرت) يريد أنها أسرعت وحدثت في الجري خلفه . ويروي
(ثم اسبطرت تشتت في اثرى) .

وليس في قول هاتين الفتايتين ما يدعو الى الريبة او سوء الظن في اخلاق عمر وهو
نفسه الذي يقول :

(إني امرأ مولع بالحسن أتبعه لا حظ لي فيه إلا لذة النظر)
بقي علينا قول عمرو بن معدى كرب الزبيدي وهو من ابيات الحماسة :
(ولما رأيت الخيل زوراً كأنها جداول زرع أرسلت فاسبطرت)
مامعنى قوله (اسبطرت) وهل ضميره يرجع الى الخيل ام الى جداول الماء المناسبة
بين الزرع ؟ وعلى كل هل (الاسبطرار) هنا بمعنى الماء الاصلي اعني امتداد الجسم ؟ فان
الماء يمتد على الارض والخيول تمتد اجسامها وهي مسرعة — او بمعنى الفرع : وهو
الاسراع : فان الماء يسرع والخيول تسرع — كل ذلك جائز .
ومن توسع اهل اللسان في الاسبطرار ان نقلوا معناه من الامتداد الحسي الى
الامتداد المعنوي من ذلك قول الحريري في احدى مقاماته :

(قد دفع الليل الذي اكفهرنا الى ذراكم شعشعاً مغبراً)
(اخا سفار طال واسبطراً) الخ

وضمير (اسبطراً) راجع الى السفار اي السفر فهو يقول ان سفره طال امده وامتد
ولا يخفى ان امد السفر وزمنه ليس امراً محسوساً بل معقولاً .
ويقول فائل : ولكن ما الفائدة من تحليل كلمة الاسبطرار وبيان اشتقاقها وطرائق
استعمالها اذا كانت غريبة لا يمكن اقتباسها في الكتابة والخطابة .
اقول بل ينبغي ان نحيطها بالاستعمال بل نحفي ما كان اقبح لفظاً منها بشرط ان نعرف

كيف نستعمله ؟ وفي أي المواطن والمقامات ندخله ؟
مثال ذلك كلمة إذا ذكرتها للقاري استعجبها وأنكر جواز استعمالها . حتى إذا شرحت
له طريقة الاستعمال والمقامات التي يجب أن تقع فيها أعجب بها . وعوّل على استعمالها من
دون تردد ولا تكبر .

تلك الكلمة هي (المجاحشة) وهي في اللغة بمعنى المزاحمة وهذا المعنى إما أن يكون
جاءها من مادة (الجحش) ابن الأثبات فإن الجحاش إذا أرسلت العراك زاحم بعضها
بعضاً . وإما أن يكون جاءها من (الجحش) مصدرًا بمعنى السجّج أي قشر الجلد : يقال
جَحَشْتُ نَحْذَهُ أو ساقه إذا قَشَرْتَهُ جلدها : فمن يجاحش الآخر أي يزاحمه في أمر من
الأمر إنما تكون مجاحشته له في أشد حالاتها حتى تصل إلى جدّة أن يقشّر أحدهما بدن
الآخر فهو مبالغة في تصوير المزاحمة وفرط اللزاز .

هذا هو معنى (المجاحشة) في أصل اللغة ثم استعملت في مطلق مزاحمة : بين
الجحاش أو غير الجحاش . نتج عنها قشر جلد وخدش بدن أو لم ينتج شيء من ذلك .
ولهذا لما رآوا أن الذي يدافع غيره عن نفسه تقع منه مزاحمة له سموا المدافعة بمجاحشة
فقالوا : جاحش فلان فلاناً إذا دافعه وفاتله .

ثم توسعوا في الاستعمال فقالوا : جاحش فلان عن فلان إذا دافع عنه وحامى عنه .
ومنه قولهم (فلان يجاحش عن خيط رقبته) أي أنهم يحاولون الحكم عليه بالقتل وقطع
العنق وهو يجتهد في المجاحشة والمدافعة عن نفسه بمختلف الوسائل .

نقول : ولكن معهما كان من أمر اشتقاق كلمة (المجاحشة) ومهما كان من استعمال بلغاء
العرب الأقدمين لها فالواجب في عصرنا هذا أن تموت موتاً ، إذ لا يحسن أن يقال : فلان
يجاحش في المحكمة عن فلان . ولا أن فلاناً أحسن المجاحشة في هذه الدعوى . ولا أنه
يجاحش بارع كما يقال محام بارع .

نعم لا يجوز أن يقال ذلك جميعه ولا أن تستعمل كلمة (المجاحشة) في هذه المقامات
لوجود كلمات غيرها أغني عنها . وهي أليق بالاستعمال منها .

ولكن أقول السادة الفضلاء . في هؤلاء الذين يزاحم بعضهم بعضاً على أبواب الامراء .
وكلّ منهم يريد أن يتقدم على إخوانه . ويتبوأ المكان الأرفع من مجلس الأمير وديوانه .

فهذه المزاحمة الممقوتة التي تقع من اولئك البلاد . على هذه الصورة السوءاء برأى ومسمع من العامة والاهماء . أليست جديرة بان تسمى (مجاحشة) لا (مزاحمة) وان يقال عن اصحابها في معرض التهكم بهم والتعهير . انهم كانوا يجاحش بعضهم بعضاً على باب الامر . لا جرم ان العلي الذي عرف (البلاغة) بانها مطابقة الكلام لمقتضى الحال يجوز لنا استعمال كلمة (المجاحشة) وادخارها لمثل ما ذكرنا من المقامات او الماسبات .

« المغربي »

== « « « « « « « « « « » » ==

حول « واسطة السلوك »

قرأت في الجزء الثاني من المجلة (شباط ١٩٣١) ما كتبه السيد محمد السعيد الزاهري عن كتاب ابو حمزة سلطان تلمسان وقال ان الذي ترجمه الى اللغة الامانية هو الاستاذ مارينو غاسبار نقلاً عن نسخة عربية مخطوطة موجودة في مكتبة الاسكور يال .

والي استبيحكم تصحيح هذا الخطأ اذ المترجم ذكر في مقدمته ص ٧ مانعه :

انه ترجمه عن النسخة العربية المطبوعة في المطبعة الملكية في تونس سنة ١٨٦٢ واسم النص العربي « واسطة السلوك في سياسة الملوك » والكتاب موجود منه نسخة في مكتبة انجمن العلمي التاريخي في مدريد .

م . أسين : مدريد :

== « « « « « « « « « « » » ==

مطبوعات حديثة

—«»—

المراح في المراح

موضوع هذا الكتاب (أعني المراح والدعابة) من أشهى الموضوعات وانفعها بشرط أن يتجرد عما لاخير فيه من الكلام . وما تنبؤ عنه أسماع الكرام . ويكون الحال فيه كما قيل عنه صلى الله عليه وسلم (انه كان يمزح ولا يقول الا حقاً) وقد راعى المؤلف العلامة بدر الدين الغزي الدمشقي المتوفى سنة ٩٨٤ هـ هذه الشرائط في كتابه هذا : (المراح في المراح) اقتصر فيه على ماورد في كتب السنة وأخبار السلف . فبدأ بما ورد من ذلك عنه صلى الله عليه وسلم ثم عن صحابته والتابعين . فجاء الكتاب في سبعين صفحة . وكل أخباره مروية بالسند على طريقة المحدثين . وقد وقعت مخطوطة هذا الكتاب في يد ناشرها السيد أحمد عبيد (احد اصحاب المكتبة العربية في دمشق) فطبعها بنفقة مكتبته المذكورة طبعاً بلغ حد الائتقان . وقد قدمها بكلمة منه ثم بترجمة المؤلف وعني عناية خاصة بتخريج أحاديث الكتاب فردها الى مصادرها او مصادر أخرى معتمدة . ولم يحذف من اصل المخطوطة سوى خبر خوات ابن جبير المشهور وهناك خبر آخر ذكره في ص ١٥ و يابسته حذفه كما حذف خبر خوات . ومن جملة ما استفدناه من هذا الكتاب ان كلمة (الادب) التي بكثرت أدباء العصر من البحث عن معناها وتحقيق امر مدلولها واطلاقها في زمن الجاهلية والاسلام — وجدناها معني مناسباً لمعناها الذي لا يكاد متأخرو الادباء يفهمون سواء : وهو مستملح الأخبار التي ننضم شعراً ولغة وفصاحة قول . ففي ص ١٩ ان السيدة عائشة (رض) عابت (القاسم) مذحجن في كلامه وفصلت عليه (ابن ابي عتيق) وقالت للقاسم « اما اني علمت من ابن أبيات ؟ هذا (نعني ابن ابي العتيق) قد أدبته أمه . وانت أدبتك أمك »

فنقوم اللسان ونعويده الفصاحة في القول كان من الأدب في عرفهم . وجاء (في ص ٣٧) ان ابن ابي عتيق المذكور وهو مشهور باللهو والمطايبة — داعب عبد الله بن عمر رضي الله عنه دعاية فيها شعر وشي من رث هاله امره اولاً حتى اذا فهم حقيقته ابتسم وطابت نفسه وقال لابن ابي عتيق (أحسنت فزدنا من هذا الادب) وهو يعني به الشعر وما احتف به من هذه الدعاية المفككة .

والغلط في الكتاب قليل جداً أهمه غلطة وردت في (ص ٥١) في حكاية الاعمش الذي قدم لجليسه سدة (فيهارغيفان يابسان وسكرجة كاتخ شبت) هكذا ضبط المصحح كلمة (شبت) بصيغة الفعل الماضي المبني للجھول من مادة (شبت) وتاؤه للتأنيث وقال في تفسيره ان معنى شبت أتيت وتهايت .

وصواب الكلمة (شبت) وهي اسم على زون (فإز) اي بكسر اوله وثانيه وتشديد ثالثه وهو بقلة معروفة كما في كتب اللغة وفسره بعضهم بالسون اي الكمون فهو من الكوامخ المشبهة للطعام . تارة بمالج كاتخ مستقلاً وتارة يضاف الى الطبخ . وتارة بطبخ وحده كما يفهم من كلام ابن البيطار في مفرداته وهاك قوله (والكاتخ المعمول فيه الشبت أصلح الكوامخ وانفعها للعدة . . . وهو أصلح من كاتخ الهند قوفا . . . وكاتخ الشبت جيد لمن أراد ان يتقياً . . . والشبت لا يصلح للحرورين فان هم اكوا من طبخ فيه شبت كثير فلبشربوا عليه من السكجيين . وقال التيجر يبيون طبخ الشبت ينفع من وجع الكلى الخ . وبالجملة فان الكتاب مفيد وقد أحسن فاشره في نشره فالتكر له .

« المغربي »

ارشاد الارب

« الى معرفة الاديب المعروف بمجم الادباء وطبقات الادباء لياقوت الرومي »

« عني بنسخه وتصحيحه الاستاذ د . س . مرجليوث الجزء السادس الطبعة »

« الثانية بمطبعة هندية بمصر سنة ١٩٣٠ »

صدرت الطبعة الاولى من هذا الجزء في مصر ايضاً وفي نفس تلك المطبعة سنة

١٩١٣ وهو احد الاجزاء التي يتألف منها هذا الكتاب الفيس الذي احياه بالطبع
صديقنا الاستاذ مرجليوث الانكليزي فاستحق إعجاب المشتغلين باحياء آثار الامة العربية .
وقد نظر الاستاذ في الطبعة الثانية من هذا الجزء نظراً ثانياً وشفع طبعته هذه بفهرس
مطول في اسماء الرجال قرّب على الباحثين مناله استغرق ٥٦ صفحة ، ثم ثناء بفهرس
في اسماء الكتب الوارد ذكرها في هذا الجزء وقد بلغت ٢٣ صفحة . فنكرر للاستاذ
المشار اليه ثمانينا على توفيقه لنشر معجم باقوت وللانتفاع به على هذه الصورة من الاثقان
والامانة .
م . ك



المعيد في ادب المفيد والمستفيد

« اختصره من الدرالنضيد للبدر الغزي — الشيخ عبدالباسط بن موسى بن محمد »
« العلوي المتوفى بدمشق سنة ٩٨١ هـ ووقف على طبعة السيد احمد عبيد »
« الطبعة الاولى في مطبعة الترقى سنة ١٣٤٩ هـ ص ١٥٢ »

هذا الكتاب كما قال الاستاذ ناشره يشتمل على ادب العلم والمعلم والمتعلم وادب الفتوى
والمفتي والمستفتي وادب المناظرة وشروطها وآفاتها والادب مع الكتب وما يتعلق بها الى
غير ذلك من الفوائد ، وقد طبعه منقولاً من مخطوطته بقلم المختصر ، وجدت في حلب
وعليها ايضاحات وتعليقات فابقاها على ماوجدتها ولم يعلق من عنده سوى تعليقات ظفيفة
لكنه بالغ العناية بالتصحيح على عادته في معظم ما طبع من آثار السلف فاستحق شكر
الآداب على دؤوبه في خدمة الآداب .
م . ك



باجمل ما يحفظون . وهناك التفاضل ، وهناك التنافس في اقتناء المحامد ، واستفادة كل طالب وقاصد .

وأعظم يحفظ من كانوا يختلفون الى تلك الاندية ، بطبقون ما يقرأونه على ما يسمعون . ولغة الكلام المسموع ، أعمل في النفوس من لغة المقروء ، في المخطوط والمطبوع ، وصوت الحية يحبك في الصدور فيحي الملوكات ، أكثر مما تحبك الرسوم والأشكال من حروف وكلمات . ورب كلمة تلتقيها عن عالم ، تكون أشد تأثيراً في مجرى حياتك من مدرسة الصحف المكتوبة زمناً . ورأينا مجالس الوعظ التي كان يعقدها أبو الفرج ابن الجوزي في بغداد ودمشق يستمع الناس لفصاحته وخلاصة تجاربه في الحيائين الدنيوية والاخرية ، لم تكن في تأثيراتها في عصره أقل بكثير من تأثيرات علم الجاحظ بكتبه وتأليفه ، على ما بين الرجلين من تفاوت في العصر وتفاوت في العلم . وشارك النساء الرجال في هذا الباب . هكذا كانت مجالس عالية وسكينة وولادة ، وهكذا كانت المجالس التي نقل أخبارها الاصفهاني في الاغانى والنوحي في نشوار المحاضرة .

والناظر في المجتمع الغربي منذ هب يتلمس الفوائد ، ويتحضر بنور العقل والثقافة يراه على حصة موفورة في عقد مثل هذه المجالس التي كان للملك والامراء وأعيان الناس الفضل الاول في جمعها ، فقد فتحوا قصورهم وصدورهم لمجالس كان ، من أوتوا العلم ورزقوا الفصاحة من ابنائهم ، بلا بلأها المغردة ، عرفنا منها غرام الانكليز والفرنسيين بتلك المجتمعات منذ القرن الرابع عشر الى اليوم . وكل من تلمس أخبار مجالسهم في القرون الخمسة الاخيرة يقول معنا ، ان مجالس الادب الخاصة في كل مدينة من مدنها ، كانت من العوامل الكبرى في تهذيب الملكات ، وبعث القرائح الكامنة والعقريات الفائقة ، فكان صاحب المجلس او صاحبه يفاخر بمن قدر له ان يضم شملهم من ارباب المكانة والتجارب ، يجمعهم في اوقات معينة من ايام الاسبوع ، يتذاكرون صنوف العلم والآداب وينصتون لمن ميزتهم الطبيعة عن غيرهم ، فيحمل الصغير عن الكبير ، وينقل الخلف عن السلف من ضروب الآداب ، ما هو مغرة الاجيال والاحقاب . وبلغنا لهذا العهد عن الانكليز ان حب البلاغة تمكن من طبقاتهم العليا ، حتى انهم امسوا اذا اجتمعوا في ناد او الى مائدة لا يتكلمون الا بالفصح ما يعرفون ، فترى أحاديثهم مجموعات ادب ، ودروس

مجالس اناتول فرانس^(١)

—(X)—

كان في كل حضارة قامت في الارض ، وكل اجتماع بلغ حد الكمال او كاد ، شأن عظيم لمجالس ارباب العقول والقرائح في تكوين ملكة العقل في تلك الامة ، وتعليم النابهين بالتلقين ما فاتهم تلقفه في دراسة الاسفار والآثار . هكذا رأينا المجالس العلمية والفلسفية والادبية والصوفية في العصور العربية الراقية ، ولو دونت كلها صورت لنا مجتمعات الأجداد على جليتها ، وعرفنا أكثر مما عرفنا طرق تفكيرهم وخوارج نفوسهم . بيد ان الشيء القليل الذي انتقل اليها في كتب المسامرات والمحاضرات وقفنا به الى حد لا بأس به على روح تلك القرون الزاهية ، ومن أهمها المجالس التي نقلها ، فيما انتهى اليها من تأليفه ، ابو حيان التوحيدي وأشرنا الى أكثرها في هذا المكان منذ اربع سنين . فقد صور لنا مجالس الفقهاء والفلاسفة والمتكلمين والادباء في القرن الرابع في بغداد تصويراً بدهش من يقرأوه ، حتى ليكاد يخيل اليه ان بغداد في عصرها الرابع للهجرة لم تكن في طرق البحث والنظر أقل من باريز ولندن وبرلين ونيويورك في القرن العشرين للميلاد . نعم كانت للقوم مجالس او مجتمعات في قصور الخلفاء والملوك والامراء والعلماء والاعيان يختلف اليها المتأثلون من عشاق الآداب والفضائل ، فيتكلم فيها ارباب العقول الراجحة والممتازون من كل رعييل ، بما تمليه عليهم قرائحهم المبدعة ، وعلومهم الناصجة ، فكانت المنافسة على أتمها بين المتصدرين لهذه المطالب . يحفظون احسن ما يقرأون ، ويتكلمون

(١) محاضرة للاستاذ السيد محمد كرد علي وزير المعارف في دولة سورية ورئيس المجمع العلمي العربي القاها في ردة المجمع يومي ٧ و ١٤ أيار سنة ١٩٣١ .

فصاحة وبلاغة ، اما الفرنسيس فهم بالاجماع مدنة هذه المقاصد ، ذلك لانهم أمة آداب قبل كل شيء ، وعنهم تحمل ومن لغتهم ننقل .

وأخر من انتهى إلينا خبره بل أخباره من هذا القبيل كاتب فرنسا الأكبر (اناتول فرانس) ، فقد كان له صديقات من ارباب اليسار يرين من أعظم مفاخرهن ان يجالسن في قصورهن في باريس ، يلتي عليهن وعلى جلسائهن ثمار قريحته وتجربته ، فيفيد بها النساء والرجال علماً يأخذ منه كل مستمع على قدر مبلغه من شهوة العلم ، والاستعداد للانطباع .

بالافكار الناضجة . وما خلت مجالسه في بيته وبهوت صومجياته منذ اشتهر بنبوغه من أناس نقلوا عنه مارواه في ردهاتهم من تصورات ، فنشروها للناس بعد وفاته ، وكانت صورة من بلاغة لسانه وازت بلاغة قلمه التي شهد بها كل عارف قراها في اصلها او مترجمة الى لغة أخرى .

كان اناتول فرانس مولعاً بالقرن الثامن عشر يحمي آثاره ، وينعم في ثقيل خطي أهله ، ومن زاروه في داره أثبتوا انه لا يختلف عن رجال ذاك القرن في المسكن والملبس والرياش والأثاث والعادة والمتزج الا فيما لا بال له ، ولم يفترق عن اعظم ارباب العقول المفكرة من اهل القرن السابق ، الا بما فطرت عليه نفسه من اطلاق الحرية الفكرية في مجالسه الى أقصى حد يصل اليه ابن القرن العشرين ، وفي مدينة مثل باريس وما يحمل اليها من ثمرات الادب الافرنسي خاصة والادب الغربي عامة .

شبهت معلمة لاروس (اناتول فرانس) بفولتير على اختلاف قليل بينهما ، فقد كان لهما ذوق واحد بمباهج الحياة ، ونفورة متحدة من الألم ، وتشابها في قلة الصبر على احترام ما يحترمه الناس ، وطال عمرهما كلاهما ، وكان كل منهما في عصره ملكاً على الآداب .

وقالت - في مكان آخر : ان فرانس اذا كان في كلامه على السيدات صريحاً فانه كان يطرس على آثار قدماء اليونان واللاتين ومصوريهن في هذا الشأن ، فهو مأخوذ بالقديم ويريد احياؤه بما فيه من وثنية ووضوح . واناتول فرانس على ماظهر اخذ ما وضعه فولتير باليمين وقدمه وشرحه ، وكانت صلته برنان كبيرة ، فالأحرى ان يقال ان رنان خلف فولتير ، واناتول خلف رنان ، ورث كل منهم من صاحبه منازعه في الحرية وتقمته على المجتمع ، على أسلوب استطابه من استطابه ، وبعض الناس له منكرون .

ومن نقلوا افكاره وأطواره بعد وفاته امين سره جان جاك بروسون كتب كتاباً سماه (اناتول فرانس في مبادله) اي في بيته ، ونقله الى العربية صديقنا العلامة الامير شكيب أرسلان . وكان نقولا سيفور^(١) من ارباب الأقلام الزم لاناتول فرانس من من شعرات قصه مدة طويلة ، نقل حكايات اناتول في مجلد ، واحاديثه في مجالسه في مجلدين ، وهذه المجلدات الثلاثة لم تنقل الى العربية ، وعليها نعتد في التحدث اليكم بنموجات من مجالس نابغة أدباء هذا العصر غير مدافع .

وما قدحان الوقت لننقل جملاً مما فاه به أديب القرنين في حياته ، ودونوه عنه ونشروه بعد وفاته ، فصح فيه ما قاله الشاعر العربي من بعض الوجود . لان من عرفوا فضل الأديب الكبير في حياته اكثر ممن شاعروا عليه وتقموا منه اشياء لم يستطيعوا مذاقهم ، ولم تدخل او لم يريدوا ان يدخلوها في قلوبهم وبعوها في صدرهم ، وشاعرنا قال :

تري الفتي بنكر فضل الفتي لو كما وخبثاً فاذا ما ذهب
لج به الحرص على نكتة بكتبها عنه بما الذهب

قال اناتول فرانس في المجد الباطل : اياك يا صاح ان تثق بالمجد والعبقريه ، فان المرء اذا فكر فيها تهتز أعصابه . ولا شيء في هذه الدنيا كما يقول مونتيني ، والدنيا هذه هي الأرجوحة المستديرة ، أدعى الى التضعف والتذرية من شهرة عظماء الرجال ، فقد يوشك

(١) Nicolas Ségur : Conversations avec Anatole France ou les mélancolies de l'intelligence .

احاديث اناتول فرانس اوسويداء الذكاء لنقولا سيفور .

Nicolas Ségur : Dernières conversations avec Anatole France .

أحاديث اناتول فرانس الاخيرة لنقولا سيفور .

Nicolas Ségur : Anatol France Anecdorique .

أناتول فرانس القصص لنقولا سيفور .

بعضهم ان يتنامى امرهم بسوء طالعهم ، وهكذا ترانا نحب الشعراء ونسار الذي دفنا ذكره . مع ان دو بارتاس كان هو الشاعر العظيم ومثال العبقرية في ذلك العصر ، وكان كيتي الشاعر يعجب به الى الغاية ، وكان هذا على شيء من الذوق مثلنا . ان من احرزوا شهرة لا يستمتعون بها ابداً ، فان مصافق (بورصات) القيم الأدبية على ما أرى اكثر اضطراباً والى ثباتاً من مصافق المضاربات المالية ، وكل قرن يهزأ بما تعبد به قرن آخر ، والقرون تُعجب بما أُعجبت به قرون قبلها ، والاسماء الكبيرة قد تصغر . واذا قدر لنا ان أحيينا ما احبه الماضي ، فانا نأتي ذلك عرضاً او لأسباب أخرى ، خلافاً لما كان يذهب اليه آباؤنا ، وكل فكر يموت في الحقيقة بموت الزمن الذي ولد فيه .

وليس أدعى الى الهزوء والمذلة من تاريخ زعموا انه « اسمى التأليف » على وجه الدهر . مثل لنفسك العجب الذي يأخذ داني الشاعر لو قدر له ان يلقي نظرة على هذا الركام من الزبادات التي اثقل بها الشراح روايته الهزلي الآهية . وانظر هوميروس الشاعر لوعاد الى الارض فنظر الى التحريفات والزبادات والترهات المصنعة بأيدي العلماء التي علقت بالايادة . وتصور شكسبير الشاعر يستم الى الوف من التأويلات في رواية هملت . لا جرم ان هؤلاء الشعراء يُحجّون اذا شهدوا ما تم لشعرهم بمسدم ، ويعمل المعجبين بانفسهم الذين يمثلون الاشياء على الاغلب ويعملون من تفاسيرهم الكاذبة ما يهشون به السبل الى تلك التأليف السامية حتى تدور شهرتها ، فهم ابدأ يكربونها ويجددونها ، فتزيد بهم على الدهر جدّة وصقلا .

وليت شعري كيف نعتقد بحقيقة المجد وقد رأينا القرن العريق في المدنية اي قرن فولتير قد احقر هوميروس وداني ، ووصف شكسبير بانه متوحش خشن ، ولذلك يجب ان لا يكون البحث الا في شهرة زائلة قامت على المصادفات والاهام ، ونشأت من المهارة في اكتساب الصيت . قال : لما كنت متحفزاً الى الدخول في المجمع العلمي لفت نظري لودفيك هالبي الى رصفائنا الماهرين قائلاً : ان الواجب يقضي ان ارعاهم باحترام زائد ، لانهم كانوا ادعى الى الاعجاب من غيرهم ، اذ كثروا الجماعة وهم في الحقيقة لا قرائح لهم . قال : انهم جد اقوياء ، جد اقوياء ، فايالك واياهم . نعم يا صاح انت ستاندال الذي لم يكن على شيء من العبقرية بل على جانب عظيم من صفات الملاحظة والحذافة ،

قد ظلّ خاملاً طول حياته لقلة مهارته ، ولضعف في عشرته ، فالجهد يكتب لمن يتطلبونه ، ولا أزال أسائل نفسي كيف استطاعت الوصول الى ما وصلت اليه وانا الى القصور ، في استبطان هذه الامور . ولقد حظني الحظ ببعض الأصحاب فرفعوا من شأن ما كنت اكتب امثال « كاتول مانديس » و « كوييه » . وكتب في « ليمتر » مقالات نوه فيها بما انشأت ، فجزت القنطرة الصعبة حتى اصبحت في مأمن من نقد البله المغرورين . واذا كنت نعتقد انني اغتررت بفهم المعاصرين لي فقد ضللت ضلالاً بعيداً . ان كتيبي وان عربت من المعاني العظيمة لا تستحق هذا الاقبال عليها ، الذي لا يفتبط به الا طابعها ، وهي لا تلاسني الا بما تحوي في مطاويها من المعاني الباطلة ، والاستطرادات التي تختلج في نضاعيفها وتبدو بين سطورها

ما من احد فهم احداً حق الفهم ، ومن يفهم كلامهم بعض النهم في العسادة ، هم الذين يحسن الناس للثناء عليهم ، وهذا سر المجد المؤلم . واعني بقولي المجد الذي ناله سوفقلس ودانتي وشكسبير بقوة التسلسل وبدون تمحيص ، واصاب منه ايسين الشاعر الثروجي ، وان كان الى القصور وغير جدير بما بلغه . فهذا هو المجد الذي يرفع الداس به أناساً لم يفهموا ما قالوه وهم يقدسونهم . لان اولئك العظماء قلما يقرأ كلامهم ، وماتناقله الامم بسرور عظيم حقيقي لا شوب فيه هو ما كتبه في الدهر الفار أناس منذ عهد المصرين مثل ساندريون والبوسة الصغيرة ، والناس بقدرهم غير مداجين بعض الكتب المتوسطة الاعتبار ، مدفوعين الى ذلك بما عمّ هذا العصر من التفاهة . . .

وما يدرك ان المقالة الشديدة التي كتبتها على خلاف عادي في جورج او هنس قد كان فيها شيء من الحسد ، بيد انه كان المعياً مجيداً ان انصفنا ، وهو جدير بهذا المجد ، ولم يكن الغرض العمل للخط منه ، فقد كانت القلوب كلها تتخفق بالاجماع لما يخفق له قلبه . كان ناهياً مثلاً واقل مهارة في صناعته من فوليه ، ميجلاً للأدب والمصانعة الاجتماعية ، وهو غاية الكمال للكل ، فكان يعطف على الفضيلة ويشجب الرذيلة ، يؤيد حقوق الاشراف والاغنياء والشعب ، ويسرّ قراءه ويحسن انتقاء العبارات التي في مكتبهم كلهم ان يكتبوها ، وهي ملك دائم لم جميعاً . وان العبرات المخلصة لتسيل من ما في بل على فخور من كنّ يقرآن رواية « ليمتردي جورج » ولا يحرج هذا الادب القراء يجهد

بأنهم به كاتبه ، ولا يقلقهم بحقيقة يحملها إليهم ، ولا يهتمهم بشخصية احده ، ولا يسقطون في كلامه على خشونة الابداع التي تتعلق بها الافهام على غير رضى ، ولا تسي الى الجهل الظاهر ، فلما يهتم الناس بالافاصيص البشرية التي يقصها ارباب العقول الكبيرة ، ولكنهم يهتمون كل الاهتمام بما يطرز به كثير من الكتاب الحاذقين المسائل العالمية والمالية وحوادث الجايات حيث تبدو الفضيلة والمال والحرمة الممزقة الايهاب والشهوة المتعدرة او المحققة الحين بعد الآخر . ان واحداً في العشرة الآلاف من القراء يتأثر لهمليت وينفهمه ، ولكن مكرب يرضى عنه جميع الاذكاء ، فلا تصعب الاوحاطة بكنهه ، بل هو على طرف الثام من كل قلب ، وقراءته مدعاة اليسر والسرور .

فقال له راويته : ومع هذا فقد قضيت على شهرة أوهنه بضر بانكم الدامية . فأجابه : ليس الامر بقدر ما تقدره فلا تداجيني . وان مات فقد خلفه غيره . « دهن يزيث القداسة في زجاجة النفاة » وهذا الجنس دائم لا يفنى . ثم انتقل الى الانحطاط العقلي في اوربا فقال : اذا قلت لك ان العبقرية معدومة فأنا ذا كرك لك الماضي ، لان القرائح هي نتيجة التهذيب والثقافة والثمره المجنسة من القرون البراقة الفائقة ، ولكن ما عم اوربا من الجهل والمادية المسلوقة وحب التسلق والتصلف لا يسمح للمرء ان يتكلم في العبقرية الآن وربما كانت الحال كذلك غداً . أصبحت الكتابة صناعة يسهل على الناس تعلمها ، لانها لا تتطلب الاحذفاً ، والاديب او الكاتب هو بمثابة مرآة لعصر يجلده ، والعبقرية وهي سر الماضي ، ومنار المستقبل ، لا تلبث ان تزول وتضمحل . فالثقافة ثنوارى والرغبة في استقصاء كنه الامور لنقص ، ونحن ننظر الى القرون الماضية كأنها قرون فديت ، اللهم الا ان يحدث حدث يضرب العقول ويمجد المواد ، فندخل في دور قصير فولي يشبه دور القرون الوسطى في الادب والفن الخ .

وعاد فرانس في مكان آخر وكرر هذا المعنى من كره التمجيد وأبان اشتمازه من الشهرة مخاطباً رجلاً كان يمتدح اليه آخر كتاب له بقوله : اياك والمبالغة ، فقد قلت مراراً ان الحظ واتاني بان عضدني بعض الاصحاب مثل لميتر وكوبه ومانديس فكنتوا في المقالات ونوّهوا بكثبي ، فنبه ذكرى بعد خموله وقال : ان اكثر ما كانت يشتمز منه رسائل كانت تنوارد عليه وهي لسميه هكتور فرانس ، وكانت هذا كاتباً ايضاً يكتب

قصصه في أجرام العبيد ، فكانت نفس اتانول تنألم من نسبة الناس اليه اموراً ليست له .
حتى قال لاحد أصحابه : انه يود ان ينتحر كما فعل روبنستين المزور فقتل نفسه ، لكثرة
ما وجه الناس اليه من المديح عن القطع الموسيقية التي كان يضعها روبنستين الحقيقي . ثم
قال : واني لا أنزل عن هذا المجد كله . مقابل قليل من الجمال ، ان إهانة أجسام النساء
أفضل من إثارة أفكار الرجال .

ولاً فانول موافق مع النساء وآراء بشأنهن قد لا تروقهن ، ونحن قد نستعظم صدور
مثل هذه الأقوال من رجل عظيم كهذا : ومع هذا ننقل بعض آرائه في هذا الشأن
لأنها صورة من مجتمعه ، عرضت لخاطره فباح بها بلسانه ، وهي أشبه بما يدعوه الاوربيون
الأدب المكشوف . وكان للعرب شيء منه يصرحون به من غير تكبر . ولكن من اهل
المجتمع الحديث من ينكرونه ، و يعدونه خروجاً عن قواعد الأخلاق واللياقة . ورب كلم
يقبل في مجلس او يجمع ، وبعد من البذاءة او السلاطة النفوس به في مجلس او يجمع
آخر . وحرية الغرب اليوم لا تشبه حرية الشرق ، ومصطلح أمة لا يوائم مصطلح أخرى
ولكن البشر معها تكتم لم يهرح بشراً ، وان كان منه من يسرّونه من يملن .

فقد وقع لآنانول في احد مجالسه ان غنت فيه فتاة بولونية قطعة لشاعر الطليان
دانونزبو فعلت الوجوه مؤثرات دلت على التبسط في اللذة ، وأخذت النفوس بما امتازت
له طرباً . وحاول آنانول ان يخلو في زاوية من الردهة بالفتاة يكلمها ، ولكن صاحبة
الدار أبت على اتانول الا ا- يكون حديثه علنياً ، وشق عليها ان تراه يخرج عن موضوع
الجلسة ، فانتهى اتانول جانباً من الغرفة وقال في جملة ما قال : اي اسف ان يودع المرء
شبابه ، فان الانسان عندما يصلح حقاً يعرف كيف يحب لا يستطيع الحب ولا يكون
محبوباً . يجب ان يكون الحب من عمل الشيخوخة ، هذا ما قلته وأقوله ، ولو كنت
أشارك المولى في إرادته ، لوضعت للمرء الحب في أواخر الحياة لا في مبادئها ، والخالق
تعالى رأى ذلك فجعل من بعض الحشرات ما يجب قبل ان يموت ، ثم بدل هذه الطريقة ،
ولو كان لي من الامر شيء لخصصت الاعمال والمشاق للانسان في الوقت الذي يشبه فيه
دودة الفراشة حتى اذا رافته الشيخوخة يندو كالفراشة ، وتكون ابامه سعيدة ووقفاً على
العجب ، فاذا قوي ساعده وعلت ثقافته يحسن الحب ومتى كثرت تجاربه يعرف العناق .

وذكر في احد مجالسه ان رجلاً افرانسياً من اهل القرن السابع عشر اشتبه سب في ان امرأته تخدعه ففكر ودير مراراً ، وصح عزيمته بعد ذلك على ان يفتيحها بالامراء ، ويجعل اليها كأساً من السم هتقها نصفه ويشرب النصف الآخر ليؤتاهم ، فرأت المرأة نفسها بريئة مما نسبته زوجها اليها ، ولكنه اضطرها الى نال الكأس وقال لها : انني استدعيت اهلي واهلك ليشهدوا مصرعنا ، وجابت الكاهن لتعترف له ، وما كادت امرأته تشرب ما ناولها زوجها حتى اتى الكاهن فخلت له بكل محرقة من الايمان انها ما كانت خائنة في زواجها ، وانها اذا غالت احدهم او غارها فما كان ذلك في غير محرم ، فلما سمع الزوج قولها ايقن ان غيرته كانت في غير محلها ، فقفز من سريره الذي كان اضطجع عليه ، وقبل زوجه ورضي عنها ، وقال لها في الحال : ليس لك ان تخافي فليست الكأس التي شربتها سما بل هي مادة مرة .

فسأله راويته وكيف شعرت المرأة بالسم وما هو به ، فأجابته بانها توهمت الكأس سما زعافاً ، فان كل شيء في الوجود وعالم المعنويات عبارة عن أوهام واستهواء ، فرب مريض ينام بحقنة ماء وهو يتوهمها افينواً ، وكم من امرأة ظنت نفسها حاملاً ولا تزال تعتقد ان في احشائها ولداً الى الشهر التاسع حتى يتجلى لها وهمها . وليت شعري اما كان الشهاد في العصور الاولى يحسون ان الملائكة تسمع وجوههم وهم يحرقون .

انا نول فرنس ممن شاكسوا الطبقات المتغلبة على المجتمع فأورثوه ذلاً وضغاراً ، فمن أجمل ما وصف به نفسه وعمله ومتزعه قوله : هنالك حقائق مرة المذاق على الطبقات المتأثلة والحكم الحاضر والمفهوم العام ، فمثل هذه الحقائق يجب عرضها على الناس بصورة تدل على عدم الاعتناء ، فاننا قوم نكتب للملايين الذين هم في الواقع وحدهم القراء ، فلا نتمكن ستر الهيكل بيد خشنة . بل اهتمك تدريجاً واخرقه بشقوب صغيرة خفية وبمحبة انك تريد ان ترفعه . اقطع من هنا ومن هناك خرقاً واعمل منها ألعيب صبيان ، وسهل على القاري ان يفهم هو من نفسه ما لم ترد ان توضحه له يظنونني ماجناً ويقولون عني احياناً مشعوذاً وأحياناً سفسطائياً والحقيقة اني قضيت حياتي افرق ديناميتاً في قصاصات ورق .

وبينا تجدد الامة الافرنسية تجدد جان-دارك وتحفل لها كل سنة يقول عنها فرانس انها لو ظهرت هذه الايام لكان نصيبها السجن او المستشفى او وضع الماء البارد على رأسها . . . وبينا تجدد تلك الامة عبقرية نابليون نراه لا يصفه هو بما يخرج عن وصف المؤرخ المنصف ولا ينسب اليه شيئاً من الاعمال ولا سيما العلمية ، كجموعة قوانينه المدنية ، الا انها من صنع من كانوا حول نابليون ومن عمل حملة غاشيته . وسئل مرة عن غمبتا خطيب فرنسا فقال فيه : قد هاجم فرنسا بسيل من جملة الفارغة ، ولقد كان مهذاراً عظيماً على الدهر ، وما أثر عنه انه قرأ كتاباً ، لانه لو قرأ لمنعته قراءته عن الكلام .

وذكرت سيفي مجالسه مسألة دريفوس ومدح كليمانسو وجري ذكر فيكتور با ملكة الانكليز . فقال هرفيو وكاث في المجلس : ان عهد الملكة فيكتوريا بعد من حيث السياسة والآداب من أحسن العهود ، فهو حري بان يشبه عهد الملكة اليصابات ، وان عهود النساء كزيتوبيا واليصابات وماري تيريز وفيكتوريا وغيرهن قد كانت بالنسبة لعهود الملوك اكثر تعقلاً ، وان عدد الملكات اللاتي كانت عهودهن مجدة كثير . فقال فرانس : النسبة معروفة لا تنافر فيها ، وهلا ادركت شرح ذلك من نفسك يا عزيزي هرفيو ، فان النساء والنسبجات على عهد الملوك هن الحاكمات فتجري الامور على طريق وسط . ويكون عهد الملكات اكثر مجداً لان الرجال يصيرون فيه اصحاب الشأن فيكون العشاق والمستشارون هم الحاكمون ، فافهم ذلك وفقت الى الخير . فضحك هرفيو من هذا الجواب .

تكلم فرانس ذات يوم وحط من قدر العلوم ولا سيما من بعضها كعلم الجنايات (Criminalologie) الذي وضعه لومبروزو الايطالي مدعياً ان المجرمين يعرفون بسيماهم في الماضي والحاضر والمستقبل وقال انه شهد بعض القضايا المهمة من الجنايات في المحاكم ، فكان الجماء على الاكثر من جمال الوجوه على جانب ، ومن الدعة ما يشبه دعة الحملان ، ومن المشاشة والبشاشة ما هو موضع الإعجاب . وقال : ان الفرص تخلق اللصوص ، ثم التربية ثم جنابة المجتمع على بنيه . وقال انه هو نفسه كان وجهه غير متناسب الاعضاء ، وان مقراط كان مشوه الوجه ايضاً ، وهو ما كان جانباً وكذلك الفيلسوف اليوناني ، وان ما يأتيه المجرمون قد يأتيه بعضهم بسائق عرضي .

ورأى العالم اشبه بما يصنعه الفخوري من الاوعية والاواني وقال : ان منها ما لا يصلح لشيء بل يلقي كما تلقى القمامات للاسمدة ، وان على الارض قلائل جداً من المخلوقات الحية وما عداها دويمات موقنة لا تعرف نفسها انها تعيش ، ولا تعيش الا على صورة مضحكة ، وعليهم بطير كثير من الطيور الغريبة ، وهذه الطيور هي اوهامهم ، وان سماء البشر مغطاة برفرة الاوهام ، فان اوهامنا مؤلفة من كل ضرب من ضروب الألوان ، من الضاحكة كالندي وصوت العندليب الى الألوان القائمة كالظلمات والحزن ، فاذا جمعت أجنحتها طرفاً الى طرف يظلم العالم من اوهام البشر . اما من يجيئون حياة حقيقية وهم الذين يفكرون في ملكوت السموات والارض ، ممن تجردت عقيدتهم عن الاوهام الا قليلاً ونظروا الى السماء مجردة فانهم قلائل يعدون على الاصابع .

وقال مرة (بتعريب شكيب) يحب الناس بسعة اطلاعي واما انا فما عدت أريد ان اكون واسع الاطلاع الا في مسائل الحب فالحب قد اصبح اليوم هو مبعثي الوحيد الخاص ، وعلى الحب أريد ان احبس ما بقي من حرارة قرينة الخلود . ولا ارني ملأاً بنص كل ما يقذف في روعي من هذا الموضوع . فروح الطهر والصيانة أصبحت غالبية على آداب الدرس . ان المرأة صارت عندي كتاباً بقرأ وليست كتاباً مفسداً كما ظننت لك . ولا بد لكثير التصفيح فيه ان يسقط على . وضع منه يجد فيه مكافاته على انعابه . فانا انصفح وانصفح كثيراً يا حبيبي . . . ومعنى اظفرني الله بمخلوقة من مخلوقات الله فاني اطلع هذا الكتاب البديع سطرأ فسطراً ولا أجوز منه نقطة ولا شكلة وقد أضيع فيه احياناً نظارتي .

ويرى اناتول فرانس ان البدع تؤيد الشريعة وكان يقول : لا يوجد محصول وانما يوجد مراؤون ويوجد مسلوبو العقل ويوجد مرضى ويوجد مجانين . اعلم انه بدون شهوة لا يوجد شعور وبقدر ما نكون شهوانيين نكون اذكيا . واحسن فصول الحياة هو فصل اللذات . فالحكيم من يجتهد في إطالة هذا الفصل . بعض الناس يستخرون من الشيخ الذي يعشق . فيالحفاة البالغة . فاما انا فأقلب قضية ديكارت فأقول احب اذا انا موجود . ما عدت احب ما عدت اذا في الحياة شيئاً .

وتكلم في احد مجالسه متصفاً في يأسه فقال : ان الاشتراكية متعذر تحقيقها ،

فكونوا على بينة من امركم ، فان التقاليد المالية «الرأسمالية» التي تشرف الثروة هي في الغاية من السلطان والاحتيل علينا ان نغلبها . والفقراء انفسهم يحترمون هذه التقاليد اشد من احترام الاغنياء لها . انظروا ما حدث لي فان منازعي وافكاري اشتراكية ، ولكن اي فائدة من ذلك مادام كل من يحيطون بي معارضين لي في هذه السبيل ، فقد جاءني منذ مدة نجار يرتب خزانة كتبني ، فاجتهد ان يضع المجلدات ذات التجليد النفيس في مكان تأخذه العين ، وان يخفي المجلدات التي كانت جلدتها ساذجاً في داخل الخزانة على الحائط ، له الوبل انه يخجل من الكتب الفقيرة . وكذلك حال الوصيصة فانها تلي في الحال في سلة سقط المتاع كل كتاب مخرق حاكمة عليه بمنظره ، حتى ان كلي او كلب مدام كاليافيه في الباب يعوي في وجوه الفقراء ويريد ان يمزق باسنانه كل من لا تكون بزمهم حسنة . فكيف والحالة هذه نلوطد أركان الاشتراكية . ولقد أراد تولستوي الفيلسوف الروسي - ان يعيش بحسب قواعد الانجيل اي عيشة اشتراكية فلم يسمه الا الفرار من داره . فالمرء متى ملك داراً او كلباً وكانت له أناس من حوله يصبح مالكاً ، فيشعر بالقوة التي تأتيه من التقاليد الرأسمالية . وثقوا بان روتشيلد هو متفوق علينا ابداً ، هو آخذ بمنان الاموال ، وجالس على عرش الماضي ، وحالته متأصلة واي تأصل بعبادات الوف من السنين ، لم تكن تحوي غير الحرمة للغنمية المستحصلة ، على حين ترانا نحن لانقف على غير ارجلنا صعاليك ولا مال لنا ، ورأسمانا بعض مقالات في الصحف ، وبعض اوامام معششة في رؤوسنا ، فالمنافسة بيننا وبينهم لبست على أتمها . على اننا لا يجب ان نفقد قولنا ، فربما كتب لنا النصر يوماً ، فان غمامة تكون بحجم منديل الجيب لنشر العاصفة ، وشيعة قليلة من المجانين صدرت منها النصرانية القادرة اه .

وقال في موضع آخر : انا لا أرجو ان تكون الغلبة الدائمة للاشتراكية في عهدنا ، فالاشتراكيون كثير عددهم ، على حين يؤلف ارباب رؤوس الأموال أقلية صغيرة ، وبذلك كانت قوتهم . لانهم يستطيعون ان يحسنوا البحث والاتفاق اكثر من الاشتراكيين وكان من الطبيعي ان يقل فيهم البله المعجزون ، ويستطيعون ان ينفذوا خططهم في الخفاء وبدون ظهور وضجة وبشيء من الصبر . ثم ان المثلث يدافعون عن حوزتهم وأموالهم فيستمتون في دفاعهم ، وعلى هذا يكونون الى التماسك وتكون صفوفهم مبراعة ، على حين

لا يفسادي صعاليك الاشتراكين الا بما لا يملكون ، ولهذا ينقصهم النظام ، ولا يحفلون بما يأتون . هم يدافعون بصدورهم ، و باوهام ومقالات في الصحف ، وبآمال لم في المستقبل اما خصومهم فيدافعون بسندات على المصارف وبأسهم مالية وبنوت وحلي وصاحبات وسيارات . فحماسة الصعاليك ظاهرة . وعبثاً تزداد وتحدث ضجة الخ .

وذكرته صديقه بمشهد من الاصحاب بقصة الغني الخجول فقال : وهل في العالم غني خجول ، الخجل من شأن الفقراء ، لان الاغنياء سلبوهم نعمتهم ، ومع هذا يلجأون اليهم كأنما يلجأون الى خالقهم والاعنياء لا يخجلون ، فهم لا عمل لم يطفحوت مسكراً بالخمر ، وتكتظ معدم بالمال كل ، ثم تخذلهم انفسهم ن يستولوا على كل ما فيه الجمال ، ويقننون بدائع الصنائع ، وكان من حقها ان تكون وفقاً على الناس ، وهم لا يعطون شيئاً لمن هم الاصل في غناهم ، وأرى انه كان عليهم ان يخجلوا ، لانهم يتجسد فيهم الظلم وقلة المساواة وجميع ضرور المجتمع الانساني . ثم قال : كان رجل انكليزي اسمه ديلي أعجوبة في أطواره ، وذلك قبل عهد الملكة فيكتوريا لا يحلم ليله ونهاره الا في إغاثة المحاييج ويرقب الفقراء في غدوه ورواحه . ولا يسمع الا لأصوات البائسين ، ولا يهتم الا لارباب الاحذية البالية والالبسة الممزقة والسحنات الجائعة ، فيعطي ويطب ويغيث . فبصر ليلة برجلين يتكلمان في احد المنعطفات ، فأنصت الى حديثهما ، وكان فحواه ان احدهما يحتاج الى مائتي جنيه وانه اذا خانه السعد ولم يسدد بهما ديونه يفلس لامحالة ، ويكون مصيره الانتحار غرقاً ، وقال له صاحبه انه من المستحيل ان يحرز هذا المبلغ ، فأجابه المحتاج ليس الا ديلي هو الذي يمكنه ان ينجده بالمال المطلوب ، فاقرب منهما ديلي وقال انني سمعت حديثكما . وانا أعرف ديلي شخصياً ، ولكن أريد ان لا يذهب عنكما ان في المدينة أناساً كثيرين على شاكلة ديلي يحبون عمل الخير ، فأواعدكما الى المقهى الفلاني غداً لاعطاء المحتاج مائتي جنيه على ان لا يفوتكما ان الخير في الناس عندنا لا ينقطع . وهكذا كان .

محمد كرد علي

(البقية لآتي)

عصر الجاحظ^(١)

- ١ -

« حرية الفكر »

إذا أردنا الكلام على عصر الجاحظ فلا نستطيع أن تصور هذا العصر باحسن من تصوير الجاحظ له ، على أن الجاحظ لم يتبسط في هذا التصوير وإنما جرت له عبارة في ترغيبه في اصطناع الكتاب ، واحتججه على من زرى على واضع الكتب ، وهذه العبارة على وجازتها وعلى سهولتها قد مثلت لنا الدهر الذي عاش فيه الجاحظ أكمل تمثيل على أن أبا عثمان قد قذف بها عرضاً وأعني بذلك أنه نطق بها في مقام وصف غير وصف عصره ، قال^(٢) :

« وينبغي أن يكون سيلنا لمن بعدنا كسيل من كان قبلنا فينا على أننا قد وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا ، كما أن من بعدنا يجد من العبرة أكثر مما وجدنا ، فما ينظر العالم باظهار ما عنده ، وما يمنع الناصر للحق من القيام بما يلزمه ، وقد أمكن القول وصلاح الدهر وخوى نجم التقييد وهبت ريح العلماء وكسد العمى والجهل وقامت سوق البهائم والعلم » .

فاذا جاوزنا مبدأ هذه العبارة التي مثلت لنا كيف تتسلسل آثار العقول فيؤدي كل عصر نتائج ما يجده من العبرة الى العصر الذي يليه ، ويزيد كل عصر في هذه العبرة بقدر ما يتيسر له من العلوم والتجارب ، اذا جاوزنا هذا كله تراءت لنا صفة عصر الجاحظ

- (١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبيري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الأدب في دمشق من تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ .
- (٢) الخيوان (الجزء الاول ص ٤٣) .

مجلة المجمع العلمي بدمشق

النسبة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تشر في دمشق مرة في الشهر

أيار - حزيران

١٩٣١

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي
المدفع مقدماً

في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى الرابعة كل سنة منها
« ٣٠٠ « الخامسة الى العاشرة «
في الخارج ٦٠٠ « الاولى الى الرابعة «
« ٣٥٠ « الخامسة الى العاشرة «

نقية صافية وبرزت لنا متكاملة مدسقة فمهي هذه الصفة يل ما هي هذه الصفات: امكان القول وصلاح الدهر وخواء نجم التقيد وهبوب ريح العلماء وكساد العبي والجهل وقيام سوق البيان والعلم .

هذه خصائص عصر الجاحظ أفلا يحق لنا بعد معرفة هذه الخصائص ان نقول في عصر الجاحظ ما قاله احد شعراء فرنسة في عصره : واي عصر أخصب من هذا العصر في المعجزات وكيف لا يكون عصر ابي عثمان خصباً وقد نهيات لابنائه حرية الفكر وانبسط فيه سلطان البيان وانفسحت آفاق العلم فان عصراً تقوم فيه سوق البيان وتقوم فيه سوق العلم ويمكن امله ان يفصحوا عما يوحى اليهم هذا الادب وهذا العلم لعصر زمان الجنبات مخصاب التربة .

فلندقق في هذه الخصائص دون شيء من التطويل .

قلنا : صفات عصر الجاحظ حرية الفكر وانبساط العلم وقيام سوق الادب فلنشرع في الكلام على حرية الفكر . ولما كان الدين مجال هذه الحرية لزمنا ان نشير الى ناحية من اختلاف الجمهور في امور الدين دون الخوض في النواحي كلها . يقول المأمون^(١) :

« لنا اختلافان : احدهما كاختلافنا في الآذات وتكبير الجنائز وصلاة العيدين والشهد والتسليم من الصلاة ووجوه القراءات واختلاف وجوه الفتيا وما اشبه ذلك وهذا ليس باختلاف وانما هو تخيير وتوسعة وتخفيف من السنة فن أذن مثني وأقام مثني لم يأت من ريع لم يأت ثم .

والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا وتاويل الحديث عن نبينا مع اجتماعنا على اصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر » .
فلنوضح هذا القول بعض التوضيح :

انكم تعلمون ان علوم الدين قسمان : قسم يتعلق باصل الدين وهو علم الكلام او التوحيد وقسم يتعلق باحكام الاعمال وهو الفقه واصوله ومرجع المسلمين في هذه الاحكام القرآن والحديث .

(١) العقد العريد (الجزء الاول ص ٢٥٥) .

والمسلمون في هذا كله طائفتان : طائفة ترجع في اصول الفقه واصول الدين الى الكتاب او الى السنة او الى اثر من آثار السلف متقيدين بهنذه المراجع دين ان يعمل الواحد منهم عقله في تفسير آية او تأويل حديث وهم اهل الحديث .
وطائفة يستعملون عقولهم في تفسير الآيات او تأويل الاحاديث دون شيء من التقيد وهم المعتزلة او اصحاب الفكر الحر .

وبين اهل الحديث وبين المعتزلة اختلاف في امور شتى منها : القضاء والقدر وافعال العباد وصفات الله تعالى وخلق القرآن وغير ذلك .

فالمختلفون في اصول الفقه لا يكفر بعضهم بعضاً وانما المختلفون في التوحيد قد يكفر بعضهم بعضاً فالحديثي يرى ان المعتزلي صاحب بدعة قد نفى يديه مما أجمع عليه الجمهور وما مدت اليه الآثار والاخبار والمعتزلي يرى ان الحديثي انما هو عامي .

هل كان بجرأ احد قبل عصر الجاحظ ممن خالف الجماعة على التصريح برأيه ؟
ان الذي اتصل بنا علمه ان الخلفاء من قبل المأمون كانوا يعاقبون على الزندقة منهم المهدي ومنهم ابنه الهادي .

اما المهدي فقد قال يوماً لمومى ، اي لابنه الهادي وقد قدم اليه زنديق فاستنابه فأبى ان يتوب فضر به عنقه وامر بصلبه : يا بني ان صار لك هذا الامر فتجرد لهذه العصابة (يعني اصحاب ماني) فانها تدعو الناس الى ظاهرين حسن كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للآخرة ثم تخرجها الى تحريم اللحم ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تخرجاً وتحوراً ثم تخرجها من هذه الى عبادة اثنين : احدهما النور والآخر الظلمة ثم تدبج بعد هذا نكاح الاخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الاطفال من طرق لتقدم من ضلال الظلمة الى هداية النور فارفع فيها الخشب وجرد فيها السيف ونقرب باصرها الى الله لا شريك له فاني رأيت جدك العباس في المنام قائداً في سيفين وأمرني بقتل اصحاب الاثنين » .

واما الهادي فقد كان في جملة من قتله يزدان بن يازان الكاتب فقد حج هذا فنظر الى الناس في الطواف يهرولون فقال : ما أشبههم الا بقر تدوس في البيدر .
وقد منع الرشيد عن الجدل في الدين وحبس اهل علم الكلام ^(١) .

(١) ذكر المعتزلة للمرتضى (ص ٣١) .

فلما جاء المأمون أطلق القول وفسح في الماظرات وقد كان المأمون نفسه يحتاج الفقهاء في كثير من الأمور منها احتجاجه عليهم في فضل علي فكان يأمر قاضي القضاة يحيى بن اكرم ان يحضر معه رجالاً كلهم فقيه بفقته ما يقال له ويحسن الجواب فيدخلون عليه وهو جالس على فراشه وعليه سواده وطيلسانه والطويلة وعمامته فاذا استقر بهم المجلس تحدث عن فراشه ونزع عمامته وطيلسانه ووضع قلمسوته وما كان يمنعه من خلع خفيه الا العلة ثم يأمرهم بنزع فلانسهم وخفافهم وطيلسانهم ويقول لهم : انما بعثت اليكم معشر القوم في المناظرة ثم يلقي مسائل من الفقه ويرد على كل واحد منهم مقالته ويخطي بعضهم ويناضونهم في مذهبه الذي هو عليه واذا قال لهم : ان امير المؤمنين يدين الله على أن علي بن ابي طالب خير خلفاء الله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى الناس بالخلافة قالوا له دون شيء من التهييب : ان فينا من لا يعرف ما ذكر امير المؤمنين في علي ، وقد دعانا امير المؤمنين للمناظرة . وكان يخبرهم أن يسألوه او ان يسألهم ، وكان يتبين له عنادهم في بعض الاوقات وقد يطول مجلسهم ويرتفع النهار وهم في مناظرة^(١) .

وقد كان يرد على المخددين واهل الاموء واذا قال لمرتد كان أسلم على يديه : اخبرني ما الذي أوحشتك مما كنت به آنساً من ديننا وقال له المرتد غيره : تاب ولا وجل : أوحشني منكم ما رأيت من الاختلاف في دينكم ، لم يتنكر له المأمون وانما كان يرد عليه فلا يزال يخرج من حجة الى حجة حتى يرجع به الى الاسلام^(٢) .

والبيكم نطاً من مناظرته ، قال الجاحظ :

« ومسألة أخرى سألت عنها أمير المؤمنين الزنديق الذي كان بكني بابي علي وذلك عندما رأي من تطويل محمد بن الجهم وعجز العتي وسوء فهم القاسم بن سيار فقال له المأمون : أسالك عن حرفين فقط خبرني هل ندم مسي قط على إساءته او نكون نحن لم نندم على شيء كان منا قط ، قال : بل ندم كثير من المسيئين على إساءتهم ، قال : تخبرني عن الندم

(١) راجع العقد الفريد (الجزء الثالث ص ٤٢) .

(٢) راجع العقد الفريد (الجزء الاول ص ٢٥٥) .

على الإساءة ، إساءة أو احسان ، قال : احسان ، قال : فالذي ندم هو الذي أساء أو غيره ، قال : الذي ندم هو الذي أساء ، قال : فأرى صاحب الخير هو صاحب الشر وقد بطل قولكم : ان الذي ينظر نظر الوعيد غير الذي ينظر نظر الرحمة ، قال : فاني أزعج ان الذي أساء غير الذي ندم ، قال : فتقدم على شيء كان منه ، او على شيء كان من غيره ، فقطعه بمأله ولم يتب ولم يرجع حتى مات^(١) .

واننا لانستطيع ان نفهم روح هذه المناظرة الا اذا فهمنا روح المذهب الذي ناظر فيه المأمون وهو مذهب مان ، وسيأتي الكلام عليه .

وقد كان غرض المأمون في هذه المناظرات كلها اجتماع الطوائف على ما هو أرضى وأصلح للدين وكان يكره في المناظرات الشتم والبذاءة لان الاول في نظره عي والثانية لو لم وانما اباح الكلام واطهر المقالات فمن قال بالحق حمده ، ومن جهل ذلك وقفه ، ومن جهل الامرين حكم فيه بما يجب .

غير انه لم يصل في مجامع مناظراته الى ما رمى اليه فلم يردأ من الاستعانة بسلطانة في اقامة الدين ولا سيما في خلق القرآن واحداثه فعزم على ان لا يستعين في عمله ولا يثق فيما قلده الله واستخفظه من امور رعيته بمن لا يوثق بدينه وخلوعه توحيده و يقينه .

وادعى الامر في هذا كله الى ان الذي كان لا يقول بخلق القرآن يشد في الحديد ولما حضرته الوفاة تقدم الى اخيه المنصور في ان يبني على اصوله في مناظرة القوم في خلق القرآن فكان المنصور يجمع الفقهاء والشككين والقضاة لامثال هذه المناظرات وكانت يقول في بعضها :

« ما شيء أحب الي من السر ولا شيء اولى بي من الأناة والرفق ، وكانت يقول بمناظره : لئن استحييك يحق أحب الي من ان اقتلك يحق^(٢) » .

الا ان من خالفه كان يلقي الضرب والتعذيب . وكذلك الواثق فانه سار سيرة ابيه

(١) الحيوان (الجزء الرابع ص ١٤١) .

(٢) هامش الكامل — رسائل الجاحظ (الجزء الثاني ص ١٣٤) .

المعتصم وعمره المأمون في المأظرة في خلق القرآن فمن خالفه في رأيه قتله . حتى جاء المتوكل فترك الناس وشأنهم .

فالى هذه الحرية أشار الجاحظ في قوله : وقد أمكن القول وصلاح الدهر وخوى نجم التقيد ، واخذ من بعد هذا يستنهض العلماء لاظهار ما عندهم وللقيام بما يلزمهم وكان هو نفسه يُظهر ما عنده غير مبال بالجمهور .

فلا ضرب مثلاً لحرية فكره في التفسير وقد خرج عما يعتقده الجمهور ، قال (١) : « وقد قال الناس في قوله تعالى : انها شجرة تخرج في أصل الجحيم ، طلعتها كأنه رؤس الشياطين ، فزعم الناس ان رؤوس الشياطين ثمر شجرة تكون ببلاد اليمن ، لما منظر كريبه ، والمتكلمون لا يعرفون هذا التفسير ، وقالوا : ما عني الا رؤوس شياطين معروفين بهذا الاسم من فسقة الجن ومردتهم ، فقال اهل الطعن والخلاف : كيف يجوز ان يضرب المثل بشيء لم نره فنشومهم ، ولا وصف لنا صورته بكتاب ناطق او خبر صادق ، ومخرج الكلام بدل على التحقيف بتلك الصورة والتفريع منها ، وعلى انه لو كان شيء أبلغ في الزجر من ذلك لذكره ، فكيف يكون انسان كذلك والناس لا يفزعون الا من شيء هائل شنيع قد عاينوه ، او صورته لم واصف صدوق اللسان ، بليغ في الوصف ، ونحن لم نعاينها ولا صورها الا صادق وعلى ان أكثر الناس من هذه الامم لم يعاين اهل الكنائس وحملة القرآن من المسلمين ، ولم تسمع الاختلاف ولا يتوهمون ذلك ، لا يقفون عليه ولا يفزعون منه ، فكيف يكون ذلك بعيداً عما ، قلنا : وان كنا لم نر شيطاناً ولا صور رؤسها لنا صادق بيده في اجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان حتى صاروا يصنفون ذلك في مكانين احدهما ان يقولوا : هو أقيح من الشيطان . والوجه الآخر ان يسمي الجميل شيطاناً على جهة التطير به كما تسمي الفرس الكريمة : شوها ، والمرأة الجميلة صمءاء ، وقرناء ، وخنساء ، وحرباء ، وأشباه ذلك على جهة التطير به ، ففي اجماع المسلمين والعرب وكل من لقيناه على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على انه في الحقيقة

أفصح من كل قبيح والكتاب انما نزل على هؤلاء الذين ثبت في طبائعهم بغاية الثبوت ، وكما يقولون : هو أفصح من السحر الحلال ، وكذلك يقولون كما قال عمر بن عبد العزيز لبعض من أحسن الكلام في طلب حاجته : هذا والله السحر الحلال ، وكذلك أيضاً ربما قالوا : ما فلان الا شيطان على معني الشهامة والنفاذ وما أشبه ذلك » .

وقد بلغ من هذه الحربة ان المجوس أنفسهم كانوا يعارضون علماء المسلمين ، من هذه المعارضات مارواه الجاحظ فقد قال ^(١) :

« وقد عارضني بعض المجوس وقال : فقلت ايضاً صاحبكم انما توعد أصحابه بالنار لان بلادهم ليست ببلاد ثلج ، ولا دهن ، وانما هي ناحية الحرور ، والوهج والسموم ، لان ذلك المكروه أزجر لم فرأى هذا المجوسي انه قد عارضني فقلت له : ان اكثر بلاد العرب موصوفة بشدة الحر في الصيف وشدة البرد في الشتاء لانها بلاد صحور وجبال ، والصحر يقبل الحر والبرد ، ولذلك سميت الفرس بالفارسية العرب والأعراب : كهيمان ، والله بالفارسية هو الجبل ففني أحببت ان تعرف مقدار برد بلادهم في الشتاء وحرها في الصيف فانظر في اشعارهم وكيف قسموا ذلك وكيف وضعوه لتعرف ان الحالتين سواء عندهم في الشدة ، والبلاد ليس يشتد بردها على كثرة الثلج وقلته ، فقد تكون بلدة ابرد وثلجها اقل ، والماء ليس يجمد للبرد فقط فيكون متى رأينا بلدة ثلجها اكثر حكماً ان نصيبها من البرد أوفر وقد تكون الليلة باردة جداً وتكون متغيرة فلا يجمد الماء ويجمد فيما هو أقل منها برداً ، وقد يختلف جمود الماء في الليلة ذات الريح على خلاف ما يقدررون ويظنون . وقد خبرني من لا أرتاب بخبره انهم كانوا في موضع من الجبل يستغنون به بلبس المبطنات ، ومتى صبوا ماء في اناء زجاج ووضعوه تحت السماء جمد من ساعته فلبس جمود الماء بالبرد فقط ولا بد من شرط ومقادير واختلاف جواهر ومقابلات احوال كسرعة البرد في بعض الادهان وابطائه عن بعض ، وكاختلاف عمله في الماء المغلي وفي الماء المتروك على حاله وكاختلاف عمله في الماء والنيبذ وكما يعتري البول من الخثورة والجمود على قدر طبائع الطعام والقلة والزيت خاصة يصيبه المقدار القليل من النار

فيستحيل من الحرارة الى مقدار لا يستحيل اليه ما هو أحرّ . وحجة أخرى على المجوسي وذلك أن محمداً صلى الله عليه وسلم لو كان قال : لم أبعث إلا الى اهل مكة لكان له متعلق من جهة هذه المعارضة فأما وأصل نبوته والذي عليه مخرج امره وابتداء مبعثه الى ساعة وفاته انه المبعوث الى الأحمر والأسود والى الناس كافة . وقد قال الله تعالى : قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً . وقد قال تعالى : نذيراً للبشر فلم يبق ان يكون مع ذلك قولهم معارضة وان يعد من باب الموازنة .

دمشق : ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٣١



عص الجاحظ

- ٢ -

« الزندقة »

هذا شيء من حرية الفكر التي أثار إليها الجاحظ في عصره إلا أنها حرية لم يتراخ أمدؤها وقد خالطتها الشدة في خاتمة الأمر فكانت المناظرات في مجالس خلفاء لا تخلو من ضرب المخالفين لآراء الجمهور وتعذيبهم وقتلهم إلا أنه كيف كان الأمر فقد أتى على علماء المسلمين حين من الدهر كانوا فيد يعالنون بمعتقداتهم دون أن يخافوا صولة الساطان وقد كان غير المسلمين من المجوس وأضرابهم يعارضون هؤلاء العلماء في أمور متعلّقة بالدين من غير أن يتجهت بهم أحد بما يكرهون وكانت لاهل الكتاب من نصاري ويهود حرمة تختلف على اختلافهم في جلالة القدر قبل الإسلام وبعده فكانت النصارى أحب إلى المسلمين من غيرهم وأقرب مودة وقد فصل لنا الجاحظ أسباب هذه المحبة وقرب هذه المودة فقال^(١)

« جاء الاسلام وملوك العرب رجلاًن : غساني ونخعي وهما نصرانيان وقد كانت العرب تدين لهما وتؤدي الاتاة اليهما فكان تعظيم قلوبهم لهما راجع الى تعظيم دينهما وكانت تهامة وان كانت لقاحاً لاتدين ولا تؤدي الاتاة ولا تدين للملوك إلا انها كانت لا تمتنع من تعظيم ما عظم الناس وتصغير ما صغروا ونصرانية النعمان وملوك غسان مشهورة في العرب معروفة عند اهل النسب ولولا ذلك لدلت عليها بالاشعار المعروفة والأخبار الصحيحة وقد كانت تنجر الى الشام وتنفذ رجالها الى ملوك الروم ولها رحلة في الشتاء

(١) رسائل الجاحظ على هامش الكامل (الجزء الثاني ص ١٦٢) .

والصيف في تجارة مرة الى اليمن ومرة قبل الشام ومصيفها بالطائف فكانوا أصحاب نعمة وذلك مشهور مذكور في القرآن وعند اهل المعرفة وقد كانت تهاجر الى الحبشة ونأتي باب النجاشي وافدة فيجيبهم بالجزيل ويعرف لهم الاقدار ولم يكن يعرف ذلك كسرى ولا نانس بهم وقبصر والنجاشي نصرانيان فكان ذلك ايضا للنصارى دون اليهود والاخر من الناس تبع للاول في تعظيم من عظم وتصغير من صغر .

وأخرى وهي ان العرب كانت النصرانية فيها فاشية وعليها غالبية الا مضر فلم تغلب عليها يهودية ولا مجوسية ولم نفس فيها النصرانية الا من كان قوم منهم نزلوا الحيرة يسمون العباد ، فانهم كانوا نصارى وهم مغمورون مع نبذ يسير في بعض القبائل ولم تعرف مضر الا دين العرب ثم الاسلام وغلبت النصرانية على ملوك العرب وقبائلها ، على ظم وغسان والحارث بن كعب بنجران وقضاعة وطى في قبائل كثيرة وأحياء معروفة ثم ظهرت ربيعة فغابت على تغلب وعبد القيس وأحياء بكر ثم في آل ذي الجدين خاصة وجاء الاسلام وليست اليهودية بغالبة على قبيلة الا ما كان من ناس من البمانية ونبذ يسير من جميع ابادوربيعة ومعظم اليهودية انما كان بئرب وحمير وتبعا ووادي القرى في ولد هارون دون العرب فعطف قلوب دهماء العرب على النصارى الملك الذي كان فيهم والقراية التي كانت لهم .

هذه طائفة من الاسباب التي من أجلها كانت النصرانية ارفع منزلة من اليهودية في عيون المسلمين وأظهر هذه الاسباب الملك الذي نشأ للنصارى قبل الاسلام . اليهود فلم تلن قلوب المسلمين لم لينها للنصارى ولترجع الى الجاحظ في معرفة العلل التي غاظت قلوب المسلمين على اليهود . قال ابو عثمان (١) .

« ان اليهود كانوا جيران المسلمين بئرب وغيرها وعداوة الجيران شبيهة بمداوة الاقارب في شدة التمكن وثبات الحق ، وانما يعادي الانسان من يعرف ويميل على من يرى ويناقض من يشاكل و يبدو له عيوب من يخالط وعلى قدر الحب والقرب يكون البغض والبعد ولذلك كانت حروب الجيران وبني الأعمام في سائر الناس وسائر العرب أطول وعداوتهم أشد فلما صار المهاجرون لليهود جيرانا وقد كانت الانصار متقدمة الجوار مشاركة في الدار

(١) رسائل الجاحظ على هامش الكامل (الجزء الثاني ص ١٥٩) .

حسدتهم اليهود على نعمة الدين والاجتماع بعد الافتراق والتواصل بعد التقاطع وشبهوا على العوام واستمالوا الضعفة ، والوا الاعداء والحسدة ثم جاء زوا الطعن وادخال الشبهة الى المناجزة والمنايذة بالعداوة فجمعوا كيدهم وبذلوا أنفسهم واموالهم في قتالهم وإخراجهم من ديارهم . وطال ذلك واستفاض فيهم وظهر وترادف لذلك الغيظ وتضاعف البغض وتمكن الحق . وكانت النصارى لبعديارهم من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومهاجره لا يتكلفون طعناً ولا يثيرون كيداً ولا يجمعون على حرب فكان هذا اول أسباب ما غلظت القلوب على اليهود وليتها على النصارى . ثم كان من امر المهاجرين الى الحبشة واعتمادهم على تلك الجهة ما حببهم الى عوام المسلمين وكلما لانت القلوب لقوم غلظت على أعدائهم وبقدر ما نقص من بغض النصارى زاد في بغض اليهود ومن شأن الناس حب من اصطنع اليهم خيراً او جرى على يديه .»

هذا ، ما كان من مقدار نظر المسلمين الى اهل الكتاب ولما كان المسلمون على النصارى أعطف واليهام أميل كان للنصارى شيء من الميزة ظهرت في مراكيهم وملايسهم وصناعاتهم قال الجاحظ في كلامه عليهم^(١) :

« اتخذوا البراذين الشهيرة والخيل العتاق واتخذوا الجوقات وضربوا بالصوالجة وتحذقوا المديني ولبسوا اللحم والمطبعة واتخذوا الشاكربة وتسموا بالحسن والحسين والعباس والفضل وعلي واكتنوا بذلك أجمع . . . فرغب اليهم المسلمون وترك كثير منهم عقد الزناخير وعقدوا آخرون دون ثيابهم وامتنع كثير من كبرائهم من إعطاء الجزية وأنقوا مع اقتدارهم من دفعها وسبوا من سبيهم وضربوا من ضربهم وماله لا يفعلون ذلك واكثر منه وقضائنا وعامتهم يرون ان دم الجاثليق والمطران والاسقف وفاء بد جعفر وعلي والعباس وحمزة .»

وقد كان منهم كتاب السلاطين وفراشو الملوك واطباء الاشراف ولم يكن اليهودي الا صباغاً او دباغاً او حجاماً او قصاباً او شعاباً^(٢) .

(١) رسائل الجاحظ على هامش الكامل (الجزء الثاني ص ١٧٠) .

(٢) رسائل الجاحظ على هامش الكامل (الجزء الثاني ص ١٦٩) .

وبلغ من استصغار شأن اليهود ان الصبيان كانوا يصيحون بالفهد اذا رأوه : يا يهودي وكانت العامة تزعم ان الفأرة كانت يهودية مختارة والارض يهودية ايضاً عندهم والضب يهودي حتى قال بعض القصاص لرجل اكل ضباً : اعلم انك اكلت شيئاً من بني اسرائيل .
وبلغ من إجلالهم للنصرانية انهم كانوا لا يضيفون اليها شيئاً من السباع والحشرات^(١)

الى اي شيء ادت حرية الفكر التي لمّح اليها الجاحظ .
من جملة عواقب هذه الحرية استنفاضة الزندقة في جمهور المسلمين وكثرة الفرق وكما نبهنا الجاحظ على إمكان القول في عصره فكذلك نبهنا على نتائج إمكان هذا القول فلئن حمد دهره في مبدأ الامر فمالبث ان ذمه حتى قال^(٢) :
« وقد ترك هذا الجمهور الاكبر والسواد الأعظم التوقف عند الشبهة والتثبت عند الحكومة جانباً وأعرضوا عنه صفحاً فلبس الا : لا أو نعم الا ان قولهم : لا موصول منهم بالفضب وقولهم : نعم موصول منهم بالرضا وقد عزل الحق جانباً ومات ذكر الحلال والحرام ورفض ذكر القبيح والحسن قال عمرو بن الحارث : كنا نبغض من الرجال ذا الزياء والتفخ ونحن اليوم نتمناها »
واذا أردنا ان نعرف كيف استنفاضت الزندقة في عصر الجاحظ فلنرجع الى الجاحظ نفسه فقد كشف لنا ناحية من استنفاضتها فقال في اثناء كلامه على فريق من أهل الكتاب^(٣) :

« يتبعون المتناقض من أحاديثنا والضعيف بالاسناد من روايتنا والمتشابه من أي كتابنا ثم يخلون بضعفائنا ويسألون عنها عوامنا مع ما قد يعلمون من مسائل الملحدين والزنادقة الملاعين وحتى مع ذلك ربما تبرؤوا الى علمائنا وأهل الأقدار منا ويشغبون على القوي ولبسوا على الضعيف ومن البلاء ان كل انسان من المسلمين يرى انه متكلم وانه ليس

(١) كتاب الحيوان (الجزء السادس ص ١٦٢) .

(٢) كتاب الحيوان (الجزء السابع ص ٣) .

(٣) رسائل الجاحظ على هامش الكامل (الجزء الثاني ص ١٧٤) .

احد أحق بمحاجة الملحدين من احد وبعد فلو لا متكلمو النصارى واطباؤهم ومنجموهم
ما صار الى أغنيائنا وظرفائنا ومجاننا وأخذائنا شيء من كتب المانية والديسانية والمرفوبية
والفلانية ولما عرفوا غير كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وكانت تلك الكتب
مستورة عند أهلها ومحللة في أيدي ورثتها فكل نسخة عين رأيناها في أحداثنا وأغبيائنا
فمن قولهم كان أولها » .

والظاهر ان تزندق القوم بالعراق كانت فاشيا بين المسلمين غير العرب فقد روى
الأصمعي عن الخليل بن احمد عن أبي عمر بن العلاء انه قال : اكثر من تزندق بالعراق
لجهلهم بالعربية ^(١) .

الا ان السلطان لم يغفل عن معاقبة الزنادقة فكان منهم من يهرب من وجه السلطان
ومنهم من يقتل ومنهم من يستر زندقته حتى ينجو من الشر فقد قال الجاحظ ^(٢) :
« والزنادقة لم تكن قط أمة ولا كانت لها ملك ومملكة ولم تزل بين مقتول وهارب
ومنافق » .

* * *

وقد شاعت الزندقة في طبقات الادباء وظهرت على اشعارهم آثارها .
فمن الذين اتهموا بالزندقة حماد الراوية فقد عرض به حماد بن الزيرقان قال ^(٣) :
نعم النقي لو كان يعرف ربه و بقيم وقت صلاته حماد
هدلت مشافره الدنان فأنفه مثل القدوم يستنها الحداد
وابيض من شرب المدامة وجهه فيباضه يوم الحساب سواد
ومنهم ناس ذكرهم حماد عجرد في هجائه لبشار فقال ^(٤) :

(١) طبقات الادباء للانباري (ص ٣١) .

(٢) الحيوان (الجزء الرابع ص ١٣٨) .

(٣) = = = ١٢٢

(٤) = = = ١٤٢

لو كنت زنديقاً عمار حبوتني أو كنت اعيد غير رب محمد
او كنت عندك اوتراك عرفني كالنصر او النيت كابن المقعد
او كابن حماد ربيثة دينكم جبل وما جبل القوسى برشد
لكنتي وحدث ربي مخلصاً فجفوتني بغضاً لكل موحد
وحبوت من زعم السماء تكونت والارض خالقها لما لم يهد
والنعم مثل الزرع ان حصاده منه الحصيد ومنه ما لم يحصد

قال الجاحظ : وحماد هذا أشهر بالزندقة من عمار بن حريبة الذي هجاه بهذه
الابيات واما قوله : وحبوت من زعم السماء تكونت ٠٠٠ البيت فليس يقول احد ان
الملك بما فيه من التدبير تكونت بنفسه ومن نفسه .
ومنهم يونس بن قروة وفي يونس يقول حماد عجرد (١) :

ما الناس عندك غير نفسك وحدا والخلق عندك ما خلاك بهائم
ان الذي أصبحت مفتوناً به سيزل عنك وانف جارك راغم
فتعض من ندم يدبك على الذبي فرطت فيه كما يعض النادم
فأند رضيت بعصبة آخيتهم اوخام لك بالمعرة لازم
فعلت حين جعلتهم لك دخلة اتي لعرضك في اخائك ظالم

وكان حماد عجرد وحماد الراوية وحماد بن الزيرقان و يونس بن هارون وعلي
ابن الخليل ويزيد بن الفيض وعبادة وجميل بن محفوظ وقاسم ومطيع ووالبة بن الحباب
وابان بن عبد الحميد وعمار بن حريبة يتواصلون وكأنهم نفس واحدة وكان بشار
يتنكر عليهم و يونس الذي زعم حماد عجرد انه قد غر نفسه بهؤلاء كان أشهر بهذا
الرأي منهم وقد كان كتب كتاباً للملك الروم في مثالب العرب وعيوب لاسلام يزعمه (٢) .
وذكر ابو نواس ابان بن عبد الحميد اللاهتي وبعض هؤلاء ذكر انسان يرى
لهم قدراً وخطراً في هجائه لأبان وهو قوله :

(١) الحيوانات (الجزء السابع من ١٤٣) .

(٢) ء ء ء ء ١٤٣

جالست يوماً ابانا لا در در ابان
ونحن حضر رواق الامير بالنهر واث
حتى اذا ما صلاة الاولى دنت لاوان
فقام ثم بها ذو فصاحة وبيان
فكل ما قال قلنا الى انقضاء الاذان
فقال: كيف شهدت بذا بغير عيان
لاشهد الدهر حتى نعاين العينان
فقلت: سبحان ربي فقال سبحان ماني
فقلت عيسى رسول فقال: من شيطان
فقلت: موسى كليم المهيمن المنان
فقال: ربك ذو مقلة اذا ولسان
فنفسه خلقته أم من، فقامت مكاني
عن كافر يتبارى بالكفر بالرحمن
يريد ان يتسوى بالعصبة المجان
بعجرد وعباد والوالي المهجسان
وقاسم ومطيع ربحانة الندمان

وتعجبني من ابي نواس وقد كان جالس المتكلمين أشد من تعجبني من حماد حين يحكي
عن قوم من هؤلاء قولاً لا يقوله احد وهذه قرعة عين المهجو والذي يقول :
سبحان ماني بعظم امر عيسى تعظيماً شديداً فكيف يقول انه من قبل شيطان واما
قوله : فنفسه خلقته أم من فان هذه المسألة نجد ما ظاهرة على السن العوام والمتكلمون
لا يحكون هذا عن احد . وفي قوله : والوالي الهجان دليل على انه من شكهم والعجب
انه يقول في ابان انه من ينشبه بعجرد ومطيع ووالبة بن الحباب وعلي بن الخليل واصبح
وابان فوق ملء الارض من هؤلاء . ولقد كانت ابان وهو سكران اصبح عقلاً من
هؤلاء وهم صحاة فاما اعتقاده فلا أدري ما أقول فيه لان الناس لم يؤثروا في اعتقادهم
الخطأ المكشوف من جهة النظر ولكن للناس ناس وعادات وتقليد للآباء والكبراء .

ويعملون على الهوى ؛ على ما يسبق الى القلوب و يستشقلون التحصيل ويهملون النظر حتى يصير في حال متى عاودوه وأرادوه ونظروا بابصار كليله وأذهاب مدخولة مع سوء عادة ، والنفس لا تجيب وهي مستكرهة وكان يقال : الطفل اذا كره عمي ومتى عمي الطباع جسا وغلظ وأهمل حتى يألف الجهل ولم يكذب يفهم ما عليه وله فلماذا وأشباهه قاموا على الألف والسابق الى القلب .

ومن الذين اتهموا بالزندقة ابو نواس فقد كانت يتعرض للقتل بجهدده وقد كانوا يعجبون من قوله :

كيف لا يدبئك من امل من رسول الله من نوره

فلما قال :

فاحب قریشا لحب أحمدما واشكر لها الجزل من واهبها

جاء بشيء غطى على الاول -

وانكروا عليه قوله :

لواكثر التسبيح ما فحماه

فلما قال :

يا احمد المرتضى سيفي كل فائبة ثم سيدي نعم جبار السموات غطى هذا على الاول وهذا البيت مع كفره مقيت جداً وكان يكثر في هذا الباب^(١) واكثر من قتل في الزندقة من كان ينتحل الاسلام ويظهره هم الذين آباؤهم وامهاتهم نصارى^(٢) .

وقد صيبت هذه الزندقة وهذا الكفر شنات المسلمين وكثرة الفرق فبعد ان كانوا يجمعهم نظام واحد ودين واحد لا يعرفون غير الكتاب والسنة اختلفت كلماتهم حتى أصبح الانسان يحار في كثرة الفرق ما بين حنبلي ومعتزلي وشيعي وزيدني ورافضي وبكرية وجبرية وفضلية وشمرية ومرجئة وعثماني وخارجي واباضية ونابذة وحشوية وغالية

(١) الحيوان (الجزء الرابع ص ١٤٣) .

(٢) رسائل الجاحظ على هامش الكامل (الجزء الثاني ص ١٦٩) .

وسميطية وكيلية وسبالية وديصانية وجممية وصوفية وقاحبة وصفريّة والازارقة فضلاً
عن المارقة والمائية والدهرية واشباهها .

ولا بأس بان اذكر لكم نبذاً من معتقدات الزنادقة مما أورده الجاحظ في كتبه .
فالمازية^(١) تزعم ان العالم بما فيه من عشرة أجناس ، خمسة منها خير ونور وخمسة
منها شر وظلمة ، وكلها حاسة وحارة ، وان الانسان مركب من جميعها على قدر
ما يكون في كل انسان من رجحان أجناس الخير على أجناس الشر او رجحان
الشر على أجناس الخير وان الانسان كان ذا حواس خمسة فان في كل حاسة
فنوناً من ضده من الاجناس الخمسة فتنظر الانسان نظرة رحمة فتلك النظرة من
النور ومن الخير ومتى نظر نظرة وعيد فتلك النظرة من الظلمة وكذلك جميع الحواس وان
حاسة السمع جنس على حدة وان الذي في حاسة البصر من الخير والنور لا يعين الذي
في حاسة السمع من الخير ولكنه لا يضاره ولا يفسده ولا يمنع فحولاً يعينه لمكان الخلاف
والجنس ولا يعين عليه لانه ليس ضدّاً وان أجناس الشر خلاف لاجناس الشر ضد
لاجناس الخير وأجناس الخير يخالف بعضها بعضاً ولا يضاد وان التعاوان والتأذي
لا يقع بين مختلفها ولا بين متضادّها وانما يقع بين منفقها .

والدهري^(٢) ليس يرى ان في الارض ديناً او نحلة او شريعة او ملة ولا يرى للحلال
حرمة ولا يعرفه ولا للحرام نهاية ولا يعرفه ولا يتوقع العقاب على الإساءة ولا يتوشى
الثواب على الاحسان وانما الصواب عنده والحق في حكمه انه والبعيية سيان وانه والسبع
سيان ليس القبيح عنده الا ما خالف هواه وان مدار الامر على الاخفاق والدرك وعلى
اللذة والألم وانما الصواب فيما نال من المنفعة وان قتل الف انسان صالح لئالة الدرهم
الردي .

وقال في موطن آخر^(٣) :

(١) الحيوان (الجزء الرابع ص ١٤١) .

(٢) = = = ٦

(٣) = = = ٣٢

« فان كان الدهري يريد من اصحاب العبادات والرجال ما يريد من الدهري
 الصوف الذي لا يقر الا بما أوجده العيان وما يجري مجرى العيان فقد ظلم وقد علم
 الدهري ان لنا رباً مخترع الاجسام اختراعاً وهو حي لا بجماء وعالم لا يعلم وانه شيء
 لا ينقسم وليس بذي طول ولا عرض ولا عمق وان الانبياء نحيي الموتى وهكذا
 عند الدهري مستنكر » .

واما الدبصانية فقد زعمت - علي ما قال ابو اسحق النظام - ان اصل العالم انما هو
 من ضياء وظلام وان الحر والبرد واللون والطعم والصوت والرائحة انما هي نتائج على
 قدر امتزاجها ^(١) .

دمشق : ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٣١



(١) الحيوان (الجزء الخامس من ١٧) .

باب الهمزة والسين^(١)

« وما يثلثهما »

(أَسَفٌ) الهمزة والسين والفاء اصلٌ واحد يدل على الفوت والتلف وما أشبه ذلك .
يقال أَسَفَ على الشيء بأسف أسفاً مثل تلف . والأُسْفُ الغضبان . قال الله تعالى :
(ولما رجع مومسي الى قومه غضبان أسفاً) . وقال الأعشى (شعر) :
ارى رجلاً منهم أسيفاً كأنما يضم الى كشحه^(٢) كفاً مخضباً
فيقال لهو الغضبان . ويقال ان لأسافة الارض التي لاثبت شيئاً وهذا هو القياس
لان النباس^(٣) قد فاتها . وكذلك الجمل الأسيف وهو الذي لا يكاد يستحسن . واما
التابع وتسميتهم اياه أسيفاً فليس من الباب لانت الهمزة متقلبة من عين وقد ذكر
في بابه .

(أَسَكٌ) الهمزة والسين والكاف بناؤه في الكتابين . وقال اهل اللغة (الماسوكة)
التي اخطأت خافضتها فأصابت غير موضع الخفض .
(اسل) الهمزة والسين واللام تدل على حدة الشيء وطوله في دقة . وقال الخليل
(الأسل) الرماح قال وسميت بذلك تشبيهاً لها بأسل النبات وكل نبت له شوك طويل
فشوكه أسل^(٤) والأسلة مستدق الذراع مالا سلة^(٤) مستدق اللسان . قالوا وكل شيء
محدته فهو مؤسل قال مزاحم (شعر) :

(١) نقتبس هذا البحث من كتاب (مقاييس اللغة) الذي كنا نشرنا عنه مقالاً في ص
٦٥ من هذا المجلد ووعدنا باقتباس شيء منه — نشر ما نقتبسه على علاته سوى بعض
أغلاط قد تشير الى تصحيحها في ذيل الصفحات . (٢) كشحه صوابه كشحيه .
(٣) النباس صوابه النبات . (٤) ما الأسلة لعل صوابه والأسلة .

بباري سديساها اذا ما تلجحت شبا مثل ايزيم السلاح المؤمل
(باري) يعارض (سديساها) خرسان في أقصى الفم طالا حتى صارا يعارضان
النابين وهما الشبا الذي ذكر . وال (ايزيم) الحديدية التي تراها في المنطقة دفيقة تمسك
المنطقة اذا شدت .

(اسم) الحمزة والسين والميم كلمة واحدة وهو أسامة اسم من أسماء الاسد .
(اسن) الحمزة والسين والنون اصلان احدهما تغير الشيء والآخر السبب فالاول
فيقال ^(١) آسن الماء يأسن وبأسن اذا تغير هذا هو المشهور . وقد يقال آسن قال
الله تعالى : من ماء غير آسن . وآسن الرجل اذا غشي عليه من ريح البثر وهما كلمتان
مغلولتان ^(٢) لبستا باصل . (احديهما) الأسن وهو بقية الشحم وهذه حمزة مبدلة من غين . انما
هو غن . (والاخرى) قولهم نأسن نأسنا اذا اعتل وابطأ . وعلة هذه ان ابا زيد قال
انما هي تأمر تأمرأ فهذه علتها . والاصل الآخر قولهم ان الاسان الجبال ^(٣) . قال
(شعر) :

وقد كنت أهوى الناقية حقة فقد جعلت اسان بين نقطع

واستعير هذا في قولهم هو على اسان من ابيه اي طرائق .

(اسو) الحمزة والسين والواو اصل واحد يدل على المداواة والاصلاح . يقال اسوت
الجرح اذا داوته . ولذلك يسمى الطبيب الآسي . قال الخطبة (شعر) :
هم الآسون أم الرأس لما نواكلها الاطبة والاساء
اي المعالجون كذا قال الأموي . ويقال اسوت الجرح اسوا واسا اذا داوته
قال الأعشى (شعر) :

عنده البر والنقى واسا الشق وحمل لمضلع الاثقال ^(٤)

ويقال أسوت بين القوم اذا أصلحت بينهم . ومن هذا الباب : لي في فلان اسوة
اي قدوة اي اتقدي به . وأسيت فلاناً اذا عنيت به من هذا اي قلت له : ليكن لك

(١) صوابه يقال او اما الاول فيقال . (٢) مغلولتان صوابه معلولتان .

(٣) صوابه الجبال بالمهمل . (٤) لعل صوابه الاثقال .

بفلان اسوة فقد أصيب بمثل ما أصبت به فرضي وسلم . ومن هذا الباب آسبته بنفسه .
(اسي) الحمزة والسين والياء كلمة واحدة وهو الحزن يقال اسبت على الشيء آمى
أسى أي حزنت عليه .

(اسد) الحمزة والسين والدال بدل على قوة الشيء ولذلك سمي الاسد اسداً لقوته
ومنه اشتقاق كل ما أشبهه . يقال استأسد النبات قوي . قال الخطيب (شعر) :
بمستأسد القرنان^(١) حور تلاحه فنوارؤه ميل الى الشمس زاهره
ويقال استأسد عليه اجتراً . قال ابن الاعرابي : أسدت الرجل مثل سبعة .
وأسدت يسكون السين الذين يقال لهم الأزد ولعله من الباب . واما الإسادة فليست
من الباب لان الحمزة منقلبة من واو . والأسدي^(٢) في قول الخطيب :
مستهلك الورد كالأسدي قد جعلت ابدي المطي به عادية رغباً

(أسر) الحمزة والسين والراء اصل واحد وقياس مطرد وهو الحبس وهو الإمساك
من ذلك الأسير وكانوا يشدونهم بالقد وهو الإرسال فسمي كل أخير وان لم يؤمر أسيراً .
قال الأعشى (شعر) :

وقيدني الشعر في بيته كما قيد الأسران الحمار

أي انا في بيته يريد بذلك بلوغه النهاية فيه . والعرب يقول^(٣) اسرقته^(٤) أي شده .
وقال الله تعالى : وشددنا أسرهم . يقال أراد الخلق ويقال بل أراد مجرى ما يخرج من
السيبلين . وأمره الرجل رهطه لانه يتقوى بهم . ونقول أسير وأمرى في الجمع وأسارى
بالفتح . والأمر احتباس البول .

(١) كذا في الاصل ولعله مصحف او محرف عن مثل كرتاف وهو اصول الكرب التي
تبقى في جذع النخلة بعد قطع السعف . (٢) الأسدي . مبتدأ ولم يأت له خبر فني
الكلام نقص . (٣) كذا في الاصل والاظهر نقول . (٤) صوابه أسرقته .

باب الهمزة والشين
« وما بعدهما في الثلاثي »

(اشف) الهمزة والشين والفاء كلمة ليست بالاصلية فلذلك لم نذكرها والذي سمع فيه الايشفي .

(أشا) الهمزة والشين والالف الاشاء صغار النحل^(١) . الواحدة اشاءة .

(أشب) الهمزة والشين والباء بدل على اختلاط والنفاف . يقال عيص إشب . اي ملتف . وجاء فلان في عدد أشب . وتأشب القوم اختلطوا . ويقال إشبنت فلاناً أشبه اذا لمتك كأنك لفقت عليه قبيحاً فأشبهه^(٢) فيه . وقال ابو ذؤيب (شعر)
وبأشبني فيه الذين يلونها ولو علموا لم ياشبهوني بطائل
والاشابة الاختلاط من النار في قوله :

وثقت له بالنصر^(٣) اذ قيل قد غرت قبائل من غسان غير اشائب

(اشر) الهمزة والشين والراء اصل واحد يدل على الحدة من ذلك قولهم هو أشر . اي بطر متسرع ذو حدة . ويقال منه أشر بأشر . ومنه قولهم ناقة مشير مفعيل من الاشر قال اوس (شعر)

حرف ابوها اخوها من معجنة وعمها خالها وجنائه مشير^(٤)
ورجل أشر وأشره . والأشرف رقة واحدة^(٥) في أطراف الاسنان . قال طرفة (شعر)

بدلته الشمس من منبته برداً أبض مصقول الأشر
واشرت الخشبة بالمنشار^(٦) من هذا .

(١) صوابه النحل بالمعجمة . (٢) كذا وصوابه فلتته . (٣) او صوابه بالنصر .

(٤) هذا البيت توارد فيه أوس مع كعب بن زهير في قصيدته (بانت سعاد) اذ قال :

حرف ابوها اخوها من معجنة وعمها خالها قوداء شمليل

(٥) قوله واحدة وصوابه وحدة . (٦) قوله بالمنشار بالنون والأظهر ان يقول

بالمشار) بالهمزة وهما بمعنى واحد .

ادبنا القومي

- ٦ -

صفوة الكلام

خرج لنا مما سلف من القول ان في مصر لونين من الأدب ادب الخاصة ، وادب الجمهور . او الادب العامي . أما ادب الخاصة فقد عرفت انه دأثر في فئة قليلة لا تقوم في العدد بشيء اذا أُضيفت الى سائر الناس هذا الى انه جد فقير في أداء هذه الماديات التي تُندافع اليها من الغرب في كل يوم . واذا ذكرت ان العربية لا يتجن من أسماء الزهر الا الورد والزرجس والبهار والقونفل والياسمين والآس والنسرین (واكثرها ان لم يكن كلها معرب) وثلاثين او اربعين اسماً أوردها صاحب المختص للزهر والنبات الشدي ايضاً ، على ان احداً لا يعرف الآن لاكثرها مسمى — اذا ذكرت هذا وذكرت ان العالم ومن بينه مصر نفسها يولد في كل عام آلاف الازهار والانوار وبفيض على كل منها الاسم الذي يعينه ويميزه عما عداه اذا ذكرت هذا قدرت مبلغ فقر العربية في هذا الباب .

على ان الرأي في هذا يجب ان يصير الى جمع لغوي قوي غني ثابت الاصل باسق الفرع . ولقد كررنا هذا فيما سلف من الكلام .

وقد عرفت ان في مصر انصاراً للقديم وانصاراً للتجديد وعرفت مدى ما بينهما من الخلاف . وعلاج هذا يجب ان يترك للطبيعة فهي وحدها الكفيلة ببقاء الاصلح والتقضاء على ما عداه . وهي وحدها التي تُنضج ما ندعو اليه حاجة الزمان وحاجة المكان . وعرفت ان هناك اختلافاً في اللهجات : تارة بقدر كبير وتارة بقدر صغير . وهذا يجب ان يترك علاجه للزمن . على ان اللهجات جعلت تتقارب وتتساوى كل بتسريح نظر كل ادب فيما يبعث غيره من القول . وتلقط أحاسنه . واحتذاء كرائمه .

واما الادب العامي فهو الشائع المستغرق لسواد الناس خاصتهم وعامتهم في ادراكه وتذوقه بمنزلة سواء . وأعلاء الزجل والموالي لانها ادناه الى الادب العربي . وقد عرفت مبلغ سلطان العامية في هذه البلاد ، فانها الجارية على ألسن الناس حتى الخاصة . فيها يتحاورون وبها يتقاولون في جميع اسبابهم . الا ان يجتمع احدهم لمحاضرة او بتكفلا لإلقاء خطبة . وعرفت كذلك انها أثبت في النفس والصق بالحس بطول استعمالها واقلبت الألسن بها . كما انها أعظم غنى وأبلغ وفراً بأدائها كل جديد . وترجمتها عن كل طرف بالتعريب وتارة بغيره من وسائل الترجمة والاداء .

واذا كانت العربية الخالصة نئمش الآن وتعلو نجا يبعث اهل البيان من شريف الفاظها ورائع صيغها فان العامية من جهة أخرى نئشر وتئجصد بنشرها وقدرتها على المواتاة . وخاصة فيما يخصصنا به الغرب كل يوم من خلق جديد . واذا اظردت هذه الحال ايضاً طائفة من السنين انبتت العربية الخالصة وحاشت عنا بنجوة . الا ان تقنصر على ضئيل من مطالب الحياة . والا ان تستعمار للزينة والتبجح الحين بعد الحين . هذا هو الواقع الذي لا يتداخله الشك ، والمكابرة فيه عبث من العبث لا يستحق المناقشة ولا الحوار .

وبعد فخير ببلد كمصر له تاريخه الضخم . وله حاضره القخم . وله مطلبه في الحياة وهو جسام — حقير به ان يعيش على العامية في لغته وفي ادبه جميعاً . والعامية مما ايسرت في الفاظها ومما تنهياً لها بعض الحين ان تشك من دفاق المعالي فليست هي اللغة التي تستوي لعظام المطالب ، ولا التي ترضي الذوق الناضج . هذا الى انها لا تكتب ، فاذا كتبت نصل ماعسى ان يكون لها من رونق وبهاء . اما ما ثبت منها على الكتابة كالزجل والموالي ونحوهما فهيات ان يؤدي مجرد النظر في نقشه الى صحة النطق به حتى اذا لفظته على حكم ما بين يديك من حروفه اضطرب نظمه واختل وزنه وفست معانيه وذوت نواضره .

ثم لا يذهب عنك ان أجود ماخرج في الادب العامي انما هو من صياغة اعيان الادب العربي ، فمنه استمدوا . وبه استعانوا . فاذا اعتلجت اللوعة في نفس العامي فنفت بها

فتمثلت في بعض القول بديدة رائعة ، فسرعان ما يسطو به جهله فيرديه في سائر الكلام الى الحضيض . واذا كان في العامة من يجيد لونا من ألوان هذا الادب ويحذفه كما اجتمع للقول فذلك لان له طبعاً . وهذا الضرب من الناس نادر ، والنادر لاحكم له .

ثم ان بلاغة الكلام ليست حبساً على إصابة المعاني ، بل ان هناك ما هو ابل واعظم . هناك — وخاصة في بلاغة العربية — فحولة القول ، وشرف اللفظ ، وتلاحم النسيج ، واشراق الدباجة . وليس للعامة في شيء من هذا حظ كبير ارضئيل . واذا لم تكن تحضرك الامثلة التي سبق لنا ان ضربناها لك في هذا الباب فلنأت اليوم بما يشبهها ليتضح بها المقام .

قال الشاعر :

فقلت لجناد خذ السيف واشتمل عليه يرفق وانظر الشمس تغرب
واسرج لي الدماء واعجل بمطري ولا يلمن خلق من الناس مذهبي

وقال الشاعر :

يا ليتنا في غير امر فادح طلعت علينا العيس بالرماح -

وقال الشاعر :

فقلنا لساقينا زياد يرقها فقد هد بعض القوم سقي زياد

وقال الشاعر :

فسائل بني جرم اذا ما لقيتهم وسعدا اذا حجت عليك بنو سعد
فان يخبروك الحق عني تجدهما يقولون ابلي صاحب الفرس الورد

ولا شك في ان هذا الشعر يجلب اللب ويهز النفس ، على انك لو قد شئت لرأيت فارغاً من كل معنى شعري ، او خيال يخلق بك في جو السماء ، او تشبيه يترقب لنفسك تفرق السراب على متن الصحراء . ولكنه مريء بفحولة اللفظ وبراءة التأليف وجودة النسيج وسطوة الكلام .

وفي الغاية ، الى اين نصير بكتاب الله العزيز ؟ وهو مجتئنا ، وهو ذريعنا ، وهو آية ديننا ، وهو ميراثنا النال ، وهو مجدنا الخالد ، وهو حصننا نعوذ به كلما قهرتنا الاقدار ، وهو مشكاننا نستصحب بها كلما غم علينا وجه النهار — اين نصير به ؟ وكيف الحيلة يومئذ في نفهمه ؟ وكيف الوسيلة في تأمل نظامه وتعرف احكامه ، وكيف السبيل

الى إمتاع النفس به وتقع الغلة برائم آياته ، ومعجز بلاغاته ؟
في الحق اننا لانستطيع ان نعيش على هذه العامية التي يحدرونا اليها الجهل والغرور
والغفلة عما نفعل بنا الايام .

وصدق ابو العتاهية فيما قال :

الليل يعمل والنهار ونحن عم — ما يفعلان باغفل الغفلات

وبعد ، فما كنت لأذهب الى إزالة العامية واستئصال شأفتها من هذه البلاد ،
فذلك مما يتصل بالمستحيل ، وقد كانت العامية قائمة في أنصر عصور العربية وأزكاها .
ولا سبيل الى إزالة العامية لا بإزالة العامة ، وانما أريد ان يعمل العاملون على إشاعة
صحيح العربية في سواد الناس وتيسيرها لهم حتى يفهموها ويتذوقوها — ولو بقدر حلاوتها ،
ويلجأوا ماله من روعة وجلال ، وذلك سهل ميسور . فاذا تم هذا أمكن الوصول ، بقدر
محمود ، بين لغة العامة ولغة الخاصة ، وبين أدب هؤلاء وأدب هؤلاء ، وذلك لان
ما يتربونه من فصيح العربية وناصح بيانها سيذهب أذواقهم ، ويفسح في ملكاتهم ، ويبعث
نفوسهم الى الاستشراق كلما أصابوا في العربية قولاً جميلاً ، ولا شك في ان هذا سيعلق
على تطاول الايام بطبائعهم ، فننتفضج باثره السنتهم ، وذلك الذي يدفعهم الى الارتضاع
بلغتهم وبادبهم حتى يتصلا بصحيح العربية ونصيحتها ، وبهذا يصبح للبلد لغة واحدة وأدب
واحد . وان تفاوتت مراتبه ، وتفاوتت مذاهبه .

واقدر زعمت لك في بعض الكلام ان السبيل الى هذه الغاية سهل ميسور ، ذلك اننا
الآن جامدون حقاً في إشاعة التعليم ، حتى اكتظت الحواضر بدور العلم . وهي بحمد الله
كل يوم في ازدياد ، ولا ننسى التعليم الالزامي المفروض الآن على جميع المصريين من بنين
وبنات . فالرأي ان يتخير من شعر العربية ونثرها أسهل الكلام وألينه و يروى التلاميذ اثناء
نشأتهم . وهكذا يتدرج بهم بما لا يرهقهم ولا يند عن طاقتهم .

ولقد قلت لك يروى ولم أقل يحفظ لان كثيراً من أسانيد البيان عندنا مع الاسف
انما يعتمدون في تعليم تلاميذهم على مجرد التخفيف وتفسير ما عسى ان يقع في الكلام من لفظ
غريب ، فلا يمدوا ما يتلقاه الطلاب من متخير الشعر ومصطفى النثر ان ينحاز الى المحافظة فيجتزئ
فيها اختزاناً ، وما هكذا يكون تعليم البيان . إنما يكون تعليم البيان بان تلي على الطالب

القطعة المختارة من المنظوم او المنشور وانت توقعها ايقاعاً ينسق لما جرت به من بلاغة ، ثم لا تفتأ تنبه حسه لما أضمرت من سر ، وما تفتت من سحر . ولا يزال خلال ذلك تظهر الافتنان والانبهار بما تلوحه من الكلام ، وبهذا تشتد طبيعته ، ويربو ذوقه ، و يتصل ذوق البلاغة بنفسه حتى يجري من أعراقه مجرى دمه . ولو قد ختم دروسه على هذا وانطلق لشأنه في الحياة فبهات ان يسلو الادب . او يقصر في إمتاع النفس بالاكباب على بيان العرب .

وبما يخطي فيه كثير ان ملكة البيان انشاء او مجرد تذوق لا تستوي للمرء الا اذا درس علوم النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع . نعم انهم ليخطئون في هذا : لان بناء الكلام وتذوقه لا يحتاج شي منها . في الواقع ، الى هذا كله ، والي اختزل لك الطريق فاؤكد لك ان تسعين في المائة من اعلام البيان سفي هذه النهضة الحديثة لا يعرفون اكثر من بضع قواعد من قواعد النحو . اما أبنية المفردات وتصرفاتها فقد حصلوها من مراجعة المعاجم . ومذاكرة كتب العربية في الآداب والعلوم . حتى العروض فاكثرهم لا يجيده ، وكثير منهم من لا يعرف من امره شيئاً . واما ما يدعونه علوم البلاغة فهي على ما انتهت اليها ، لا تغني في البيان كثيراً ولا قليلاً ، لان البيان الى انه طبيعة فان ملكته انما تنفس بالتروى وتريد النظر والمحاكاة وطول التمرين .

ولقد كان للوزير المصلح ارحوم احمد حشمت باشا في هذا الباب رأي حكيم ، ذلك انه يحب الا يشاع كتاب ، وخاصة كتب التعليم ، الا اذا كان مضبوطاً بالشكل الكامل حتى اذا درج الناس على المنطق الصحيح وداموا بضع سنين يقلبون فيه السنيهم ، استقامت فطرتهم ، وصحت ملكاتهم ، فلا يدخل عليهم الخطأ او اللحن الا في النادر القليل .

ولاشك ، بعد هذا ، في انه اذا تمياً للمصلحين ان يبلغوا بالجيل الناشئ هذا المبلغ ، فان الطبيعة نفسها تأبى ان تنتشر في هذا الجو الا القصص الفصيحة والمنظومات البارة ، والانشيد الرائعة ، ادنى ما تكون اتصالاً بالعربية ان لم تنفذ الى صميم العربية .

ولا ننس ان المفردات وهي متن اللغة ومادتها انما يتكفل بها المجسم اللغوي ، ولقد تكرر في هذا الكلام .

يا رجال الادب ، ويا حماة لغة العرب ، ويا كل مؤمن بالكتاب الكريم ، ويا كل
غيور على جلال هذا الذكر الحكيم ، ويا ظهراء العلم ، ويا فائزين على شأن التعليم ، ويا دعاة
الاصلاح ويا قادة النهضة في البلاد — أنشدكم الله والدين والعلم والادب والوطن ان
تهبوا بجمعكم للزيادة عن لغتكم ، والجهد في شد منيها ، وتدعيم ركنها ، حتى ينبعث في
البلاد لسانها ، ويسود كل باب بسانها ، فما ذلك عليكم بعسير .

وبعد فلقد تطوحت في هذا البحث الذي أعلم ، وانا أعلم بنفسي ، انني له غير كفء
وما دفعني اليه ولا اغرائني به الا صدقي الاستاذ الجليل محرم المساء . ولعله بهذا انما
أراد لي ان أذكر قريحة خامدة ، وان احد فكرياً قد صدي وثلم . ولعلي بالتعرض
لهذا الموضوع اكون قد اثرت لمعالجته هم الا كفء القادرين ، وهذا حسي ، وهذا عما
قصرت فيه نعم العزاء .

وعلى كل حال ، فاني ان كنت قد أصبت في بعض القول فذلك من فضل الله وتوفيقه
واذا كنت قد اخطأت فني عفو الله . فبعض وفي حلم القارئين متسع (ان اريد الا اصلاح
ما استطعت وما توفيتي الا بالله عليه توكلت اليه أنيب) صدق الله العظيم اه .

باحث

الاستاذ جرجس منش (١)



هو رشيد بن فرنسيس ابن يوحنا بن فرنسيس بن شكري بن بولس بن ابراهيم المكنى بابي منش . فهو ينسب الى ابي منش . و يظهر ان ابراهيم الجسد الاعلى المحدث عنه كان متزوجاً قبل اوطنه حلب ورزق من امرأته الاولى ابنته السيدة مريم المعروفة (بمنش) فكني بها وعُرف (بابي منش) ومن بعده أطلق على أسرته فلقبت (ببيت منش) وهو في لغة العامة مخفف (منوش) محوف (مروم) الذي هو تصغير (مريم) عليها السلام . وهذا العلم لا يزال شائعاً متداولاً بين الارمن خاصة فيسمون (بمنش) البنات اللاتي يربدون تسميتهن مريم . وعليه فاما ان يكون ابراهيم الجد الاعلى كني بابي منش من قبل الاشتراك

(١) عضو المجمع العلمي المتوفى في حلب في شهر كانون الثاني من هذه السنة .

الاتفاقي وإما ان يكون له صلة باصدقاء من الارمن فدعوا ابنه مريم بماألقوه وهو منش فغلب عليه وعلى أسرته من بعده فبقي عليها علماً بالغلبة .

وقد ولد رشيد بحلب في ١٦ كانون الاول سنة ١٨٧٣ ونصّره نسيبه القس جرجس منش في اول كانون الثاني فاتحة سنة ١٨٧٤ فانصرف والده الى تربيته وتوفر على تعليمه واعداده للدعوة الكليريكية فكان ينشطه الى الدرس والاستفادة ويصحبه الى الكنيسة يلقنه في الآحاد والأعياد قراءة الفصول النبوية ليتلوها على الشعب حتى اذا بلغ السادسة من عمره ضوى الى مدرسة الارمن الكاثوليكية فأخذ فيها مبادي اللغة العربية والارمنية وتحوّل الى المدرسة المارونية فواصل درس العربية وتلقى اصول اللغة السريانية والخط والحساب . ولما أدرك الثانية عشرة اختاره المطران بولس حكيم لتمام دروسه في احدى المدارس الكليريكية الطائفية . فدخل مدرسة مارعبدا هرهريا الشهيرة واقتبس فيها اللغات العبرية ، العربية والسريانية ومبادي اللاتينية والابطالية ودرس الفلسفة والخطابة والجدل واللاهوت النظري والأدبي وشروح الكتاب المقدس وقال الشعر وهو في الحادية والعشرين وله عدة قصائد ومقطعات نظمها في سنه المدرسية الأخيرة .

وبعد الامتحان النهائي رقاء المطران الياس الحويك (وهو غبطة بطريرك الموارنة الحالي) الى درجة الكهنوت في حفلة حافلة في ٣١ تموز سنة ١٨٩٥ فأمره البطريرك يوحنا الحاج بعد كهنوته ان يمارس اعمال الرسالة لاجل زيادة مرانه على الوعظ والخطابة فامثل الامر وزاولها صحبة المرسلين الكرميين في شمالي لبنان كحسرون وبشري واهدن وما اليها نحواً من ثلاثة أشهر .

وعاد الى حلب في ١٧ تشرين الاول سنة ١٨٩٥ وتقيّد بخدمة الابرشية الحلبية ونقّط في خططها الكهنوتية . وانصرف من اول امره الى الثقيف والتوقيف فدرس اللغة العربية في مدرسة الآباء الفرنسيسكان خمس عشرة سنة ثم في مدرسة الروم الكاثوليك ثم في مدرسة الارمن الكاثوليك فتخرج عليه عدد عديد من ناشئة حلب وأدبائها .

وهو على رغم شواغله العديدة كان يرحل في اوقات الفراغ الى نيرب وارقاد وقورش وجرابلس وقنسرين والرفقة وجبل سمعان من بلاد سورية الشمالية القديمة للبحث عن آثارها ونقصي أحوالها وله فيها فصول ضافية الذبول في جغرافيتها ووصف آثارها ومرافقها وذكر

وقائمه ومشاهيرها وما أشبه ذلك . نشر بعضها وباقية لا يزال مطويا .
وفي أواخر الحرب العامة كان رغب عبد الخالق والي حلب في ان يتحدى زميله اسماعيل
حقي بك (متصرف لبنان) في تأليف كتاب في بلاد سورية الشمالية يشتمل على جغرافيتها
الطبيعية والسياسية وما ينطوي تحتها من المباحث . فألفت لذلك لجنة من أدباء العرب
والترك وضمت اليها المترجم فأخذ على نفسه البحث في النصرانية وأحوالها وتواريخها
وآثارها وفنونها وسائر شؤونها الادبية والعمرانية والدينية ووضع في ذلك فصولا وأبحاثا
عديدة قبل نتمتها كانت وضعت الحرب أوزارها فانفرط عقد اللجنة وحرم عالم العلم من هذا
الكتاب الجليل الممتع .

وقد راسل المترجم من الجرائد عدة جرائد شامية وخص الأرز بعنايته لصداقة
كانت تربطه بصاحبها فراسلها مدة صدورهما . وكاتب من المجلات العلمية الادبية المشرق
والزهور وكوكب البرية والآثار والشملة ورسالة السلام والحارس ، وله صلة بأدباء العصر
وعلمائه الأفاضل ولديه مطارحات ومراسلات عديدة تبلغ سبعمائة صفحة .
ومن آثاره الأدبية المطبوعة تقويم المطبعة المارونية ، والطرفة الشبية في الرهبانية
الفرنيسية المعروفة بالثالثة ، والنخفة الادبية في الجامعات المارونية وعليها حواشٍ ضافية في
الطقوس والقوانين والآداب الكنسية ، والمستطرفات في حياة جرمانس فرحات ابي النهضة
الادبية الحديثة مذبلة بمجديول تصانيفه ومعارنه ومختصراته ، ورحلة علمية الى عاصمة الحثيين
نشرها على صفحات مجلة الآثار .

ومن آثاره المخطوطة الحق القانوني عند الموارنة ، وخطط البلاد المارونية ، وحلب
على عهد العرب ، وحلية النسب في أسرحلب ، ومفاخر الحقب في آثار حلب . نشر بعضها
في مجلة الآثار . ومعين الأدب في وصف مكان حلب ، والصلوات القانونية في كنيسة
حلب المارونية ، وجامعة البراهين في حكاية زقاق الاربعين وهي حكاية انقراض النصارى
من حلب في القرن الرابع عشر او الخامس عشر . والعرف المسكي سيف اوتيمبوس البعلبكي
والطقس الملكي وفيه أبحاث تاريخية انتقادية دقيقة في قضية بعينها ، وضروب الافانين في
الخطب والتأبين وهي مجموعة خطبه وتآبينه التي لفظها في أوقات وأغراض متباينة الى غير
ذلك مما هو غير تام التأليف .

وفي ٢٣ آذار سنة ١٩٢٣ انتخب عضواً للمجمع العلمي في حلب . وبعد بضعة أشهر تقرر تعيينه عضواً عاملاً في فرع حلب التابع للمجمع العلمي المركزي . ومن جملة آثاره في مجلة المجمع مقال نشره في مجلد السنة السابعة وصف فيه كتاب (نعمة يتيمة الدهر) إحدى مخطوطات المكتبة المارونية بحلب . ومقالاً آخر نشره في مجلد السنة التاسعة حقق فيه ان مدينة (ذات الزيتون) التي كان عبدالرحمن الداخل مقبلاً فيها وفرمها الى افرقية — هي الزيتونة على الفرات او قريبة منه في بادية الشام . ونشر في المجلد نفسه مقالاً حقق فيه ان كلمة (العربية) بمعنى العجلة او المركبة ليس اول من استعملها ابن بطوطة في رحلته بل هي معروفة قبل ذلك ولعل أصلها آرامي سرياني . وقد ناقشه الاب انستاس الكرمل في الموضوع فعاد هو ورداً عليه . وكل ذلك نشر في المجلد التاسع .

رسالة الكرم

١٠ -

« العنب الأسود والاحمر والاصفر »

الرّماديّ ضرب من العنب بالطائف أسود أغبر .
الكشميش بالكسر : قال في اللسان ضرب من العنب وهو كثير بالسراة ولم يزد على ذلك . وفي المخصص الكشمش وهو الجنان وعاقيدته يبيض أمثال أذنان الثعالب وسيأتي عنه ان الجنان أسود الى الحمرة . وفي التاج عنب صفار لا عجم له ويكون أصفر واحمر واسود ألين من العنب واقل قبضاً وأسهل خروجاً قال القطميش يصف امرأته .
كأن الثآليل في وجهها اذا سفرت يرد الكشمش

قال في التاج ويقال بالقاف اي قشمش .
الغريب بالكسر : ضرب من العنب بالطائف شديد السواد وهو أرق العنب وأجوده وأشدّه سوادا .

أصابع العذارى : صنف من العنب أسود طوال كالبلوط شبه ببنان العذارى المخضبة وعنقوده متداحس^(١) الحب وله زبيب جيد ومنابته السراة كذا في التاج ونحوه في اللسان .
عيون البقر : قال في اللسان ضرب من العنب ولم يزد على ذلك . وفي التاج وعيون البقر ضرب من العنب أسود كبير مدحرج غير صادق الحلاوة . وفي المخصص وهو عنب أسود ليس بالحالك عظام الحب مدحرج يزيب وليس بصادق الحلاوة .
الحمة ثمان^(٢) : عنب طائفي أسود الى الحمرة صغير الحب قليله كذا في التاج وفي اللسان

(١) لعله من دَخَس اللحم وهو اكتنازه والدَخَس امتلاء العظم من السمن والدَخيس اللحم الصلب المكثّر . (٢) الحمة ثمان صغار القردان واحدة حمئة وحمناة .

أسود الى الحمرة قليل الحبة وهو اصفر العنب حبا . وفي الاصمعي واما الحمنان فأسود احمر وهو اصفر العنب حبا . وقيل الحمنان الحب الصفار بين الحب الكبار وقد تقدم هذا .
الدَّوَالِي^(١) : عنب اسود غير حالك وعناقيده اعظم العناقيد كلها تراها كأنها تيموس معلقة وعنبه جاف يتكسر في الفم مدحرج ويزيب هكذا في اللسان والتاج ونحوه في المخصص وفي الاصمعي واما الدوالي فأسود بضرب الى حمرة عظام الحب .
ام حبيب : قال الاصمعي واما ام حبيب فسوداء زرقاء تعظم عناقيدها ويعظم حبها .
« ما لم ينعت من العنب »

الحبشي ضرب من العنب قال في اللسان . قال ابو حنيفة لم ينعت لنا ومثله في التاج والمخصص .

الرشاء عنب له حب طوال سمي بذلك على التشبيه بالزمنين وفي اللسان ورشاء الشاة زمنها تحت الاذنين . وشاة رشاء من ذلك . ورشت العزم من بابي فرح ومنع ابضت اطراف زمنها . وزمنة الشاة هنة معلقة في حلقها تحت لحيتها . وخص بعضهم به العزم ويقال ازمن الشجر اذا صار له زمنة كزمنة الشاة . والزمنة بالضم شجرة لا ورق لها كأنها زمنة الشاة .

المُذَخَّم ذكره في المخصص ولم ينعنه وقال زنة حبة منه اكثر من اربعة اساتير . والامستار وزن اربعة مثاقيل ونصف .

القُبُوعِي نوع من العنب ذكره الاصمعي ولم ينعنه ولم اره لغيره
« امر يش الكرم وعرشه »

العرش ما عرش للكرم من عيدان تحمل كهيئة السقف فتجمل عليها قضبان الكرم جمعه عُروش كقليب وقُأب . وفي المصباح وعرش الكرم ما يعمل مرتفعا يمتد عليه الكرم والجمع عراش .

وعرش الكرم ما يدعم به من الخشب وجمعه عروش .
وعرش الكرم يعرشه ويعرشه عرشا وعروشاً وأعرشه إعراشاً . وعرشه

(١) ضبط بالشكل في اللسان والمخصص بكسر اللام فقط وفي الاصمعي بكسر اللام وتشديد الباء ولا اعلم ما يوجب التشديد .

تعريشاً عمل له عرشاً ورفع دواليه على الخشب . وعرشه تعريشاً اذا عطف الميدان التي ترسل عليها قضبان الكرم .

واعترش العنب العريش اعتراشاً اذا علاه على العراش ^(١) .

واعترشت القضبان على العريش علت واسترسلت وهو مطاوع عرش كرفع وارفع .

وقوله تعالى وجنتا معروشات ، المعروشات الكروم .

وفي المخصص فان سئد بعد ذلك فهو رُدس وُرُح ومعرش وعريش ومعرش

ثم قال واسم ذلك الخشب العريش والعَرش والجمع عروش .

المرزح كمنبر الخشب يرفع به الكرم عن الارض وفي التهذيب يرفع بها العنب اذا

سقط بعضه على بعض . ورزح العنب وأرزحه اذا سقط فرفعه والمرزحة الخشبة التي

يرفع بها .

الجزء بالضم المرزح وهي خشبة يرفع بها الكرم عن الارض .

القلال ككتاب الخشب المنصوبة للتعريش لانه يقل بها الكرم قال الشاعر :

من خمرانة ساقطاً افنانها رفع النبيت كرومها بقلال

اراد بالقلال اعمدة ترفع بها الكروم من الارض .

الدعامة والدعامة والدعام بكسر من الخشب المنصوب للتعريش جمعه دم بكسر ففتح

ودعائم ودعم الشيء مال فأقامه كما تدعم عروش الكرم .

الدجران بالكسر الخشب المنصوب للتعريش الواحدة دجرانة .

الدقران بالضم خشب ينصب في الارض يعرش عليه الكرم واحده دقرانة .

وفي الاصحاح قد قبّع كرمه اذا ما حفر الدقران حفرأ يثبت فيه .

الجازع الخشبة التي توضع في العريش عرضاً تطرح عليها قضبان الكرم لترفع عن

(١) هذه الجملة مذكورة في اللسان والصاح ومختاره ونقلها في التاج عن المفردات

(ولكنني لم ارها في المفردات) وقد ورد لفظ العراش في المخصص ايضاً ولم يذكرها احد

منهم في جمع عرش او عريش بل ظاهر كلامهم يدل على ان جمع عريش عروش وجمع

عريش عُرُش ولعلها جمع عرش لان فعالاً بطرد جمعاً فغل على ما ذكره ابن مالك

ككعب وكعاب وثوب وثياب وضياف وصعب وصعاب فليراجع .

الارض فانت نعت تلك الخشبة قلت خشبة جازعة . وكذلك كل خشبة معروضة بين شبتين ليحمل عليها شيء فهي جازعة . . وفي اللسان الجازع خشبة معروضة بين خشبتين منصوبتين وقيل بين شبتين يحمل عليها وقيل هي التي توضع بين خشبتين منصوبتين عرضاً لتوضع عليها مروع الكرم وعزوشها وقضبانها لترفعها عن الارض . وفي المخصص ويقال للخشب التي يعرش فوقها العوارض والمساطح والجوازع الواحد جازع فاذا وصفت الخشبة فهي جازعة وسيأتي معنى العوارض . واما المساطح فلم أر من ذكرها ولعلها محرفة عن المساطح .

المسطح كمنبر الخشبة المعروضة على دعائمي الكرم بالأطُر . قال ابن شميل اذا عرش الكرم عمدا الى دعائم يحفر لها في الارض لكل دعامة شعتان ثم تؤخذ شعبة ^(١) فتعرض على الدعائمين وتسمى هذه الخشبة المعروضة المسطح ويجعل على المساطح أطُر من ادناها الى أقصاها .

والمسطح كمنبر وتفتح فيه مكان مستو يسط عليه التمر ويجفف ويسمي الجرين .
بمانية . . والمسطاح لغة فيه .

القاعل بالفتح عود يجعل تحت مروع القطوف لثلا لتعفر ويقال له المشعة ط .
والشحط عوبد يوضع عند القضيب من قضبان الكرم يقيه من الارض كالشحط
والشعطة .

وقيل الشعط خشبة توضع الى جنب الاغصان الرطاب المنفرقة القصار التي تخرج من الشكر حتى ترتفع عليها . وقيل هو عود ترفع عليه الحبله حتى تستقل الى العريش .
والشعطة العود من الرمان وغيره تفرسه الى جنب قضيب الحبله حتى تعلو فوقه . وفي الاصمعي الشعطة عود ترفع به الحبله حتى تستقل الى العريش ويقال شحط الكرم . وشحط الحبله اذا وضع الى جنبها خشبة حتى ترتفع اليها وقيل حتى تستقل الى العريش .
الحُرْدِيَّة قضبان تضم ملوبة بطاقات الكرم تحمل عليها قضبانه .

(آ) هكذا في اللسان والتاج وفي الاصمعي ثم تجيء بخشبة فتعرضها وهو الموافق لقول
اللسان وتسمى هذه الخشبة المعروضة الخ .

والهردية الحردية قال الازهرى والذي حفظناه عن أئمتنا الحردى بالحاء ولم يقله
بالهاء غير الليث . وفي المصباح والحردى بضم الراء وسكون الحاء حزمة من قصب تلتقى على
خشب السقف كلمة نبطية والجمع الحراى . وعن الليث انه يقال هردية قال وهي قصبات
تضم ملوية بطاقات الكرم يرسل عليها قضبان الكرم وهذا يقتضي ان تكون الهردية عربية
وقد منعها ابن السكيت وقال لا يقال هردية اه . وقد اقتصر صاحب المخصص على الهردية
بالهاء ولم يذكرها بالحاء وكذا صاحب اللسان . ولم يذكرها صاحب القاموس في مادة
ح رد وانما قال في مادة ه رد والهردية الحردية ولم يذكرها صاحب الصحاح بهذا المعنى
وانما قال والحردى من القصب نبطي معرب ولا يقال الهردى .

الزوافر خشب ثقام وتعرض عليها الدعائم لتجري عليها نواحي الكرم وزافرة البناء
ركنه الذي يعتمد عليه . والزفر بالتحريك الذي يدعم^(١) به الشجر ويسند .

السمك ككتاب خشبة يرفع بها العنب والجمع السمك ككتب والسمك ما سمك به
الشيء اي رفع حائطاً كان او سقفاً وفي المخصص عن ابي حنيفة . وكل ما رفع به الكرم
فهو سمك وسماك والجمع سُمك لانه يسمك بها .

العوارض الخشب التي يعرش فوقها ولعلها مأخوذة من عوارض البيت وهي خشب
سقفه المعرّضة . واحدها عارضة وفي كتاب الاصمعي والسمك التي يرفع بها العنب من
الخشب والواحد السمك والتي تعرض فوقها السمك العوارض .

التمرّيج التمرّيش قال في التاج وكرم ممرح كعظم ممرار ممرش على دعائمه .
الايمراح تمرّيش الكرم قال في اللسان وأمزح كرمك بقطع الألف بمعنى عرّشه .
الترجيب ان تدعم الشجرة اذا كثر حملها لئلا تنكسر أغصانها . ورُجِبَ الكرمُ
سويت سروغة ووضع مواضعه من الدعم والقلال .

سليم الجندي
عضو المجمع العلمي

(١) كذا في التاج وفي اللسان التي يدعم بها الشعر بتأنيث الضمير وفي المخصص التي يدعم بها
تحت الشجر وفي كتاب الاصمعي ما يدعم به الشجر .

آراء وافكار

—«»—

معهد مصر العلمي

Institut d'Egypte et Institut Egyptten

في اول سبتمبر سنة ١٧٩٨ وطئت قدما بونايرت مصر وقد عين قائداً عاماً لجيش الشرق وماعتم ان أصدر امره بتاريخ ٣ فريكتدور^(١) (Fructidor) من السنة السادسة للجمهورية (سنة ١٧٩٨ م) بتأسيس معهد علمي يكون الغرض منه البحث في مختلف الشؤون للعلوم والفنون الخاصة بمصر . وقد عقد اول جلساته بعد ثلاثة ايام اي في ٦ فريكتدور بمنزل حسن كاشف في قسم الناصرية الحالي بالقاهرة حيث حارة مونيخ خلف المدرسة السنية للبنات بشارع الناصرية ، فانتخب مونيخ رئيساً للمعهد وبونايرت وكيلاً وفوريه سكرتيراً دائماً ونرى لليوم بطاقة لجنة حفظ الآثار العربية برقم خاص موضوعة على منزل ابراهيم بك السناري القديم حيث نقلت اليه المجموعة النفيسة التي نعت في الشقيب عليها وافنائها المرحوم شارل جلياردو بك المتوفى بمصر في سنة ١٩٢٧ وكان قد نقل الى ذلك المنزل مكتبته ومجموعته باسم «متحف بونايارت» وافتتح رسمياً بحضور اللورد اللنبي وغيره من العظماء في ٥ مايو سنة ١٩٢١ .

وقد عين قرار التأسيس الغرض من انشاء هذا المعهد فجاء به ان مهمته تنحصر فيما يأتي :

(اولاً) للرقى ونشر نوز الثقافة .

(١) يظهر ان هذا اسم من أسماء الأشهر التي وضعها رجال الثورة الافرنسية مكان أسماء الأشهر القديمة .

(ثانياً) للبحث والدرس ونشر الحوادث الطبيعية والصناعية والتاريخية لمصر .
 وحدد ايضاً عدد العلماء أعضاء المعهد فجاء فيه بانه يتألف من خمسين عوضاً يكونون
 مقيمين كلهم بمصر . وقسم الى اربعة اقسام : الاول للرياضيات والثاني للطبيعات والثالث
 للشؤون الاقتصادية والسياسية والرابع للآداب والفنون . وكما انه تأسس بعد ثلاثة ايام
 من صدور القرار ظل كل عضو فيه يعمل باهتمام ثلاث سنوات وهي مدة الاحتلال
 الفرنسي ومع انه انحل كهيئة منظمة واستمر الاعضاء الذين الفوه بذلون جهودهم لتحقيق
 الغرض من تأسيسه واخيراً جمعوا بحوثهم وطبعوها في المؤلف العظيم المرسوم بوصف مصر
 (Description de l'Egypte) وقد طبع لأول مرة في سنة ١٨٠٩ الى سنة ١٨١١
 في سبعة مجلدات وأعيد طبعه بحجم أصغر لثلاثون سنة ١٨٢٦ في ٢٦ مجلداً غير الاطالس في
 احد عشر مجلداً للطبعين وظاهر ان الطبعة الاولى كانت في عهد الامبراطور نابليون
 الكبير وبأمره كما هو مكتوب واما الثانية فكانت في عهد لويس الثامن عشر وانه حقاً عمل
 جليل عمله علماء اختصاصيون ولا يزال الى اليوم اثره عظيماً جمع بين دفتيه المعلومات الجزيلة
 النفع فيه فوائده مما قلت لا يستهان بها وعملاً قام على اصدق البحوث واكملها الى ذلك
 الوقت (منذ نصف ومئة عام) ومع ذلك فهو الى اليوم المؤلف الجليل والمرجع الذي يرجع
 اليه في كل موضوع خاص بمصر . وقد قسمت موضوعاته الى ثلاثة اقسام الاول عن الآثار
 والثاني عن وصف مصر في عهد الفرنسيين والثالث عن التاريخ الطبيعي .
 هذا مجمل ما يقال وما تحسن به الاشارة الى المعهد في دبره الاول الذي أراد بونا بارت
 ان ينشئه بمصر على مثال ما كان في فرنسا وكان يفخر بانه عضو في Institut de
 France فكان أنه أراد ان يفخر ايضاً بانتدائه الى معهد مصر العلمي الذي امر بتأسيسه
 وبقي ولكن الى حين . وبعد مضي نصف قرن تماماً اي في ٦ مايو سنة ١٨٥٩ كان الوالي
 يومئذ محمد سعيد باشا فأصدر امره باعادة المعهد بناء على اقتراح العلماء مثل جونا ر jonard
 المستشرق الاشتهر الذي يعتبر اكبر صلة بين باريس ومصر وادجست ماريتييك (باشا
 فيما بعد) Mariette وكوفنج بك Konig Bey طبيب الوالي الخصاص ودكتور شنب
 ديريرا Dererira Chinepp وغيرهم فأعيد المعهد في الاسكندرية باسم المعهد المصري
 العلمي Institut Egyptien : ظل الاعضاء يواصلون اجتماعاتهم الى ان نقل الى القاهرة

في سنة ١٨٨٠ وسن له قانون جديد في ١٢ صفحة بالفرنسية وهكذا وجد بجانب اسماء المشهورين من كبار المؤسسين الاولين وهم بونابارت ومونج ولوڤيرو برتوليه وجوفر واسنت هيلر وغيرهم اسماء ماسيرو ونيروتسوس بك وشوينفورث و بروخش وسيكترجر ومحمود باشا الفلكي وفيجري بك وداسبس وغيرهم من العلماء الاجانب والوطنيين الذين اقترنت اسمائهم بالاستكشافات الحديثة والاعمال والبحوث المهمة الخاصة بمصر .

واخيراً في اول نوفمبر سنة ١٩١٨ صدرت ارادة من مولانا الملك باعادة الاسم الاول Institut d'Egypte وان يكون مؤلفاً من خمسين عضواً كما كان عددهم في بدء تأسيسه وهم الذين يحملون لقب العضوية والانتساب مدة الحياة . اما اختصاص المعهد فمقسم الى اربعة اقسام : (١) في الادب والتاريخ والآثار . (٢) في العلوم الادبية والسياسية . (٣) في العلوم الطبيعية والرياضية . (٤) في الطب والهندسة الزراعية والتاريخ الطبيعي . ويمكن انتخاب خمسين عضواً من اعضاء الشرف او من المكاتبين لكل قسم .

وتعقد الجلسات علناً بعد ظهر الاثنين الاول من كل شهر في المدة من نوفمبر الى مايو وتقوم لجنة ادارة المعهد بطبع (١) نشرة سنوية بالمحاضرات العلمية ومحاضر الجلسات والمحقات وجدول باسماء المشتركين (٢) مذكرات وهذه تصدر في اوقات غير محددة شاملة للبحوث المهمة التي تقدم للمعهد ويقرر قبولها واصدارها .

اما مكتبة المعهد فتعتمد من أهم مكتبات القطر وتشمل ثلاثين ألفاً من المجلدات بعضها منقطع النظير نادر الوجود وفيها كل ما يهتم الباحث في الشؤون المصرية على الاخص . وأبواب المكتبة مفتوحة طول السنة عدا الأعياد الرسمية سواء للاعضاء العاملين او للعلماء والجمهور ، ويقضي النظام المتبع بها بعدم اخراج كتب منها الا للاعضاء او لمن يفخونهم من الاجانب . ويتبادل المعهد مطبوعاته مع مطبوعات المعاهد العلمية في افحاء المعمور .

هذا ويتألف مجلس الادارة لسنة ١٩٢٩-١٩٣٠ من الرئيس الدكتور جيورجيا دس بك الكيائي المعروف ومن الوكيلين اوديبو بك المهندس ومسيو هوربيه المستشار بمحكمة الاستئناف المختلطة بالاسكندرية ومن السكرتير العام مسيو مرجو يتيه كاتم اسرار مصلحة الآثار المصرية ومساعدته دكتور لبني مسكرتير شركة صناعات القطر وامين

الصندوق مع المكتبة مسيو ليمونجلي المهندس والمقاول . ولجنة النشر والمطبوعات مؤلفة من حضرات احمد زكي باشا ومسيو كوفييه والشيخ مصطفى عبد الرازق ومسيو لوكاس .
وقام المعهد باصدار المطبوعات بين نشرات ومذكرات من سنة ١٨٥٩ الى الآن على النشاي وقد فقد بعض المطبوعات الاولى كالحلقة الاولى الصادرة من سنة ١٨٥٩ الى ١٨٧٥ فانها اصيحت غير موجودة الا في دور الكتب العامة .

والمعهد مركزه بمباني الحكومة بجوار وزارتي الاشغال العمومية والمواصلات وتقوم الحكومة بدفع نفقات الطبع وما يضمن ظهور النشرات والمطبوعات والمذكرات وقد كانت الاعانة اولاً ٦٦٠ جنياً مصرياً رفعت الى ١٢٠٠ في سنة ١٩٢٨ لما كان المعهد برئاسة حضرة الاماذ فيكتور موصيري ثم الى ١٥٠٠ جنياً اخيراً برئاسة جورج جادس بك .
عن المقطم باختصار :
توفيق اسكاروس



حول كتاب الاعتبار

في ص ٧٧٢ ج ١٢ من مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٣٠ م ورد كلام ل (م ك) في كتاب الاعتبار الذي حاول نشره العالم السيد فيليب حتي أستاذ جامعة (برنستون) وعضو المجمع العلمي العربي وقال في ضمنه ان السيد فيليب حتي نشر كتابين من كتب العرب قبل نشره هذا الكتاب وهما مختصر كتاب (الفرق بين الفرق) لمختصره عبدالرزاق الرسيني واصله لابي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي .
وكلاهما لا يُعدان في كتب الدرجة الاولى التي تشد حاجة العلم والادب الى احيائها فمختصر الفرق بين الفرق ضئيل الفائدة لان الاصل مختصر فما بالك بمختصره الخ .
ألفت نظر الاستاذ الناقد ان فائدة الكتب ليست بالاختصار والتفصيل بل فائدتها باهمية موضوعها وكتاب مختصر الفرق بين الفرق واصله يُفيدان كثيراً في البحث عن حدوث الآراء والمقالات الدينية وتاريخ ظهورها وأسباب نشوئها في الاسلام .
ولكن في المختصر الذي نشره الاستاذ فيليب حتي بعض نقصان يحتاج الى التكميل منه ان الاستاذ م تبه لم يظهر بترجمة الرسيني يقول في ص ٤ من مقدمته (المختصر

هو عبد الرزاق الرصمني ولم أظفر له بذكر فيما يبدي من الكتب والمستنسخ انه من (رأس عين) بالجزيرة . ومما يدل على انه لم يكن مجرد ناسخ بل انه كان على شيء من الأدب والمقدرة العقلية كونه اعمل ملكة الانتقاء في المادة التي امامه فعرف ما يصح الاستغناء عنه) .

اقول المختصر هو احد محدثي القرن السابع . ذكر بهاء الدين ابو الحسن علي بن عيسى ابن نضر الدين الاربلي^(١) المحدث الاديب الشاعر الشيعي من علماء القرن السابع في كتابه (كشف الغمّة في معرفة الائمة^(٢)) الذي فرغ من تأليفه سنة سبع وثمانين وستمائة ٦٨٧ هـ . انصه :

« نقلت من أحاديث نقلها صديقنا عن الدين عبد الرزاق بن رزق الله بن ابي بكر المحدث الحنلي الرصمني الاصل والموصلي المنشأ وكان رجلاً فاضلاً اديباً حسن المعاشرة حلوا الحديث فصيح العبارة جمعت به في الموصل وتجارينا في أحاديث نقلت له ياعن الدين أريد ان أسألك عن شيء ونصفتني فقال نعم : فقلت : هل يجوز ان نلزمونا معشر الشيعة بما في صحاحكم ومن رجالها (عمرو بن العاص) و (معاوية بن ابي سفيان) و (عمران بن حطان) وكان من الخوارج فقال لا والله وكان منصفاً رحمه الله وقتل في سنة اخذ الموصل وهي سنة ستين وستمائة (٦٦٠) انتهى كتبت هذه الكلمة لما فيها من فائدة للقرار وتكميل لمقدمة الامتاز لكتاب الرصمني » .

وقد وقعت في كتاب البغدادي اوهام في ذكر آراء الفرق وكذا وقعت شبهات قليلة في الحواشي التي ألحقها السيد فيليب حتي بالمختصر نشأت من اعتماده على الكتب التي اخذ موادها منها . عسى ان تشير اليها في مقالة أخرى .

ابو عبد الله الزنجاني

عضو المجمع العلمي العربي



(١) اربل مدينة كبيرة بين الزابين 'نعد' من اعمال الموصل وبينها مسيرة يومين معجم البلدان ج ١ ص ١٧٣ طبعة مصر . (٢) كتاب كشف الغمّة مطبوع في ايران ولكنني نقلت عبارته عن كتاب مخطوط قديم يتضمن بعض اخبار واحاديث وحجج دينية وهو في خزانة كتب العلامة الشيخ فضل الله الزنجاني احد اعلام زنجان .

استدراك

ذكرتُ في وصفي لكتاب « واسطة السلوك في سياسة الملوك » المنشور في مجلة المجمع (ج ٢ م ١١) انه « لا يزال يدوياً مخطوطاً لم يُنشر بعد ٠٠٠ » ، والواقع انه طبع في تونس منذ سبعين سنة ، وقد ظفرتُ بنسخة مطبوعة منه ، فاذا هو مطبوع بحروف قديمة دقيقة رديئة جداً . ولم تطبع منه الا كمية قليلة نفدت كلها فيما نظن وعاد الكتاب نادراً لا يكاد يوجد .
في ١ أيار سنة ١٩٣١

تلسان (الجزائر) : محمد السعيد الزاهري

مطبوعات حديثة

—«»—

كتاب تهذيب الاخلاق

« للعلامة ابي زكرياء يحيى بن عدي الفيلسوف السرياني ، نشره السيد
« مارسويروس افرام يوصوم سنة ١٩٢٨ في مجلة اللغات السامية في
« شيكاغو بالطبع الحجري في ١٢٩ ص »

نشرنا منذ سبع سنين هذا الكتاب عن مخطوط كتب سنة ١٠٤٧ هـ منسوباً الى
الجاحظ وقد تبين ان الكتاب نسب الى يحيى الدين بن عربي والى يحيى بن عدي ثم ثبت
من مخطوط حديث في خزانة الطيب الذكر البطريرك غريغوريوس حداد ان الكتاب
ليحيى بن عدي وان في نسبه الى الجاحظ او الى يحيى الدين بن عربي نظراً . وها قد نشر
السيد افرام هذا الكتاب ايضاً عن نسخة قديمة كتبت سنة ٦٧٢ هـ ١١٧٣ م وجدت
في مكتبة دير مارمرقس السريانية في القدس معارفاً لها على نسختنا وقال ان هذه
اقرب الى النسخة القدسية وأثبت مع من أثبت ان الكتاب ليحيى بن عدي اليعقوبي
لا محالة وقال انه طبعه على علانه ولم ير التعليق عليه وان كان له ما يقال في كلامه الخ .

م . ك

مطبعة المعارف واصدقاؤها

١٨٩٠ - ١٩٣١

هذا عنوان رسالة سيف تراجم طائفة من المؤلفين والكتّاب والشعراء الذين اتصلوا بمطبعة المعارف في مصر من ابتداء أمرها الى يومنا هذا .

يدخل في هذه الطائفة اليازجي وحافظ ابراهيم وقاسم امين وفتحي زغلول واحمد دوقي و خليل مطران وولي الدين يكن والدكتور منصور فهمي والمفلوطي ولطفي جمعة وعبد العزيز البشري والنشاشيبي وطه حسين وحرم منصور فهمي والسيدة دويوك والسيدة احسان احمد القوص والآتية مي وغيرهم من رجال اللغة والأدب والشعر والاجتماع والفلسفة .

و يدخل فيها بعض المؤلفين من الفرنسيين والانكليز .

وضع الرسالة اصحاب مطبعة المعارف فأنقنوا طبعها وجوّدوا وزقها وحسنوا صورها فكانت نموذجاً صالحاً يدل على استعداد رجال الشرق .

قدّم الرسالة الدكتور احمد فريد رفاعي بك فأثنى جميل الثناء على رجال العلم الذين يعمهون في سبيل راحة الناس و يشقون في سعادتهم ، ونوّه بفضل المرحوم نجيب متري وبمجهوده في إخراج المؤلفات القيمة وبتقبل فجليه شفيق وإدوار طريقتة .

تستمل هذه الرسالة على مقال في تاريخ دور الكتب في الشرق وفي ادّاء من ألف في الاسلام أنشأه الاستاذ السيد محمد البيلادي .

وعلى مقال في العجائب الثلاث : الكلمة والحرف والمطبعة ، أنشأها الآتية مي . وعلى شذور طريفة من تاريخ الطباعة في الشرق ، وعلى بعض مشاهدات شاهدها الاستاذ انطون الجميل بك في مطبعة المعارف .

وعلى وصف المطبعة ذاتها وصفه الاستاذ محمد امين لطفي بك .

اما تراجم المؤلفين والكتّاب والشعراء التي تضمنتها الرسالة فهي وجيزة .

ففي بعض الأحوال قد نجد دقة في التعبير وأرى بهذا ان الفكر مفرغ في قالب مهيأ له لا يزيد هذا القالب ولا ينقص فيكاد يكون كالثوب الذي يفضله الخياط على

مقدار صاحبه لا فصر فيه ولا طول ، ولا سمة ولا ضيق ، من هذا الشكل الكلام على الشيخ ابراهيم اليازجي .

وفي بعض التراجم قد نجد اشتطاطاً في التعبير من هذا القبيل القول في حافظ ابراهيم بك :

الطائر يجناحين بين الخافقين ، فليست أدري اي تصوير يصوره هذا الكلام . فهل عرفنا الموصوف بهذا اللفظ حق المعرفة ، اننا لانزال نفتقر في بياننا الى دقة في التعبير اي الى إفراغ الفكر في القالب المهبأ لهذا الفكر دون شيء من الزيادة والنقصان ، اننا لانزال ننزع الى الغلو في بعض بياننا ، فهذا البيان يحتاج الى يسير من صقل الحواشي . هذا وقد وقع في الرسالة بعض عجمة من هذا النحو : لعب دوراً بديعاً ، فالعريسة لانعرف هذا الكلام قد وقع بعض خطأ في النحو ، فقد جاء في مقال الاستاذ السيد محمد البيلاوي : فلم يمس عليها خمسة وعشرون سنة بدلاً من خمس وقد يكون هذا الخطأ من المطبعة . على ان الغاية من وضع الرسالة التلميح الى ما وصلت اليه مطبعة المعارف من الارتقان والتجويد والتحسين والحقيقة ان المطبعة قد بلغت هذا كله ، فما بلغت في هذا الباب غير قليل .

شفيق جبري

امراتنا في الشريعة والمجتمع

« تأليف الاستاذ الطاهر الحداد التونسي طبع في المطبعة الفنية بتونس »

« سنة ١٩٢٠ م في مئة واربعين صفحة »

ظهور هذا الكتاب في تونس يشبه ظهور كتاب قاسم بك امين في مصر وكتاب الآنسة نظيرة زين الدين في سورية من حيث وحدة الموضوع والجرأة في بسط مباحثه واستنكار الشيوخ له .

ويمتاز هذا الكتاب بكون مؤلفه (الطاهر الحداد) من شيوخ الدين ومن خير محبي جامع الزيتونة . وقد قال المؤلف في خاتمة كتابه مشيراً الى الموضوعات والابحاث التي عالجهافيها : « لقد أوضحنا ما للمرأة في الاسلام من حق صريح ومادّ آخر لما في نصوصه الخالدة

من روح العطف والتقدير - حتى المساواة . وبيننا حالة المرأة التونسية وما في انخطاؤها من صور الشقاء الذي يغمرنا في الحياة الزوجية وفي عائلتنا وفي تربية ابنائنا التي تخرجهم عاجزين عن اي عمل منتج في الحياة . وأعطينا صورة عامة عن رأينا في الخروج بامرأتنا من الهوة التي وقعت فيها بحكم أجيال التدلي الطويلة التي حرمتنا معها من بلوغ الحياة السعيدة التي نتجملها ولا نراها الا في الامم الحية التي حاسبت ماضيها وطغت فيه روح الذبول والموت الذي كان سائداً عليها . وما قصدنا من ذلك كله الا ان ندرك جلياً حقيقة موقفنا قبل ان نذهب طعمة لما ضيبت السخيف » .

هذه هي المباحث التي خاض المؤلف عباها وقد صور لنا حالة المرأة التونسية وما هي عليه من الانحطاط تصويراً جلياً . ولم يقتصر على هذا بل شرح في كتابه كل ما له علاقة بالمرأة من مظاهر الاجتماع التونسي حتى انه اطلعنا على رأي علماء تونس في المرأة فسألهم اثني عشر سؤالاً واخذ أجوبتهم عليها ونشرها بنصها في كتابه . ومن جملة جرائده في بحثه انه اعتبر نصف ارث المرأة المسلمة وتعدد الزوجات من قبيل التشريع الموقت : أذن بعما النبي صلى الله عليه وسلم ريثما تصل الامة الى طور اكمل فيحظرها المجتهدون بحكم قاعدة (لتغير الاحكام بتغير الازمان) . ومما حض عليه المصنف باكد فيه القول تأكيداً كيداً لإحداث (محاكم طلاق) و (رياض أطفال) لتربية العائلة والتربية الاسلاميتين . وقد وصف حالة العائلة التونسية وصفاً مؤثراً يستدعي العناية والاهتمام باصلاحها . ويمكن ان أقول ان كل ما ذكره في هذا الموضوع صورة طبق الاصل عن الحالة النسوية او الاجتماعية في بلادنا المشرقية سوى شيء واحد فاني عجبت منه و يظهر انه خاص بالقطر التونسي ولا عهد لنا به . ولذلك أنقل عبارته نفسها المتعلقة بهذا الأمر . قال المؤلف : « بعد ان وصف ما نلا فيه المرأة التونسية مذ لننقل من بيت ابينا الى بيت زوجها مكرهة هنا وهناك » ما نصه :

« ان المرأة في هذه الحال قد يقوى فيها عامل السخط فتهمل شؤون بيتها وزوجها او حتى بعض شهواتها التي لا تلزم ولكنهم (لعله يعني ولاية الامور او قضاة الشرع في تونس) أسسوا لها معهداً خاصاً بعلاجها - هو ما يسمى (دارجواد) منزل خاص بقيم عليه القاضي رجلاً قياً يسمى (جيداً) وامراته وتسمى (جيدة) يضع الرجل زوجته باذن

قاضي الشريعة عندهما في المنزل ويضيق عليها في طعامها وكسائها ونسائها وحدها ليلاً ولا تباح زيارتها الا باذن ومشقة . كل ذلك لتنزل الوحشة في قلبها فنطلب بنفسها الرجوع الى بيت الزوجية نائبة مستغفرة معذرة الرضى تملصاً من تلك النكبات القاسية عليها وليس بعيداً ان ثور الفتنة مرة بعد أخرى وتكرر زيارتها الى ذلك المهد الزجري . فأبي معني بقي لهذه الزوجية المضطربة كمن به حجة « اه . وختم المؤلف كتابه بقوله : « انني أدعو جميع التونسيين معها اختلفت آراؤهم وأميلهم لا الى تصديقي فيما أقول — فهذا ما يبعد كثيراً عن مثلي — ولكنني أدعوهم الى التسأل معي في ذات الموضوع وخطره على مستقبل حياتنا اذا بقينا مستسلمين لحوادث العابثة بنا ناسبين ذلك الى الاقدار التي لا تغالب الخ » .

« المغربي »

— « X » « X » —

فضل الخيل

« تأليف شرف الدين عبد المؤمن الدمياطي من رجال القرن السابع الهجري »

« (ورشحات المداد) فيما يتعلق بالصافات الجياد تأليف الشيخ محمد البخشى الحلبي »

« من رجال القرن الحادي عشر الهجري »

وهما مخطوطان طبعهما وصححهما الاستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ صاحب كتاب اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء فجاء الاول في ١٩٢ صفحة والثاني في ١١٨ صفحة من القطع المتوسط والأحرف الكبيرة .

تطبع المخطوطات القديمة اذا كان من وراء طبعها احدي فوائد ثلاث علمية او ادبية او لغوية . فأما من حيث العلم فالكتابان المذكوران خاليان من كل فائدة علمية الا بحثاً في أدواء الخيل وعلاجاتها جاء في آخر الكتاب الثاني ومعظمه خلط لا يجوز ان يتعلمه ارباب الخيل في أيامنا هذه لأن في تطبيق تلك العلاجات ازدياد الأدواء لا زوالها .

واما من حيث الأدب فالكتابان ليسا من الكتب الأدبية فان نصفها او أكثر أحاديث في الخيل وحكايات يمكن اختصارها بقليل من الصفحات لأن معظمها أسانيد لا تهم إلا الفقهاء .

واما من حيث اللغة ففي الكتابين بحث طريف في خلق الخليل وألوانها وشيائنها لكن
حضرة الناشر لم يمتن بضبط الألفاظ التي وردت في هذا البحث فجاء كثير منها مغلوطاً
فمن الأغلاط التي وجدت في صفحة واحدة وهي الصفحة ٢١ من الكتاب الثاني قوله :

١ — ونظير الشفر من الانسان المجافل والصحيح ونظير المشفر من الانسان
المجافل .

٢ — والشعر النابت عليها القيد والصحيح الفيد بقاء موحدة .

٣ — ومنبت العنق المعرفة والصحيح ومنبت العرف المعرفة او ومنبت شعر العنق
المعرفة .

٤ — ورؤوس الوركين يقال لها الحجبات والصحيح الحجبات .

٥ — ووعاء الجرذان يقال له القنب والصحيح الجردان بالدال المهملة .

٦ — وما اكتنفه من خارج كالحملين هو التفرووران والصحيح الثرووران .

وجاء في الصفحة التي تليها الداعضة للعظم المتحرك على رأس الركبة والصحيح الداغضة .
وضبط الفسكل بفتح الكاف (ص ٨٢ من الكتاب الاول) للفرس الذي يجي آخر
خليل في الحلبة والصحيح بكسر الكاف . قال المؤلف « والعامة تسميه الفُسْكُل » قلت
وهذا الضبط فصيح .

وجاء في الصفحة الخامسة من المقدمة كتاب الزروقة والصحيح كتاب الزردقة والزردة
وذكر في الصفحة ٤٥ من الكتاب الاول السلفذ بالدال المعجمة وهي بالدال المهملة .
وهكذا ترى في الكتابين عدداً لا يستهان به من الغلطات المطبعية التي كان يجب على
الاستاذ المحقق طابع هذين الكتابين ان يتلافها .

وقد قدم الناشر الفاضل للكتابين مقدمة أجاد فيها وهي تشتمل على موجز في حياة
المؤلفين الديماطي والحلي .
مصطفى الشهابي

هدايا كتب

أهدي السيد مصطفى البسابي الحلبي وأولاده بمصر من مطبوعات مطبعته المشهورة بمصر الى مكتبة مجمعنا العلمي الكتب الآتية :

(١) الجزء (١٧ و ١٨ و ١٩) من كتاب (الجواهر : في تفسير القرآن) وهو التفسير المشهور الذي يضعه الاستاذ طنطاوي جوهرى . وهذه الاجزاء الثلاثة هي نقمة أجزاء التفسير التي كان أهداها الى مكتبتنا السيد مصطفى وأولاده الموما اليهم من قبل .
(٢) كتاب السيرة الحلبية وهي من أشهر السير النبوية في مجلدين ضخمين تبلغ صفحاتها زهاء الف ومائة صفحة .

(٣) كتاب (الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن) بقلم الاستاذ (محمد ابراهيم زيد) وهو نسخة القرآن نفسه قد طبع طبعا متقنا وترك حوالى صفحاته باض أودعه تفسير القرآن بالقرآن اى انه يطبع في الهامش رقم الآية و يقول راجع بمعناها الآية الفلانية رقم كذا في سورة كذا وقد يعلق المفسر على بعض الآيات تعليقا يوضح المعنى الذي نزلت لاجله الآيات او الآيات . لكنه في بعض المواطن خالف المشهور من أقوال المفسرين ولذلك منعه الحكومة المصرية كما بلغنا أخيراً .

وأهدي الينا ايضا الجزء (الحادي عشر في الوكالة) من كتاب (درر الأحكام شرح مجلة الأحكام) تأليف العلامة (علي حيدر) وتعرّب السيد فهمي الحسيني المحامي المشهور وقد طبع على نفقته في مطبعة غزوة طبعا حسنا .
وكتاب (مبادئ الاسلام) تأليف السيد عبد الحق منصور من علماء مدينة طرطوس وقد ضمنه مباحث جليلة في فضائل الدين الاسلامي ومكارم الأخلاق التي اتى بها وحض عليها . وقد طبع في المطبعة الوطنية ببيروت .
وكتاب (ذكرى السويدي) وهو الشيخ (يوسف افندي آل السويدي) عليه الرحمة يتضمن طائفة مما قيل في رثائه جمعها لجنة تأييده في بغداد .
والجزء الاول من كتاب (دروس الدين الاسلامي) يتضمن بحث المبادئ وهو مطابق

لمقرر السنتين السادسة والسابعة - ايج السادسة والخامسة من المدارس التجهيزية تأليف السيد محمد زهدي الخماش مدرس العلوم الدينية في المدارس التجهيزية سابقاً وقد طبع بنفقة المكتبة الهاشمية بدمشق .

وكتاب (بدعية العميان) في فن البديع احدثون البلاغة الثلاثة عني بنشرها الاستاذ عبدالله مخلص احد أعضاء مجمعنا العلمي وطبعها طبعاً حسناً في المطبعة السلفية وهي تقع في ٥٢ صفحة مع اقريطز او ملاحظات ملحقة بها بقلم احمد تيمور باشا رحمه الله .

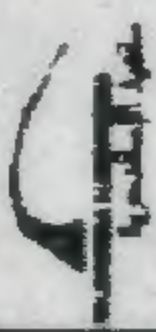
وكتاب (نلقي علم الدين) وهو رسالة صغيرة الحجم تتضمن البحث في نقصنا في علم الدين وطرق تلافيه ذلك - بقلم الاستاذ عبد الحميد الجابري من علماء حلب واحد أعضاء مجمعنا العلمي .

وكتاب (تعليم المرأة) وهو كتاب اجتماعي تدور مباحثه حول المرأة لمؤلفه الاستاذ جعفر حسين احد علماء الشيعة في العراق وقد طبع بمطبعة الشعب ببغداد .

وكتاب (الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري) من مصنفات الشيخ عبد الغني النابلسي وهي رسالة صغيرة في (٢٤ ص) عني بنشرها غب تحتجيمها وقابلتها على نسختين خطيتين في حلب - الشيخ راغب الطباخ احد أعضاء مجمعنا العلمي . وموضوع هذه الرسالة يبحث من مباحث العقائد الاسلامية ينبغي درسه درساً عميقاً لنوصل به الى تعيين موقف الانسان بالنسبة الى العمل الذي كلفه الشارع اياه وهل هو مجبر عليه او حر يختار فيه والى اي حد تنتهي هذه الحرية .

وكتاب (مستهل الآداب) ألفه السيد جميل سلطان وتدور مباحثه حول (المفردات . المشتقات . المحفوظات . الانشاء) وهو كما يرى القاري كتاب مدرسي طبق المنهاج المقرر تدريسه لطلاب الصف الخامس وقد نشرته مكتبة عرفة بدمشق .

«المغربي»



Bibliotheca Alexandrina



0652779